

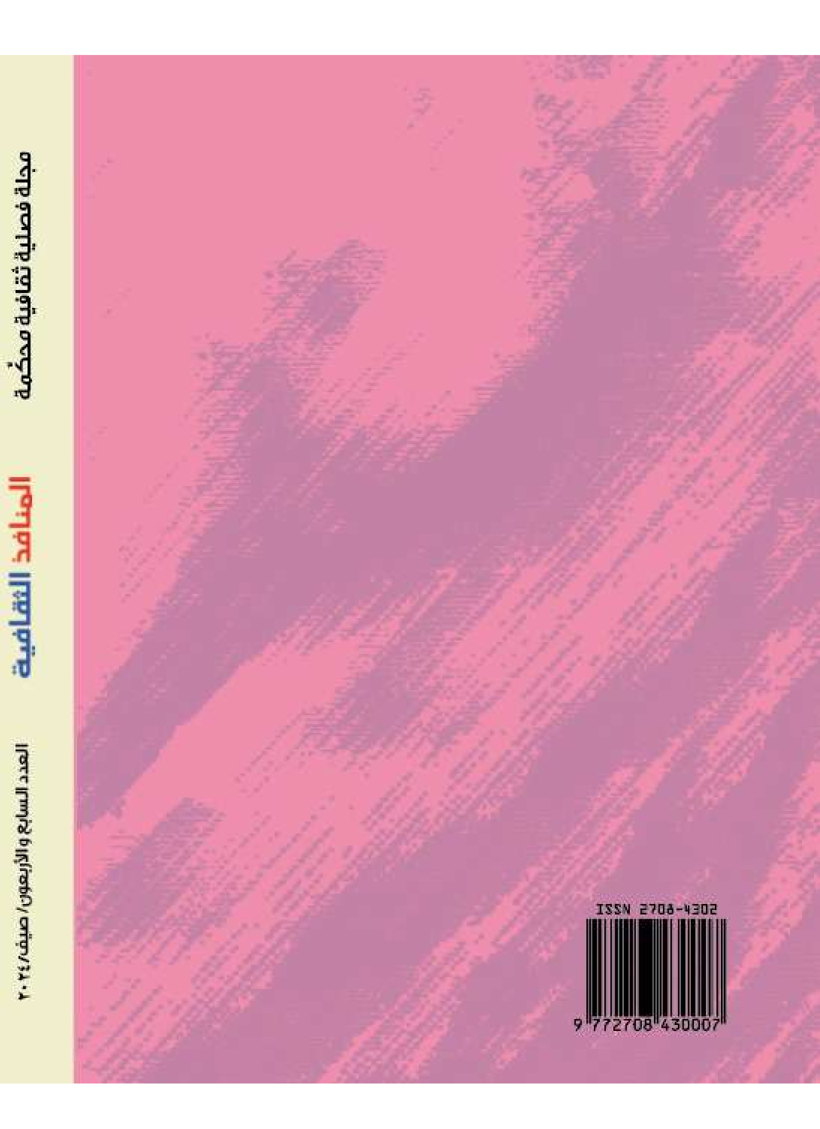
مجلة ثقافية فصلية مُحَكَّمَة / العدد السابع و الأربعون / صيف / ٢٠٢٤



- موقف "المنافذ الثقافية"

من قضايا الانتماء الفكري والأدبي والروحي

للأمة العربية والاستجابة الإيجابية للتحدي



المنافذ الثّقافيّة
مجلة ثقافيّة فصليّة محكَّمة تُعنى بأحوال الثّقافة والفكر والأدب

العدد السابع والأربعون- صيف 2024

رئيس التّحرير
عمر محمد شبلي

نائب رئيس التّحرير
أ. د. دريّة كمال فرحات

المدير المسؤول: علي حمود

تصميم المجلة وإخراجها: دار النهضة العربيّة

ISSN 2708-4302



موقع المجلة الإلكتروني – www.al-manafeth.com

تطلب المجلة من دار النهضة العربية – بيروت – شارع جامعة بيروت العربية
للمراسلات: 270 833 1 00961
darnahdainfo@gmail.com

الاشتراكات السّنويّة:
لبنان للأفراد 20 دولار – للمؤسسات 40 دولار
باقي الدول العربية:
للأفراد 100 دولار – للمؤسسات 200 دولار
للمراسلات: chebli_omar@hotmail.com

سطوع الاتّجاه العقليّ في الصّورة الشّعريّة في العصر العباسيّ

عمر شبلي

بتطوّر العقل العربيّ من عصر ما قبل الإسلام إلى العصر العباسيّ كان من الطّبيعي أن ينعكس هذا التّطوّر على كلّ منتجات العقل العربيّ الفكريّة والفنيّة والرّوحيّة، وهذا التّطوّر كان مرتبطًا بالعمر الزّمنيّ الذي بلغ مستوى عقليًا متقدمًا نتيجة التّرجمات والصّلات الفكريّة والفنيّة والرّوحيّة التي تثاقف بها ومعها العقل العربيّ، وهذا المنحى واسع ومتشعب، وسأحاول حصره بالصّورة الشّعريّة التي عرفها العصر العباسيّ، ولم يكن هذا التّثاقف خروجًا من التّراث السّابق في الصّورة الشّعريّة المتحدّرة من مرحلة ما قبل الإسلام إلى العصر العباسيّ، ولا ناقضًا له، بل كان إضافة فرضتها مُكَوِّنات الحياة الجديدة.

لقد أُخْصِبتْ الحياة العربيّة الجديدة بمعارف وافدة وبحياة اجتماعيّة تغيّر فيها البناء واللّباس وعادات اجتماعيّة كثيرة، ولأنّ الشّعر هو المُعَبّر الأعمق عن التّحوّلات التي تمسُّ حياة الأمم كانت استجابته سريعةً لهذه التّحوّلات، وأركّز هنا على الصّورة الشّعريّة، وكان الشّاعر أبو تمّام من أوائل المعبرين عن هذا التّحول، فقد سأله أحدُ سامعي شعره: لِمَ تقولُ ما لا يُفهَم؟ فقال له أبو تمّام: ولِمَ لا تفهمُ ما يقال؟. السّؤال والجواب هنا تعبير عن تطور عميق، وسنذكر صورًا شعريّة له ولغيره في العصر العباسيّ، يقول أبو تمّام:

تَحَمَّلْتُ ما لو حُمِّلَ الدّهرُ شطرَهُ   لفكّرَ دهرًا أيُّ عبْئيْهِ أثقلُ

صورة الدّهر هنا هي صورة أبي تمام وهمومه، وهو يحملُ عبئًا ثقيلًا لا يستطيع الدّهر أن يتحمّله لو كان إنسانًا، وأبو تمّام يقول أيضًا:

تَسَابق الشّعر فيه إذْ أرِقْتُ له   حتى ظننْتُ قوافيه ستقتتلُ

القوافي هنا تتشاجر كالبشر، ويقول في قصيدته الشّهيرة «السّيفُ أصدقُ أنباء»:

يا يومَ وقعةِ عمّوريةَ انصرفتْ   عنكَ المنى حُفّلًا معسولةَ الحَلَبِ

هنا يشبه أبو تمّام المنى التي تحقّقت بالنّصر على الرّوم بالنّياق الممتلئة الضّروع وحليبها كالعسل. وفي نفس القصيدة نرى أنّ الرّاحة الكبرى لا «تُنال إلّا على جسرٍ من

التعب». إنّ الأثر العقليّ شديد الحضور في هذا الشّعر، ومن عميق صوره الشّعريّة الرّائعة التي تذهلك فيها قوّة المرأى وعمق الشّاعريّة قوله في وصف يومٍ ربيعيّ:

مطرٌ يذوبُ الصّحوُ منه ودونَهُ　　صحوٌ يكادُ من النّضارةِ يُمطِرُ

الصّناعة الإبداعية في هذه الصّورة مذهلة يذوب فيها الشّعر من قدرة العقل على هذا التّصور الرُّؤيوي الجامع بين البصر والبصيرة.

وسنسوق بعض الصور من شعر المتنبي التي يتدخل فيها العقل بقوّة دون أن يؤذي الشّاعرية الأصيلة بل يخصبها: يقول المتنبي:

نحن ركبٌ مِلْجِنٍّ[1] في زِيِّ ناسٍ　　فوق طيرٍ لها شُخوصُ الجِمالِ

من بناتِ الجديلِ[2] تمشي بنا في　　البيــدِ مشيَ الأيّام في الآجالِ

بطــلولٍ كـــــأنهــنَّ نـــجومٌ　　فـــي عِـراصٍ كـأنهنّ ليالي

تعبير عقلي ينطق عن السّرعة التي لا يخذل فيها العقلُ الشّعر ولا يؤذيه، وترقى روعته في البيتِ الثّاني حيث تمشي الجِمال بالرّكب كما تمشي الأيام في عمر الإنسانِ وأجله. هذه الصّور فيها من الإبداع الذي يتصالح فيه العقل مع روعة الصّورة شعريًّا، وهذا لم يكن معروفًا في الشّعر العربيّ الذي سبق المرحلة العباسيّة. وفي البيت الثّالث يشبه ساحات الدّيار باللّيالي السّوداء من مرور الزّمن عليها. هذا التّصور العقليّ العميق يعمّق الشّعر ويمدّه بحياة لا يأتيها الرّدى أبدًا، ولا يخشى من العقلنة التي تقتل الشّعر الذي ينزاح فيه القلب عن العقل في العملية الشّعريّة، فالشّاعر المبدع يقيم علاقات عليا لا تسوء أبدًا بين العقل والقلب. ونستمع للمتنبي، وهو يقول:

تحاسدَت البلدانُ حتى لو انّها　　نفوسٌ لسار الغربُ والشرقُ نحوَكا

البلدان تتحاسد كالبشر، ويتقدّم العقل ليشبّه البلدان بماديّتها بالنّفوس الإنسانية.

ومثل هذا التّشخيص التّصويري العقليّ والشّعري في آن قول البحتري:

ولو انَّ مشتاقًا تكلّفَ فوق ما　　فــي وســعه لسـعى إلـيك المنبرُ

وجميل العمل التّصويري المعتمد على الشّاعرية والعقل معًا في قول بشار بن برد:

---

1 مِلْجِنّ: من الجنّ

2 الجديل: من كرام فحول الإبل وأجودها.

ودعجـاءِ المحاجرِ من مَعَدٍّ كـأنّ حـديثَهـا ثمرُ الجنانِ

صورة جميلةٌ إذ يتدخل العقل ليحوّل الكلام الجميل إلى ما يشبه ثمر الجنة مع شاعريّة مترفة وخصبة حتى لكأنّ الرّوح تتغذّى بسماع الصّوت الجميل.

وجميلة جدًا الصّورة الشّعريّة الملتهبةُ العاطفةِ، والتي يساعدها العقل على التّشخيص في قول الشّريف الرضي:

وتَـلَفَّتَـتْ عـيني فمذ خفِيَتْ عنـي الطلـولُ تلفَّتَ القلبُ

كم هو رائعٌ أن يصبح القلبُ عينًا رائية، وكم كان الوعي والشاعرية منسجمين في هذه الصّورة.

قصدي أنّ الشّعر في المرحلة العباسيّة ترك مسافة أبعد من المراحل التي سبقته للعمل العقليّ نتيجة ثقافة الشّاعر وسعة اطّلاعه واختلاف أنماط العيش التي أحسّها ووعاها وعاشها.

وهذا لا يقلل أبدًا من أهمية الشّعر في المراحل التي سبقت العصر العباسيّ لأنّ الشّعر الرّائع والخالد يظل أبعد من زمنه كثيرًا، ويظلّ حديثًا بمقدار اهتمامه ووفائه لقضايا الإنسان الكبرى، ولكنني حاولتُ أن أقول: إنّ الشّعر يتأثّر دائمًا بثقافة عصره مع انتمائه إبداعيًا للتّراث الذي تحدّر هو منه. ولأنّ العقل العربيّ نما أكثر في العصر العباسيّ فقد كان على الشّعر أن يحمل أيضًا روح العصر الذي ينتمي إليه.

المساواة والعدالة الزّوجيّة في ضوء الحقوق المدنيّة والإسلاميّة

الشيخ الدّكتور علي طالب[1]

مقدِّمة

منذ فجر التّاريخ برزت حاجة المجتمعات البشريّة إلى التنظيم، وكان من جملتها الدعوة إلى احترام الانسان، ومنحه حقوقه الطبيعية، والعمل على تحقيق الأمن والاستقرار بين أبناء البشر، وذلك نتيجة القهر والاضطهاد والحروب التي عانت منها البشريّة طيلة العصور القديمة.

وبعد عشرات القرون، ومن خلال سيرورة تاريخية طويلة المدى، أسفرت الجهود البشريّة عن وضع قوانين واتفاقيات في مجال حقوق الإنسان، بدأت بشكل بارز مع الثورة الفرنسية وتوِّجت في القرن العشرين بعد تأسيس منظمات دولية متخصصة بهذا الشأن.

ومن جملة هذه الحقوق الواردة في الإعلانات العالمية لحقوق الإنسان، ما يُعرف بالحقوق العائليّة المرتبطة بالزّوجين، ومدى الحرية المسموحة لكل منهما في التعامل مع الآخر، والتي يمكن اتّباعها والسير على نهجها في ظل الحقوق الطبيعية المقدّسة لكل إنسان.

وقد كرَّست هذه الحقوق مبدأ المساواة بين الجنسين، وحذف الطبقية من المجتمع، باعتبار أن الناس يولدون متساوين، كما كرَّست مبدأ العدالة في إعطاء كل ذي حق حقّه، وفي توزيع المداخيل والضرائب، وغيرها من المبادئ المماثلة التي سنأتي على ذكرها في طيّات هذا البحث.

إن مبادئ العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات، في الوقت الذي تعدّ اليوم دعامة القوانين الوضعية، فإنها تعدّ من القواعد الأساسية في التشريع الإسلاميّ، وأصل قوي من أصول نظام المجتمع في الإسلام، لاسيما إذا عرفنا أن نقاط الاتفاق بين الشّريعة والقانون تكاد لا تحصى، وكلاهما يهدفان إلى تنظيم سلوك الأفراد والجماعات داخل المجتمع.

1 رئيس قسم الشريعة في كلية الدّراسات الإسلاميّة (الجامعة الإسلاميّة في لبنان).

من هنا، فإنّني في هذا البحث سأحاول معالجة قضية العدالة والمساواة المرتبطة بالحقوق الزّوجيّة تحديدًا، وذلك من خلال مقارنتها بين النصوص الدينية والفقه القانوني، بحيث يمكن الإجابة على العديد من التساؤلات التي طرحها الباحثون، والتي يبدو منها الإخلال بمبدأ المساواة من قبل المتشرِّع الإسلاميّ.

ويمكن اختصار إشكاليّة البحث التي سنجيب عنها خلال هذه المقالة بما يلي:

– إذا كانت الأسرة ركيزة البناء الانسانيّ، وقد استُهدفت من قبل الشّريعة والقانون بالتّنظيم والتّطوير، فما هو الموقع الذي تبوأته اليوم لدى كل من القانون الوضعيّ والتّشريع الإسلاميّ؟ وكيف يقرأ كل منهما مبادئ الحقوق العائليّة، وما يستتبعها من إشكاليّات على صعيد مفهومي العدالة والمساواة بين الرّجل والمرأة؟

– انطلاقًا من كون الموضوعات التي تتعلق بالحقوق الأُسرية قد شكّلت غاية وهدفًا للعديد من المقاربات الفكرية التي أنتجها العقل الحديث، أين يظهر موقع العدالة والمساواة في هذه الحقوق كمعيار للسعادة الإنسانيّة فيما طرحته الاتفاقيات الدولية والمواقف الإسلاميّة من أحكام ومبادئ وقوانين؟

– بعدما بات مبدأ المساواة معيار الدول الغربية منذ الثورة الفرنسية، وميزان التقدّم والحداثة في العالم المعاصر، كيف يمكن التثبّت من نجاحه؟ أم أنه لا يزال يحمل في طيّاته بعض الاخفاقات ولا يخرج عن كونه نجاحًا محدودًا في أقطار معينة من العالم؟

تجدر الإشارة إلى أنني تناولت هذا الموضوع ضمن ثلاثة عناوين هي: حقوق الزّوجين المشتركة، وحقوق الزّوج الخاصة، وحقوق الزّوجة الخاصة. وذلك في إطار قسمين رئيسيين هما: المساواة العائليّة في القانون، والعدالة الزّوجيّة في الشّريعة، وفقًا لما يلي:

أولًا: المساواة العائليّة في القانون

كانت العائلة ولا زالت ركيزة البناء الانساني التي يقوم عليها إنشاء المجتمع، ولذا استهدفت بالبحث والتحقيق، لاسيما فيما يتعلق بالحقوق والواجبات بين الزّوج والزّوجة، ومدى تحقق المساواة بينهما، وفي هذا الاطار ظهرت العديد من الشرائع والقوانين التي اختلفت فيما بينها نتيجة اختلاف العادات والتقاليد والأديان التي تحكم هذه الحقوق وتتحكم بها، ونتيجة تغيُّر المفاهيم وتطوّر المجتمعات، والتقدّم في مسارات العلوم البيولوجية والنفسية والثقافية وما إليها.

وبالرغم من الاهتمام الدولي الكبير بشرعة حقوق الانسان، ومبادئ العدالة والمساواة، وعدم التمييز ضد المرأة، إلا أن التعامل تاريخيًا مع قضايا الأحوال الشخصية وما تحتويه من حقوق لكل من الزّوجين كان خجولًا، إذ تطرَّق الإعلان العالمي لحقوق الانسان (1948) إلى هذه الحقوق بشكل عام في المواد 16 و23 و25، وكذا في المادة 23 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر في العام 1966، وفي المادة 12 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان لعام 1950 [1].

أما الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (SEDAW)، التي تمّ اعتمادها في العام 1979 ودخلت حيز التنفيذ في العام 1981 ، فإنها تطرَّقت في معظم بنودها إلى عدم التفرقة بين الرّجل والمرأة بغض النظر عن الحالة الزّوجيّة، بل تؤكد الاتفاقية على حفظ حقوق المرأة وحرياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على أساس مساواتها مع الرّجل، وكذا ضمان حقها في التعليم والعمل والصحة والأهلية القانونية في إدارة الممتلكات وإبرام العقود والترشح للانتخابات والتصويت والاحتفاظ بجنسيتها وإكسابها لأولادها وما إلى ذلك، أما ما يرتبط بحقوقها أمام زوجها بحيث نتحقق من مدى المساواة العائليّة، فقد تطرّقت الاتفاقية إلى مادة واحدة فقط هي المادة السادسة عشرة [2].

أما على صعيد الدساتير والقوانين الداخلية للدول، فقد ذكرت الحقوق الزّوجيّة بشكل إجمالي أيضًا، ولكنها تفي بالغرض في أحيان كثيرة، لاسيما في قوانين الزّواج المدني للدول الأجنبية، على أن مثل هذه القوانين في معظم الدول الإسلاميّة والعربية إنما تعود إلى التشريعات الدينية والطائفية التي بحثت هذه الجوانب بتفصيلات أكثر مما ورد في القوانين الوضعية، وفي هذا الصدد قلَّما تجد بحثًا أو مرجعًا لدى هذه الدول يتطرق بشكل مستقل وتفصيلي إلى الحقوق العائليّة من ناحية قانونية مدنية بحتة.

ونظرًا لعدم توفر قوانين مدنية للأحوال الشخصية أو للزواج المدني التي تبحث في المساواة العائليّة بين الزّوج والزّوجة وحقوق أفراد العائلة، وأخص بالذكر هنا الدول العربية والإسلاميّة [3]، فقد ارتأيت أن أبحث الموضوع وفقًا للاعلانات العالمية، ومن جملتها إتفاقية (SEDAW)، والقانون المدني الفرنسي، ومشاريع قوانين الأحوال الشخصية التي

1 سنتطرق بالتفصيل الى هذه المواد في الفقرة التالية من هذا البحث.
2 تحتوي المادة 16 على ثمانية بنود سنتطرق اليها في الفقرة التالية.
3 سوى الجمهورية التونسية وتركيا.

تقدمت بها هيئات المجتمع المدني في لبنان، والتي لا تزال محل نقاش بين هذه الهيئات والسلطات التشريعية في هذا البلد.

أ- حقوق الزّوجين المشتركة

نظرًا لأهمية الأسرة ودورها في تكوين المجتمع على أسس سليمة، فقد أكدت المواثيق العالمية والتشريعات المدنية على حقوقها في الحماية والرعاية، وفي هذا الإطار يشترك كل من الزّوج والزّوجة على قدم المساواة في التمتع بهذه الحقوق وفي واجباتهما تجاه الأسرة بهدف نمو الأسر في جو من الأمان والكرامة والرفاهية.

1- الحق في الزّواج وتكوين الأسرة:

ورد في الفقرة الأولى من المادة 16 من الإعلان العالمي لحقوق الانسان: «للرجل والمرأة على حد سواء، متى أدركا سن البلوغ، حق التزوّج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدّين، ولهما حقوق متساوية عند الزّواج وأثناء قيامه وعند انحلاله»، وفي الفقرة الثالثة من المادة نفسها ورد: «الأسرة هي الخلية الطبيعية والأساسية في المجتمع، ولها حق التمتع بحماية الدولة والمجتمع» [1].

وتترجم المعيشة اللائقة والضمانات الاجتماعية للأسرة في المادة 23 من الإعلان نفسه حيث ورد فيها: «لكل فرد يعمل، الحق في أجر عادل، يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الانسان»، وكذا في المادة 25 حيث ورد فيها: «لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة يكفي لضمان الصحة والرفاهية له ولأسرته» [2].

أما المادة 23 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية فتستعيد ذات النصوص الواردة آنفًا في المادة 16 من الاعلان العالمي، فيما المادة 12 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان تنصّ صراحة على أن: «للرجل والمرأة على حد سواء ابتداءً من سن البلوغ الحق في الزّواج وتكوين الأسرة بحسب القوانين التي تحكم ممارسة هذا الحق» [3].

1 الاعلان العالمي لحقوق الانسان، راجع: خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، ط3، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، 2008م، فهرس الملاحق، ص460. 461.

2 م.ن، ص462.

3 الاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان، راجع: ميشال الغريب، الحريات العامة في لبنان والعالم، الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية، د.ت، ص123.

وفيما يرتبط بالمعاهدة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (SEDAW) فإنها تضمن للرجل والمرأة نفس الحقوق بشكلٍ متساوٍ في عقد الزّواج، وحرية اختيار الزّوج، وكل ما يتعلق بالعائلة والأطفال[1].

علمًا أن حرية اختيار الزّوج إنما تعني عدم إكراه الشاب أو الفتاة للاقتران بمن لا يرغبان به، وقد تم التأكيد على هذا البند بهدف حظر العادات القبلية التي لا تزال شائعة في العديد من دول العالم الثالث والتي تفرض على أشخاص معينين الزّواج من بعضهما قسرًا دون الرجوع إلى رأيهما، وذلك عملًا بالأعراف والعادات الجاهلية.

2- الحق في الأمانة الزّوجيّة:

لا تتعرض المواثيق الدولية إلى هذا الحق، وإنما تركته للقوانين التشريعية للدول، ولذا سأستعرض هذا الحق وفقًا لما ورد في القانون المدني الفرنسي، الذي يتناول قضايا الزّواج والطلاق، باعتبار أن فرنسا كانت السبّاقة إلى تقنين موضوعات الأسرة ضمن قانون علماني واحد، ومن هذا القانون استمدت معظم الدول تشريعاتها في الأحوال الشخصية.

يُقصد من الأمانة الزّوجيّة في القانون أن يكون كل من الزّوجين مخلصًا للآخر في علاقته الجسدية، فلا يجنح أحدهما إلى الزنا تحت أي ظرف من الظروف، وإلا كان خائنًا، وبناءً على ذلك فالأمانة الزّوجيّة تعدّ من أهم الواجبات الزّوجيّة على الإطلاق، وهي في الوقت ذاته حق لكل منهما على الآخر.

وفي حال تحقق الزنا من أحدهما فالقانون الفرنسي قرَّر له عقوبتان: مدنية وجزائية، أما الأولى فهي أنه سبب موجب للطرف المتضرر لطلب الطلاق، وأما الثانية فهي أنه سبب موجب لعقاب الزاني بالحبس أو الغرامة المالية، فقد جاء في المادة 229 من القانون المدني الفرنسي: «يعتبر الزنا سببًا حتميًا للطلاق، سواء وقع من جانب الزّوج أو الزّوجة» [2]، علمًا أنه يقصد من الزنا العلاقة الجسدية التامة، وأما ما دونها فلا يعتبر زنا [3]، ولا يثبت إلا عن طريق محضر الشرطة.

وينظر القانون الجزائي الفرنسي إلى الزنا على اعتباره جنحة وليس جريمة، سواء وقع

1 المعاهدة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، المادة 16، الفقرات: أ-ب-ج-د-هـ. راجع: الفخري، رندة: التمييز ضد المرأة في ضوء أبرز المواثيق الدولية، منشورات زين الحقوقية، بيروت، 2013، ص147-146.
2 ياغي، أكرم: الزواج المدني- الحلم الصعب، منشورات زين الحقوقية، بيروت، 2015، ص 39.
3 الغريّب، محمد ميشال: الزواج المدني، مطبعة سيما، بيروت، 1998، ص 55.

من قبل الزّوج أو الزّوجة، إلا أن وقوعه من الزّوجة أشد وطأة، والسبب في التشدد على زنا الزّوجة الخوف من اختلاط الأنساب، ويظهر هذا التشدد في النقاط التالية [1]:

- تُعاقب الزّوجة الزانية بالحبس الذي يصل إلى سنتين، أما الزّوج الزاني فعقوبته الغرامة فقط.

- تُعاقب الزّوجة أينما زنت، أما الزّوج فلا يعاقب إلا إذا ارتكب الزنا في منزل الزّوجيّة.

- إذا زنت الزّوجة تعاقب مع شريكها، أما إذا زنا الزّوج فإنه يعاقب وحده.

- تعدّ مفاجأة الرّجل لزوجته وهي متلبّسة بالزنا عذرًا قانونيًا مخفّفًا له إذا ما قتلها، بخلاف الأمر بالنسبة للزوجة، فهي إن فاجأته وقتلته فإن هذه المفاجأة لا تنهض لتكون عذرًا مخففًا.

3- حق المساعدة المالية:

ويُقصَد منها النفقة، وهي كل ما تحتاجه العائلة لكفاية نفسها، من المسكن والملبس والطعام والعلاج والخدمة والتعليم والعناية الترفيهية، وهذه النفقة إنما تكون لجميع أفراد الأسرة، الأصول والفروع، سواء كانوا معسرين أو قاصرين.

وفي هذا الصدد، نعود إلى القانون المدني الفرنسي بشقّه المتعلق بالحقوق والواجبات المتبادلة بين الزّوجين، فيسمّي حق الانفاق بواجب المساعدة المالية، ويعتبره واجبًا وحقًا، وهو يقع على عاتق كل من الزّوج والزّوجة دون تفريق، باعتبار أن القانون ذاته استبدَلَ في العام 1970 مفهوم «السلطة الأبوية» بمفهوم «سلطة الأهل» [2] مكرّسًا المساواة شبه الكاملة بين الزّوجين، كما ألغى صفة «رب العائلة» للأب، الموروث عن الشرع الروماني[3]، وباتت الأم تشاركه في السلطة العائليّة.

على أن أعباء الأسرة المادية ليس بالضرورة أن يتم تقسيمها بالتساوي، بل يمكن أن يساهم كل منهما بنسبة إمكاناته، فربما تكون إمكانات المرأة المالية أقوى من إمكانات الرّجل، وربما العكس، وبالتالي ليس لأحدهما التهرُّب من المسؤولية طالما توفرت القدرة، وإن أي تهرّب يعطي الطرف المتضرر سببًا لطلب الطلاق أو الانفصال الجسدي[4].

1 ياغي، أكرم: الزواج المدني- الحلم الصعب، م.م، ص 40-39.
2 خضر، خضر: مدخل الى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، ص 327.
3 الفخري، رندة: التمييز ضد المرأة في ضوء أبرز المواثيق الدولية، م.م، ص 159.
4 القانون المدني الفرنسي: المادة 323، راجع: ياغي، أكرم: الزواج المدني- الحلم الصعب،م.م، ص 40.

وقد لمّحت المادة (16)، الفقرة (ح)، من المعاهدة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (SEDAW) إلى حق كل من الزّوج والزّوجة بالتمتع بأملاك الآخر، بما يوحي باستفادة كل منهما من المسكن والملبس والطعام المُعدّ من الآخر، حيث تنص الفقرة على أن: «لكلا الزّوجين نفس الحقوق فيما يتعلّق بملكية وحيازة الممتلكات والإشراف عليها، وإدارتها، والتمتع بها، والتصرّف فيها، سواء بلا مقابل أم مقابل عوض»[1].

وإذا نظرنا إلى مشروع قانون الأحوال الشخصية المدني المقدَّم الى مجلس النواب اللبناني في العام 2014، والمؤلف من 244 مادة، فإن المادة 37 المقترحة تلحظ موضوع النفقة باعتبارها على كاهل الزّوجين، حيث جاء فيها: «يشترك الزّوجان في الإنفاق على العائلة بنسبة مواردهما المالية، وإذا لم يكن للمرأة أموال خاصة ناتجة عن مشاريع وعمل ولا تتعاطى مهنة ببدل مالي، فالزّوج هو الملزم بالإنفاق المادي المباشر شرط اعتبار الزّوجة شريكة بالإنفاق المنزلي من خلال تقدير قيمة العمل المنزلي كمورد أساسي للأسرة» [2].

4 – حق الرعاية والتعاون:

لمّا كان الزّواج المدني طبقًا للقانون الفرنسي عبارة عن: «نظام قانوني يستهدف إقامة الحياة المشتركة بين الرّجل والمرأة وتبادل الرعاية والمعونة لخيرهما المشترك» [3]، فإننا نستنتج من هذا التعريف أنّ لكل من الزّوج والزّوجة على شريكه كامل الحق في رعايته وتقديم العون له، لا سيما إذا كان في حاجة إليها، كما في حالات المرض والعسر والشيخوخة.

على أن إطلاق العبارة دون تقييدها بحالات خاصة تعني أن هذا الحق عام يشمل حالات الرخاء أيضًا، ومن هنا يلزم على كل منهما أن يكون عضدًا للآخر، يتبادلان الإهتمام والتعاون في شتّى شؤون الحياة المعيشية، وأن أي إخلال بهذا الواجب من قبل أحدهما يعتبر إهانة جسيمة للآخر تبرّر له طلب الطلاق أو الانفصال الجسدي.[4]

1 الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، راجع: الفخري، رندة: التمييز ضد المرأة في ضوء أبرز المواثيق الدولية، م.م، ص 147.
2 حريري، إسماعيل: الأحوال الشخصية بين الشرع والقانون، دار الولاء، بيروت، 2017، ص 98.
3 كبارة، عبد الفتاح: الزواج المدني، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1994، ص 8.
4 ياغي، أكرم: الزواج المدني– الحلم الصعب، م.م، ص 40.

وقد تطرّق مشروع قانون الأحوال الشخصية المشار اليه آنفًا إلى هذا الحق في المادة 33 المقترحة، حيث جاء فيها: «يتعهّد كل من الزّوجين تجاه الآخر بالمحبة وإسعاد الآخر وحسن المعاملة والسلوك غير العنفي، ويشتركان في شؤون الأسرة وفي تربية الأطفال[1]»، إذ أن هذه التوصيفات تؤدي فحوى الرعاية والتعاون المتبادل.

ومن ختام هذه الفقرة يتبين أيضًا أن تربية الأطفال من مسؤولية الوالدين معًا، فلهما نفس الحقوق الرعائية والحضانية والولائية، وعليهما ذات الواجبات في التربية والإنفاق بجميع أشكاله المتقدمة، بما يحقق مصالح الأطفال، وهذا ما أكدت عليه الإتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (SEDAW) في مادتها الخامسة، الفقرة (ب) حيث جاء فيها: «...والاعتراف بالمسؤولية المشتركة لكل من الرجال والنساء في تنشئة أطفالهم وتطوّرهم، على أن تكون مصلحة الأطفال هي الاعتبار الأساسي في جميع الحالات [2]».

ب - حقوق الزّوج الخاصة

ينفرد الزّوج وفقًا للقانون المدني الفرنسي بالحق في اختيار محل الإقامة وحق المساكنة، إذ ليس للزوجة أن تمانعه في هاذين الحقّين إذا ما أصرّ منفردًا عليهما، بل يجب عليها الانصياع لإرادته، وهذان الحقان يتماشيان إلى حدّ كبير مع التشريعات الدينية - المسيحية والإسلاميّة - وخاصة ما يتعلّق بحق المساكنة، على ما سيأتي توضيحه في الصفحة التالية.

1 - حق اختيار محل الإقامة:

ورد في نص المادة 215 من القانون المدني الفرنسي ما حرفيته: «للزوج حق اختيار محل إقامة الأسرة، وعلى الزّوجة أن تساكنه فيه [3]»، وهذا النص صريح لا يحتمل التأويل، ولكن من الطبيعي أن يكون المنزل الزّوجي يحمل من الصفات ما يؤهله لاستخدامه للسكن العائلي بما يوفّر للأسرة السكينة والراحة.

وفي هذا الإطار، بإمكان الزّوجة رفض المسكن المُعَد من قبل الزّوج إن لم يكتمل بناؤه، أو لم يتأثث بالأثاث الضروري لمقتضيات الحياة، أو كان في موقع لا تأمن فيه

1 حريري، إسماعيل: الأحوال الشخصية بين الشرع والقانون، م.م، ص 94.
2 الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، راجع: الفخري، رندة: التمييز ضد المرأة في ضوء أبرز المواثيق الدولية، م.م، ص 146.
3 راجع: ياغي، أكرم: الزواج المدني– الحلم الصعب، م.م، ص 37.

على نفسها من اللصوص أو الحيوانات المفترسة أو الكوارث الطبيعية أو غيرها من المخاطر.

2 – حق المساكنة:

يقصد من اصطلاح المساكنة «التزام الزّوجين بالعيش معًا تحت سقف واحد، وحسن المعاشرة، وإشباع الرغبة الجنسية» [1]، بشكل يتحقّق منها جوهر الزّواج وغايته، فلا يمكن أن يحقق الزّواج غايته إذا كان كل من الزّوجين يقيم في مكان مستقل عن الآخر، أو كان تعامله مع الآخر فظًّا غليظًا، أو كان ممتنعًا عن أداء الوصال الجسدي مع الآخر. علمًا أن لهذا المصطلح معاني أخرى ليست مقصودة في هذا المطلب[2].

ولمّا كان اختيار محل إقامة الأسرة من حق الزّوج، فإذا وقع اختياره على مسكنٍ مناسب لحياته مع زوجته، لائق بهما اجتماعيًا، مستوفٍ للشروط القانونية التي ذكرناها آنفًا، كان من واجب الزّوجة أن تقيم فيه، وهذا هو المراد مما ورد في المادة 215 من القانون المدني الفرنسي «وعلى الزّوجة أن تساكنه فيه».

وفي السياق ذاته، فإن امتناع أي من الزّوجين عن الإقامة في المنزل الزّوجي يعتبر إخلالًا بهذا الواجب، يرتّب المسؤولية على المُخل، وفي هذه الحالة بإمكان الآخر أن يمتنع عن أداء أموال زوجِهِ الخاصة والمشتركة، كما «أن الإتفاقات بالتراضي التي يجريها أحيانًا بعض الأزواج للعيش مفترقين تعدّ باطلة لمخالفتها للنظام العام، وذلك تطبيقًا لما ورد في المادة 307 من القانون المدني الفرنسي والتي جاء فيها: «لا يجوز أن تقوم الفرقة على التراضي المتبادل بين الزّوجين[3]».

ولمّا كان الزّواج ينظّم العلاقات الجنسية المشروعة بين الزّوجين، ومن ثمرته تحقيق التناسل وتكوين العائلة وتنظيم السلالة، فقد اعتبرت المحاكم الفرنسية المعاشرة الجسدية إلتزامًا واجبًا يقع على الطرفين بنسبة واحدة، وهي من مقتضيات المساكنة وصميمها، تماشيًا منها مع القانون الكنسي[4]، حيث الإمتناع عن أداء هذا الواجب بغير عذر يُعتبر

1 ياغي، أكرم: قوانين الأحوال الشخصية، منشورات زين الحقوقية، بيروت، 2008، ص 151.

2 كالمعنى الذي يشتمل على المعاشرة الكاملة بين رجل وإمرأة والعيش معاً تحت سقف واحد خارج إطار العقد القانوني للزواج، وهو ما يُعرّف في بلاد الغرب بـ «الصداقة».

3 الغريب، محمد ميشال: الزواج المدني، م.م، ص 55.

4 ورد في رسالة بولس الرسول لأهل كورنتوس: «ليس للمرأة تسلّط على جسدها بل للرجل، وليس للرجل تسلط على جسده بل للمرأة»، المصدر السابق.

في نظر القضاء من الأسباب التي تبرّر طلب الطلاق أو الإنفصال الجسدي[1].

علمًا أن هذه الأحكام تتماهى بدرجة كبيرة مع الأحكام الإسلاميّة أيضًا، التي ترى وجوب التزام الزّوجين بالمساكنة بأقسامها الثلاثة[2]، لكن بنسبة محدّدة من قبل الزّوج، وبنسبة تامّة من قبل الزّوجة، خصوصًا فيما يرتبط بالمبيت والاتصال الجسدي.

ج – حقوق الزّوجة الخاصة

نستعرض في هذا المطلب حقوق المرأة كزوجة، أي حقوقها التي على عاتق زوجها، أو المرتبطة بزوجها بشكل عام، وليس حقوق المرأة ككل، إذ أن لائحة هذه الأخيرة تطول، ويدخل فيها الحقوق المدنية والسياسية والضمانات الإجتماعية وغيرها، وقد كُتبت فيها المواثيق الدولية والعهود العالمية من أجل مساواتها بالرّجل.

1 – الحقّ في السكن العائليّ:

ورد في تتمة المادة 215 الآنفة، من القانون المدني الفرنسي، ما نصّه: «وهو ملزم باستقبالها»، وهذا معناه أن للزوجة حقًا على الزّوج بشكل إلزامي – بعد تهيئة المسكن الملائم – أن يستقبلها فيه، فالسكن العائلي حق لها، وما ذلك إلا من أجل تحقيق العيش الكريم، وتوفير واجب المساكنة، الذي يؤمّن غاية الزّواج، مع الأخذ بالإعتبار أن المنزل قد يكون على سبيل الإنتفاع لا التمليك [3].

على أنّ المنزل يتسم بحرمة خاصة، يجب على الزّوجين احترامها، فلا يجوز التصرّف فيه لغير السكن العائلي، ولا أذية الجار، ولا تجاوز الشروط المحددة في القوانين التي ترعى شؤون السكن، كما يجب على الآخرين احترام خصوصيات المتزوجين، ولهذا الاعتبار فقد أولت الدساتير الدولية حماية متميّزة للمنزل، ومن جملتها الدستور اللبناني، الذي نصّ في المادة 14 منه على أن: «للمنزل حرمة ولا يسوّغ لأحد الدخول إليه إلا في الأحوال والطرق المبيّنة في القانون» [4].

2 – الحقّ في العيش بكرامة:

تعدّ الكرامة الإنسانيّة واحدة من الحقوق الطبيعية التي أكد عليها الإعلان العالمي

---

1 ياغي، أكرم: الزواج المدني– الحلم الصعب، م.م، ص 38.
2 أي العيش تحت سقف واحد، وحسن المعاشرة، وإشباع الرغبة الجنسية.
3 أي أن المنزل قد يكون مستأجراً أو مستعاراً، فليس بالضرورة أن يكون مملوكاً.
4 الدستور اللبناني وتعديلاته، م.م، ص 31.

لحقوق الانسان، حيث جاء في ديباجته: «إن لجميع أعضاء الأسرة البشريّة كرامة أصيلة وحقوق متساوية وثابتة... وإن شعوب الأمم المتحدة قد أعادت في الميثاق تأكيد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الإنسان وقدره، وتساوي الرجال والنساء في الحقوق» [1].

من هنا استحقت المرأة العيش بكرامتها، سواءً كانت مستقلة أو في ظل الحياة العائليّة مع الزّوج، وذلك بعيدًا عن العنف والإكراه والخوف والقلق والتوتر، وكل ما يؤدي إلى الأذى الجسدي، أو الاضطراب النفسي، أو ما شاكل ذلك.

ولمّا كان العنف الزّوجي أحد الأسباب الرّئيسة لانعدام العيش بكرامة في القفص العائلي، وهو السمة السائدة تاريخيًا في أغلب المجتمعات وإن بنسب متفاوتة، فقد أولته المواثيق العالمية اهتمامًا بارزًا، وما المعاهدة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة إلا انعكاسًا لهذا الاهتمام، الذي كانت الغاية منه إخراج المرأة من الحالة المأساوية التي كانت تعاني منها منذ القرون الوسطى وما قبلها، ويشكِّل تأديبها آنذاك من قبل الرّجل عادات وتقاليد متوارثة وراسخة عند الإنسان القديم.

ومن الجدير ذكره، إن العنف الزّوجي لا يزال منتشرًا في دول العالم الثالث خصوصًا، وهو حالة قائمة حتى في المجتمعات المتحضِّرة ولو بنسبة أقل، وقد ورد في الملحق (هـ) من التوصية (12) من التوصيات العامة التي تبنّتها لجنة القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في العام 1989، إن: «العنف الأسري يشكّل أحد أكثر أشكال العنف ضد المرأة، وهو منتشر في المجتمعات كافة، وتخضع النساء من كافة الفئات العمرية للعنف بكل أشكاله، بما في ذلك الضرب المبرح والاغتصاب والاعتداءات الجنسية الأخرى[2]».

لهذه الأسباب، فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلانًا دوليًا في العام 1993، أكدت فيه على الدول الأعضاء وجوب الإلتزام بالمواثيق الدولية للقضاء على ظاهرة العنف تجاه النساء، وطالبت بالتطبيق الشامل لحقوق المرأة والمبادئ المتعلقة بالمساواة والأمن والحرية والنزاهة والكرامة لجميع البشر، كما دعت إلى عدم التذرّع

1 الاعلان العالمي لحقوق الانسان، راجع: خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، فهرس الملاحق، ص458.

2 الفخري، رندة: التمييز ضد المرأة في ضوء أبرز المواثيق الدولية، م.م، ص 86.

بالعادات والتقاليد والأديان، وذلك من أجل محاربة العنف ضد المرأة وإزالته كليًا [1].

3 – الحقّ في تصرّف الزّوجة بجسدها:

يقتصر هذا الحق في إطار الحقوق الزّوجيّة على مفهومين: إستخدام وسائل منع الحمل، والإجهاض. فهل يحق للزوجة وحدها اتخاذ القرار الذي تراه مناسبًا في هذين الأمرين كونه يتعلّق بجسدها مع غض النظر عن رأي الزّوج؟ أم أن هذه الحقوق مرتبطة بالزّوجين معًا؟

في الواقع هناك آراء متعددة في هذا الشّأن، وهناك تفريق بين الأمرين، كما أنّ القانون يلحظ تفصيلات دقيقة ترتبط بصحة الأم وعمر الجنين، فالمادة 16 الفقرة (هـ) من المعاهدة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة تنص صراحة على أن: «للزوجة نفس الحقوق – مع زوجها – في أن تقرّر بحرية وإدراك للنتائج، عدد أطفالها، والفاصل بين الطفل والذي يليه...» [2]، وهذا إقرار واضح بأن قرار استخدام وسائل منع الحمل يعود إليهما معًا. أما الإجهاض فما هو الرأي القانوني حوله؟

في مقام الجواب، نجد أنّ التّشريعات الحديثة في الدّول اختلفت فيما بينها حيال هذه المشكلة، فالمحكمة الدستورية العليا في الولايات المتحدة الأميركية اعتبرت في قرارها رقم 410 الصادر عام 1973 بأن «الحق باحترام الحياة الخاصة الوارد في الدستور الأميركي يتضمن حق المرأة بأن تقرّر إيقاف حملها أو السير به حتى الولادة، باعتبار أن الجنين لا يشكّل شخصاً بنظر الدستور [3] »، في حين رأت المحكمة الفدرالية الألمانية في قرارها الصادر في العام 1975 أن: «كل إعفاء من العقوبة لطبيب يمارس الإجهاض خلال الإثني عشر أسبوعًا التي تلي الحمل هو مخالف للدستور، وذلك استنادًا الى المادة 2 منه التي تنص على أن: لكل إنسان الحق في الحياة والسلامة الجسدية، وأن القانون يحمي أيضا الحياة التي تنمو في بطن الأم [4]».

أما القانون اللبناني فإنه يعاقب على الإجهاض، فالمادة 541 من قانون العقوبات تعاقب بالحبس من ستة أشهر الى ثلاث سنوات «كل إمرأة طرّحت نفسها بما استعملته من الوسائل، أو استعمله غيرها برضاها»، إلا أن القانون ذاته يستثني الحالات المرضية

1 خضر، خضر: مدخل الى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، ص 329.
2 الفخري، رندة: التمييز ضد المرأة في ضوء أبرز المواثيق الدولية، م.م، ص 147.
3 خضر، خضر: مدخل الى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، ص 330.
4 م.ن، ص 330.

التي تشكّل خطرًا على صحة الأم، أو التي تمّ تشخيصها من قبل الطبيب المختص وأكدت وجود تشوّه في تكوين الجنين لا يمكن علاجه[1].

ثانيًا: العدالة الزّوجيّة في الشّريعة

تتجلى العدالة الزّوجيّة في الاسلام في تبادل الحقوق بين الزّوج والزّوجة، حيث ترى الشّريعة أن الحقوق متبادلة ومتماثلة بشكل عام، لكنها تتميّز في التفاصيل التي ترتبط بالفوارق الجسدية والغرائزية، فعلى مستوى التماثل نجد قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ﴾ [2]، أي لهن من الحقوق ما عليهن من الواجبات، وعلى مستوى التمايز نجد قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [3]، وهو مقتضى الانسجام بين مقولة العدالة الزّوجيّة في الاسلام، ومقولة عدم المساواة بين الجنسين لدى الأديان.

إن العدالة الإسلاميّة اقتضت أن يكون بين الرّجل والمرأة تساويًا في الكرامة الإنسانيّة، وفي التكليف والمسؤولية، أما في الحقوق والواجبات المادية فقد أقرّ الاسلام لهما التماثل وليس التساوي، فسعادة المرأة إنما تتحقق في أن يكون لها حقوق وواجبات كما أن للرجل حقوقًا وواجبات، ولكن ليس بالضّرورة أن تكون هي ذاتها تمامًا، فالإسلام لم يمنح الجنسين حقوقًا من نوع واحد ولون واحد، بل وزَّع المسؤوليات بينهما بما ينسجم مع الطبيعة الجسدية والميول النفسية لكل طرف، وفي النتيجة كانت حقوق المرأة أكثر قيمة وأهمية كما سيتضح فيما بعد.

أ- حقوق الزّوجين المشتركة

لمّا كانت غايات الزّواج الأساسية بحسب الاسلام تتحقق في تنفيذ الزّوجين لرغباتهما الفطرية والغريزية والتي منها الاستمتاع بمشاعر الحب والوصال الجنسي والتناسل الذي يحقق غريزة الأمومة والأبوّة وتشكيل الأسرة، وذلك من خلال التعاون معًا على شؤون الحياة بالطريقة الحسنى والشراكة الكاملة [4]، فإن هذه الغايات تعدّ حقوقًا مشتركة لكل من الزّوجين على الآخر على سبيل المساواة، لا يجوز لأي منهما منع الآخر منها ولا

---

1 خضر، خضر: مدخل الى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م،ص 331.

2 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 220.

3 القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 34.

4 وذلك وفقاً لتعريف الزواج المشهور بأنه: «عقد ثنائي علني ذو صفة دينية يتفق فيه رجل وامرأة على العيش معاً على سبيل الدوام، بغية التناسل والاستمتاع وتبادل التعاون». بشير البيلاني: قوانين الأحوال الشخصية في لبنان، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص41.

التهرّب عنها تحت أي ذريعة، بل لا بد من التوافق عليها بشكل يحقق الرضا والقبول المتبادلين.

ومن جملة الحقوق المشتركة للزّوجين المتضمَنة في جوهر الزّواج، والتي لا يختلف عليها اثنان في الشّريعة الإسلاميّة وكل الشرائع والقوانين، هو حسن المعاشرة بينهما. وبناءً عليه، سنركّز في هذا المطلب على ثلاثة حقوق مشتركة هي: حسن المعاشرة، تبادل التعاون، والتناسل. تاركين موضوع الاستمتاع لحقوق الرّجل طبقًا لما درجت عليه عادة فقهاء الإسلام.[1]

1- حسن المعاشرة:

لقد أمر القرآن الكريم الزّوج بمعاملة زوجته بالمعروف فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ[2]﴾، ثم طلب منه الإنفاق عليها دون منٍّ ولا أذى فقال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ[3]﴾، ثم إذا أراد الانفصال عنها لسبب من الأسباب قال: ﴿فَأَمْسِكُوهُن بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرحُوهُن بِمَعْرُوفٍ﴾[4].

من مجموع هذه الآيات الكريمة التي أكّدت على مفردة: «المعروف»، يتبيّن لنا أن التشريع الإسلاميّ يدعو الزّوج بشكل أساسي إلى اتباع الطريقة المعروفة في العيش بين الناس، وهي أن يعامل زوجته بما يعرفه الناس من السلوك القويم والأخلاق الحسنة والآداب الجميلة، التي تؤمِّن كرامة المرأة، وتضمن احترامها، وتغرس في نفسها الراحة والإطمئنان، وتزرع المحبة والرحمة.

إن طبيعة المعروف الوارد في الآيات المذكورة إنما يدلّ على أنّ حقيقته وجوهره يجب أن يكون محققًا للسكينة والمودة والرحمة، حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...[5]﴾ وهذا معناه أن العلاقة الحميمة بين الزّوجين يجب أن تصل الى مرحلة يشعر فيها كل منهما بالسكينة والراحة النفسية الى الآخر، فيأنس إليه، وتأخذه المحبّة والعاطفة والرحمة تجاهه، كأنهما عضوين في جسد واحد، وهذا إنما يتمّ من خلال حسن المعاشرة بين الزّوجين والتعامل

1 يؤكد الفقهاء على أن موضوع الاستمتاع يخص الرجل غريزياً بالدرجة الأولى، فإن الزوجة وإن كان لها هذا الحق، لكنه على المستوى العملي يهمّ الرجل أكثر من المرأة، فلذا تمّ إدراجه ضمن حقوق الزوج.
2 القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 19.
3 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 233.
4 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 228.
5 القرآن الكريم: سورة الروم، الآية 21.

مع بعضهما بلطف ونعومة، وأن لا يجرح أحدهما الآخر قولًا ولا فعلًا. هكذا يزرع الانسان المودة في قلب الآخر، ومحال لمن يزرع المودة أن يجني غير الإحسان.

وقريب الى هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى بحق الزّوجين: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ[1]﴾، فقد عبّر الله سبحانه وتعالى باللباس باعتباره يحفظ جسم الإنسان من البرد والأخطار، ويستر عيوبه، وهو في الوقت ذاته زينة وجمال، فعلى كلّ من الزّوج والزّوجة أن يحفظ الآخر، ويستر عيوبه، ويكون زينة له. هذا هو المعيار الحقيقي للعلاقة بين الزّوجين في نظر الاسلام، وليس الاستمتاع الجنسي فقط، أو اتخاذ المرأة أداة للخدمة، أو وسيلة للإغراء في عالم الموضة والإعلان كما يحصل في المجتمعات المنفصلة عن الاسلام.

وإذا أضفنا الى ما ورد مجموعة من الأحاديث الشّريفة حول طبيعة العلاقة التي ينبغي أن يمارسها الزّوجين مع بعضهما وفقًا للشريعة الإسلاميّة، فإننا نجد في طليعتها حديث الرسول الأكرم (ص) الذي يقول: «عيال الرّجل أسراؤه، وأحبّ العباد الى الله عزّ وجل أحسنهم صنعًا الى أسرائه[2]»، فقد شبّه الرسول الزّوجات بالأسراء لكون المرأة عندما تنتقل الى زوجها تكون قد أصبحت كالأسيرة بين يديه، لأنها انقطعت عن أبويها الحنونين وتعلّقت به روحًا وجسدًا، ووكّلت أمرها إليه، ولم تعد ترى لنفسها سندًا غيره.

وفي السياق ذاته، نجد الحديث المشهور عن رسول الله (ص): «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم، خياركم لنسائه»[3]، وقوله (ص) أيضًا: «من اتّخذ زوجة فليكرمها»[4]، وما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) في وصيته لولده محمد بن الحنفية: «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلّ حال وأحسن الصحبة لها ليصفو عيشك»[5]، وما جاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع): «وحق الزّوجة أن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سَكَنًا وأنسًا، وتعلم أن ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها» [6].

---

1 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 187.

2 الحر العاملي: وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1991،، ج14، باب 88، رواية 9.

3 الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمزي، دار المعرفة، بيروت، 2002، الحديث 1162.

4 الطبرسي، حسين: مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1995، ج 1، حديث رقم 1023.

5 الحر العاملي: وسائل الشيعة، م.م، ج 14، باب 87، رواية 3.

6 الامام زين العابدين: رسالة الحقوق، شرح القبانجي، ط4، دار الأضواء، بيروت، 1999، ج1، ص451.

أمام هذا الكم الهائل من الآيات الكريمة والأحاديث الشّريفة، يمكن لنا أن نصل الى نتيجة مفادها: إن حسن المعاشرة بين الزّوجين يعتبر من أهم وصايا الاسلام الملقاة على عاتق كل منهما، وهو يهدف الى إضفاء المتعة على الحياة الزّوجيّة، وتربية الأبناء تربية هادئة، بما يمنح الهناء والسعادة الى مؤسسة العائلة، ويجعلها في وئام وانسجام.

2- تبادل التعاون:

لمّا كان عقد الزّواج من أغلظ العقود وأوثقها، وفقًا لما ورد في الآية الكريمة: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [1].

ولمّا كان الزّواج عقد على مدى الحياة، ويتعلّق بالإنسان، وليس بالحيوان ولا بالجماد ولا بأي سلعة ثمينة أو رخيصة.

فإنه تنتظم بموجبه علاقات إنسانية دائمة ومستمرة، لا بد أن يتبادل خلالها الزّوجان التعاون والتشارك بما يحقق للعائلة حاجاتها الضرورية والملحّة لمتطلبات الحياة.

إنّ تبادل التعاون هذا إنما يتحقق في تقسيم المسؤوليات، وقد جرت العادة تاريخيًا أن تكون مسؤوليات البيت على عاتق الزّوجة ومسؤوليات العمل على عاتق الزّوج، وهذا ما قضى به رسول الله (ص) على نحو الرضا المتبادل بين ابن عمّه علي بن أبي طالب (ع) وابنته فاطمة الزهراء (ع) على ما ورد في المأثور التاريخي، بأنّ عليها ما كان داخل البيت من الخدمة المنزلية ورعاية الأطفال، وعليه ما كان خارج البيت من العمل وتأمين الحاجيات.[2]

تجدر الإشارة إلى أن أطر التعاون واسعة لا حصر لها، فقد يتعاون الزّوجان في العمل والإنفاق على الأسرة، وقد يتعاونان في شؤون المنزل ورعاية الأطفال، وقد يتعاونان في الصبر على مكاره الحياة، فهذه القاعدة عامة تشمل جميع مجالات العمل المشترك، وليس على الزّوجين سوى الالتزام بها بالطريقة التي يتوافقا عليها.

وفي هذا الإطار لا بد من التأكيد على أن هذا التعاون الذي من شأنه أن يؤدي إلى بناء الأسرة والتقدم بها نحو مستقبل أفضل للأزواج والأولاد معًا، إنما يعتبر من جملة وجوه التعاون على البر الذي دعا إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ

1 القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 21.

2 شلتوت، محمود: الاسلام عقيدة وشريعة، ط 17، دار الشروق، القاهرة، ص 156. والحر العاملي: وسائل الشيعة، م.م، ج1 ح14.

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [1]، وهذا الأمر إنما يتحقّق عندما يؤدي كل من الزّوجين وظيفته التامة، وعندما يشعر كل منهما أن الآخر يشكّل سندًا متينًا له وركنًا أساسيًا من أركان الأسرة.

3- إنجاب الأولاد

اختلف علماء الإسلام في حق الإنجاب على ثلاثة أقوال: هل هو للوالد؟ أم للوالدين معًا؟ أم أن الولد حق مشترك للأمة الإسلاميّة والوالدين ولكن حق الوالدين أقوى؟ [2]

يرى مشهور الفقهاء أن الانجاب حق لكل من الزّوج والزّوجة، فإذا طلب أحدهما الولد فلا يجوز للآخر منعه إلا في حال الضرورة كالمرض والضرر والحرج الشديد، أو إذا كان لهما أولاد.[3] ولذا حرَّم أكثر الفقهاء على الزّوج العزل إلا بإذن الزّوجة.

وفي مقابل حق الانجاب، فإن لكل منهما أيضًا حق المنع من الحمل في حال كان لهما أولاد [4]، سواءً كان عن طريق تناول العقاقير للمنع المؤقت، أو عن طريق إجراء عمليات جراحية للمنع الدائم، وذلك قبل حصول الحمل.

وبما أن الحقوق في هذا الإطار متساوية، فالطريق السليم هو التوافق بين الزّوجين على الانجاب أو عدمه، فهما بالاختيار، لكن ليس لأي منهما إكراه الآخر على هذا أو ذاك إلا ضمن القاعدة المذكورة.

ب - حقوق الزّوج الخاصة

لمّا كانت الحياة الزّوجيّة مسؤولية متبادلة بين الزّوجين، فقد قسّمت الشّريعة الإسلاميّة الواجبات والحقوق بينهما بما يتلاءم مع الحاجات والميول الفطرية التي أودعها الخالق في كلّ منهما، وبما ينسجم مع الخصائص الخلقية والتكوينية التي تختلف بين الذكر والأنثى، ومن هنا كانت حقوق الزّوج مغايرة لحقوق الزّوجة، ويمكن تلخيصها بأمور ثلاثة، هي التالية:

1 القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 2.

2 الأول هو رأي الامام الغزالي المتوفي عام 505 هـ. والثاني هو الرأي المشهور لدى المذهب الإمامي والمذهب الحنفي مع تفصيلات إضافية، والثالث هو رأي جمهور المسلمين من أصحاب المذاهب الأخرى. الإمام محمود شلتوت، الاسلام عقيدة وشريعة، م.م، ص 199.

3 المرجع السيستاني: السيد علي الحسيني: استفتاءات الحمل وموانع الحمل. المصدر: موقعSistani.org تاريخ الزيارة 18/2/2024.

4 م.ن، المسألة ذاتها.

1 - حق الإطاعة:

يبدو من كلام عدد كبير من فقهاء الدين الإسلاميّ وجوب طاعة المرأة لزوجها بالمعنى الشامل والكامل، أي بما يشمل المساكنة، والاستمتاع، وامتثال أمره، وتجنّب نواهيه، واستئذانه بالتصرّف بالمال، وبالخروج من البيت، إلى غير ذلك من التفاصيل، وذلك على قاعدة أن الآية الشّريفة قد نطقت بالطاعة في قوله تعالى:﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [1].

لكن، بالعودة إلى فقه الآية، وإلى آراء فقهاء آخرين، يتبين أن الطاعة في الآية ليست شاملة، لأن السّنّة الشّريفة قد حدّدت وجوب طاعة المرأة لزوجها بالمساكنة والاستمتاع فقط على ما سيأتي توضيحه، وإن منطوق الآية يتمحور حول حرمة النشوز وليس وجوب الطاعة، لأن الزّوجة ليست هي المخاطبة في الآية كي تكون مأمورة، وإنما المخاطبون هم الرجال. أضف الى ذلك أن مقتضى الأصل الأولي في باب الولايات هو عدم ولاية أحد على أحد، وبالتالي عدم وجوب الطاعة لأي إنسان على آخر إلا بدليل، وطالما أن الدليل غير مكتمل فالطاعة غير ثابتة [2].

وإذا تساءلت: ماذا تقول في الآية الكريمة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[3]؟ وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[4]؟

يمكن الإجابة على ذلك: إن هذه القوامة لا تعني الطاعة المطلقة، وإنما تعني المسؤولية[5]، فالزّوج مسؤول عن زوجته باعتباره هو الذي يعمل ويكّد وينفق على عياله. وفي هذا الإطار يقول الإمام شمس الدين: «إن هذه القوامية لا تعني استبداد الزّوج بالزّوجة وتجريدها من دورها في الأسرة بحيث تكون آلة مطيعة، بل يجب على الزّوج أن يمارس قوامته في الأسرة في إطار المعاشرة بالمعروف التي لا يمكن أن تتحقق الا بمراعاة التوازن والتقابل بين حقوق الزّوجة وحقوق الزّوج[6]».

---

1 القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 34.

2 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، ط3، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، 2001، ص27-25.

3 القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 34.

4 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 228.

5 القرضاوي، يوسف: الحلال والحرام في الاسلام، ط 15، نشر المكتب الاسلامي، دمشق، 1994، ص188.

6 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، م.م، ص 14

وهذا الكلام يفيد أن حقوق الزّوجين متوازنة ومتقابلة، فحقّه عليها يقابله حقّها عليه، فإن لم تفِ له بحقه لا يجب عليه الوفاء بحقها، والعكس صحيح أيضًا، وهذا أحد معاني المساواة في الحقوق التي أسس لها الإمام علي بن أبي طالب (ع) بقوله: «أما بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقًا بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم... ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقًا افترضها لبعض الناس على بعض (كالزّوج والزّوجة) فجعلها تتساوى في وجوهها، ويوجب بعضها بعضًا، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض...» [1].

ويضيف الإمام شمس الدين: «إن القوامة في جوهرها سلطة البتّ في الأمور بعد التشاور بين الزّوجين، فالمبدأ الأساس في إدارة الحياة الزّوجيّة هو التشاور على نهج ما بيَّنه الله تعالى بالنسبة الى فطام الولد حيث قال: « فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا...﴾[2]، ثمّ يضيف: «إن المستفاد من الآية ملاك عام في طبيعة العلاقة بين الزّوجين، فالآية وإن وردت في مقام الفطام، لكنها عامة تشمل كل ما له علاقة بمسؤوليتهما المشتركة في الأسرة [3]».

وفي تفسير الآية نجد أن القوامية هنا تعني أن «الرجال قوّامون على النساء بما خصّهم الله به من خصائص القوامة الجسدية، وبما أنفقوا عليهن من أموالهم[4]»، فالتفضيل إنما هو من حيث الخلقة الجسدية التي هي أقوى عند الرّجل غالبًا، كما أن الإنفاق يعطي السلطة، وهذه إشارة إلى أن القوة والمال هما المعياران الأساسيان للسلطة سواءً على مستوى المؤسسات الكبرى كالدول والأحزاب والجماعات، أم على مستوى المؤسسات الصغرى كمؤسسة العائلة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» فهي تعني الدرجة في الإدارة المنزلية [5]، إذ أن للرجل كلمة الفصل في المنزل في حال التنازع، كما هو الحال في الرئيس والمرؤوس في الإدارات الحكومية أو الخاصة، وكما هو الحال بين العميد والعقيد في المؤسسات العسكرية، فهي قوامية في الرتبة، لكنها رتبة واحدة لا غير، لأن النكرة تفيد الوحدة، وهذة

1 الإمام علي بن أبي طالب(ع): نهج البلاغة، م.م، الخطبة رقم 216.
2 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 233، راجع: محمد مهدي شمس الدين: عمل المرأة المهني بين المشروعية والتحريم، ضمن كتاب حقوق الزوجية، م.م، ص233.
3 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، م.م، ص 234.
4 التفسير الميسّر: منقول من موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
5 شلتوت، محمود: الإسلام عقيدة وشريعة، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص 157.

الرتبة الواحدة لا تحطّ من كرامة المرأة ولا تهبط بها إلى مستوى المذلة، وإنما هي من باب توزيع المسؤوليات وتقسيم الحقوق والواجبات داخل الأسرة [1]، والتي تهدف الى ضبط مؤسسة العائلة على قاعدة :«إن كنتم إثنان أو ثلاثة فأمّروا أحدكم[2] ».

بناءً على ما تقدّم، لم يثبت وجوب طاعة الزّوجة لزوجها مطلقًا، بل يثبت جزئيًا في حقوقه عليها التي توجب النشوز بتركها، وهي المحددة بالمساكنة والاستمتاع فقط على ما سيأتي.

2 – حق المساكنة:

ويقصد منه وجوب أن تسكن الزّوجة مع زوجها في المسكن الذي يهيّئه لها، بحيث ينفردا ببعضهما، ويحصل من خلال ذلك حالة الوحدة للكيان العائلي باعتبارهما كالجسد الواحد.

على أن المنزل الزّوجي ينبغي أن يكون مناسبًا، باعثًا على الاستقرار والطمأنينة، مكتملًا من ناحية الأثاث الضروري اللائق بشأن الزّوجة، مستقلًا بها دون غيرها من الأقارب والأباعد، إلا في حال قبولها ورضاها.

لكن في الوقت ذاته، لا ينبغي التشديد على الزّوج، ولا كثرة المتطلبات، ولا تحميله ما لا يطيق، ولذا أوجب الفقهاء ذلك على الزّوج بحسب حالته المادية وإمكانياته الاقتصادية، إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [3]﴾.

هذا الحق هو للزوج على زوجته، بمعنى إذا صار المنزل الزّوجي جاهزًا مكتملًا من حيث المواصفات والشروط المتقدّمة ودعاها إليه، فليس لها الإمتناع عن مساكنته فيه، ولا الخروج منه، وإلا اعتبرت ناشزًا، بل يجب عليها تلبيته، وهذا هو مقتضى الالتزام بالعقد الزّوجي[4].

وبناءً على هذا الحق أوجبت الشّريعة الإسلاميّة على الزّوجة التزام بيتها، بمعنى حرمة السكن أو المبيت عند والدتها أو صديقتها مثلًا إلا برضا الزّوج، وحرمة الخروج منه لأي سبب دون رضاه، باعتبار أن الزّوج قد وفى بالتزاماته من حيث تهيئة المنزل الملائم،

---

1 محمود، جمال الدين: أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1992، ص 118.
2 السجستاني، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داوود، دار الجيل، بيروت، 1988، الحديث رقم 2708.
3 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 286.
4 لمزيد من الإطلاع، راجع: محمد مهدي شمس الدين: حقوق الزوجية، م.م، ص77 وما بعدها.

فعليها في المقابل الوفاء بالتزاماتها بالسكن فيه، وبالتالي فليس لها أن تمارس حريتها بشكل مطلق وتترك بيتها متى تشاء وكأن لا وجود لشريك لها في الحياة الزّوجيّة، بل عليها – كما عليه – أن تمارس حريتها بالتوافق مع الزّوج[1].

وهذا الكلام لا يعني حرمة خروجها من بيتها مطلقًا، بل بإمكانها الخروج المتعارف عليه لزيارة أقاربها أو جارتها أو للسوق وغيره إذا كانت تعلم عدم ممانعة الزّوج، وهذا مما لا خلاف فيه، باعتبار عدم وجود أي دليل من القرآن الكريم على المنع المطلق، وأما السّنّة الشّريفة فقد تمّ تفسيرها بوجوه متعدّدة، يبدو منها أن التفسير الدقيق هو حرمة خروجها من بيتها إذا كانت في معرض الإغواء المؤدي الى ارتياب الزّوج بها، أو في حال مزاحمة خروجها لحقه في الاستمتاع، أما في غير هاتين الحالتين فإن منعها من الخروج يعتبر منافيًا لوجوب المعاشرة بالمعروف الوارد في الآية الكريمة: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» [2].

من هذا المنطلق يقول الإمام شمس الدين: «فلا يقتضي حق المساكنة أن يتحوّل بيت الزّوجيّة الى سجن للمرأة لا يشرع لها الخروج منه إلا بإرادة الزّوج كما يظهر من بعض الفتاوى بتوهّم دلالة السّنّة على ذلك، ولكن البحث أدى إلى عدم وجود دليل على ذلك...[3]

3 – حق الاستمتاع:

أجمع علماء المسلمين على ثبوت هذا الحق للزوج بمقتضى عقد الزّوجيّة، وذلك بعد أن يتأمن السكن ويتحقق الإنفاق، لا سيما أنه غاية أساسية من غايات الزّواج، ودليلهم على ذلك القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة، وهو يعني الاستمتاع الكامل في أي وقت يشاء وضمن أية ظروف عدا الموانع الشرعية المتمثّلة برؤية الدم والمرض وما شاكل ذلك، كما أضافوا أن هذا الحق لا يقتصر على تمكين الزّوجة نفسها لزوجها، بل يجب عليها أيضًا توفير عناصر الإغراء والجاذبية النفسية والبدنية [4]، وهذا هو أيضًا مقتضى تسمية العقد بينهما بعقد النّكاح.

1 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، م.م، ص85.
2 م.ن، ص 89. القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 19.
3 م.ن، ص 90-89.
4 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، م.م، ص 70.

والدليل من الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[1]، ومن السّنّة الشّريفة ما ورد عن الإمام محمد الباقر (ع) أنّه قال: «جاءت إمرأة الى النبي فقالت له: يا رسول الله ما حق الزّوج على المرأة؟ فقال لها: «أن تطيعه ولا تعصيه... ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب...[2]» بمعنى أن تجيبه إلى حاجته الجنسية ولو كانت على ظهر الناقة، لكن بطبيعة الحال مع مراعاة الستر والساتر وبقية الموانع.

وفي إطار توفير عناصر الإغراء ورد عن الإمام جعفر الصادق (ع): «... وعليها أن تطيّب نفسها بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها...» [3] وقد سار على هذا الأساس فقهاء الإسلام حيث ورد عن أحد كبار فقهاء المسلمين، وهو المحقق الحلّي: «يجب على الزّوجة التمكين من الاستمتاع وتجنّب ما ينفر منه الزّوج» [4].

علمًا أن الشّريعة قد أوجبت على الزّوج ما يقابل هذه الأخلاقيات الحسنة من الزّوجة، وأهمها معاشرتها بالمعروف والإحسان إليها والتزيُّن لها، فقد ورد عن يونس بن عمار قوله: زوَّجني الصادق (ع) جارية فقال لي: «أحسِن إليها» [5]، وروي عن ابن عباس أنه قال: «إني لأحب أن أتزيّن للمرأة كما أحب أن تتزيّن لي، لأن الله عز وجل يقول «وَلَهُنَّ مِثلُ الَّذِي عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ» [6].

أضف إلى ذلك أن الدين الإسلاميّ يعتبر أن الممارسة الجنسية ليست علاقة غريزية حيوانية محضة، بل هي ممارسة عاطفية ونفسية تحمل في طيّاتها معاني الحب والمتعة، وهي ليست امتيازًا للرجل وحده، فالمرأة ليست وعاءً جنسيًا للرجل تتلقى فعله وكفى، وإنما هي شريك له في الفعل، لها نصيبها من اللذة، فهما يتفاعلان معًا في الممارسة التي يشتركان في الحاجة إليها[7]، ولذا جاء في الحديث: «إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فلا يعجلها، فإن للنساء حوائج[8]».

---

1 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 223.
2 الحر العاملي: وسائل الشيعة، م.م، ج 16، أبواب مقدمات النكاح وآدابه، باب 79، رواية 1.
3 الكليني، محمد بن يعقوب: فروع الكافي، ج5، مكتبة الصدوق، طهران، 1381 هـ، باب حق الزوج على المرأة، حديث 8، ص 508.
4 المحقق الحلّي: شرائع الإسلام، ط2، ج2، دار الأضواء، بيروت، 1983، القسمة والنشوز، ص 334.
5 الحر العاملي: وسائل الشيعة، م.م، ج 20، باب 88، ص 170.
6 البيهقي، أبو بكر بن الحسين: السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، 2002، الحديث رقم 13638.
7 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، م.م، ص 139.
8 الحر العاملي: وسائل الشيعة، م.م، ج 20، الباب 56، الحديث 4.

بعد هذين الحقين، لا يبقى للزوج أي حق آخر على زوجته، فليس له عليها حق الخدمة المنزلية كما هو شائع، ولا رعاية الأطفال، ولا إرضاع ولدها، ولا غير ذلك، وإنما هذه من الأمور التي رغَّب بها الشرع على سبيل الاستحباب لا الوجوب، فبإمكانها مطالبته بالأجر عليها إن شاءت، وبإمكانها أن تكتفي بجعلها مكسبًا للثواب والأجر عند الله تعالى.

ج - حقوق الزّوجة الخاصة

في مقابل حقوق الزّوج التي فرضها الاسلام على الزّوجة من المساكنة والاستمتاع، فقد فرض الدين الإسلاميّ أيضًا - بموجب مبدأ المساواة - حقوقًا للزوجة، هي واجبات على الرّجل تجاه قرينته، وقد انتظمت في هذا الإطار ثلاثة حقوق أساسية، وهي كما يلي:

1 - حق المبيت:

ويُقصَد منه وجوب أن يلتزم الزّوج المبيت عند زوجته في منزلهما المعدّ لسكنهما، وذلك من أجل أن تشعر الزّوجة بكيانها العائلي، وبالحماية والرعاية، وبما يضمن لها حقوقها العاطفية، منعًا من وقوعها في تيار الرذيلة، باعتبار أنّ إحدى غايات الزّواج الإحصان لكلّ من الرّجل والمرأة.

وفي تفصيل هذا الحق نجد أن الشّريعة قد أوجبت على الرّجل أمرين: المضاجعة والمواقعة، الأولى هي مجرد نوم الرّجل مع زوجته ليلًا في فراش واحد وإن لم يحصل بينهما إتّصال جنسي. والثانية هي نوم الرّجل مع زوجته ليلًا بما يتضمّن الإتصال الجنسي.

المشهور عند فقهاء الشّريعة أن الزّوجة الدائمة لها حق المضاجعة ليلة واحدة كلّ أربع ليالٍ بالحد الأدنى، لكن في حال كان للرجل زوجتان أو أكثر، جاز له أن يبيت عند إحدى زوجتيه ثلاث ليالٍ وعند الأخرى ليلة، أو عند إحدى زوجاته الثلاث ليلتان وعند الباقيتين كل منهما ليلة، أما لو كان للرجل أربع زوجات فإن بات عند إحداهنّ وجبت المداورة بالسوية على الثلاث الباقيات.

على أن الإمام شمس الدين له رأي مغاير في المسألة، وهو أن القسمة إنما تجب في حال تعدد الزّوجات فقط، لورود أدلتها في فروض التعدد، وعليه، فتبقى حالة الوحدة على مقتضى الأصل وهو عدم إلزام الزّوج بعدد معيّن من الليالي، وإنما الواجب هو ما

يقتضيه الأمر الوارد في الآية الكريمة: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»، بمعنى أن القدر اللازم من المضاجعة هو أن لا يهجرها ولا يذرها كالمعلّقة [1]، ويعود تحديد ذلك الى العرف.[2]

أما المواقعة، فالمشهور عند الفقهاء حق المرأة على زوجها مرة واحدة كل أربعة أشهر بالحد الأدنى، فيحرم عليه ترك ذلك إلا مع إذنها، باعتبار أن المرأة مجهّزة بغريزة لها انفعالاتها الطبيعية، وإن كانت تختلف عن غريزة الرّجل كمًّا وكيفًا.

وفي هذا الصدد نجد أن الإمام شمس الدين قد خالف المشهور هنا أيضًا، فإنه (رحمه الله) بعد أن أبطل دليلهم قال بما مفاده: إن الشّريعة قد تركت تحديد هذا الأمر الى الرغبة الطبيعية عند الرّجل والمرأة ولظروف الزّوجين، وهذه الرغبة قد تكون يومية وقد تكون إسبوعية وقد تكون غير ذلك، وهي تختلف قوة وضعفًا بمراحل العمر ومؤثرات أخرى، فلا يمكن ضبطها بمعيار محدد من الناحية الزمنية، بل ما تدل عليه النصوص الشرعية الصحيحة هو عدم إهمال حاجة المرأة الطبيعية إلى الوصال الجنسي، فإذا أهمل الزّوج ذلك فإنه يكون مخلًا بحقوقها الزّوجيّة [3].

وبناءً على هذا الرأي، فليس لأحد الزّوجين أن يمنع الآخر عن استيفاء حقّه في الإرواء الجنسي، إلا في حالات المنع الشرعي المتقدّمة، لا سيما بعد أن عرفنا أن الاستمتاع الجنسي ليس امتيازًا حصريًا للزوج، بل إنّ الزّوجة تشاركه فيه ولها نصيب منه على نحو ما أشرنا إليه.

2 – حق النفقة:

أجمع فقهاء الإسلام على وجوب إنفاق الزّوج على زوجته حتى لو كانت غنية، لإطلاق قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾[4]، فالمولود له هو الزّوج، وضمير «هنّ» عائد إلى الزّوجات.

والمشهور بين الفقهاء أن هذا الموجب إنما ينشأ على نحو الإقتضاء نتيجة عقد الزّواج، وعلى نحو الفعلية بعد الإنتقال الى المسكن الزّوجي، وهو ملقى أساسًا على عاتق ربّ العائلة كزوج وكأب، باعتبار أن النفقة سوف يمتدّ وجوبها على الأبناء فيما بعد.

1 التي لا تُعرَف لا هي متزوجة ولا هي مطلقة.
2 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، م.م، ص 149.
3 شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزوجية، م.م، ص 137– 138.
4 القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 233.

والنفقة الزّوجيّة هي كل ما تحتاجه الزّوجة للعيش اللائق، وتشمل المأكل والملبس والطبابة والمسكن، وما يلزمه من مفروشات وأمتعة وأدوات منزلية للطبخ والتنظيف وغير ذلك مما يعتبر من الضروريات، أما الكماليات فإنها مطلوبة على نحو الإستحباب لا الوجوب.

وفيما يعود الى نوع النفقة ومقدارها، فلم يحدّد الشرع نوعًا معيّنًا ولا مقدارًا خاصًا، وإنما اعتبر الواجب ما فيه الكفاية، وهنا لا بدّ من مراعاة الأعراف والتقاليد الإجتماعية غير المنافية للشرع، مع الأخذ بالإعتبار حال الزّوجين وملاحظة شأنهما وما يناسبهما.

وقد ورد في القرآن الكريم مبدأ عام في باب الإنفاق، وهو اعتماد الوسط بين الإسراف والتقتير، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]، كما عبّر القرآن الكريم في آية أخرى بتعبير بليغ فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[2].

هذا في حال اليسار، أما في حال الإعسار فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[3] أي أن نفقة الزّوجة على زوجها تدور مع حالته يسرًا وعسرًا، وتبقى دينًا في ذمته إلى حين يساره، فلا تسقط إلا بالقضاء أو الإبراء.

3 - حق المهر:

المهر حق مالي أوجبه الشرع الإسلاميّ للمرأة على الرّجل عند إرادة الزّواج، وتحديدًا عند العقد، وهو ليس ركنًا ولا شرطًا، وإنما حقّ فقط، فلو لم يُذكَر المهر في العقد عمدًا أو سهوًا يبقى العقد صحيحًا ويثبت لها مهر مثيلاتها الذي يحدّده العرف.

ومشروعيته ثابتة في القرآن والسّنّة، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[4]، صدقاتهنّ من الصداق وهو المهر، والنحلة هي الشّريعة، بمعنى أعطوا النساء مهورهن عطية واجبة وفريضة لازمة [5]. ومن السّنّة الشّريفة ما روي عن رسول الله (ص) أنه قضى في امرأة تزوجت ولم يكن قد سُمّيَ لها مهرًا، ثمّ مات زوجها

---

1 القرآن الكريم: سورة الفرقان، الآية 67.
2 القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية 29.
3 القرآن الكريم: سورة الطلاق، الآية 7.
4 القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 4.
5 التفسير الميسّر: م.م، عن موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

قبل أن يواقعها، بأنّ لها مهر مثلها لا زيادة ولا نقصان [1].

وقد تركت الشّريعة تقدير المهر نوعًا وكمًا الى إرادة المتعاقدين، فلهما أن يتفقا على أيّ مال نقدي أو عيني، كثير أو قليل، شرط أن يكون محددًا وحلالًا، لكن السّنّة الشّريفة رأت أنّ «خير الصداق أيسره» [2]، وذلك من أجل تذليل العقبات أمام الزّواج وتسهيله ما أمكن.

كما جرت العادة على قسمته الى قسمين: معجّل ويستحق بمجرد إتمام العقد، ومؤجّل ويستحق عند حلول أحد الأجلين (الموت أو الطّلاق)، والحكمة من وجود المعجّل هو حاجة العروس لتجهيز نفسها للبيت الزّوجي بأنواع الثياب والحلي والزينة وما إليها، وأما الحكمة من وجود المؤجل فهو لأنه يشكّل نوعًا من الحماية لها من الطلاق، إضافة الى أنه بمثابة التعويض عند حلول أحد الأجلين[3].

وهذا المهر تستحقه الزّوجة وحدها، ليس لأبيها ولا لزوجها ولا لغيرهما أدنى تصرّف به، بل هي التي تملك حق التصرّف به كيفما تشاء دون تدخّل من أحد، وبإمكانها أن لا تصرف منه لبيتها قرشًا واحدًا، لأنّ تجهيز البيت بكلّ ضرورياته على عاتق الزّوج، لكنّها إذا صرفت منه في جهاز البيت فما اشترته يكون ملكًا لها لا للزوج، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[4].

1 الشوكاني، محمد: نيل الأوطار في شرح منتقي الأخبار، ج6، باب من تزوج ولم يسمّ صداقاً، حديث1.
2 النيسابوري، الحاكم: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، الحديث رقم 1139.
3 ياغي، أكرم: قوانين الأحوال الشخصية، م.م، ص 158.
4 القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 32.

الخاتمة

في نهاية المطاف، يمكن تسجيل بعض الخلاصات والنّتائج التي توصلّنا إليها في هذا البحث، وهي على الشّكل الآتي:

– إنّ الحقوق المشتركة بين الزّوجين وفقًا للقوانين المدنية تتلخّص في: الحقّ في الزّواج وتكوين الأسرة، الحقّ في الأمانة الزّوجيّة، حق المساعدة المالية، حق الرعاية والتعاون. فإنّ هذه الحقوق متبادلة بينهما على نحو التّساوي التام.

– حقوق الزّوج الخاصة وفقاً للقانون المدني الفرنسي تتحصر في حق اختيار محل الإقامة، وحقّ المساكنة الذي يعني التزام الزّوجة بالعيش مع زوجها في المسكن الذي يختاره لحياتهما، شرط أن يكون لائقًا بهما اجتماعيًّا، ومستوفيًا للشّروط الواردة في القانون.

– حقوق الزّوجة الخاصة التي جاءت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وبعض القوانين الدستوريّة في الدّول الغربيّة تتعلّق بالحق في السّكن العائليّ، الحقّ في العيش بكرامة، والحقّ في تصرف الزّوجة بجسدها لجهة الحمل أو المنع منه.

– أمّا الحقوق المشتركة بين الزّوجين وفقًا للشّريعة الإسلاميّة فتتلخّص في: حسن المعاشرة، تبادل التّعاون، إنجاب الأولاد. فإنّ لكل منهما كامل هذه الحقوق على قدم المساواة مع الآخر.

– حقوق الزّوج الخاصة وفقًا للإسلام تتحصر في حق المساكنة، وحق الاستمتاع. والقصد من الأوّل حرمة خروج الزّوجة من بيتها من دون رضا زوجها في حال مزاحمة ذلك لحقّه في الاستمتاع، أو إذا كانت في موضع الإغواء. والقصد من الثّاني حق الاستمتاع الجسديّ للزّوج بمقتضى عقد الزّوجية، كونه غاية أساسية من غايات الزّواج، قال تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾.

– حقوق الزّوجة الخاصة الواردة في التّشريع الإسلاميّ تتعلّق بحقّ المبيت، حقّ النّفقة، حقّ المهر. ويقصد بالأوّل وجوب أن يلتزم الزّوج المبيت عند زوجه في منزلهما المعدّ لسكنهما، وذلك كي تشعر الزّوجة بكيانها العائلي، وبالحماية والرّعاية، وبما يضمن لها حقوقها العاطفيّة والغريزيّة. أما النّفقة فإنّها تشمل الطّعام والشّراب والمسكن والملبس والطّبابة وكل ما يحتاجه البيت من أثاث وأمتعة. وأما المهر فيشمل المعجَّل عند بداية الزّواج، والمؤجل عند أقرب الأجلين.

المصادر والمراجع

أ- الكتب المقدّسة:

1 - القرآن الكريم

2 - نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب(ع)

3 - رسالة الحقوق، الامام زين العابدين (ع)

ب- الاتفاقيات الدولية:

4 - الاعلان العالمي لحقوق الانسان.

5 - الاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان.

6 - المعاهدة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (sedaw).

7 - القانون المدني الفرنسي.

8 - الدستور اللبناني وتعديلاته.

ج- أمهات المصادر:

9 - إبن الهمام، كمال الدين: فتح القدير، منشورات مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، 1982.

10 - البيهقي، أبو بكر بن الحسين: السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، 2002.

11 - الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمزي، دار المعرفة، بيروت، 2002.

12 - الحر العاملي: وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1991.

13 - السجستاني، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داوود، دار الجيل، بيروت، 1988.

14 - الشوكاني، محمد: نيل الأوطار في شرح منتقي الأخبار،حمد، القاهرة، 1982.

15 - الطبرسي، حسين: مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1994.

16 - الكليني، محمد بن يعقوب: فروع الكافي، ج5، مكتبة الصدوق، طهران، 1381 هـ.

17 - المحقق الحلّي: شرائع الإسلام، ط2، ج2، دار الأضواء، بيروت، 1983.

18 - النيسابوري، الحاكم: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

د- المراجع المتخصصة:

19 - البيلاني، بشير: قوانين الأحوال الشخصية في لبنان، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

20 - حريري، إسماعيل: الأحوال الشخصية بين الشرع والقانون، دار الولاء، بيروت، 2017.

21 - خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، ط3، المؤسسة الحديثة للكتاب،

طرابلس–لبنان، 2008.

22 – السيستاني: علي الحسيني: استفتاءات الحمل وموانع الحمل. المصدر: موقع Sistani.org .

23 – شلتوت، محمود: الاسلام عقيدة وشريعة، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1997.

24 – شمس الدين، محمد مهدي: حقوق الزّوجيّة، ط3، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، 2001.

25 – الغريب، محمد ميشال: الحريات العامة في لبنان والعالم، الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية، د.ت.

26 – الغريّب، محمد ميشال: الزّواج المدني، مطبعة سيما، بيروت، 1998.

27 – الفخري، رندة: التمييز ضد المرأة في ضوء أبرز المواثيق الدولية، منشورات زين الحقوقية، بيروت، 2013.

28 – القرضاوي، يوسف: الحلال والحرام في الاسلام، ط 15، نشر المكتب الإسلاميّ، دمشق، 1994.

29 – كبارة، عبد الفتاح: الزّواج المدني، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1994.

30 – محمود، جمال الدين: أصول المجتمع الإسلاميّ، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1992.

31 – ياغي، أكرم: الزّواج المدني– الحلم الصعب، منشورات زين الحقوقيّة، بيروت، 2015.

32 – ياغي، أكرم: قوانين الأحوال الشخصية، منشورات زين الحقوقيّة، بيروت، 2008.

دلالة الألوان عند العرب واللّبنانيّين من خلال أمثالهم

د. غسّان حمد

1 – تمهيد

إنّ الأمثال الشّعبيّة من أهمّ ما في تراث الأوطان؛ لأنّها توثّقُ الجزء الأهمّ من الأدب الشّعبيّ، وهذا الأدبُ لا يَقِلُّ أهميّةً عن الأدب الفصيح؛ إذ إنَّ الفصيحَ مقصورٌ على فئة المتعلّمين، بينما الأمثالُ الشّعبيّة هي في مرتبةٍ من الشّيوع والانتشار؛ بحيث لا نجد إنسانًا، مهما كان جاهلًا وأُميًّا؛ إلّا ويحفظ معظم الأمثال، فالأمثالُ الشّعبيّة هي ملك الشّعب، تبقى محفوظةً في الصّدور على تقلّب العصور. والباحثون القدماء اهتمّوا بالأمثال، إذ أقبلوا على أمثالهم جمْعًا وتصنيفًا وشرحًا وروايةً لقصصها، حتّى كَثُرَت كُتبِ الأمثال، فقلّما نجد عَلَمًا من أعلام العرب المصنّفين إلّا وله كتاب في الأمثال.

وبين الأمثال والألوان حكايةٌ ضاربةُ الجذور في التّاريخ؛ إذ إنَّ الأمثال تَنطِقُ بحكمة الشّعوب وتجاربها، وإذا تضمّنَتِ الألوانَ زادَتْ قيمةُ المثل، وتعدّدت مدلولاتُه، وَنَحا نحوًا آخرَ في رمزيّته ومعناه، وبات يحملُ تأويلاتٍ تختلف من لهجةٍ إلى أخرى، ومن بلدٍ لآخر؛ بحيث يكون لِلّون الواحد دلالاتٌ تصل أحيانًا إلى حدِّ التّناقض والاختلاف، ممّا يدفعنا إلى طرح الإشكاليّة التّالية: ما هي أهميّة الألوان في الأدب والحياة؟ وما هي دلالات الألوان في الأمثال اللّبنانيّة والعربيّة؟ وما هي أبرز النّتائج لتعدّد المدلولات للألوان في الأمثال والأدب؟

2 – تعريف المثل

أ – **المعنى اللّغويّ** للكلمة «المثل»، فيتضمّنُ، حسب جذره الاشتقاقيّ، معنى المماثلة، أو المثل والنّظير[1]، وما الأمثال في وجْهٍ من وجوهها، سوى عبارات تَرَدّد في مناسبات متماثلة. ومن معانيه المِثال، أو الشِّعار، ومن معانيه أيضًا التّمثيل، أيْ تشبيه شيءٍ بشيءٍ.

ب – **المعنى الاصطلاحيّ**: فقد عرف العربُ عدّة تعريفات للأمثال، منها قول أبي عُبيد القاسم بن سلام (224هـ/838م): «إنَّ المثلَ حكمةُ العرب في الجاهليّة والإسلام،

1 المعجم الوسيط، مادّة (م ث ل).

وبها كانَت تعارض كلامَها، فتبلغ بها ما حاولَتْ من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خِلال: إيجازُ اللّفظ، وإصابةُ المعنى، وحُسْنُ التّشبيه»[1]؛ وقال الفارابي (350هـ/961م): «المثل ما ترضاه العامّة والخاصّة، في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السرّاء والضرّاء...»[2]، وقالوا: «إنَّ المثلَ عبارةٌ موجزةٌ بليغةٌ سائغة الاستعمال، يتوارثها الخَلَف عنِ السّلَف، وتمتاز عادةً بالإيجاز، وصحّة المعنى، وسهولة اللّغة، وجمال جَرْسها»[3].

والمثل عبارةٌ موجزةٌ شائعة تتضمّن فكرةً حكيمة، وهو قصّةٌ قصيرةٌ رمزيّة، يكون لها مغزى أخلاقيّ[4]، وقال أحمد أمين (ت 1954م): «المثل نوعٌ من أنواع الأدب، يمتاز بإيجاز اللّفظ، وحُسْن المعنى، ولُطف التّشبيه، وجودة الكتابة، ولا تكاد تخلو منه أمّةٌ من الأمم، ورمزيّة الأمثال أنّها تنبع من كلّ طبقات المجتمع»[5].

3 – تعريف اللّون

أ – اللّون لغةً، ورد معنى اللّون في معجم لسان العرب أنّه هَيْئَةٌ كالسّواد، والحُمْرةِ، ولَوَّنْتُهُ فتلوّنَ، ولَونُ كُلِّ شيءٍ ما فَصَلَ بينه وبين غيرِه، والجمع «ألوان»، وقد تَلَوّنَ، ولَوَّنَ، ولَوَّنَهُ، والألوانُ الضُّروبُ، واللّون النّوعُ، وفُلانٌ مُتَلَوِّنٌ إذا كان لا يَثْبُتُ على خُلُقٍ واحدٍ، واللّون «الدَّقْلُ»، وهو نوعٌ مِنَ النّخْلِ[6].

ولَوْن: ج ألوان: صِفَةُ الشّيء، وهيئَتُه مِنَ البياض والسّواد والحُمْرَة وغير ذلك، وهي حصيلةُ الأثر الذي يُحْدِثُه في العينِ النّورُ الذي تبُثّه الأجسام: «لوْنٌ زاهٍ»، «لَوْنُ شَعْرٍ»: تناسق الألوان وروعة مظهرها: «نَسيج غنيّ الألوان». صِباغ: «لونٌ ثابت». نَوْعٌ، صِنْفٌ: «تناول ألوانًا مِنَ الطّعام»، قاسى ألوانَ العذاب»، حالةٌ من الحالات التي يمرّ بها الشّعور: «لون الحُبّ». «لونٌ سياسيّ»: اتّجاه[7]. وقال الزّمخشريّ (538هـ/1144م): «ألوانُها: أجناسُها مِنَ الرُّمَان والتّفّاح والتّين والعِنب وغيرها ممّا لا يُحصر، أو هيئاتها

---

1 الأمثال العربيّة القديمة، ص 23؛ المزهر في علوم اللّغة 1/486.
2 المزهر في علوم اللّغة 1/486.
3 الأمثال الشّعبيّة اللّبنانيّة، ص 16.
4 قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبيّة، ص 342.
5 قاموس العادات والتّقاليد والتّعابير المصريّة، ص 69.
6 لسان العرب، مادّة (ل و ن).
7 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (ل و ن)، ص 1304.

من الحُمْرةِ والصّفْرَةِ والخُضْرَةِ ونحوِها»[1].

2 – **اللّون اصطلاحًا:** هو خاصِيّةٌ ضوئيّةٌ تعتمدُ على طول المَوْجَةِ، ويتوقّفُ اللّوْنُ الظّاهريّ لجسمٍ ما، على طول موجةِ الضّوء الذي يعكسه[2]. وقد تعدّدَتِ الألوان في الطّبيعة، واختلفَتْ، وتقاربَت، وهناك عشرات الأسماء للتّعبير عن اللّون الواحد، وهي تختلف باختلاف درجاتِ اللّون، وهو ما عُرِفَ قديمًا باسم: «إشباع اللّون، أو تأكيده»[3]. ويعود هذا الاختلاف في الأسماء والمسمّيات لِلّون الواحد إلى اختلاف الحقل الدّلاليّ الذي يرد فيه، فالأبيض في الإنسان قد يختلف عنه في الحيوان[4].

4 – اللّون عند النّقّاد القُدامى

يرى الجاحظ(255هـ/868م) أنَّ الشّعْرَ صناعةٌ، وضَرْبٌ من النّسيج، وجنْسٌ من التّصوير[5]، ومِثْله ابن طباطبا (322هـ/934م)، الذي درس العلائق بين الفنون، فعنده أنّ الشّاعر الحاذق كالنّسّاج الحاذق الذي يصنع الأصباغ في أحْسَنِ تقاسيم نقشه، ويُشْبِعُ كلّ صِبْغٍ منها حتى يتضاعَفَ حُسْنُه في العيان[6].

أمّا عبد القاهر الجرجاني (471هـ/1078م)، فذكر العلاقة بين الشّعر والرّسم، قال: «وإنّما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل معها الصّور والنّقوش، فأكّدَ بذلك التّقارب بين صِفةِ المبدعِ والرّسّام، فكلاهما يقدّم عملًا حِسِّيًا[7]؛ ولعلّ حازم القرطاجني(684هـ/1284م) أشار بعده بِقَرْنَين إلى هذه العلاقة، فقال عن المحاكاة: «إنَّ المحاكاة كالمسموعات تجري من السّمْعِ مجرى الملوّنات من البصر»[8]، «وكان العربيُّ في العصر الجاهليّ يلمس أدقَّ الفروقِ في ألوانِ بيئته المحيطةِ به، ويعبّرُ عنها بأدقِّ المُسَمَّيات»[9].

1 الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل 3/307.
2 الموسوعة العربيّة الميسّرة 2/1581.
3 الألوان في معجم العربيّة، ص 36، 37.
4 الدّقّة العلميّة في مُسَمّيات الألوان في اللّغة العربيّة، ص 9–2.
5 كتاب الحيوان 3/1320.
6 عيار الشّعر، ص 5، 6.
7 دلائل الإعجاز، ص 71.
8 مِنْهاج البُلغاء وسراج الأدباء، ص 104.
9 لغة الألوان، ص 200.

5 – اللّون عند النّقّاد المُحدثين

لِلَّون جماليّات دفعت بالبحث إلى دراسة تُبيّن فاعليّته، ودلالاته الجماليّة من خلال السّياق الشّعريّ؛ لأنّه وحده الذي يبيّن دلالة اللّون؛ ولأنّ اللّون لم يكُنْ ظاهرةً بصريّةً فقط، وإنّما تجاوز ذلك إلى دلالةٍ جماليّةٍ وذهنيّة ونفسيّة ووجدانيّة، إضافةً إلى دلالاتٍ أُخرى قد يثيرُها اللّونُ نفسُه عندما يَرِدُ في سياقاتٍ أخرى[1].

أمّا الدّراسة التي تناولت ظاهرة التّشكيل اللّونيّ في شعر أبي تمّام، فقد تناولت مستوَيَين:

- **المستوى الموضوعيّ**: مثل: تأكيد الفضائل والمُثُل في الممدوحِين، ومثل رسم صورة جماليّة للمرأة من خلال إبراز محاسنها، وألوان الزّينة التي كانت تتزيّن بها، ومثل الطّبيعة وغير ذلك.
- **المستوى الفنّيّ**، الذي يعني استخدام الشّاعر الألوانَ استخدامًا فنيًّا وِفْقَ قواعد الفنّ التّشكيليّ وظواهره المعروفة، مثل: ظاهرة الفراغ، وظاهرة الإيقاع والتّوافق، وظاهرة توزيع الضّوء[2].

ويعتقدون أنّ لِلّون وظيفةً وجدانيّةً، أو اجتماعيّةً، أو ميثولوجيّةً يكتسبها النّصّ الشّعريّ، وقد ارتبطت هذه الألوان بمجالاتٍ ثلاثة: المجال الإنسانيّ، والمجال الحيوانيّ، والأشياء الأخرى كالمكان والسّلاح والخمرة... وقد ارتبطت الألوان بنفسيّة بشّار بن بُرد (167هـ/784م) ارتباطًا كبيرًا بسبب عاهةِ العمى، فجاءَت الألوان للتّعبير عمّا في نفسه من شعور بالنّقص، ومن ذلك الإكثار من وصف صوت المرأة، وبيان جماله وأثره في النّفس، فكان يشبّه صوتها بالألوانِ الجاذبة كالحمراء والصّفراء[3].

6 – أقسام الألوان وصفاتُها

تنبّه بعض علماء العرب، ومِنْهم الجاحظ (255هـ/868م) إلى أنّ الألوانَ كلَّها إنّما هِيَ مِنَ السّواد والبَياض، وما الاختلافُ إلّا على درجة المِزاج بدليلِ قوله: «وزعموا أنَّ اللّونَ في الحقيقةِ إنّما هو البياضُ والسّوادُ، وحكموا في المقالةِ الأولى بالقوّة لِلسَّواد على

1 جماليّات اللّون في شعر زهير بن أبي سلمى، ص 49-8.
2 التّشكيل اللّونيّ في شعر أبي تمّام، ص 43-9.
3 جماليّات اللّون في شعر بشّار بن بُرْد، ص 114-83.

البياض، إذ كانَتِ الألوانُ كلُّها كُلّما اشْتَدَّتْ قَرُبَتْ مِنَ السّواد، وبَعُدَتْ مِنَ البياض، فلا تزالُ كذلك إلى أنْ تصير سوادًا[1].

واللّون مِنْ أهم وأجمل ظواهر الطّبيعة لِما يشتمل عليه من شتّى الدّلالات الفنيّة، والدّينيّة، والنّفسيّة، والاجتماعيّة، والرّمزيّة، والأسطوريّة، إذ إنّه يبرز كأهمّ عناصر الجمال التي نهتمّ بها في حياتنا، وعلى الرّغم من تعدّد الألوان المُحيطة بنا، والتي تزخر بها الحياة مِنْ ألوانِ الطّبيعة المتمثّلة بالأزهار، والنّباتات، والحيوانات، والسّماء، والأرض، والبحار، إلّا أنَّ الإنسانَ لم يقتنعْ بها، بل أضافَ مِنْ فنّه وعِلْمِه الكثيرَ مِنَ الألوان[2].

وتتّخذ الألوانُ أحيانًا دلالاتٍ غيرَ الدّلالاتِ المُتَعارَفِ عليها بين النّاس، فترمُزُ إلى دلالاتٍ تُفْهَم مِنْ سياق الكلام، فاللّون الأصفر يدلّ على الخريف، والحزن، والموت، والقَحط، والبؤس، والذّبول، والألم، والشّحوب، والانقباض؛ والأحمر يُشير إلى الشّهوة، والنّشْوَة، والثّورة، والتّمرّد، والحركةِ، والحياة الصّاخبة، والغضب، والانتقام، والقَسْوَة؛ والأبيض يرمز إلى الصّفاء، والغبطة، والنّقاء، والعفاف، والسِّلْم؛ بينما الأسْود يوحي بالحزن، والخطيئة، والظّلام، والقساوة؛ فيما الأخضرُ عنوانُ انبثاقِ الحياة، والصّحّة، والطّبيعة، والرّبيع، والمَرَح، والسّرور، والشّباب؛ والأزرق يشير إلى الهدوء والسّكينة، والعالم الذي لا يعرفُ الحدود[3].

والألوانُ الأصليّةُ هي ألوان قوس قزح، وهي: الأحمر، البرتقاليّ، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النّيليّ، البنفسجيّ[4].

ومِنَ الألوان التي جاءَت في الأمثلة الشّعبيّة، وفي التّشبيهات والشّعر:

الحنطاويّ: نسبةً إلى الحِنْطَة، ولونُه أصفرُ مَعَ اقْتِرابٍ مِنَ الجَوز الفاتح، قال الشّاعر:

لونه حلو حنطاوي   يتبختر ومتغاوي

- **خمريّ:** نسبةً إلى لون الخمر.

---

1 كتاب الحيوان 5/59.

2 تقنيّات التّعبير في شعر نزار قبّاني، ص 121.

3 تطوّر الصّورة الفنيّة في الشّعر العربيّ الحديث، ص 179، 180.

4 معجم مقاييس اللّغة 5/250.

- **العسليّ:** نسبة إلى لون العسل المُصَفّى، وقال الشّاعر:

خدوده تضوي ليليّه عيونه حلوة عسليّة

- **النرجسيّ:** وهو أصفرُ فاتحٌ يميل إلى البياض.

ولكلّ لونٍ معنًى نفسيٌّ يتكوّنُ نتيجةً لتأثيرِه على الإنسان، فيُقال: «إنَّ الوقتَ يمضي بسْرعةٍ تحت أشعّةٍ خضراءَ»؛ لأنَّ اللّونَ الأخضرَ لونٌ هادئٌ، ومُريح للأعصاب، مِمّا يجعلُ الوقتَ يمرُّ بسهولةٍ وبَساطة؛ أمّا قولُهم: «إنَّ الوقتَ يمضي بِبُطءٍ تحت أشعّةٍ حمراء»؛ فذلك لأنَّ اللّونَ الأحمَرَ مثيرٌ، ومشهورٌ بالقلق، ممّا يؤدّي إلى شعورٍ بالمَلَلِ: وثقل الوقت، وكأنّ الوقتَ لا يمضي، وكأنَّ العقاربَ (عقارب السّاعة) واقفةٌ، لا تتحرّك[1].

فالبيئة تلعب دورًا مُهِمًّا في تحديد الدّلالة، وفي إشاعتها، وتوسيع حدود تداولها، وفي الأوساط الشّعبيّة، فقد استخدم الجمهور الألوانَ بدلالاتٍ وإيحاءَات جديدة، تَشي بإدراكهم وفَهْمِهم العميق للألوان.

والألوان دليلٌ حَيَويٌّ على التّنوّع تعتمدُه الدُّوَل في صياغة ألوان أعلامِها، ونراه في إشارات السّير، قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾[2]؛ حيث كان ذلك الاختلافُ، وذلك التّفاوتُ، فيه مِنَ المصالح والمنافع، ومعرفةِ الطُّرق، ومعرفةِ النّاس بعضِهم بَعْضًا، ما هو معلوم. وقد قالوا: «ترعى البَقَرَةُ العُشْبَ الأخضرَ، فتحوّله لَبَنًا أبيضَ، ونشرب اللَّبَنَ الأبيضَ، فتحوّله دمًا أحمرَ، تباركَتْ كيمياءُ الحياة[3]! كما أدخل الإنسانُ القديم في حضارات الفراعنة الألوان في طقوسه وعباداته، فظهرت الأثوابُ المُكرَّسَةُ للصّلاة، يغلب عليها اللّون الأحمر القرمزيّ، والأصفرُ الفاتح، والأزرقُ السّماويّ، ثُمّ اسْتُعْمِلَتْ تلك الألوانُ في طِلاء جدران المعابد والهياكل المقدّسة، وصار لكلّ لونٍ رمزٌ ومَرْتَبَةٌ، وفي بلاد ما بين النّهرَين صُنِّفَتِ الألوان صِنْفَين: أحدُهما ترتديه الأُسْرَةُ الحاكمة، وتُزَفْرِفُ به قصورَها ومُقْتَنياتِها، والآخر لعامّة الشّعب، أي بمعنى التّمييز الطَّبَقيّ بالألوان[4]. ولعلَّ أصدق تعبيرٍ عن دلالة اللّون ما قاله توماس كارليل:

1 اللّون لُعْبَةٌ سيميائيّة/ بحث إجرائيّ في تشكيل المعنى الشّعريّ، ص 43.
2 النحل 69:16.
3 القول منسوب إلى ميخائيل نعيمة (موسوعة الأدب والحكمة) 1/308.
4 دلالات اللّون ورموزه في الشّعر الجاهليّ، ص 190-185.

«اللّون يخبُرك عن طبيعة القلْبِ والمزاج»[1].

وقد رأوا فيما مضى أنّ «الأيدي ثلاثة أنواع: يدٌ بيضاء، ويَدٌ خضراء، ويَدٌ سوداء. فاليدُ البيضاء هي الابتداء بالمعروف، والخضراء هي المكافأة على المعروف، أمّا اليدُ السّوداء، فهي المَنُّ بالمعروف»[2].

أ – اللّون الأبيض:

أبيضُ اسم مُصَغّر من إباضٍ، فقد قال الجوهريّ (ت 393هـ/1003م) من الوافر:

أقول لِصاحبي واللّيلُ داجٍ أُبَيِّضَكَ الأُسَيِّدَ لا يضيعُ[3]

ومؤنّثه بيضاء، كقولهم: حَمامَةٌ بيضاء؛ أرضٌ بيضاء: ملساء لا نبات فيها، ولا عمارة؛ ثورةٌ بيضاء: سِلْميّة لا إراقةَ دماءٍ فيها؛ وصحيفتُهُ بيضاء: سُمْعَتُه حَسَنَةٌ؛ وصفحةٌ بيضاءُ: لا كتابةَ فيها؛ وأُكْذوبَةٌ بيضاء: غير مُؤْذية؛ وليلةٌ بيضاء: مُقْمِرة؛ ويدٌ بيضاء: نِعْمَةٌ، إحسان... أمّا «بَيَاض»، فهو صفة لِما هو أبيض، ومنه: «بياضُ الثّلج»؛ فُسْحَةٌ بيضاء: بَياضٌ في نَصّ، بَياضٌ بين كلمَتين؛ كلُّ طعام مسموح به في أيّام القطاعة عند المسيحيّين؛ بَراءةٌ وخُلُوٌّ مِنَ الدَّنَسِ: بياضُ قلب؛ وبَياض البَطْن: شَحْمُ الكُلى وغيرُه؛ وبَياضُ البَيْض: زلاله؛ وبياضُ النّهارِ ضوءُه؛ وبَياضُ الوجْه: حُسْنُ الثّناء؛ وبَياضُ اليوم: طوله[4].

وقد جاءَ في الأمثال: «**أبيض مثل الثّلج**»، و«**أبيض مِنْ شِقّ اللّفِتْ**»[5]، إذ يُضْرَبُ المثل بالثّلج في النّقاوة والبَياض، وقد جاءَ في المَزْمور الخمسين من مزامير داود: «اغْسِلني فأبْيَضّ أكثَرَ مِنَ الثّلج» (الآية التّاسعة)، ويشبّه اللّبنانيّونَ أيضًا الشّيءَ الشّديد البياض بِـ«شِقّ اللّفِت»، فيقولون: «**أبيض مِنْ شِقّ اللّفِت**»[6]، ويقولون: «**إيدو بيضا**»، و«**إيد بيضا**»: أيْ: صاحبة نِعْمَةٍ وفَضْل[7].

---

1 موسوعة الأدب والحكمة 1/308.
2 قاموس الحِكَم والأمثال والأقوال، ص 17.
3 الصّحاح تاج اللّغة وصِحاح العربيّة، مادّة (بيض)؛ والبيت بلا نسبة في لسان العرب7/111 (أبض).
4 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (بيض)، ص 135.
5 اللّفِت: نباتٌ يُنْقَع في الخَلّ، وهو أبيض اللُّبّ.
6 موسوعة أمثال اللّبنانيّينَ وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/163.
7 م.ن 1/600، 603.

يقولون أيضًا: «**فلان قلبُه أبيضُ**»، و«**كفُّه بيضاء**»، ويعنون بذلك طهارة قلبِه ونقاءَه، وصفاء سَرِيرَتِه، إضافةً إلى الهدوء، والأمل، والبساطة، وحبّ الخير، وعدم التّكلّف؛ أمّا نظافةُ الكفّ، فتعني عدمَ السّرِقة، والبُعدَ عَنِ الإجْرام[1]؛ بينما رَفْعُ الرّاية البيضاء، فيعني الهزيمةَ والاستسلام والمُسالَمَة، وعدمَ الرّغبة في الحرب؛ واللّون الأبيضُ دليلُ حُزْنٍ، فقد استُدِلّ على ذلك من خلال قول الشّاعر الأندلسيّ علي الحُصَري القيرواني (488هـ/1095م) من الوافر:

إذا كان البياضُ لِباسَ حُزْنٍ　　بــأنْدَلُسٍ فـذاكَ على صوابِ

ألَمْ تَرَني لَبِسْتُ بياضَ شَيْبي　　لأنّي قد حَزِنْتُ على شبابي[2]

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الدّلالة بقوله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[3].

وفي العصور القديمة كان اللّونُ الأبيضُ مُقَدَّسًا، ومَقْصورًا على آلهة الرّومان، وكان يُضَحّى له بحيواناتٍ بيضاءَ؛ وعند المسيحيّين عادةً ما يُرْمَزُ للسيّد المسيح بثوبٍ أبيضَ دلالةً على السّلام والصّفاء والنّقاء، والخُلوّ مِنَ الدَّنَس؛ وفي مصرَ القديمةِ كان الفِرْعَونُ يرتدي تاجًا أبيضَ يَرْمُزُ إلى سَيْطَرَتِه على مصر، ممّا يُشير إلى أنّها كانَتْ تعيشُ بِسَلامٍ وطمأنينة[4].

يقولون: «**له علينا يدٌ بيضاء**»، ويدلّ ذلك على الكَرَم؛ أمّا قولهم: «**كِذْبَةٌ بيضاء**»، فيعنون بذلك المزاحَ الذي لا خُبْثَ فيه، كجواب النّبيّ ﷺ على المرأةِ العجوز التي سَأَلَتْهُ إنْ كانَتْ ستدخل الجنّةَ، فأجابَها: «لا تَدْخُلُ الجنَةَ عجوز»، ويَقْصِدُ بذلك أنّها ستدخل الجنّةَ صَبيّةً تَرْفُلُ بالصّبا والشّباب والحيويّة؛ ويرمزون بالأبيضَين إلى الملح والسُّكّر، وباللّيلة البيضاء إلى ليلة العروس؛ ويقولون: «**خبّي قرشك الأبيض ليومِكَ الأسود**»، ففي القِرْش الأبيض دلالةٌ على أيّام البحبوحة والسّعادة، بينما الأسود هو يومُ الضّيق والحاجة. وأجمل ما قيل عن اللّون الأبيض، هو قولُ نيتشه: «إنَّ مَنْ مَوَّهَ جُدْرانَ منزله

---

1 علم عناصر اللّون 2/137.
2 شرح ديوان ابن الفارض، ص 200.
3 يوسف 12:84.
4 اللّغة واللّون، ص 163.

بالأبيض، فقد مَوَّهَ نفسَه بهذا اللّون أيضًا»[1].

ب – **اللّون الأحمر:**

قال بشّار بن بُرْد (167هـ/784م) من مجزوء الكامل:

وخُذي مَلابِسَ زينةٍ   ومُـــصَبّغاتٍ، فَهْو أَفْخَرْ

وإذا دَخَلْـتِ تَقَنَّعي   بالحُمْرِ إنَّ الحُسْنَ أحْمَرْ[2]

أحمر (اسم)، جمعُه: حُمْر. المؤنّث: حمراءُ، والجمع: حمراوات وحُمُر. وأحمر (فعِل): أحمر الرّجل: وَلَدَ وَلَدًا أحْمرَ؛ وأحمَرَ الدّابّةَ: عَلَفَها الشّعير حتّى تغيّر فوها من أَكْلِهِ.

والأحْمَرُ: ما لونُه كَلَوْنِ الدَّمِ؛ وأحمر أقشر: الشّديدُ الحُمْرَةِ؛ والأحْمَرانِ: الذّهب والفضّة، أو الذّهب والزّعفرانِ، أو الخبز واللّحْم، أو اللَّحْم والخمر؛ أمّا الجيش الأحمر، فهو اسم أُطْلِقَ على الجيش السُّوفيتي منذ قِيام الثّورة الشّيوعيّة[3].

والحريّة الحمراء، هي التي تحقَّقَتْ بعد صِراعٍ دَمَوِيّ، كقول أمير الشّعراء أحمد شوقي (1351هـ/1932م) من الوافر:

وللحُرّيّةِ الحمراءِ بابٌ   بِكُلِّ يَــدٍ مَـضَرَّجَــةٍ يُدّقُّ[4]

والخطّ الأحمر، هو الحَدُّ الذي لا يُمْكِنُ تَجاوُزُه؛ والسَّنَةُ الحمراء، فهي السّنة الشّديدةُ، لِزَعْمِهِمْ أنَّ السّماءَ تحمرّ في سِنِيِّ الجَدْب؛ والضّوءُ الأحمر: إشارة ضوئيّة تعني توقُّفَ السّير؛ والعين الحمراء، والموت الأحمر: القتل، أو الموت الشّديد... والصّليب الأحمر، والهلال الأحمر: مؤسّستان عند النّصارى والمسلمين لإسعاف المصابين والمرضى عند حدوث الكوارث والنَّكَباتِ... والهنود الحُمْر: هم سُكّان الأمريكيتَين الأصليّون؛ ولَحْمٌ أحمرُ: لا شَحْمَ فيه، وليلةٌ حمراءُ ماجِنة. أمّا إعلاميًّا، فإنّ برنامج «أحمر بالخَطّ العريض» على شاشة المؤسّسة اللّبنانيّة للإرسال، فهو برنامج اجتماعيّ جريءٌ، يتناول كلّ المواضيع المثيرة والسّاخنة اجتماعيًّا[5].

---

1 موسوعة الأدب والحكمة 1/308.

2 موسوعة الأدب والحكمة 1/308؛ ديوانه 4/61.

3 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (حمر)، ص 326–324.

4 الشوقيّات 2/77.

5 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (حمر)، ص 326–324.

ويرمز اللّون الأحمر إلى الخطر، والتّحذير، والحَسْم، والرّفض، وإشارةٌ حمراءُ في قواعد المرور، تعني التّوقّفَ الفوريّ؛ ومصطلح «خطٌّ أحمرُ سياسِيًّا وعسكريًّا»، فتعني الحَدَّ النّهائيَّ. وللأحمر دلالاتٌ إيجابيّةٌ وسلبيّة، فعلى الجانب الإيجابيّ يمثّل القوّة والعاطفةَ والثّقةَ؛ أمّا دلالته السّلبيّة، فلأنّه يمثِّل الغضب، والحَذَر، والخطر. وتقول الأسطورة بأنَّ اكتشافَ هذا اللّون يعود إلى الفينيقيّين الذين استخرجوه من صَدَفَةِ الـ«موريكس»، ليصبغوا به الأزياء، وقد اكتسب هذا اللّونُ دلالاتٍ متنوّعةً على مَرّ التّاريخ، فأصبح رمزًا للشّجاعة والشّغَفِ تارةً، والسّعادةِ والبحبوحة والتّرَفِ تارةً أُخرى، كما اعْتُبِرَ رمزًا للغضب والتّمرّد والشّعور بالذّنب، وتتدَرّجَ ألوانُه مِنْ أحمرَ فارسيّ، إلى عَقيقيّ، فشهوانيّ وياقوتيّ... أمّا الأحمر والأسود، فجميع النّاس، يعني البشريّة جمعاءَ.

وجاء في الأمثالِ: «**أحمر منِ الحمار**»، إذ يُضْرَبُ المَثَلُ بالحمار في الجهل والبَلادة، ويُقال في الجزيرة العربيّة: «**أَجْهَلُ من الحمار**»[6]. ويقولون في تفضيل السَّيّئ على الأسْوَأ: «**احْمِرار وجوه، ولا مِغْصان بالقلب**»؛ كما يقولون: «**أحْمَرْها هَيْك**»، وهذا المَثَل مُسْتَوحى مِنْ كُتُب الصّلاة التي تُطْبَع بالغلاف الأحمر، ولا يُعْرَف سَبَبُ ذلك[7].

أمّا في «معجم الدّوحة التّاريخيّ لِلُّغةِ العربيّة»، فقد جاء: أحْمَرُ: صِفة مشبّهة، وجَمْعُه: حُمْر، وحُمْران، وحُمور، وأَحامِر. والأحْمَرُ ما كان له لَوْنُ الدَّمِ ونحوه[8]. والأحْمَرُ مِنَ الإبِلِ: الذي لم يُخالِطْ حُمْرَتَه شيءٌ، قال مهلهل بنُ ربيعة التّغلبيّ (94ق.هـ/531م) من البسيط:

الناحِرُ الكُومَ ما يَنْفَكُّ يُطْعِمُها والواهِبُ المِئَةَ الحَمْرا بِراعيها[9]

بينما الأحْمَرُ من الأشخاص: الأبْيَضُ المُشْرَبُ حُمْرَةً. قال العبّاس بنُ عُبادةَ الخَزْرجيّ الأنصاريّ يخاطب قومَه: «إنّكم تُبايعونَه على حرْبِ الأحمرِ والأسْوَدِ مِنَ النّاس»[10].

والأحمر مِنْ آثار الأقدام: الجديدُ الطّريُّ الذي لم يَدْرُسْ بَعْدُ. قال ذو الرُّمَة (117هـ/735م) من الطّويل:

---

6 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/194.
7 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/194.
8 معجم الدّوحة التاريخيّ (حمر).
9 ديوان المهلهل، ص 92.
10 السّيرة النّبويّة لابن هشام.

على وَطْأَةٍ حَمْراءَ مِنْ غيرِ جَعْدَةٍ ثَنى أُخْتَها في غَرْزِ كَبْداءَ ضامِرِ[1]

أخيرًا، يُعَدُّ اللّونُ الأحمر من أوائل الألوان التي عَرَفَها الإنسانُ في الطّبيعة، ففيه دلالةٌ على وهج الشّمس، والحرارةِ، والوضوح التّامّ. «فهو من الألوان السّاخِنَةِ المُسْتَمَدَّةِ مِنْ وهج الشّمس واشتعال النّار، والحرارة الشّديدة، وهو من أطْوَلِ الموجات الضّوئيّة»[2]؛ كما يُسْتَخْدَمُ للدّلالة على العُنْفِ وإراقةِ الدّماء، فيقولون: «**مَوْتٌ أحمرُ**»، وهو رمزٌ لجهنّمَ في كثيرٍ مِنَ الدّيانات.

ويُقالُ إنَّ بعضَ القبائل تُلَطِّخُ المولودَ بالدَّمِ عند ولادته، حتّى يكونَ له فرصةٌ في العَيش مُدَّةً طويلة[3]. أمّا في لغة الورود، فالأحمر دلالةٌ على الحُبّ[4].

ج - اللّوْن الأخضر:

أخضر صفة مُشَبَّهَة. والأخضرُ مِنَ النّبات: النّاعِمُ الغضُّ، قال كُلَيْبُ بنُ ربيعة التّغلبيّ (135ق.هـ/494م) يخاطِبُ قُبَّرَةً، من الرّجز:

يـا طَـيْرَةً بـيْنَ نـباتٍ أخْضَرِ جاءَتْ عليها ناقَةٌ بمُنْكَرِ[5]

والأخضرُ مِنَ الأشياء: ما لونُه الخُضْرَةُ، وما كان لونُه مائلًا إلى السواد، كقوله تعالى:

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[6].

أمّا الأخضرُ الجَناب مِنَ النّاس، فهو الكريمُ السَّخِيُّ، قال أبو حُزابَةَ التّميميّ (85هـ/704م) يرثي طلحةَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ خَلَفٍ، ويُذَكِّرُ بِكَرَمِهِ وسخائه، من الرّجز:

قـد عَـلِمَ الجُنْدُ غَدَاةَ اسْتَعْبَروا والقَــبْرُ بـينَ الطّيّبيـنَ يُحْفَرُ

أنْ لن يَرَوا مِثْلَكَ حتّى يُحْشَروا هيهاتَ هيهاتَ الجَنابُ الأخْضَرُ[7]

1 ديوانه، ص169.
2 اللّغة واللّون، ص 201.
3 الوشم الوشي في الشّعر الجاهليّ، ص 128-124.
4 دلالات الألوان في شعر نزار قبّاني، ص 39.
5 شعراء النصرانيّة، ص157.
6 الإنسان 76:21.
7 الإشراف في منازل الأشراف، ص 5.

أمّا الأخضرُ مِن اللّيالي: المُظْلِمُ، قال ذو الرُّمَة (117هـ/735م) يصِفُ قَطْعَهُ قَفْرًا في ليلٍ مُظْلِمٍ، من البسيط:

قَدْ أَعْسِفُ النّازِحَ المجهولَ مَعْسِفُهُ   في ظِلِّ أَخْضَرَ يدعو هامَهُ البُومُ[1]

وجاءَ في الأمثال الشّعبيّة: «**أَخْضَرِ البِطِن، ولا يابسِ الخَرّوب**»[2]، ودلالة هذا المثل هل التنبيه إلى عدم الانخداع بالمظاهر؛ لأنَّ أخضرَ البطن تشتعل أغصانه بسرعة، بينما يابس الخرّوب لا تشتعل أغصانُه جيّدًا، بلْ يُنْتِجُ دُخانًا كثيفًا[3]. ويقولون: «**أخضر مِثْل السّلق**»، فالسّلق نبات ذو أوراق طويلة خضراء تُسْتَخدَم للأكل مطبوخةً، ويُضْرَبُ المَثَل في اخضرارِه.

ويقولون للشّرِه الشّديد الطّمَع، الذي لا يوفّر شيئًا: «**أكل الأخضر واليابس**»[4]، كما يقولون: «**إيدو خضرا**» لمن يزرع فتثمر زراعَتُه[5].

كما يمثّل الأَخْضَرُ في العقيدةِ الإخلاصَ، والخلودَ، والتّأمّلَ الرّوحيّ، ويُسَمّى لون الكاثوليك المفضّل، ويُسْتَعمل في عيدِ الفصْحِ ليرمز إلى البعث، واللّون الأخضر الحائل هو لون التَّعْميد عند المسيحيّين[6]، كما يرتبط هذا اللّون بمعاني الدّفاع والمحافظة على النّفس، فهو إلى السّلبيّة أقرب منه إلى الإيجابيّة، ويمثّل التّجديد، والنّموّ، والأيّام الحافلة عند الشّباب الأغرار[7]؛ وفي بعض لهجات اليمن اليوم، يُطْلَق الأخضر على أيّ شيءٍ طريٍّ لمْ يمضِ عليه وقتٌ طويل بِغَضِّ النّظَرِ عَنْ لونِه، وعلى الفتاة السّمراء الحسناء، خضراء. وفي الجزائر على الطّعام الذي لم ينضُجْ بَعْدُ؛ وفي المغرب يقولون: لحْمٌ أخضرُ، أيْ: طَرِيّ، ويُقال للشّيخ المُسِنّ إذا كان مُقْبِلًا على الحياة: قلبُه أخضرُ.

د – **اللّوْن الأزرق:**

الأزرقُ الذي يَغْلِبُ بَياضُهُ سَوادَه، قال امرؤ القيس (80ق.هـ/545م) يَصِفُ كِلابَ

---

1 ديوانه1/401.

2 البِطِن: البطْم، وهو شُجَيْرَةٌ قزعاء من الفُسْتُقِيّات تعلو من 3 إلى 5 أمتار، يُسْتخرَجُ من لِحاءِ سُوقِها مادّةٌ راتنجيّة، فوّاحة العُرْف، كثيرة الاستعمال (المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 100).

3 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/202.

4 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/338.

5 م.ن 1/604.

6 اللّون ودلالته في القرآن الكريم، ص 28.

7 م.ن، ص 30.

صَيْدٍ مُجَوَّعَةً، يُغْرِيها الصّائدُ، فتَشْتَدُّ ضَراوَتُها، من الطّويل:

مُغَرَّثَةً زُرْقًا كأنَّ عيونَها مِنَ الذَّمْرِ والإيحاءِ نُوّارُ عِضْرِسِ[1]

والأزرقُ: الأعمى تَزْرَقُّ عَيناه بَعْدَ ذَهابِ بَصَرِه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[2].

والأزرق من السّحاب: ذو المَطَر، قال عمر بن أبي ربيعة (93هـ/711م) يصف ثغرَ صاحِبَتِه المُخْتَلِطِ بماء سَحابٍ باردٍ، من البسيط:

وَنَيِّرِ النَّبْتِ، عَذْبٍ باردٍ خَضِرٍ كـالأُقْحُـوانِ، عِـذابٍ طَعْمُه رَتِلا

كأنَّ إسْفَنْطةً شِيْبَتْ بِذي شَبِمٍ من صَوْبِ أزرقَ هَبَّتْ رِيْحُه شَمَلا[3]

وغالبًا ما نسمع العامّةَ مِنَ النّاس يقولون: **«فلانٌ عَظْمُه أزْرق»**، أيْ: أنّه لَئيم؛ و**«نِيْلَة تْنَيّل بَخْتَك»**، أيْ: الدّعاء عليك بالحزن والتّعاسة.

وقد كَرِه العربُ اللّوْنَ الأزرق، واتّهَموا اصحابَ العيونِ الزّرقاءِ بالكَذِب واللّؤْم والشّرّ، وكانوا يقولون: **«عِفْريتٌ أزرق»**، و**«عَدُوٌّ أزرق»** للشّخص الماكر المُحتال[4]، فقد عَرَفَ العَرَبُ القُدامى اللّونَ الأزرقَ في عيون الغُزاة الرّوم، فهذا اللّونُ هو علامةٌ فارقةٌ للأعجميّ الرّوميّ، حتّى قيل عَنْ شديدِ العَداوَةِ: **«إنّه عَدُوٌّ أزرق»**، ويُقال في العدوِّ: **«إنّه أزرقُ العينِ»**، وإنْ لم تكُنْ عينُه زرقاءَ[5].

بينما الأزرقُ القاتم يدلّ على الخمول والكسلِ والهدوء والرّاحة؛ أمّا الأزرقُ الفاتحُ، فيعكس الثّقةَ والبراءَةَ والشّبابَ، والأزرق العميق يدلُّ على التّميُّزِ والشّعور بالمسؤوليّة[6].

هـ - اللّوْن الأسود:

أسود: ما كان لونُه «السّواد»، وهو لونٌ مُظْلِمٌ ناتجٌ عن فُقدان أشِعَّةِ النّور، أو عَنِ امتصاصها كُلِّيًّا. والجمع: سُود وسودان، مؤنّثُه: سوداء، والجمع سودات وسُود. وأسود:

---

1 ديوانه، ص 103.
2 طه 102:20.
3 ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 358.
4 العيون في الشّعر العربي، ص 85.
5 العقد الفريد 3/56.
6 اللّون ودلالته في القرآن الكريم، ص 29.

حَدَقَةُ العَين.

وأسْوَد القلب: حَقود؛ وأسْوَدُ الكَبِد: عَدُوٌّ؛ والذّهب الأسْوَدُ: النّفط؛ والموتُ الأسْوَدُ: الموتُ خَنْقًا؛ واليوم الأسْوَدُ: وَقْتُ الحاجة، الشِّدّة؛ والأسْوَدانِ: التّمر والماء، أو الحيّة والعقرب، أو اللَّبَن والماء وأسود صفة مشبّهة، والجَمْعُ سُودان، وسُود. والأسود ما كان له لون الفحم [1]. يقولون: سَوَّدَ اللهُ وجْهَهُ: لِيَجْعَلْهُ اللهُ مَذْمومًا، لِيُهْلِكه؛ واسْوَدَّتِ السّماءُ: أظْلَمَتْ؛ ورأى الدّنيا سَوادًا: كان كثيرَ التشاؤم؛ والخيط الأسْوَد: اللّيل. يقولون: «**بعيق الجِدي ولا سواد العنقود**»، يعنون بذلك الخوفَ مِنْ فصل الشّتاء القاسي إذا ما اسْوَدَّتِ العناقيد، فيما يظلُّ صوتُ الجِداءِ أقلَّ وَطْأةً في رمزيّتِهِ إلى الشّتاء القاسي من اسْوِداد العناقيد[2].

والأسْوَدُ هو اللّوْنُ الذي يَنْتُجُ عنِ الغياب، أو الامتصاص الكامل للضّوء المرئيّ؛ إنّه عَدِيمُ اللّونِ بدون تدرّج مثل الأبيض والرّماديّ؛ غالبًا ما يتمّ استخدامه بشكلٍ رمزيٍّ أو مَجازيّ لِتَمْثيل الظّلام. ويُعتَبَرُ الأسْوَدُ مَلِكَ الألوان؛ لأنّه لا يَقْبَلُ التّمازج بأي لون، ويبقى منفصلًا بِذاته، بِخلاف الألوان الأخرى؛ كما يشير إلى الحزن، والشّرّ، والشّعور بالتّهديد، وفي نفسِ الوقت يدلّ على الشّموخ، والسّيطرة، والقوّة، والغموض، وقد صدر لأحلام مستغانمي (كاتبة روائيّة جزائريّة معاصرة)، «الأسْودُ يَليقُ بِكِ»[3].

ويقولون: «**أسود تَنَاه أبيض**»، أو «**أسمر تَناه أبيض**»[4]، يُضرب هذا المثل في الأشياء، أو النّاس الذين يبدون غيرَ جَذّابين ظاهريًّا، وهم جيّدون وذو مَعْدَنٍ طيّب. ويقولون: «**أسْوَدْ راس**»، فيعنون به أنّه غير وفيّ، أو شرّير[5]، كما قالوا: «**الأسْوَد شي، والأبيض شي، والحِلّة غَلَبَتْ كلّ شي**»، يُضْرَب هذا المثل في فائدةِ اللّباس وأهميّته في تزيين الإنسان وإظْهاره بالمظهر الجميل؛ أمّا قولهم: «**أسْود مِتل جْناح الغراب**»، أو «**مِتل الفحم**»، فيُضْرَبُ للسّواد القاتم، فالغراب مشهور بسَوَادِه، وكذلك الفحم؛ ويقولون:

1 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (سود)، ص 719، 720.
2 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (سود)، ص 719، 720.
3 هي رواية صدرت عن هاشيت أنطوان (نوفل)، عام 2012م.
4 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/281، 284. تناه: إمّا مِنَ الثّناء، وإمّا بمعنى بِطانته، أو قفاه.
5 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/284.

«**أسود مِتل قَفا الصّاج**»[1]، وقفا الصّاج يكون أسود بِفِعْل احتراقِ الوَقود تحته[2].

يقولون: «**فُلانٌ قلبُه أسْود**»، ويَعْنونَ بذلك أنّه حَقود وخبيث، كما يستخدمون هذا اللّون للدّلالة على سوء الحظّ، والتّعاسة والحزن، فيقولون: «**يومٌ أسود**» إذ إنّ اللّوْنَ الأسْوَدَ سلبيٌّ، ويدلّ على العَدَمِيَّة، وكان القُدامى يعتقدون أنّ الوجْهَ مِرْآةُ الرّوح، ولا يخفى ما في الرّوح مِنَ الحالات، ومِنْه قولُه تعالى: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[4]، فقد كان اللّونُ الأسودُ مكروهًا منذ القِدَم، وقد رمز القُدَماءُ به وبكُلِّ الألوانِ القاتمة إلى الشّرّ والموت، وقد ورد في الأثَرِ أنّ الحجرَ الأسْوَدَ قد نزل من الجنّة أشدَّ بياضًا مِنَ الثّلج، وانّه اسْوَدَّ مِنْ ذُنوبِ العِباد وخَطاياهم[5]، وقد قيل: «ولولا سوادُ العينِ ما كانَ نورُها»، شطرةٌ مَنَ الطّويل[6].

لقد رأى العَرَبُ أنَّ الجمالَ في التّنوّع، وخاصّةً في الجَمْعِ بين الأضداد، وقد قال شاعرهم (مِنَ الكامل):

فالوجْهُ مِثْلُ الصُّبحِ مُبْيَضٌّ ... والشَّــعْرُ مــِثْلُ اللّيـلِ مُسْوَدُّ

ضِدّانِ لمّا اسْتُجْمِعا حَسُنا ... والضِّدُّ يُـظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ[7]

والبَياضُ أفضلُ لَوْنٍ عند العرب، كما قيل: «البياضُ أفضلُ، والسَّوَادُ أهْوَلُ، والحُمْرَةُ أجملُ، والصُّفْرَةُ أشْكَلُ»، وعبّروا عنِ الفَضْل والكرم بالبياض، حتّى قِيل لِمَن لم يَتَدَنَّسْ بَمَعاب: «**هُوَ أبيضُ اللّون**»[8]، فلِلّسواد مواضع زينة وقبح، وللبياضِ مواضعُ زينةٍ وقبح، إذ ليس كلُّ أبيضَ جميلًا، ولا كلُّ أسودَ قبيحًا»[9].

---

1 الصّاج: حديدة مستديرة مقمّرة تُحْمى ويُخْبَزُ عليها.
2 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/284، 285.
3 الزّمر 60:39.
4 آل عمران 106:3.
5 اللّغة واللّون، ص 164.
6 قاموس الحِكَم والأمثال، ص 44.
7 البيتان في قصيدة طويلة تُنْسَبُ لعليّ بن جَبْلَة، المُلَقّب بالعَكَوَّك، ولأبي الشّيص الخزاعي. انظر: ديوان عليّ بن جبلة، ص 115.
8 مفردات ألفاظ القرآن، ص 115.
9 الضّوء واللّون في القرآن الكريم، ص 6.

وأجملُ ما قيلَ حول السَّواد والبياض: «**إنّ في استطاعةِ مُبْصِرٍ واحدٍ أنْ يقودَ ألفَ أعمى؛ ولكنّه ليس في استطاعةِ ألف أعمى أنْ يقودوا مُبْصِرًا واحدًا**»[1]، وقولهم: «**لو صُوِّرَ العقلُ لأضاءَ معه اللّيل، ولو صُوِّرَ الجَهْلُ لأَظْلَمَ مَعَهُ النّهارُ**»[2].

و - اللَّوْن الأصفر:

أصفرُ صفةٌ مشبّهة. واصْفَرَّ الشّيءُ: صار لونُه إلى اللّونِ الأصفر. يقولون: «فلان وجْهُه أصفر»، للدّلالة على المرض والشّحوب، وربّما ارتبطَتْ هذه الدّلالة بالخريف ومَوْتِ الطّبيعة، والصّحارى الجافّة، لذا، فهو لونٌ سلبيّ، يحمل دلالة المرض والانقباض، وقد يرتبط بالحُزْنِ والتّبرُّم مِنَ الحياة، والتّحفزّ نحو عالمٍ أطهَر[3]. وليس لهذا اللّونِ إيحاءَاتٌ ثابتة، فهو تارةً يستمدّ دلالته من لون الذّهب، وتارةً من لون النّحاس، كما يستمدّها أحيانًا من صُفْرَةِ الشّمس عند المغيب، وأحيانًا من لون بعض الثّمار كاللَّيْمون، والتّفّاح، والطّيْب، مثل: الزّعفران، والصّبغ، مثل: الوَرْس[4]، وأحيانًا يستمدّها مِنَ النّبات الذّابل حين يجفّ، فيميلُ لونُه إلى الاصفرار[5]. وقد قيل: «**أصْفر مِثْلِ الكِرْكُمْ**»[6].

ومن أقوال نزار قبّاني (1418هـ/1998م): «إنَّ الأصفرَ لوْنٌ عميقٌ وهادئٌ ومتحضّرٌ، ومن هذا الزّواجِ بين الأصفرِ ونفسي، وُلِدَ طِفْلٌ جميلٌ اسمُه «الحزن»[7].

وقد قال أحدهم: «أَحَبُّ الألوانِ إليَّ الأصْفَرُ القاتمُ والأحمرُ الفاقع، فهما يُدْخِلان لونَ الدَّمِ على جميع الألوان»[8].

7 - خلاصة

إنَّ العالمَ ممتلئٌ بالألوان والأضواء، فلا تَقْدِرُ الأحياءُ على الحياةِ مِنْ غير ألوانٍ، ولا أضواء، وإنَّ الكونَ الذي تَحِلُّ فيه الألوان والأضواء، هو كَوْنُ الإنسان الذي يَنْعَمُ

---

1 قاموس الحِكَم والأمثال، ص 262.
2 قاموس الحكم والأمثال، ص 265.
3 الرّمزيّة في الأدب العربيّ، ص 94.
4 الوَرْس: نبات كالسُّمْسُم من الفصيلة البقليّة والفراشيّة، ينبت في بلاد العرب والحبشة والهند، يغدو أحمر، يستعمل لتلوين الملابس الحريريّة. (المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 1518).
5 اللّون ودلالته في القرآن الكريم، ص 27.
6 موسوعة أمثال اللّبنانيّين وكناياتهم وتعابيرهم الاصطلاحيّة 1/293. يُضْرَبُ للشّيءِ الأصفر، و«الكِرْكُمْ» (الكُرْكُمْ)، هو الزّعفران.
7 موسوعة الأدب والحكمة 1/308.
8 موسوعة الأدب والحكمة 1/308.

بهما، ويَلَذُّ لهما[1]. وقد استخدم المصريّون القُدَماءُ اللّونَ الأخضرَ في أكفانهم؛ أمّا في العقيدة الإسلاميّة، فقد جاءَت دلالات الألوان تعبيريّةً، أو رمزيّةً، أو حِسِّيّةً، أو جماليّة، وارتبطَ اللّونُ بمصدَرَيْنِ جوهريّين: أوّلهما: النّورُ القادمُ مِنَ السّماء، والمقترن بالخالق العظيم، وثانيهما: الظّلمة المقترنة بِقُبْحِ الظّلم والطّغيان المنافي لجمال العدل، وبذلك فإنَّ جماليّةَ اللّون تقترن بوجود الضّياء، ثُمّ تتداخل في المفهوم مَعَ العدل والقِسْطاس الإلهيّ، وأصبح اللّونُ الأسودُ المظلمُ لونَ الحزن، والألوان المُشِعَّةُ دالّةً على الحُبور في الأعرافِ الشّعبيّة[2].

يقول د. عبد الرّحمن محجوبي[3]: ما أثار انتباهي منذ سنين مضت أنّني كنْتُ أقرأ بعض المخطوطات التي كُتِبَتْ بطريقةٍ مُحْكَمَةٍ؛ حيث حضور الألوان بشكلٍ مميّز، فالغالبُ مكتوب بالأسْوَد، وبعض العناوين مكتوبة بالأحمر... فكنْتُ أعتقدُ أنّ الأمرَ يتعلّق فقط بإعطاءِ نوعٍ من الجمال للكتاب لتيسير قراءَته وفهمه والإفادة منه، وبعد أعوامٍ عديدة مِنَ البحث والتّعامل مَعَ المصادر تبيّن لي أنَّ استعمال لونٍ معيّن في التّدوين له معنًى خاصٌّ، وأنّ لكلِّ لونٍ دلالةً خاصّةً. ويرى ابن سنان الخفاجي (466هـ/1073م) أنَّ تآلفَ حروفِ الكلمة في السّمْعِ كَتَآلُفِ الألوان في مجرى البصر[4].

ويمكننا القول بأنَّ تعدّدَ الألوان دليلُ غنى، وبهِ تتمايز الأشياءُ، ولكلّ لون دلالةٌ تختلف عن سواه، وبأنّ دلالةَ اللّونِ الواحدِ تختلف بحسب اختلاف الاستعمال، وباختلاف الزّمان والمكان، واختلاف الحضارات، وبأنّ تمازجَ الألوان يخلقُ لونًا جديدًا قد يضيفُ طقسًا مُعَيَّنًا، وجوًّا جديدًا، ودلالةً إضافيّة.. فلو كانَتِ الحياةُ ذاتَ لونٍ واحدٍ، لكانَتْ مُمِلّةً قاسية.

1 الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص 62.
2 الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص 62؛ اللّون ودلالته في القرآن الكريم، ص 31.
3 باحث مصطلحيّ معاصر.
4 سرّ الفصاحة، ص 64.

المصادر والمراجع

1 – القرآن الكريم.

2 – **الإشراف في منازل الاشراف،** ابن أبي الدّنيا، قدّم له وحقّقه وعلّق عليه نجم عبد الرّحمن خلق، مكتبة الرُّشد، الرّياض، ط 1، 1411هـ/1990م.

3 – **الألوان ودلالتها في القرآن الكريم،** سليمان بن عليّ الشّعيلي، مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الشّرعيّة والإنسانيّة، المجلّد 4، العدد 3، الشّارقة (الإمارات)، 2007م.

4 – **الأمثال الشّعبيّة اللّبنانيّة،** د. إميل يعقوب، جرّوس برس، 1987م.

5 – **الأمثال،** الأصمعي، جمع وتحقيق وترتيب ناصر توفيق الجباعي، منشورات الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، دمشق، 2010م.

6 – **الأمثال العربيّة القديمة،** رودولف زلهايم، ترجمة رمضان عبد التّواب، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط 2، 1982م.

7 – **اللّغة واللّون،** أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1997م.

8 – **اللّون لعبة سيميائيّة/** بحث إجرائيّ في تشكيل المعنى الشّعريّ، فاتن عبد الجبّار جوّاد، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمّان، لا ط، 2009م.

9 – **اللّون ودلالته في القرآن الكريم،** رسالة ماجستير، نجاح عبد الرّحمن المرازقة، جامعة مؤتة، السّعوديّة، 2010م.

10 – **التّشكيل اللّونيّ في شعر أبي تمّام، إبراهيم الحاوي،** المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، العدد 59، السّنة الخامسة عشر، 1997م.

11 – **تطوّر الصّورة الفنيّة في الشّعر العربيّ الحديث،** نعيم اليافي، دمشق، صفحات للدّراسة والنّشر، ط 1، 2008م.

12 – **تقنيّات التّعبير في شعر نزار قبّاني،** بروين حبيب، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط 1، 1999م.

13 – **جماليّات اللّون في شعر بشّار بن بُرْد،** صالح الشّتيويّ، أبحاث اليرموك: سلسلة الآداب اللّغويّة، المجلّد 18، العدد 1، 2000م.

14 – **جماليّات اللّون في شعر زهير بن أبي سلمى،** موسى ربابعة، بحث نُشِر في مجلّة جرش للبحوث والدّراسات، الأردن، 1998م.

15 – **الحيوان (كتاب الحيوان)**، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، منشورات المجمع العلميّ العربيّ الإسلاميّ، ط 3، 1969م.

16 – **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط 1، 1958م.

17 – **ديوان بشّار بن بُرد**، نشر وتقويم وشرح وإكمال محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م؛ ومطبعة دار الثقافة، بيروت، 1981م.

18 – **ديوان بني أسد – أشعار الجاهليّين والمخضرّمين**، جمع وتحقيق ودراسة محمد عليّ دقّة، دار صادر، بيروت، ط 1، 1999م.

19 – **ديوان ذي الرّمّة (غيلان بن عُقبة)**، شرح أحمد بن حاتم الباهليّ، رواية أبي العبّاس ثعلب، تحقيق عبد القدّوس ابي صالح، مؤسّسة الإيمان، بيروت، ط 1، 1982م.

20 – **ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ**، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1988م.

21 – **ديوان المهلهل**، شرح وتحقيق أنطوان محسن القوّال، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1415هـ/ 1995م.

22 – **الدّقّة العلميّة في مُسَمّيات الألوان في اللّغة العربيّة**، جاسر خليل أبو صفيّة، بحث قُدّم في مؤتمر علميّ حول الكتابة العلميّة في اللّغة العربيّة، بنغازي، 1990م.

23 – **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح السّيد محمد رشيد رضا، القاهرة، دار المنار، ط 4، 1956م.

24 – **دلالات الألوان في شعر نزار قبّاني**، رسالة ماجستير، أحمد عبد الله حمدان، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، 2008م.

25 – **دلالات اللّون ورموزه في الشّعر الجاهليّ**، أطروحة دكتوراه، سمر نديم متوح، جامعة تشرين، 2004م.

26 – **الرّمزيّة والأدب العربيّ الحديث**، أنطوان غطّاس كرم، دار الكشّاف، بيروت، لا ط، 1949م.

27 – **الرّمزيّة في الأدب العربيّ**، درويش الجندي، مكتبة النّهضة، القاهرة، لا ط، 1958م.

28 – **سرّ الفصاحة**، ابن سِنان الخفاجي (أبو محمد)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1982م.

29 – **السّيرة النّبويّة**، ابن هشام المعافري الحِمْيَرين حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السّقّا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط 2، 1375هـ/ 1995م.

30 – **شرح ديوان ابن الفارض**، ضبطه وصحّحه محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2007م.

31 – **شعراء النصرانيّة قبل الإسلام**، لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، ط 3، 1967م.

32 – **شعر عليّ بن جبلة**، تحقيق حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ط 3، لا ت.

33 – **الشوقيّات**، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيرون، لاط، لات.

34 – **الصّحاح تاج اللّغة وصِحاح العربيّة**، أبو نصر الجوهريّ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1990م.

35 – **الضّوء واللّون في القرآن الكريم**، نذير حمدان، دار ابن كثير، بيروت، ط 1، 2002م.

36 – **العقد الفريد**، ابن عبد ربّه الأندلسيّ، شرحه وضبطه وصحّحه وعَنْوَنَ موضوعاته ورتّب فهارسه أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ط 3، 1393هـ/ 1973م.

37 – **علم عناصر اللّون**، فرح عبّون دار دكفن، إيطاليا (ميلانو)، 1982م.

38 – **عيار الشّعر، ابن طباطبا**، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التّجاريّة (القاهرة)، لا ط، 1956م.

39 – **العيون في الشّعر العربيّ**، محمد جميل الحطّاب، مؤسّسة علاء الدّين للطّباعة والتّوزيع، دمشق، ط 3، 2003م.

40 – **غريب الحديث**، ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)، تحقيق عبد الله الجبّوريّ، مطبعة العاني، بغداد، ط 1، 1397هـ/ 1977م.

41 – **قاموس الحِكَم والأمثال والأقوال**، يوسف مارون، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس (لبنان)، لا ط، 1996م.

42 – **قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبيّة**، إميل يعقوب، دار العلم للملايين، 1998م.

43 – **قاموس العادات والتّقاليد والتّعابير المصريّة**، أحمد أمين، مؤسّسة هنداوي، مصر، 2013م. وقد صدر الكتاب سنة 1953م.

44 – **الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**، أبو القاسم جار الله الزّمخشريّ، دار الفكر، القاهرة، لا ط، لا ت.

45 – **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

46 – **لغة الألوان:** مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، شفيق جبري، دمشق، 1967م.

47 – **المؤتلف والمختلف**، أبو القاسم الآمديّ، تحقيق عبد الستّار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1381هـ/1949م.

48 – **مجمع الأمثال للميداني**، تحقيق محمد محي الدين، طبعة دار الفكر.

49 – **المزهر في علوم اللّغة**، السّيوطي (عبد الرّحمن بن أبي بكر) ، تحقيق فؤاد عليّ منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1998م.

50 – **معجم الدّوحة التّاريخيّ لِلّغة العربيّة.**

51 – **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، الرّاغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داؤدي، دار القلم، دمشق، ط 1، 1992م.

52 – **معجم مقاييس اللّغة**، أحمد بن فارس بن زكريّا، أبو الحَسَن، تحقيق عبد السّلام هارون، طبعة اتّحاد الكتّاب.

53 – **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى وغيرُه، مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط 4، 2004م.

54 – **المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة**، دار الشّروق، بيروت، 2013م.

55 – **مِنهاج البُلَغاء وسراج الأُدباء**، حازم القرطاجَنّي، تقديم محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ (ببيروت)، ط 1، 1981م.

56 – **موسوعة الأدب والحكمة**، أ.د. إميل يعقوب، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس (لبنان)، ط 1، 2016م.

57 – **الموسوعة العربيّة الميسّرة**، محمد شفيق غربال وزملاؤه، دار النّهضة، بيروت، 1986م.

58 – **الوشم والوشي في الشّعر الجاهليّ**، فايز عارف حمدان القرعان، رسالة جامعيّة، جامعة اليرموك، 1984م.

ملاحظات حول برامج الترجمة للّغات العربيّة والإنكليزيّة والعبريّة

د. حسين غدّار

(دكتوراه لغة عربيّة، مترجم في وزارة الدفاع في لبنان)

المقدّمة

اكتسبت الترجمة منذ القِدم أهمية كبيرة نظرًا لدورها كجسر عبور بين الحضارات، ووسيلة أساسية لنشر العلوم والاستفادة من إنجازات الأمم في مختلف حقول المعرفة. لقد تحوّلت الترجمة بذلك إلى أداة لا غنى عنها للتواصل الاجتماعي العلمي، وعنوان لتوحيد الجهود الإنسانية في سبيل التقدم والازدهار والاطّلاع.

في عالمنا العربي والإسلامي، ظهرت حركة الترجمة وتوسعت مع قيام الدول الإسلامية، تحديدًا الدولة الأموية ثم العباسية، واتّساعها لتشمل شعوبًا مختلفي المشارب والأعراق والأديان، واحتكاكها بحضارات مجاورة لها. ولا تزال أسماء الكثير من المترجمين الأفذاذ تتردد في صفحات تاريخنا منذ ذلك الزمن، ومنهم حنين بن اسحق وثابت بن قرة والحجاج بن يوسف الكوفي وابن توما الرهاوي وابن البطريق وغيرهم. فإلى هؤلاء وأقرانهم يعود الفضل في نقل أمهات كتب الفلسفة والطب والأدب اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية، وولوج العرب إلى ذلك العالم الرحب الذي كان مجهولًا مغلقًا أمامهم قبل أن تتلقف أيدي المترجمين نتاجَ الشعوب الأخرى. بل إن عددًا لا بأس به من نفائس المؤلَّفات اليونانية فُقِد بلُغته الأم ولم يبق منه سوى الترجمة العربية. ولا ريب في أهمية هذه الإنجازات التي وضعت الإرهاصات للفلسفة العربية، فضلًا عن دورها في تشكيل الفكر العربيّ عمومًا[1].

ينبغي لنا في مقدّمتنا الوقوف على جملة الدوافع التي حدت بالعرب إلى الترجمة في المقام الأول:

---

1 علي بن إبراهيم النملة، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الثالثة، 2006، ص 54.

أولًا: الدافع الديني

حثَّ القرآن الكريم كما السنّة النبوية الشريفة المسلمين على طلب العلم وتلاقي المسلم مع أخيه في الإنسانية، فورَدَ في الكتاب العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، كما جاءت في السنّة أحاديث متعدّدة في هذا الإطار ومن بينها: «مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ، كانَ في سَبيلِ اللَّهِ حَتَّى يرجِعَ»[2].

ثانيًا: الدافع السياسي – الاجتماعي

نقصد بهذا الدافع الوضع الناشئ عن اتّساع دولة العرب كما أسلفنا واحتكاكها بالأمم الأخرى، فيما بدا للعرب أن المجد العسكري وحده غير كافٍ إذا لم يقترن بالمجد العلمي والنضج العقلي، لا سيما وأن المجتمع العربي الآخذ في النمو والتطور كان يحتاج إلى المعرفة الضرورية لإرضاء تطلّعاته وآماله وسدّ حاجاته، ومن بينها تأمين العلاجات النافعة التي تَوَصَّل إليها الأطباء في أقطار الدنيا، واستقاء أسس التنظيم الإداري والمالي في الدولة، ومبادئ الحُكم والتنظيم الاجتماعي، وغير ذلك مما لا بد منه لقيام دولة حديثة في ذلك الزمان[3].

ثالثًا: الدافع النفسي – القومي

لعلّ هذا الدافع الذي يمكن تسْميته أيضًا بالدافع الإنساني هو من الجوانب التي لا تَلْقى ما يناسبها من اهتمام في تأريخ الترجمة العربية مقارنة بغيرها، لذا سنحاول تسليط الضوء عليه وفق ما يسمح به المقام، اعتمادًا على معطيات نفسية – قومية كانت سائدة في تلك الحقبة.

لقد تواترت الأخبار والأشعار المتمحورة حول اعتزاز العرب بدينهم الجديد الذي ألّف بين قلوبهم تحت لواء التوحيد بعدما كانوا قبائل متناحرة بمعظمها، لم تعرف إلى القوة والاتّحاد سبيلًا خلال المراحل الغابرة التي اصطُلِح على تسْميَتها بالعصر الجاهلي. انتقل العرب إذًا من كونهم جماعات متفرقة إلى كتلة متراصة استطاعت التغلب على

1 سورة الحجرات، الآية 13.
2 صحيح الترمذي، الحديث 10/1385.
3 علي بن إبراهيم النملة، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، مرجع سابق.

أكبر إمبراطوريتين آنذاك، البيزنطية والفارسية، ومضت لتُوسِّع حدودَها وتنشر فكرها الجديد متّكئةً على الترجمة كقناةِ تَواصل[1].

من المسلَّم به قديمًا وحديثًا أنّ التحوّلات الكبرى من هذا النوع تُحرّك وجدان الشعوب وتنمّي فيهم الاعتزاز القومي، وتدفعهم دفعًا لمقارعة الأمم الأخرى، ليس فقط من الناحية العسكرية تحقيقًا لمصالح الدولة الأم، بل من الناحية الفكرية كذلك، إما بهدف إثبات الجدارة العلمية أو الاستفادة من تجارب الآخرين في سبيل تقوية شوكة الدولة الأم أكثر فأكثر. لم يشكّل العرب استثناءً على هذه القاعدة، فباتوا توّاقين إلى البروز الفكري أمام سائر الشعوب، وأي وسيلة لتحقيق ذلك أفضل من الترجمة التي أتاحت لهم فهم المجتمعات الأجنبية وإدراك تعقيداتها وتذوّق فنونها وآثارها وتلمُّس إنسانيتها وإسهاماتها في الحضارة البشرية ككُل، والمشاركة الفاعلة في بناء هذا الصرح القائم على لبِنات متنوعة آتية من مختلف أصقاع المعمورة[2]؟

رابعًا: الدافع الشخصي لدى الحكّام

برز من بين الخلفاء والحكّام العرب والمسلمين عددٌ لا بأس به ممَّن أنفقوا أموالًا طائلة على العلماء، مؤلفين ومترجمين، إلى درجة إعطاء المؤلف أو المترجم وزن عمله ذهبًا. نذكر من هؤلاء الخليفة الأموي خالد بن يزيد[3] والخليفة العباسي أبا جعفر المنصور. ولعل هذا الدافع الشخصي استند إلى إدراكٍ لأهمية العلوم عامّةً في بناء الدول، عن طريق الاستفادة من خبرات الشعوب وإنجازاتها وآثارها، فضلًا عن نزعة التفوّق التي وُجِدت لدى كثير من الخلفاء. لقد عدّ هؤلاء ميادينَ العلم قرينةً لميادين الحرب، ورأوا من الواجب اقتحامها وبسط سيطرة الدولة عليها مثلما جرى على أرض الواقع، إذ مدّت تلك الدول نفوذها على مساحات شاسعة حتى أصبحت مساحة الدولة العباسية في أوج تَوَسُّعِها تضمّ حوالى 20 دولة وفق تقسيم الحدود في أيامنا هذه[4].

---

1 علي بن إيراهيم النملة، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، مرجع سابق

2 American Psychological Association, National pride can boost personal pride, April 2011, Internet, Accessed 18 November 2023, site: https://www.apa.org/monitor/2011/04/pride

3 مؤسسة هنداوي، الحياة العلمية والأدبية في للعصر الأموي، الإنترنت، الدخول: 18 تشرين الأول 2023، متوفر من الموقع:
https//:www.hindawi.org/books/17160604/1.1.5/

4 مؤسسة هنداوي، معاهد العلم في العصر العباسي، الإنترنت، الدخول: 19 تشرين الأول 2023، متوفر من الموقع:
https//:www.hindawi.org/books/30536269/2.2/

الترجمة في العصر الحديث

لا مِراء في الموقع المركزي الذي تشغله الترجمة في عالمنا المعولَم، حتّى بات من السهل للغاية أنْ نتعامل معها كحقّ مكتسب ووسيلةٍ ملازمة للثقافة الإنسانيّة والنشاط البشريّ، وأنْ ننسى المسار الطويل من الجهد المضني والإبداع الفكري والتقني الذي جعلها في متناول أغلب بني البشر، وأنه في غياب الترجمة، فإن المجتمعات سوف يُحكَم عليها بعزلة ثقافية واجتماعية يَصْعُب تخيُّلُها في الوقت الحاضر. يكفي أن نلتفت إلى الترجمات الأدبية التي جعلت بنات أفكار الأدباء والشعراء ميسرة الفهم والتذوق للملايين من الناس، ولهذه الأفكار ما لها من دور في إغناء الثقافة وتسليط الضوء على القضايا المحقة والتشجيع على الخلق وإخراج أعمق المشاعر من مخابئها تحت طبقات الكبت. ينقلنا ذلك إلى جانب محوري من جوانب الترجمة لا يسمح المقام بتفصيله، فنكتفي بالإشارة إلى أنّ المترجم، بخاصة المترجم الأدبي، ليس مجرد ناقل جامد ذي اطّلاع على بعض القواعد اللغوية، إنما هو كاتب بكل معنى الكلمة، متمتع بنظرة ثاقبة وإحساس مرهف قادر على استشعار خبايا نفس الكاتب الأصلي من خلال النص، ونقلها إلى لغة أخرى مع الحفاظ على مستوى الإبداع في اللغتين، المترجَم منها والمترجَم إليها. بل قد يَبذل المترجِم جهدًا أكبر من الكاتب الأصيل لأنّه مقيّد بنص معيّن خلافًا لمن يطلِق العنان لأفكاره ويصيغها على الورق كما يشاء.

على أية حال، وبالعودة إلى السياق الحديث، لا تعني الهيمنة العالمية للغة الإنجليزية أن الطلاقة في فهمها والتحدُّث بها لدى معظم الناس ستبقى إلى الأبد، ولا تَمنع هذه الهيمنةُ إمكان بروز لغة أخرى ذات يوم لتطيح بالإنكليزية عن عرشها وتنتزع منها موقع السبق. كذلك لا يَلزم من هذا التفوق أن المتحدثين بالإنكليزية أحاديي اللغة يمكنهم تجاهل إنجازات الثقافات الأخرى التي من الضروري أن تصل إليهم عن طريق الترجمة. لو شئنا الانتقال إلى الشق العملي، نضيف الحجم المتزايد باطّراد للاتصالات والتجارة على الصعيد الدولي، والمحتوى الآخذ في الاتساع دقيقة بعد أخرى على شبكة الإنترنت، وأهمية التواصل الإيجابي الواضح في جميع الأعمال التجارية والديبلوماسية، حتى إن خلافات ونزاعات دولية تنشأ عن الاختلاف حول ترجمة نص معيَّن أو تفسيره.

يستمر المترجمون منذ القِدم، سواءٌ الكتّاب منهم أم المترجمون الفوريون مشافهةً، في أداء دور أساسي كقنوات للتبادل العلمي والثقافي والفكري والديبلوماسي عندما لا يكون لدى الأطراف لغة مشتركة. في الوقت عينه، أصبحت الترجمة بأشكالها المتعددة حقلًا راسخًا للنشاط العلمي والدراسة والتخصّص. سابقًا، كان يُنظَر إلى الترجمة بوصفها نشاطًا أكاديميًّا أو ثقافيًّا هجينًا بلا موقع بين العلوم. لاحقًا، بدأ موقع الترجمة يتبلور إنما في ظل تخصّصات أخرى استعانت بها، مثل اللغويات النظرية والتطبيقية، واللغويات الاجتماعية، واللغويات الحاسوبية، وتحليل الخطاب، والدراسة الأدبية، والأدب المقارن. اليوم، استحقت الترجمة الاعتراف الكامل كتخصص مستقل في ذاته، ومُساهِم حيوي في التخصصات ذات الصلة، وأضحى قدر كبير من الطاقة الفكرية مكرّسًا لاستكشاف الترجمة وممارستها، ولا سيّما منذ منتصف القرن العشرين. أصبح كبار الناشرين يقدّمون عناوين مترجَمة لمنشوراتهم، بل إن ترجمة منشور معيّن مهما كان حقله دليلاً قوياً على رجاحته وتجاوُزه للفروق الثقافية وصعوده نحو العالميّة.

لقد حدث إذًا منذ منتصف القرن العشرين تَوَسُّع شديد السرعة أشبه بالانفجار في مجال علم الترجمة، وتكاثرت المؤلّفات التي تتناول هذا العلم وهي بمعظمها تُدرَج ضمن تصنيف دراسات الترجمة (Translation Studies). أضيفَ إلى ذلك تدريبٌ نوعيٌّ على أدوات الترجمة، تحديدًا البرامج الحاسوبية والأدوات الإلكترونية، والمهارات الصحافية والدبلوماسية اللازمة للعاملين في الوكالات الإعلامية أو في مكاتب الترجمة التابعة للشركات المحلية أو الدولية. فهُم يحتاجون إلى قدر كاف من الاطّلاع ليتطابق عملُهم وتصرُّفُهم مع المعايير النافذة في مجال عملهم. وقد اصطُلِح في الغرب على تسمية الترجمة في ذاتها مع كل هذه الزوائد صناعة الترجمة(Translation Industry)[1].

مواقع الترجمة على الإنترنت – الهدف من البحث

يرتكز مضمون هذا البحث على إحدى أهم أدوات الترجمة الحديثة، أي برامج الترجمة وبصورة خاصة تلك المتوافرة على الإنترنت عبر مواقع مختلفة (Online Translation). بدأت هذه المواقع بالظهور أواخر التسعينيات وأوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مع نمو الإنترنت والتقدم في تكنولوجيا معالجة اللغات. حينها

1 Kristen Malmkaer & Kevin Windle, The Oxford Handbook for Translation Studies, (Oxford University Press, 2011), p.3.

أُطلقت أولى خدمات الترجمة على الإنترنت عبر موقع (Babel Fish) في العام 1997، ليتبعها موقع (Google Translate) في العام 2006، ما ساهم بشكل كبير في نشر خدمات الترجمة على الإنترنت.

يمكن أن يعزى انتشار مواقع الترجمة على الإنترنت إلى عدة عوامل، أبرزها تطوّر تكنولوجيا الخوارزميات التي جعل محركات الترجمة أكثر دقة، والطلب المتزايد على خدمات الترجمة السريعة والميسرة في ظل العولمة، وانتشار الإنترنت باطّراد بفضل الهواتف الذكية التي مكّنت الملايين من استخدام خدمات الترجمة، فضلًا عن المنافسة والابتكار بين الشركات في سوق الترجمة، ما أدى إلى تطوير خدمات جديدة ومحسنة لجذب انتباه المستخدم.

تعتمد مواقع الترجمة على آليات عمل متصلة بشكل أو بآخر بالذكاء الاصطناعي المبني بدوره على خوارزميات تُحلّل كميات كبيرة من البيانات النصية الثنائية اللغة، بهدف تَعَلُّم الأنماط وترجمة النص من لغة إلى أخرى. يشمل ذلك الترجمة الآلية العصبية (Neural Machine Translation – NMT) وهي نوع من التعلم الآلي الذي يَستخدم شبكات معرفية لربط المعلومات وتنسيقها وتبويبها بما يشبه شبكة عصبية، والترجمة الآلية الإحصائية (Statistical Machine Translation – SMT) التي تعتمد على النماذج الإحصائية لترجمة النص، وحلقات ملاحظات المستخدِم (User Feedback Loops) حيث يقترح المستخدِمون تصحيحات أو يقدمون ترجمات بديلة ما يتيح استثمار هذه الاقتراحات لتحسين خوارزميات الترجمة.[1]

من المسلَّم به أن جودة الترجمة تختلف باختلاف تعقيد النص واللغات المستخدمة، وأنّ المترجم البشري لا يزال شديد الأهمية لتكوين فهم دقيق وسياق ثقافي واضح في اللغتَين المترجَم منها والمترجَم إليها، فضلًا عن دوره الحيوي في الترجمة الفورية. أما ما نستهدفه في هذا البحث، فهو إبداء سلسلة ملاحظات عملية تراكمت خلال خبرة تَفُوق اثنتي عشرة سنة في الترجمة في مجالات كثيرة، عسكرية ومدنية، علمية وعامة، بمختلف الوسائل ولا سيما مواقع الإنترنت. فالمرجو من بحثنا هو بالدرجة الأولى تقديم استنتاجات ونصائح

1Sven Dupré, Introduction: Science and Practices of Translation, Chicago Journals, 2018, Internet, Accessed 19 November 2023, site: https://www.journals.uchicago.edu/doi/full/10.1086/698234

مفيدة لكل مَن يعمل في الترجمة ضمن اللغات الإنكليزية والعربية والعبرية، مع الميل أكثر إلى فائدة الأفراد والباحثين الذين ليس لهم باع طويل في الترجمة، وبالدرجة الثانية إلى إنشاء قاعدة قد ينطلق منها أصحاب الخبرات التقنية من برمجة وغيرها ليساهموا في تحسين برامج الترجمة عبر الإنترنت، ونأمل من ذلك كله أن نقدم مساهَمة متواضعة في نشر العلم وتعزيز قيم التلاقي الحضاري المتمثل بالتقارب اللغوي.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر قاعدة نحسبها من القواعد الذهبية للمترجم، وهي وجوب الالتفات دائمًا إلى الجانب النفسي – الاجتماعي في اللغة، الأمر الذي أشار إليه عالم اللغات مِيّيه (Meillet) في كتابيه (La méthode comparative en linguistique historique) و(Introduction à l'étude comparative des langues indo-européennes)، إذ أكّد أنّ فهْمَنا لأيّ لغة يستلزم فَهم المجتمع الناطق بها، وأن اهتمام اللغوي يجب ألّا يتركز على معرفة الأحكام التي يخضع لها الاستعمال اللغوي بل يجب أن يفضي إلى الطريقة التي يتعامل بها أبناء اللغة مع تلك الأحكام.[1]

أما أسباب اختيار اللغات التي يقع بحثنا في مضمارها، فأولها أن الإنكليزية أكثر اللغات انتشارًا في العالم حتى أصبحت قرينة للترجمة ولكل أشكال التواصل الشفوي العابر للحدود. أما العربية، فهي لغتنا الأم التي نعتز بها ونسعى إلى خدمتها والحفاظ على أصالتها وموقعها الثقافي والاجتماعي، لا سيما في العصر الحالي الذي أفقدها جزءًا كبيرًا من رونقها ومكانتها بفعل الهيمنة الثقافية الغربية وتراجُع اهتمام الأجيال العربية الشابة باللغة الأم وآدابها الجميلة الراقية، قديمها وحديثها، وتفضيلهم اللغات الأجنبية عليها. أخيرًا، اخترنا العبرية ثالثة الأثافي بوصفها لغة سامية وواحدة من الأخوات القريبة للعربية ضمن التصنيفَين التكويني القائم على السياق التاريخي للّغة، والنوعي القائم على قواعد الصرف والنحو والأصوات أي الصوامت والصوائت. الغاية من إضافة العبرية هي بالتالي إنشاء إطار ضيق للمقارنة بين اللغات السامية من منظور برامج الترجمة.

منهجية البحث

عمدنا إلى اختيار نصوص متنوعة بالعربية والإنكليزية والعبرية يربو عددها على الأربعين نصًّا، بحيث ترجمنا عشرة نصوص في كل ثنائية ترجمة (إنكليزي–عربي،

1 رمزي بعلبكي، فقه اللغة العربية المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص 21.

عربي–إنكليزي، عربي–عبري، عبري–عربي) وهي مختلفة المضامين ولا يقل حجم الواحد منها عن عشر صفحات، إضافة إلى نحو مئة جملة وتعبير ومفردة، نالت كلّ ثنائية نحو خمسًا وعشرين منها، وتنوّعت بين الأدبي والعلمي والثقافي والعامي وغير ذلك، لتتبُّع مواضع الخلل إلى أبعد حدّ ممكن. أما برامج الإنترنت التي استعملناها وعلى أساسها سوف نشخّص الأخطاء، فهي (Google Translate) و(IBM Watson) و(Microsoft Bing)، كونها من الأكثر استعمالًا على الشبكة ولأنها في الوقت نفسه تستند إلى أنواع مختلفة من الخوارزميات وإنْ كانت جميعها تلجأ إلى الذكاء الاصطناعي.

بعد تشخيص الأخطاء بالمقارنة الدقيقة بين اللغة الأصلية، أي المترجَم منها، واللغة المستهدَفة، أي المترجَم إليها، صُنِّفَت الأخطاء إلى أنواع أساسية ورُمِزَ إليها بحرفٍ من حروف الأبجدية كما يلي:

أ– أخطاء ناجمة عن الشكل والتحرير (مثل عدم الابتداء بسطر جديد في النص المترجَم خلافًا للنص الأصلي، إغفال الفراغ في بداية الفقرة...).

ب–إغفال حروف أو كلمات كليًّا.

ت–استعمال غير صحيح لعلامات الوقف أو إغفالها في اللغة المترجَم إليها.

ث–أخطاء متعلقة بقواعد اللغة المستهدَفة وتراكيبها، على أن نُفصّل هذا النوع أكثر حيث تدعو الحاجة.

ج– أخطاء تتعلق بإغفال سياق النص أو نوعه (علمي، أدبي...).

ح– عدم توحيد الأسلوب في النص المترجَم (Inconsistency).

خ–ترجمة إلى لغة غير تلك المستهدَفة.

د– ترجمة حرفية أو غير مفهومة.

عن طريق إحصاء هذه الأخطاء ومقارنتها بين برنامج ترجمة وآخَر في جداول، رمينا إلى إثبات الأفضل من بينها بصورة رياضية ملموسة. وإذا كان المتعارف عليه عمومًا أن (Google Translate) هو الأفضل، فسوف نُبيّن أنّ أنواعًا محدّدة من النصوص

تلائم برامج ترجمة معيَّنة أفضل من أخرى.

واستعملنا ثلاثة اختصارات أجنبية هي (GT) بدل (Google Translate)، و(IBMW) بدل (IBM Watson)، و(MSB) بدل (Microsoft Bing).

يبقى التذكير بأننا لم نُشِر إلى مرجع نَحَوي أو بلاغي إلا عند الضرورة كون السواد الأعظم من القواعد التي أوردناها متعارف عليه، كما أننا لم نختبر في هذا البحث مواقع ترجمة مدفوعة وهي غير قليلة، لأن الغالبية العظمى من المترجمين وعامة الناس لا تلجأ إليها.

ملاحظات أوّلية

بوسعنا أن نسوق ملاحظات شاملة تصحّ في اللغات الثلاثة مدار بحثنا كما في غيرها من اللغات، وهي ملاحظات تبلغ من الثبات حدًّا يجعلها من المسلّمات دون الحاجة إلى إحصاءات، فتكفي بضعة أمثلة للدلالة عليها.

عدم ترجمة النصوص الأدبية بواسطة البرامج الآلية

لا يَحْسُنُ بالمترجِم بتاتًا اللجوء إلى برامج الترجمة للنصوص الأدبية بصرف النظر عن اللغة. بكلام آخر، لا يترجِم عملَ الأديب إلا أديبٌ. وحتى المراس الطويل في الترجمة لا يوصِل النصَّ الأدبي المترجَم إلى ذرى الإبداع ما لم يقترن بمَلَكَة الكتابة والأسلوب الأدبي الشائق والذائقة الراقية لدى المترجِم.

نمثّل على ذلك بنصَّين مقتبسَين من روايتَي 1984 لجورج أرويل و«موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، مع الإشارة إلى أنّنا أدخلنا التصحيحات النحوية اللازمة على النص المترجَم آليًّا كون تركيزنا هنا ينصبّ على الفروقات الأدبية. وإنّ لنا عودة مفصلة إلى الأخطاء اللغوية لاحقًا.

النص الأول من رواية 1984 بالإنكليزية تليه الترجمة إلى العربية بواسطة (GT) ثم الترجمة المنشورة للحارث النبهان.

'We are the dead,' Winston said.

'We are the dead,' echoed Julia dutifully.

'You are the dead,' said an iron voice behind them.

They sprang apart. Winston's entrails seemed to have turned into ice. He could see the white all round the irises of Julia's eyes. Her face had turned a milky yellow. The smear of rouge that was still on each cheekbone stood out sharply, almost as though unconnected with the skin beneath.

'You are the dead,' repeated the iron voice.

'It was behind the picture,' breathed Julia.

'It was behind the picture,' said the voice. 'Remain exactly where you are. Make no movement until you are ordered.' It was starting, it was starting at last! They could do nothing except stand gazing into one another's eyes. To run for life, to get out of the house before it was too late—no such thought occurred to them. Unthinkable to disobey the iron voice from the wall. There was a snap as though a catch had been turned back, and a crash of breaking glass. The picture had fallen to the floor uncovering the telescreen behind it[1].

ترجمة GT

قال ونستون: «نحن الأموات*».

رددت جوليا بإخلاص: «نحن الأموات».

«أنتما ميتان»، قال صوت حديدي من خلفهما.

لقد انفصلا. يبدو أن أحشاء ونستون قد تحولت إلى جليد.** كان بإمكانه رؤية اللون الأبيض حول قزحية عيني جوليا. تحول وجهها إلى اللون الأصفر الحليبي. برزت مسحة الحمرة التي كانت لا تزال على كل عظام الوجنة بشكل حاد،*** كما لو كانت غير متصلة بالجلد الموجود تحتها.

«أنتما ميتان»، كرر الصوت الحديدي.

1 George Orwell, 1984, pp.278 - 279.

تنفست جوليا قائلة: «كان ذلك خلف الصورة».

قال الصوت: «لقد كان خلف الصورة». «إبقيا في مكانكما بالضبط. لا تتحركا حتى تؤمرا». لقد بدأ، لقد بدأ أخيرًا! لم يتمكنا من فعل أي شيء سوى الوقوف والتحديق بعضهم في عيون بعضه. الهروب مدى الحياة، والخروج من المنزل قبل فوات الأوان – لم يخطر ببالهما مثل هذه الفكرة. لا يمكن تصور عصيان الصوت الحديدي القادم من الحائط. كان هناك فرقعة كما لو أن المصيد قد تم إرجاعه إلى الوراء، وانهيار الزجاج المكسور. سقطت الصورة على الأرض لتكشف عن شاشة الرصد الموجودة خلفها.****

ترجمة الحارث النبهان[1]

قال ونستون: «نحن هم الموتى*».

كررت جوليا من بعده بإخلاص: «نحن هم الموتى».

قال صوت حديدي من خلفهما: «أنتما ميتان».

طفرا متباعدين. أحس ونستون بأحشائه تستحيل جليدًا.** ورأى البياض من حول حدقتي جوليا. صار وجهها أصفر حليبيًّا. وبرزت البقعتان الحمراوان على وجنتيها بروزًا حادًّا،*** كأنهما غير متصلتين بالجلد تحتهما.

كرر الصوت الحديدي: «أنتما ميتان».

قالت جوليا همسًا: «إنه آت من تحت الصورة».

قال الصوت: «إنه آت من تحت الصورة. ابقيا حيث أنتما تمامًا. لا تأتيا بأي حركة إلى أن تؤمرا».

لقد بدأ الأمر...لقد بدأت النهاية! لا يستطيعان شيئًا إلا أن يظلا واقفين يحدّق أحدهما في عيني الآخر. وأما أن يجريا فرارًا بحياتهما، أن يخرجا من المنزل قبل أن يفوت الأوان...فما خطرت في بالهما فكرة من هذا القبيل أبدًا! لا مجال للتفكير في عصيان ذلك الصوت الحديدي الآتي من الجدار. سُمِع صوت طلقة كما لو أن قفلًا قد انفتح.

1 جورج أرويل، 1984، ترجمة الحارث النبهان، دار التنوير، بيروت، 2014، ص ص 230 - 231.

ثم سُمع صوت تحطُّم زجاج على الأرض. كانت الصورة قد سقطت على الأرض كاشفة عن الشاشة التي خلفها.****

بالاستناد إلى مَواضع المقارنة بين النصَّين العربيَّين والتي أبرزناها بالنجوم، ومع تغاضينا عن ضعف التعبير في الترجمة الآلية الحرفية، إذ سنعود إلى ذلك بالتفصيل، نسوق الجدول التالي لتوضيح القصد:

الترجمة الأدبية الآلية	الترجمة الأدبية البشرية	المقارنة
نحن الأموات.	نحن هم الموتى.	استعمل المترجم البشري ضمير الفصل والشأن والعماد «هم» لتوكيد المعنى وإعطائه قوّة تعبيرية صوتية، كما استعمال الوزن «فعلى» (موتى) الذي يدل على الكثرة والإغراق[1]
يبدو أن أحشاء ونستون قد تحولت إلى جليد.	أحس ونستون بأحشائه تستحيل جليدًا.	استعمل المترجم البشري الفعل "استحال" الأكثر بلاغة من "تحوَّلَ" في هذا الموضع لأنه يتعدى بلا حرف جر ويتصل مباشرة بالمفعول به "جليدًا" مشيرًا إلى السرعة. كما استعمله المترجم في المضارع موحيًا بالحركة والآنية والمشهد المتجسد أمام القارئ.
برزت مسحة الحمرة التي كانت لا تزال على كل عظام الوجنة بشكل حاد،	وبرزت البقعتان الحمراوان على وجنتيها بروزًا حادًّا،	التفت المترجِم البشري إلى أهمية المفعول المطلق «بروزًا» في توكيد المعنى، وأسقط الألفاظ "that was still on" من ترجمته لأنها لا تفيد المعنى هنا.
مَواضع مختلفة من الفقرة الأخيرة: - «ابقيا في مكانكما بالضبط. لا تتحركا حتى تؤمرا» - لم يتمكنا من فعل أي شيء سوى الوقوف والتحديق في عيون بعضهم البعض.	مَواضع مختلفة من الفقرة الأخيرة: - «ابقيا حيث أنتما تمامًا. لا تأتيا بأي حركة إلى أن تؤمرا». - لا يستطيعان شيئًا إلا أن يظلا واقفين يحدّق أحدهما في عيني الآخر	- أدى ظرف المكان "حيث" دورًا في تصوير ثبات ونستون وجوليا في مكان واحد متسمّرَين. - يعطي التعبير "لا يستطيعان شيئًا" المعنى نفسه باقتضاب وحزم مقارنة بالترجمة الآلية. كما أن التعبير "واقفين يحدّق أحدهما..." يتضمن تنويعًا في الصيَغ بين اسم الفاعل والفعل مقارنة بالاستعمال الرتيب المؤلف من مصدرَين معطوفَين في الترجمة الآلية.

النص الأول من رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» بالعربية تليه ترجمة إلى الإنكليزية بواسطة (GT) ثم الترجمة المنشورة لـ Denys Johnson-Davies.

كنتُ أسمع نشيجها بالبكاء كأنه يصلني من بُعد، يختلط في خيالي بأصوات مبعثرة لا بد أنني سمعتها في أوقات متباعدة، ولكنها تداخلت في ذهني كأجراس كنيسة – صراخ

1 اميل يعقوب، معجم الأوزان الصرفية، دار عالم الكتب، بيروت، 1993، ص 185.

طفل في مكان ما في الحي، وصياح ديك، ونهيق حمار، وأصوات عرس تأتي من الضفة الأخرى للنهر. لكنني الآن أسمع صوتًا واحدًا فقط ، صوت بكائها الممض. ولم أفعل شيئًا. جلست حيث أنا بلا حراك و تركتها تبكي وحدها لليل حتى سكنت. وكان لابد أن أقول شيئًا، فقلت: «التعلق بالماضي لا ينفع أحدًا. عندك الولدان، وأنت مازلت شابة في مقتبل العمر. فكري في المستقبل، ومن يدري، لعلك تقبلين واحدًا من الخطاب العديدين الذين يطلبونك، أجابت فورًا، بحزم والأمر الذي أدهشني: «بعد مصطفي سعيد لا أدخل على رجل»، ولم أكن أنوي أن أقول لها ذلك، ولكنني قلت: «ود الريس يريد زواجك، وأبوك وأهلك لا يمانعون. كلفني أن أتوسط له عندك». وصمتت فترة طويلة حتى ظننت أنها لن تقول شيئًا، وفكرت أن أقوم وأذهب. وأخيرًا أحسست بصوتها في الظلام كأنه نصل: «إذا أجبروني على الزواج، فانني سأقتله – وأقتل نفسي».[1]

ترجمة GT

I could hear her sobbing as if it was reaching me from a distance,* mixing in my imagination with scattered sounds that I must have heard at separate times, but they intermingled in my mind like church bells** – the cry of a child somewhere in the neighborhood, the crow of a rooster, the braying of a donkey, and the sounds of a wedding coming from the other bank of the river. But now I hear only one sound, the sound of her painful crying. And I didn't do anything. I sat where I was, motionless, and left her crying alone for the night until she calmed down. I had to say something, so I said: "Attachment to the past is of no benefit to anyone.*** You have children, and you are still young in the prime of life. Think about the future, and who knows, perhaps you will accept one of the many suitors who ask you". She answered immediately, with a firmness that surprised me: "After Mustafa Saeed, I will not marry a man",**** and I did not intend to tell her that, but I said: "Wad Rayes wants to marry you, and your father and family do not mind. He asked me to intercede for him with you". She was silent for a long time until I thought she would not say anything, and I thought I would get up and go. Finally, I felt her voice in the darkness like a blade: "If they force me to marry, I will kill him – and kill myself".

---

1 الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة، الطبعة الرابعة عشرة، بيروت، 1987، ص 99.

Denys Johnson-Davies[1] ترجمة

I listened to her sobbing as though it came to me from afar,* mingled in my mind with scattered noises which I had no doubt heard at odd times but which all intertwined together in my brain like a carillon of church bells**: the scream of a child somewhere in the neighborhood, the crowing of cocks, the braying of a donkey and the sounds of a wedding coming from the far side of the river. But now I heard only one sound, that of her anguished weeping. I did nothing. I sat on where I was without moving and left her to weep alone to the night till she stopped. I had to say something, so I said, "Clinging to the past does no one any good.*** You have two children and are still a young woman in the prime of life. Think about the future. Who knows, perhaps you will accept one of the numerous suitors who want to marry you" "After Mustafa Sa'eed", she answered immediately with a decisiveness that astonished me, "I shall go to no man".**** Though I had not intended to, I said to her, "Wad Rayyes wants to marry you. Your father and family don't object. He asked me to talk to you on his behalf". She was silent for so long that, presuming she was not going to say anything, I was on the point of getting up to leave. At last, though, I became aware of her voice in the darkness like the blade of a knife. "If they force me to marry, I'll kill him and kill myself".

في ما يلي جدول المقارنة:

1 Tayeb Saleh, Season of Migration to the North, Translated by Denys Johnson-Davies, 1966, p.68.

المقارنة	الترجمة الأدبية البشرية	الترجمة الأدبية الآليّة
The automated translation lacks the richness of imagery and emotional depth found in the human translation. The wording “as though it came to me from afar” has a poetic and rhythmic flow. The use of the word “though” adds a touch of mystery and ambiguity. The phrase “came to me from afar” conjures vivid imagery, suggesting not just physical space but also a sense of emotional separation.	I listened to her sobbing as though it came to me from afar,	I could hear her sobbing as if it was reaching me from a distance,
The use of “intertwined” suggests a more complex and intricate weaving of thoughts when compared to “intermingled”, while “carillon of church bells” evokes a specific and enchanting auditory imagery. Both “intertwined” and “carillon” show a higher level of linguistic artistry.	which all intertwined together in my brain like a carillon of church bells	they intermingled in my mind like church bells
The use of fewer words in the human translation conveys a more powerful and impactful message. The repetition of “ing” in “Clinging” artistically reflects the mental act of going over past feelings and incidents, all accompanied with a sense of desperation.	Clinging to the past does no one any good.	Attachment to the past is of no benefit to anyone.
This introductory clause “After Mustafa Sa’eed” in the human translation creates anticipation and intrigue. The automated translation, while indicating surprise, does not capture the same level of astonishment. The phrase “I shall go to no man” is more encompassing because it includes every sort of contact with a man, not just marriage.	“After Mustafa Sa’eed”, she answered immediately with a decisiveness that astonished me, “I shall go to no man”.	She answered immediately, with a firmness that surprised me: “After Mustafa Saeed, I will not marry a man”.

عدم ترجمة المصطلحات التخصصية بواسطة البرامج الآلية

ينبغي تَجنُّب استعمال برامج الترجمة المتعارف عليها لدى ترجمة مصطلحات تخصصية مهما كان نواعها، سواءٌ أكانت منفردة أم ضمن نص. والأجدر بالمترجِم العودة إلى المراجع المناسبة في هذه الحالة. نمثل على قصدنا بالجدولين التاليين اللذَين

استعملنا فيهما (GT):

مصطلحات عسكرية مترجمة من العربية إلى الإنكليزية :

المصطلح العربي الأصلي	الترجمة الآلية	الترجمة وفق المرجع[1]
خرطوشة كيماوية (في قناع الغاز)	Chemical cartridge	War canister
رشقة تجربة	Burst of experience	Trial Salvo
ساعِدُ التصويب	Aiming stick	Sighting bar
طائرة ذات عوامات	Float plane	Pontoon plane
هجوم بالإحاطة/هجوم جناحيّ	Surrounding attack/ Wing attack	Flanking attack

مصطلحات قانونية مترجمة من الإنكليزية إلى العربية :

المصطلح الإنكليزي الأصلي	الترجمة الآلية	الترجمة وفق المرجع[2]
Accommodation acceptance	قبول السكن	قبول بالمجاملة
Blanket tax holiday	عطلة ضريبية شاملة	إعفاء ضريبي عام
Controlling shareholder	السيطرة على المساهمين	مساهِم حائز على الأكثرية
First mortgage	الرهن العقاري الأول	رهن ممتاز
Holograph will	وصية ثلاثية الأبعاد	وصية بخط الموصي

تصحيح موضع التنوين في اللغة العربية

إنّ موضع التنوين هو في الأساس من الأخطاء الشائعة بين كتّاب اللغة العربية في مختلف المجالات، حتى إن بعض معلمي اللغة لا يلتفت إلى هذا الخطأ. فالشائع أن يُكتَب التنوين على الألف هكذا: «كتاباً» والصحيح أن يكتَب فوق الحرف الأخير هكذا: «كتابًا»، فالألف التي تسمى في هذه الحالة ألف الإطلاق لا تُحرَّك، ووظيفتها إطلاق حركة فتح الحرف الأخير من الكلمة، فالمنصوب المنوَّن غير المؤنث يبدل في الوقف ألفا للتمييز بينه وبين المرفوع والمجرور المنوَّنَين عند الوقف إذ ليس فيهما إطلاق ويُكتَفى بتسكين الحرف.

بالعودة إلى برامج الترجمة إجمالًا، فأغلَبها يكتب تنوين الفتح على ألف الإطلاق، ويجدر بالمترجِم أن يصحّحها ويعيد كتابتها في موضعها الصحيح.

1 لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية، المعجم العسكري الموحد، دار المعارف، القاهرة، 1972.
2 منى جريج، معجم المصطلحات القانونيّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2013.

الجداول الإحصائية لأخطاء برامج الترجمة (بُنِيَت إحصاءات كل جدول على ترجمة عشرة نصوص ونحو عشر جمل وعبارات منفصلة ومتنوعة)

الجدول رقم 1: الترجمة من الإنكليزية إلى العربية

برنامج الترجمة	نوع الخطأ	عدد مرات ورود الخطأ
GT	أ	10
	ب	1
	ج	11
	د	41
	هـ	19
	و	2
	ز	–
	ح	8
IBMW	أ	25
	ب	1
	ج	3
	د	61
	هـ	2
	و	3
	ز	1
	ح	66
MSB	أ	22
	ب	4
	ج	11
	د	68
	هـ	3
	و	5
	ز	–
	ح	–

الجدول رقم 2: الترجمة من العربية إلى الإنكليزية

برنامج الترجمة	نوع الخطأ	عدد مرات ورود الخطأ
GT	أ	3
	ب	1
	ج	39
	د	71
	هـ	38
	و	8
	ز	–
	ح	3
IBMW	أ	22
	ب	3
	ج	5
	د	12
	هـ	77
	و	2
	ز	1
	ح	–
MSB	أ	4
	ب	1
	ج	3
	د	52
	هـ	59
	و	20
	ز	2
	ح	–

الجدول رقم 3: الترجمة من العربية إلى العبرية

برنامج الترجمة	نوع الخطأ	عدد مرات ورود الخطأ
GT	أ	3
	ب	6
	ج	1
	د	18
	هـ	–
	و	4
	ز	2
	ح	20
IBMW	أ	4
	ب	70
	ج	3
	د	82
	هـ	8
	و	21
	ز	2
	ح	63
MSB	أ	2
	ب	6
	ج	7
	د	19
	هـ	–
	و	–
	ز	10
	ح	2

الجدول رقم 4: الترجمة من العبرية إلى العربية

برنامج الترجمة	نوع الخطأ	عدد مرات ورود الخطأ
GT	أ	4
	ب	4
	ج	34
	د	78
	هـ	7
	و	9
	ز	–
	ح	–
IBMW	أ	2
	ب	8
	ج	13
	د	101
	هـ	12
	و	7
	ز	3
	ح	–
MSB	أ	–
	ب	7
	ج	3
	د	89
	هـ	17
	و	15
	ز	8
	ح	32

تحليل الجداول الإحصائية

الجدول رقم 1: الترجمة من الإنكليزية إلى العربية

تَبرز لدى استعمال (GT) مشكلةٌ أساسيّةٌ في قواعد اللغة العربية المستهدَفة، إذ إنّ النسبة الأكبر من الأخطاء تنتمي إلى هذه الفئة. مع ذلك، ليست تلك الأخطاء على كثرتها النسبية نافرة، إنما تنبع إجمالًا من صعوبة تتبُّع الاسم الذي يعود عليه الضمير. كما أنّ عددًا لا بأس به من الأخطاء ناجم عن إغفال سياق النص. وفي هذا البرنامج بالتحديد، لاحظنا مشكلة السياق حين تتعدَّد أسماء العلم، من ثم تأتي ضمائر لتحل مكانها لاحقًا، فيصعب على البرنامج الفصل بين الضمائر رغم اختلاف الجنس بين الأسماء.

نمثّل على ما ذكرناه بالجملة "Why does it move?" التي ترجمها (GT) إلى «لماذا لا يتحرك؟» في سياق نص ثقافي علمي، والمقصود بالضمير (it) هو التفاحة، لذا فالصحيح ترجمتُها إلى «لماذا لا تتحرك؟»، وهذا النوع من الأخطاء يتكاثر كلما طال النص. من ناحية أخرى، تضمَّن أحد النصوص المترجمة اسمَي علم أحدهما مذكر والآخر مؤنث. وبعد ورودهما في بداية النص، بات الكاتب يذكرهما بضمائر الغائب، مذكّرِها ومؤنّثِها. وفي حين أن هذا الأمر لا يحتمل اللَّبس في العربية، فإن البرنامج ترجم الكثير من ضمائر المؤنث بشكل خاطئ كما يلي:

«أريدها أن تنضمّ إلى مسرحيتنا»:

I want **them** to join our play.

«لقد أوصلَتْني إلى حد لم أكن أتخيله من الإبداع»:

It took me to a level of creativity which I never imagined.

كما تتكرّر أخطاءٌ كثيرةٌ في هذا المضمار لأن الإنكليزية لا تُميّز بين العاقل وغير العاقل في حالة الجمع، فيحلّ الضمير (their) مكان هذين النوعين من الجموع فضلًا عن استعماله للغائب غير المحدَّد. في المقابل، تضطرب الترجمة التي نحصل عليها بين العاقل وغير العاقل، فترِد مثلًا ترجمة "their involvement" إلى «تَوَرُّطُها» و«تَوَرُّطِهِم»، وترجمة "**Their** feathers are extremely dense" إلى «ريشهم كثيف للغاية» فيما الحديث عن الطيور كما هو بديهي، والصحيح «ريشها كثيف

للغاية»، وترجمة ”Someone left their bag at the door“ إلى «ترك أحدهم حقيبتهم عند الباب» وأحيانًا أخرى، عندما يختلف سياق النص، «ترك أحدهم حقيبتها عند الباب»، والصحيح كما هو واضح «(لقد) ترك أحد ما حقيبته عند الباب».

في الوقت عينه، تزداد أخطاء الشكل والتحرير، وأكثرها يقع بعدم العودة إلى سطر جديد رغم وقوع ذلك في النص الإنكليزي الأصلي، وأخطاء علامات الوقف، وأكثرها عبارة عن نقطة زائدة في وسط الجملة غير موجودة في النص الإنكليزي الأصلي، كلما طال النص المترجَم. وبالإجمال، نقول أن الترجمة من الأنكليزية إلى العربية باستخدام (GT) ناجحة شرط ألا تَكْثُر أسماء العلم أو ضمائر الغائب أو كلاهما.

يعاني برنامجا (IBMW) و(MSB) من قصور واضح في قواعد اللغة العربية، وهذا جليٌّ في عدد الأخطاء الكبير من الفئة «د». وإن جزءًا لا بأس به من تلك الأخطاء لا يُفترَض أن يقع لأنه لا ينطوي على أي قدرٍ من التعقيد، ومِن ذلك ترجمة ”The apple was“ إلى «كان التفاحة» في (IBMW)، وترجمة ”force myself“ إلى «إجبار نفسها» في (MSB).

المشكلة الأساسية الثانية التي يعاني منها (IBMW) هي من الفئة «ح» أي الترجمة الحرفية وبخاصة في الأمثال والتعابير المجازية الشائعة بين متكلمي الإنكليزية، ومِن ذلك ترجمة ”Then it hit me“ إلى «ثم ضربتْني» بدلًا من «ثم أدركتُ الأمر» أو ما في معناه. من جهة أخرى، يعاني البرنامج نفسه كما (MSB)، وإنْ بدرجة أقل، من أخطاء غير قليلة في الشكل والتحرير. ويقع أكثر تلك الأخطاء عند ورود الفاصلة، إذ يضع البرنامح فراغًا قبلها أحيانًا كثيرة خلافًا لطريقة الطباعة المعتمَدة، وعندها يصبح طبيعيًّا أن تأتي تلك الفاصلة منفردة في أول السطر عن نقل النص من البرنامج المترجِم إلى برنامج التحرير مثل (MS Word).

الجدول رقم 2: الترجمة من العربية إلى الإنكليزية

تُبيّن الترجمة من الإنكليزية إلى العربية مشكلة لدى (GT) في ما خص التوفيق بين قواعد الإنكليزية كلغة أصلية والعربية كلغة مستهدَفة وهذا النوع من الأخطاء على وجه الخصوص هو أوضَحُ أوجُه القصور لدى البرنامج، لأن عدد مرات ورود أخطائه يفوق

ما سواه، وسيتأكد ذلك مجددًا لدى اطّلاعنا على إحصاءات الترجمة من العبرية إلى العربية.

نعود هنا إلى موضوع ترجمة الضمائر التي تحتل مركز الصدارة في أخطاء (GT) من الفئة «د»، ولا سيما ضمائر المخاطب المؤنث في العربية، وضمائر الجمع وما يعود إليها بالإنكليزية (his, her, hers, they, their, theirs). وقد أشرنا سابقًا إلى تعدُّد اسعمال (their) للعاقل وغير العاقل ولغير المحدَّد. نمثّل على هذه الملاحظات بما يلي:

إذا كنتنّ تضمنّ وفاء كريم، فلا مانع عندي من توظيفه إكرامًا لكنّ.

If you guarantee Karim’s loyalty, I have no objection to hiring him as an honor.

بينما الترجمة الصحيحة هي:

If you guarantee Karim’s loyalty, I have no objection to hiring him as a courtesy to you.

ولا يبدو أن البرنامج، شأنه في ذلك شأن نظيرَيه موضوع البحث، يلتفت نهائيًّا إلى الشدة التي تُميّز نون النسوة فضلًا عن التنبُّه للحركات الأخرى التي تُمَيَّز بها كلمة عن الأخرى في العربية، فترِد ترجمة «لكِنْ» و«لكِنَّ» و«لَكُنَّ» إلى "But" أو "However" أو ما شابه.

تتراجع مشكلة الضمائر هذه إلى حد ما لدى استعمال (IBMW) و(MSB)، غير أنّهما يعانيان في المقابل من خلل في تتبُّع سياق النص أي ما يندرج في الفئة «هـ»، فضلًا عن اقتران الكثير من تلك الأخطاء بأخرى ناجمة عن الترجمة الحرفية أي الفئة «ح». على سبيل المثال:

جملة: «مشيرين إلى وقوع القهر والاستلاب» يترجمها (IBMW) إلى

M–Chirine to the falling of the compulsive and astrolable.

فيما الترجمة الصحيحة:

Pointing out to compulsiveness and seizing.

وجملة «تَوَجَّهنا إلى منطقة الريف» يترجمها (MSB) إلى:

We headed out to the Rif region.

فيما الترجمة الصحيحة:

We headed out to the rural region.

تشترك البرامج الثلاثة في خلل لاحظناه على وجه التحديد في ناحيتين هما الكلمات المترادفة والمفعول المطلق. على سبيل المثال، «التلاعُب والخديعة» تُتَرجم إلى "manipulation and manipulation"، و«دمّره تدميرًا» تُتَرجم إلى "He destroyed him destruction". وبالإجمال، ترِد أخطاء من الفئات» «هـ»، «و»، «ح» نتيجة إغفال الحركات كليًّا، فتُتَرجم «مَلَكة» إلى "queen" والصحيح "aptitude".

والمشكلة الأكثر شمولًا التي ينبغي الالتفات إليها تَظهر في ترجمة الجُمل الطويلة في العربية. فَلُغَتُنا تحتمل إطالة الجمل وربطها بالفواصل وأحرف العطف أكثر من الكثير من لغات أخرى مثل الإنكليزية. على سبيل المثال:

نفذت وحدة من الجيش عملية دهم منازل مطلوبين في المنطقة الشمالية، وأثناء ذلك تعرّض عناصر الوحدة لإطلاق نار من جانب المطلوب، فردّوا بالمثل، ما أدّى إلى إصابة المطلوب، ونُقل إلى أحد مستشفيات المنطقة للمعالجة، وبوشر التحقيق فورًا من قبل المسؤولين الأمنيين المعنيين.

تُتَرجم في (GT) إلى:

An army unit carried out a raid on the homes of wanted persons in the northern region. During this time, the unit's members were exposed to gunfire from the wanted man, and they responded in kind, wounding the wanted man. He was transferred to one of the area's hospitals for treatment, and an investigation was immediately initiated by the relevant security officials.

وفي (IBMW):

An army unit carried out an operation to raid wanted houses in the northern area, while elements of the unit came under fire from the required side, they responded similarly, injuring the target, transferring to one of the area's hospitals for treatment, and immediately investigating the investigation by the security officials concerned.

وفي (MSB):

An army unit carried out an operation to raid the homes of wanted persons in the northern region, during which the unit members were shot by the wanted man, and they responded in kind, which led to the injury of the wanted man, and he was transferred to a hospital in the area for treatment, and the investigation began immediately by the concerned security officials.

يُحسِن (GT) فصل الجملة العربية الطويلة إلى ثلاث جُملٍ إنكليزية قصيرة عند الترجمة، ما يسهّل الفهم ويتناسب أكثر مع طبيعة الإنكليزية. غير أنّ (IBMW) و(MSB) يُبقِيان الجملة على طولها، فتصبح غير مطابقة للكتابة السليمة في الإنكليزية.

الجدول رقم 3: الترجمة من العربية إلى العبرية

يبدو من الإحصاءات التي توصّلنا إليها أنّ (GT) يستفيد من التقارب بين اللغتين الساميتين العربية والعبرية، لذا نلاحظ أن عدد الأخطاء قليل نسبيًّا، ويتركز في الفئة «د». في المقابل، تكثر أخطاء الفئتين «د» و»ح» في البرنامجَين (IBMW) و(MSB) بشكل يجعل من الصعب الاعتماد عليهما في هذا الضرب من الترجمة. ولغاية تبيان هذا الأمر، نأخذ مثالًا النص التالي المقتبس من موقع «الطبي»[1]:

1 موقع الطبي، نصائح تربوية لكيفية التعامل مع الأطفال، الإنترنت، الدخول: 20 تشرين الأول 2023، متوفر من الموقع: https//:bitly.ws39/RuU

يعتمد الكثير من الأمهات والآباء على الموروثات الثقافية في التعامل مع الطفل. وهذه الأساليب ثبت أن معظمها غير صحيح، ويخلق نوعًا من الخلل داخل شخصية الطفل، وينمو معه هذا الخلل فيجعل الطفل يعاني مشاكل نفسية في المستقبل، ويحدث الكثير من المشاكل المجتمعية نتيجة هذه الطرق غير الصحيحة في التربية.

ويقدم الأطباء والخبراء بعض النصائح التربوية المفيدة والجيدة في مجال التعامل مع الأطفال، ومنها عندما تنزعج الأم أو الأب من الضوضاء الشديدة التي يصدرها الطفل أو الأطفال الصغار المتواجدون في المنزل أثناء اللهو، فليس من الحكمة أن تنفعل الأم أو الأب بالصراخ في الأطفال وتنهرهم وتطالبهم بالصمت والتزام الهدوء.

ترجمة (GT):

אמהות ואבות רבים מסתמכים על מורשת תרבותית בהתמודדות עם ילדים. רוב השיטות הללו הוכחו כלא נכונות, ויוצרות איזשהו פגם באישיותו של הילד, ופגם זה גדל* עמו, וגורם לילד לסבול מבעיות פסיכולוגיות בעתיד, ובעיות חברתיות רבות מתרחשות כתוצאה מכך. שיטות חינוך לא נכונות.**

רופאים ומומחים נותנים כמה עצות חינוכיות מועילות וטובות בתחום ההתמודדות עם ילדים, לרבות כשהאם או האב מוטרדים מהרעש החזק שמשמיעים*** הילד או הילדים הקטנים שנמצאים בבית תוך כדי כיף, זה לא חכם שהאם או האב יתרגשו בצעקות על הילדים, תוכחות ודרישה שישתקו וידבקו, תירגעו.****

الترجمة ملائمة بصورة عامة، غير أنّ فيها 4 أخطاء نفصّلها في الجدول التالي:

الخطأ	الفئة	التعليل والتصحيح
גדל	د	الفعل الأصلي بالعربية هو «ينمو» أي في زمن المضارع بينما الفعل "גדל" معناه «نما» والأصح "גודל".
שיטות חינוך לא נכונות	ج	فَصَل البرنامج بين هذه الجملة والجملة السابقة بواسطة إدخال نقطة حيث لا وجود لها في النص الأصلي، إذ إن هذه العبار متّصلة بالتي قبلها اتصالًا وثيقًا.
שמשמיעים	د	هذا الفعل معناه «التي يصدرونها» والصحيح "שמשמיע" تبعًا للنص الأصلي التي يصدِرها.
תוכחות ודרישה שישתקו וידבקו, תירגעו	هـ	لا تتناسب هذه الترجمة مع سياق النص، فمعناها الحرفي «صراخ وطَلَبُ السكوت والهدوء من الأطفال، اهدؤوا»، والصحيح «בצעקות על הילדים, נזיפה בהם ודרישה מהם לשתוק ולהישאר רגועים".

ترجمة (IBMW):

אמהות ואבות רבים מסתמכים על מורשת תרבותית בהתמודדות עם הילד. שיטות אלה מוכיחות שרובם שגויים, יוצרים סוג של חוסר איזון בתוך אישיותו של הילד, ולגדול עם זה,* כך שהילד סובל מבעיות פסיכולוגיות בעתיד, והמון בעיות חברתיות מתרחשות כתוצאה מהדרכים השגויות הללו של הוראה. זה לא חכם אם אמא או אבא לצעוק על ילדים, נהר אותם,** ודורש שקט ושלווה.

يَظْهر للقارئ بوضوح أن النص أقصر من المطلوب. بالفعل، إن الكلمات من «ويقدم الأطباء» حتى أثناء اللهو» أُسقِطَت كليًّا من الترجمة، ويتأكد ذلك في جدول الإحصاءات حيث الفئة «ب» ترِد 70 مرة. يُضاف إلى ذلك القصور في قواعد العبرية، فالترجمة «ולגדול עם זה» معناها «النمو مع هذا الأمر» والصحيح كما ذكرنا آنفًا "וגודל עם זה"، والترجمة «נהר אותם» لا تصح بالعبرية أصلًا إذ إن الفعل «נהר» لازمٌ ومعناه تَدَفَّقَ ويصبح المعنى «تدفَّقَ إياهم» والواضح أن هذا الخطأ ينتمي إلى الفئتين «د» و«ح» معًا. وليس من الصعب الاستنتاج أن البرنامج أخذ كلمة «تنهرهم» من النص الأصلي وحوّلها مباشرة إلى العبرية ناقلًا الجذر «نهر» حرفيًّا إلى «נהר».

ترجمة (MSB):

אמהות ואבות רבים מסתמכים על מורשת תרבותית בהתמודדות עם הילד. שיטות אלו הוכחו כשגויות ברובן, ויוצרות מעין פגם באישיותו של הילד, ופגם זה גדל* יחד איתו וגורם לילד לסבול מבעיות פסיכולוגיות בעתיד, ובעיות חברתיות רבות מתרחשות כתוצאה משיטות חינוך שגויות אלו.

רופאים ומומחים מספקים כמה עצות חינוכיות מועילות וטובות בתחום ההתמודדות עם ילדים, כולל כאשר האם או האב מוטרדים מהרעש העז שמשמיע הילד או הילדים הקטנים בבית בזמן המשחק, אין זה חכם שהאם או האב יגיבו בצעקות על ילדים, יגערו בהם ויבקשו מהם להיות שקטים ורגועים.

النص سليم بمجمله باستثناء الخطأ نفسه من الفئة «د» الوارد في ترجمة (GT)، بترجمة «ينمو» إلى «גדל» التي تعني «نما». عدا عن ذلك، لا يتضمن النص أخطاء

في ما خص القواعد.

الجدول رقم 4: الترجمة من العبرية إلى العربية

تكثر أخطاء البرامج الثلاثة في هذا الضرب من الترجمة، ويعاني (GT) من أخطاء الفئة «د» كما في الترجمة من الإنكليزية إلى العربية، فيما يزداد هذا النوع من الأخطاء أكثر في البرنامجَين (IBMW) و(MSB). أما سائر الأخطاء، فهي أقل ورودًا بشكل ملحوظ. ونأخذ النص التالي كمثال مقتبَس من موقع[1] (Google Arts & Culture)

נפוליאון בונפרטה היה שליט צרפת, מייסד הקיסרות הראשונה, ומגדולי המצביאים בהיסטוריה. מחשובי האישים שעיצבו את המאה ה–19. ייסד את קוד נפוליאון – קובץ החוקים של צרפת, שבהשפעתו עוצבו חוקים רבים במערב אירופה ובמרכזה, והשפעתו ניכרת עד היום. הפיץ דרך כיבושיו את רעיונות המהפכה הצרפתית בכל רחבי אירופה, ובמקביל התאמץ לדכא ולהשכיח את השפעתה בצרפת פנימה. חידש והגה רעיונות טקטיים ואסטרטגיים מרחיקי לכת בצבא שמקובלים עד עצם היום הזה. נפוליאון כיהן כשליט צרפת במהלך השנים 1799 עד 1814, ובמשך כ–100 ימים בשנת 1815. בשיאו, הוביל את צרפת לכיבוש רוב מערב אירופה ומרכזה.

ترجمة (GT):

كان نابليون بونابرت حاكم فرنسا، ومؤسس الإمبراطورية الأولى، وأحد أعظم الجنرالات في التاريخ. أجهزة الكمبيوتر الشخصية* التي شكلت القرن التاسع عشر أسس** قانون نابليون – مدونة قوانين فرنسا، والتي تم تحت تأثيرها تصميم العديد من القوانين في أوروبا الغربية والوسطى، ولا يزال تأثيرها واضحًا حتى اليوم. ومن خلال فتوحاته، نشر أفكار الثورة الفرنسية في جميع أنحاء أوروبا، وسعى في الوقت نفسه إلى قمع ونسيان*** تأثيرها في فرنسا داخليًا. لقد ابتكر وخرج بأفكار تكتيكية واستراتيجية بعيدة المدى في الجيش مقبولة حتى يومنا هذا.

---

1 Google Arts & Culture, Napoleon Bonaparte (Hebrew), Internet, Accessed 22 November 2023, site: https://artsandculture.google.com/entity/m0j5b8?hl=iw

خدم نابليون كحاكم لفرنسا خلال الأعوام من 1799 إلى 1814، ولمدة 100 يوم تقريبًا في عام 1815. وفي ذروته، قاد فرنسا لغزو معظم أوروبا الغربية والوسطى. (انتهت الترجمة)

يَبرز الخطأ الأول المنتمي إلى الفئة «ح» خارج السياق كليًّا، ومَنشَؤُهُ أنّ «حواسيب» تُتَرجَم إلى «מחשבים» التي تُحذَف منها الميم الأخيرة في حالة الإضافة فتغدو «מחשבי». أما في النص العبري الأصلي الذي بين أيدينا، فكلمة «מחשובי» أصلها «חשוב» أي مهم، وجمعها «חשובים» وفي الإضافة «חשובי» والميم في البداية حرف جر متصل وهي من الزوائد، وبالتالي فالترجمة الصحيحة هي «من أهم» على أن يتبعها مضاف إليه.

الخطأ الثاني ينتمي إلى الفئتين «ج» و«هـ» معًا، بعدما تغاضي البرنامج عن علامة الوقف النقطة الواردة بعد الرقم 19 في النص الأصلي، من ثم ربط الجملتين بالاسم الموصول «التي». والصحيح هنا: «مِن أهم الشخصيات التي شكلت القرن الـ19. أسَّسَ قانون نابوليون...»

الخطأ الثالث ينتمي إلى الفئة «د» بعدما ترجمَ البرنامج «ולהשכיח» إلى «ونسيان». والواقع أن وزن المصدر العبري المذكور في النص الأصلي هو «להפעיל» الذي يقابله في العربية «الإفعال» وماضيه «أفعَلَ»، وهو فعل متعدٍّ ويصبح هنا بمعنى «حَمْلَ الآخَرَ على النسيان» أي «أنساهُ» في الماضي، وكان من الأصح ترجمته هكذا: «قمع تأثيرها وإزالته في فرنسا داخليًّا».

ترجمة (IBMW):

وكان نابليون بونابرت حاكما لفرنسا ، وهو مؤسس الإمبراطورية الأولى ، وأعظم زعماء الحرب في التاريخ. حسابات الأمومة* التي شكلت القرن التاسع عشر أسس** القانون النابليوني لفرنسا ، الذي شكل نفوذه في العديد من القوانين في أوروبا الغربية وفي الوسط، وكان نفوذه كبيرا حتى اليوم. توزع*** من خلال فتوحاته على أفكار الثورة الفرنسية في جميع أنحاء أوروبا ، وفي الوقت نفسه ، والجهد لقمع والتأثير على نفوذها في فرنسا. == == التاريخ والأفكار الاستراتيجية == == =**** إعادة النظر

والأفكار الاستراتيجية ===***** الأفكار والاستراتيجيات السياسية والاستراتيجية التي تبعد كثيرا عن هذا اليوم ، عمل نابليون حاكما لفرنسا على مدى السنوات من 1799 إلى 1814 ، ولمدة 100 يوم في 1815. ففي مقاليه الأول ، قادت فرنسا احتلال أغلب دول أوروبا الغربية واحتلالها. (انتهت الترجمة)

الأخطاء كما هو واضح تجعل البرنامج غير قابل للاستعمال عند الترجمة من العبرية إلى العربية، فالخطأ المنوّه عنه سابقًا والمتعلق بوضع فراغ قبل الفاصلة يصبح هنا قليل الأثر بعدما تخطّى البرنامج عبارات بأكملها، فضلًا عن ترجمة «מחשובי האישים" إلى «حسابات الأمومة» ولم نقف على منشأ هذا الخطأ، كما أنه حذف علامة الوقف النقطة الواردة بعد الرقم 19 في النص الأصلي ووصل الجملتين تمامًا كما فعل (GT).

ترجمة (MSB):

كان نابليون بونابرت حاكم فرنسا ، مؤسس الإمبراطورية الأولى ، وأحد أعظم الجنرالات في التاريخ. واحدة من أهم الشخصيات التي شكلت القرن 19. أسس قانون نابليون ، قانون قوانين فرنسا ، الذي تم تشكيل العديد من القوانين تحت تأثيره في أوروبا الغربية والوسطى ، والذي لا يزال تأثيره واضحا حتى اليوم. من خلال فتوحاته ، نشر أفكار الثورة الفرنسية في جميع أنحاء أوروبا، بينما سعى في الوقت نفسه إلى قمع ونسيان نفوذها في فرنسا.* لقد ابتكر وتصور أفكارا تكتيكية واستراتيجية بعيدة المدى في الجيش مقبولة حتى يومنا هذا.

شغل نابليون منصب حاكم فرنسا من عام 1799 إلى عام 1814 ، ولمدة 100 يوم في عام 1815. في ذروته ، قاد فرنسا لغزو معظم أوروبا الغربية والوسطى. (انتهت الترجمة)

هذه الترجمة هي تقريبًا في نفس مستوى (GT)، مع وقوع الخطأ نفسه المشار إليه بالنجمة. مع ذلك، يعود (MSB) ويضيف فراغًا قبل الفاصلة، الأمر الذي لا يقع في (GT).

الاستنتاجات والاقتراحات النهائية

نستنتج من الإحصاءات والتحليلات التي عقّبنا بها أن (GT) هو الأفضل إجمالًا لناحية عدد ورود الأخطاء من مختلف الفئات وصياغة النص في اللغة المستهدَفة. على

وجه التحديد، نزعم بعد ما عرضناه أن هذا البرنامج هو الأفضل بالتأكيد في الترجمة من العربية إلى الإنكليزية وكذلك من العبرية إلى العربية، وننصح باستعماله في هذين النوعَين من الترجمة على وجه الخصوص. أمّا في الترجمة من العربية إلى العبرية، فننصح باستعمال (MSB) لأن نتائجه جاءت أسلم من البرنامجَين الآخرَين.

مع ذلك، نرى من واجبنا أن ننبه القارئ إلى ضعف إجمالي في سبك الجملة العبرية لدى برامج الترجمة الثلاثة، بل لدى جميع برامج الترجمة الآلية التي يبدو أنها لم تبلغ المستوى المطلوب في ما خص هذه اللغة.

من ناحية أخرى، وعند الترجمة من الإنكليزية إلى العربية، لا يوجد قول فصل يحدد البرنامج الأفضل، لذا ننصح بالاعتماد على (GT) والتدقيق اللغوي في النص الناتج لدينا. تَبيَّن معنا أيضًا أن (IBMW) غير مفيد في الترجمة من العبرية إلى العربية، وأن (GT) و(MSB) يعطيان نتيجتَين في المستوى نفسه تقريبًا.

وفي ختام هذا البحث، نضع بين يدي القارئ العزيز الملاحظات التالية:

- ضرورة تَمَكُّن أيّ مترجم يتعامل باللغة العربية في عمله من قواعد هذه اللغة وأساليبها من الأدبي إلى العلمي إلى السياسي وغيرها، ويَحْسُنُ به أيضًا أن يكتسب قدرًا من المهارة والسرعة في الطباعة العربية على لوحة مفاتيح الحاسوب. فقد لاحظنا أنّ نسبة لا بأس بها من المترجِمين تعتمد على برامج لنقل الكلام العربي المكتوب كتابة صوتية بحروف أجنبية، وتحويله إلى العربية، وهذا قصور سوف يرفع بلا ريب احتمال ورود أخطاء. ونصيحتنا الأكيدة، علاوة على ذلك، أن يتمرس المترجِم على الكتابة ولو بينه وبين نفسه، أي في حدود تدوين المذكرات الشخصية، ويكتسب ما استطاع من الثقافة، لأن ذلك كله يدخِله إلى عالَم الترجمة الواسع الذي يفوق بأشواط ترجمة المستندات الرسمية العائدة للدوائر والسفارات وسائر المعاملات.
- ننصح المترجِمين كذلك بأن يحيطوا قدر الإمكان بالأخطاء الشائعة في العربية، وما أكثر ورودها في كل مكان ومناسَبة مترافقة مع العربية الفصحى. يستتبع ذلك أيضًا الاطّلاعَ الدائم على آخِر ما يَصْدُر عن مَجامع اللغة العربية، ومن بينها مجمعا القاهرة ودمشق، والمجمع العلمي اللبناني، ومجامع أخرى في عدة دول عربية. وهي

تُصدر سنويًّا قوائم بكلمات جديدة تُدرَجُ في معاجمنا وتصبح من الكلمات الصحيحة علمًا أنّها دخيلة في الأصل إما لأنها مأخوذة من العامية أو محوّرة من لغة أجنبية.

- لا بد للمترجِم من امتلاك مراجع متنوعة لترجمة المصطلحات على أنواعها، والمواظبة على تأمين أحدث النسخ لأن اللغة كما هو واضح في تَطَوُّر دائم، ومعها المصطلحات والتعابير التخصُّصية. إضافة إلى ذلك، من المفيد للمترجم العودة إلى المواقع الرسمية على الإنترنت واستقاء التسميات الرسمية للمصطلحات والتعابير التي قد تختلف عن الترجمة الحرفية وحتّى عن الترجمة المعنوية، ومِن بين تلك المواقع على سبيل المثال لا الحصر المواقع التابعة للأمم المتحدة وأجهزتها ومؤسساتها المختلفة، ومواقع رئاسات مجالس الوزراء وسفارات الدول وقيادات الجيوش، فكلها مصادر معتمَدة لترجمة الوظائف والرتب والألقاب وأسماء المناسبات وغيرها.

- إن أي نص عسير على الفهم في لغته الأصلية سيكون عسيرًا كذلك في اللغة المستهدَفة، والأجدر في هذه الحالة تهذيب النص الأصلي قبل الشروع بالترجمة. وإذا لم يكن متاحًا للمترجِم أن يتصرف بالنص الأصلي، مع أن في ذلك تحسين له، فليجعل الترجمة مفهومة قدر الإمكان وإنْ لم توافق النص الأصلي تمامًا.

- تجنُّب الجمل الطويلة في جميع اللغات، وكذلك في عمل الترجمة سواء النص الأصلي أو الناتج النهائي، وذلك لأن إطالة الجملة ترفع احتمال وقوع الأخطاء المتعلقة بالضمائر، وهي أكثر ما تعاني منه برامج الترجمة كما بيّنّا. كذلك فإن القارئ المعاصر يفضّل الجمل القصيرة خلافًا لما كان شائعًا في الأزمان الماضية.

التّواصل المضمر في المجتمع:
استراتيجيّاته وأساليبه وأهدافه

د. كميل مخايل

1. ملخص

يقدم هذا البحث دراسة لموضوع التّواصل المضمر واستخداماته في سياقات متنوعة. يبدأ البحث بشرح بعض الجوانب التداوليّة والاجتماعيّة والفكريّة المؤثرة في إجراء التّواصل، ويرافق الشّرح المذكور عرض للجوانب اللّسانيّة المتّصلة بموضوع التّواصل المضمر؛ ويحاول البحث الإجابة عن أسئلة عديدة، منها: لماذا يختار المتكلّم أحيانا المعاني المضمرة لتحقيق غاياته؟ وما دور لانهائية المعنى والغموض في ذلك؟ فالبحث إذًا يقدم دراسة عن الأساليب اللّسانيّة المضمرة التي تترافق واستراتيجيات التّواصل للتّأثير في الآخرين. أظهرت بعض نتائج البحث أنّ دور المنهج التّداوليّ يترافق أحيانا ودور منهج اللّغة الاجتماعيّ في تحليل الخطاب، وأن الاستلزام التّحاوريّ الذي ينتج عن جهد إدراكيذ أكثر أهمية من غيره.

– **الكلمات المفاتيح:** تواصل مضمر، استلزام تحاوريّ، قصديّة، ملفوظة، تداوليّة، سلطة.

Implicit Communication in Society:
Strategies, Styles, and Goals

Abstract

This research presents a study of implicit communication and its uses in various contexts. It starts by explaining some pragmatic, social, and intellectual aspects that influence the communication process. This explanation is associated with presenting some linguistic elements which touch on implicit communication. Therefore, the research tries to answer multiple questions: Why does the speaker sometimes choose implicit meanings to achieve his intentions? What are the roles of under-determinacy and vagueness in the process? Why does it succeed? The research studies the implicit means that are the most efficient in influencing others. The

findings show that the role of the pragmatic approach is accompanied by the use of a sociolinguistic approach during discourse analysis, and the implicature the cognitive efforts produce is more important than others.

- **Keywords**: Implicit communication, Implicature, intentionality, utterance, pragmatics, power.

2. اللّسانيّات والتّواصل

أدى تطور اللّسانيّات وتشعب دراساتها في العقود الأخيرة إلى الإقرار بأن سيرورة الإجراء التّواصليّ تحتاج إلى عناصر لسانيّة وغير لسانيّة. تتّصف العناصر اللّسانيّة بأنّها محدّدة، أمّا العناصر غير اللّسانيّة فتتّصف بأنّها عفويّة أحيانًا وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفكر واللّغة والثّقافة، ما يجعل الإجراء التّواصليّ يتّصف بالإبداع والدّيناميّة. اتّصفت هذه الدّيناميّة بطبيعتها المتنوّعة والمرنة وفق ما تتميز به أطراف التّواصل من خبرات ومهارات، إلا أنّها شجعتهم في الوقت نفسه على استغلال الجوانب الإدراكيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة المرافقة لإجراء التّواصل، فساعد ذلك أحيانًا على الاقتصاد في استعمال اللّغة والاستفادة من الفرص المتاحة لبيان المقاصد.

لذلك لجأت أطراف التّواصل إلى استغلال مستويات اللّغة المتنوّعة استغلالًا إبداعيا لتوليد الدّلالة بغية التّعبير عن أفكارهم المتنوّعة وإغنائها، لأنّ الاكتفاء بمستوى واحد غير كافٍ؛ فقد أظهرت دراسات التّداوليّة (Pragmatics) مؤخرًا أنّ الإبداعيّة (Creativity) تترافق وإنتاج أنواع عديدة من الخطابات، ومنها الخطاب السّياسيّ الذي يستخدم اللّغة ويستغلها في الوقت نفسه للتّعبير عن مقاصد معينة. لكن ولما كانت هذه المقاصد ترتبط ارتباطًا مباشرًا ببعض خصائص الإجراء التّواصليّ وآلياته بسبب ورودها فيه، أي أنّ إجراءات التّواصل تضع أحيانًا قيودًا على المقاصد التّواصليّة للمتكلّم، استحسن المتحادثون استعمال المحتوى الضّمني أو المضمر أكثر من استعمال المحتوى الصّريح للتّعبير عن مقاصدهم[1].

هذا الكلام يعني أنّ أهمية العناصر غير اللّسانيّة المستخدمة في الإجراء التّواصليّ تماثل أهمية العناصر اللّسانيّة، لأنّها قد تكون نفسية أو سياسيّة أو تاريخيّة أو دينيّة، أو قد تكون

1 Mazzone, Marco (2017) “Why Don’t you Tell it Explicitly? Personal/Subpersonal Accounts of Implicitness”, In Piotr Cap & Marta Dynel (eds) Implicitness: From Lexis to Discourse. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. p. 261.

مجتمعة معا، مما أدّى إلى تسييق المعنى وربط علاقة معنى الجملة بالعالم الخارجيّ، أي الثّقافيّ؛ هذا الأمر لا يعد إجراء خاطئًا، لأنّ الإتكاء على الدّلالة أو المعنى اللّغويّ نفسه لا يكفي، إلا أنّ العلاقة المذكورة للتو شاركت في استخدام اللّغة استخدامًا مقصودًا أدى إلى التّشكيك بمقاربة المعنى المشروط بالحقيقة (Meaning truth-conditional) تشكيكًا خطرًا[1].

والمفارقة هنا، وعلى الرّغم من أنّ المعنى المتأتي من استخدام اللّغة فقط تعرض لانتقادات كثيرة، تبين أنه لا يمكن الاستغناء عن اللّغة؛ لإنّه لا يوجد بديل اصطلح على استخدامه في المجتمع حتى الآن للتّواصل والتّعبير عن مقاصد المرء وأفكاره غير المحدودة، ما أدّى إلى الرّبط بين الغرض من استعمال اللّغة والمحادثات اليومية.

لم تكن الفكرة الأخيرة فكرة حديثة، بل كانت موضوع بحث معمّق في دراسات اللّسانيّات المتنوعة ولا تزال، لأنّ المحادثات (Conversations)، وعلى الرّغم من أنّها الوسيلة الرّئيسة للتّفاعل الاجتماعيّ، لا تستهدف فقط إجراء التّواصل مع الآخرين، بل تستهدف غايات أخرى، فحاول اللّسانيون التّفريق بين الخطاب التّفاعليّ (Interactional) الذي يرمي إلى إجراء التّواصل الاجتماعيّ، والخطاب التّوافقيّ (Transactional) الذي يرمي إلى التّوافق على إنجاز الأعمال باستخدام المحادثات في أثناء إجراء التّواصل الواقعيّ. يستدعي هذا الأخير من المشاركين في الحوار أحيانًا أن يغير أحدهم الحالة العقلية للآخر تغييرا **مقصودًا**[2]، أي تغيير تفكيره النقدي وارتباطه بالآخر والتأثير في استقلاليته السلوكية تأثيرا مقصودا وأحيانا تأثيرا ملتبسا.

أظهرت أيضًا الأبحاث اللّسانيّة التي نشرها الباحثون بأنّ دور القصديّة (Intentionality) في التّواصل اللّغويّ دور رئيس، وكثيرًا ما يتجلّى في البنية السّطحيّة والعميقة للكلام، وما تراكيب البنيّة السّطحية إلا دلائل على البنية العميقة للمقاصد. فقد بينت دراسات تحليل الخطاب على سبيل المثال أن معنى التّمثيلات اللّسانيّة التي وردت في السّياق الخطابيّ، وبخاصة في الخطاب السّياسيّ، لا يقتصر على معنى معجميّ أو قضوي،

1 Barker, S. (2006) “Intention and Semantics”, In Keith Brown et al. (eds) Encyclopedia of Language & Lnguistics 4. Amsterdam: Elsevier. p. 723.

2 Fernández, Eva M. & Cairns, Helen Smith (2011) Fundamentals of Psycholinguistics. Oxford: Wiley-Blackwell. p. 262.

بل يتعداه إلى معنى مضمر (Implicit meaning) يستهدف التّأثير في أفكار الآخرين وعقولهم وتصرفاتهم[1].

كتب دان سبيربر (Dan Sperber) وديدري ويلسون (Deirdre Wilson) في كتابهما الشّهير (نظرية الصلة) موضحين الجوانب التداوليّة للتواصل ما يأتي:

«إنّ البشر لا يستخدمون الأنموذج الترميزي في تواصلهم، أي أنهم لا يتواصلون مستخدمين أسلوب تشفير الأفكار وإعادة حلها، بل يتواصلون بملفوظات كثيرا ما تحمل غموضا دلاليا وتعددية مرجعيــة تتيح لاحقا عددا كبيرا من التأويلات»[2].

يقول الكاتبان هنا أنّ التّواصل يتصف بالعفوية والدّيناميّة، أي أنّه لا يقتصر فقط على فكرة ترميز الكلمات والنطق بها وإعادة فك رموزها آليا، وهو أمر واضح في كلامهما، بل يتواصل البشر متأثرين بتجاربهم وثقافتهم وذكائهم، أي قدراتهم المعرفية ومهاراتهم المتداخلة؛ وكأن انفتاح النسق اللساني أمام العناصر غير اللّغويّة هو الركن الرئيس في تحليل الكلام تحليلا يتصف بالتداخل الاختصاصي (Interdisciplinary)، حيث ينظر إلى الظواهر كنسق (System)، وليس كذرات أو أجزاء منفصلة[3]، أي دراسة علاقة الظواهر المرتبطة معا بعلاقة.

هذا الكشف حث الفلاسفة واللسانيين على الاهتمام بهذه العلاقة المتبادلة، فدرسوا العلاقة بين اللّغة والفكر أو الذّكاء، وتبين أن كلاهما يؤثر في الآخر تأثيرا متبادلا، اللّغة تؤثر في الفكر، والعكس صحيح. والربط بينهما في الدراسات المتداخلة الاختصاص أظهر نتائج إيجابيّة في دراسات الخطاب الحجاجيّ والتّربويّ والطّبيّ والسّياسيّ وغيره. أضف إلى ذلك، أن نتائج تأثير الفكر في اللّغة واضحة للعموم، إنّما نتائج تأثير اللّغة في الفكر، ولا سيما تأثير اللّغة في أساليب التّفكير قد تبدو أحيانًا غير مألوفة، ما يدعو إلى استغلال هذه العلاقة الملتبسة في إجراء التّواصل الواقعي استغلالا ذكيا، فأدّى ذلك كلّه إلى دراسة التّواصل المضمر والصّريح.

1 Masia, Viviana (2021) The Manipulative Disguise of Truth: Tricks and Threats of Implicit Communication. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. p. 98.

2 Sperber, Dan & Wilson, Deirdre (1989) Relevance: Communication and Cognition. Oxford: Blackwell. pp. 32-33.

3 محسب، محي الدين (2008) **انفتاح النسق اللساني: دراسة في التداخل الاختصاصي**. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة. ص 11.

3. التّواصل المضمر والصّريح

ارتبط ظهور مصطلح التّواصل المضمر (Implicit communication) بظهور مصطلح المعنى المضمر (Implicit meaning) في بحث الفيلسوف بول غرايس (Paul Grice) الشّهير والمعنون (Logic and Conversation). يصف الفيلسوف كنت باخ (Kent Bach) هذا البحث بأنه من أكثر الأبحاث أهمية في تاريخ فلسفة اللّغة، وأن فكرته عن الاستلزام التحاوري (Conversational implicature) لم تكن جديدة، وسبق أن تناولها كثير من الباحثين، وما أعطى هذا البحث أهمية تاريخية وعلمية هي فكرة مبدأ التعاون ومبادئ الحوار المتفرعة عنه، أي كيفية عمله[1]، ولكن كيف يعمل هذا المبدأ؟

يشرح باخ طريقة عمله على النحو الآتي:

يمكن للمرء أن يعني شيئًا ما إما بقول شيء ما، وإما بقول شيء آخر، كأن يقول المرء شيئًا مختلفا، وما ينتج عن الكلام من استلزام تحاوري ليس شيئا يمكن وصفه بالإيحاء. لذلك استحدث غرايس [والكلام للفيلسوف كنت باخ] مصطلح استلزام تحاوري، وليس تضمين (Implication)[2].

وبتعبير آخر، يفترض الوصول إلى الاستلزام التحاوري وجود إجراء تواصليّ بين شخصين أو عدد من الأشخاص، ويفترض أيضًا أنّ أحد طرفي التّواصل قصد استخدام القيود اللّغويّة المتداولة واستغلالها لتوليد دلالات جديدة أو استلزام تحاوري ينتج عن تصورات المتلقي ودلالة الكلام معا وليس عن تصورات المتكلّم أو دلالات اللّغة.

أما التّواصل الصّريح (Explicit communication) فقد شغل اهتمامات فلاسفة اللّغة وعلماء الدّلالة منذ فترة طويلة جدا بسبب ارتباطه ارتباطا مباشرا بنظريات الحوار ونظريات الدّلالة التي تعنى بدراسة المعنى، ومنهم عالمة اللّسانيّات روبين كارستون (Robyn Carston) التي أشارت في دراستها إلى أن التّواصل الصّريح هو عندما

---

1 Bach, Kent (2012) “Saying Meaning and Implicating”, In Keith Allan & Kasia M. Jaszczolt (eds) The Cambridge Handbook of Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press. p. 55.

2 Bach, “Saying Meaning and Implicating”, In Allan & Jaszczolt (eds) The Cambridge Handbook of Pragmatics. p. 55.

يحول التّعبير اللّغويّ كل رموز الصّيغة الافتراضيّة المنقولة في أثناء الإجراء التّواصليّ إلى رموز لغويّة[1]، أي عندما يتضمّن التّعبير اللّغويّ كل المعلومات التي يحاول المرء أن يضمنها إياه في أثناء الإجراء التّواصليّ، فلا تبقى أية معلومة ناقصة ولا يوجد أية معلومة زائدة. وهنا نستنتج أن التّواصل المضمر يحتوي معلومات زائدة وكثيرا ما تكون مضمرة.

كتب باخ أيضا في بحث آخر ملاحظة مهمّة جدا تشرح بأسلوب آخر ما ورد أعلاه:

«نحن نستخدم يوميا جملًا قصيرة في محادثاتنا، ومعظمها لا يعبر بدقة عن الأشياء التي يمكن أن نعنيها في أي وقت، ومعظم الأشياء التي يمكن أن نعنيها في أي وقت لا يمكن التّعبير عنها باستخدام **الجمل التي يمكن أن نقولها أيضا في أي وقت**»[2].

ذكر باخ هذه الملاحظة في سياق تحدث فيه عن تيسير فرضيات الدّلالة المتعلقة بالتّواصل وضرورة حصول ذلك، أي أنّه لا حاجة لتعقيد التّنظير المتعلّق بإجراءات التّواصل، وكأنّه هنا يفترض أنّ التّواصل نوعان، الصّريح والمضمر؛ الأوّل قاصر عن مهمة نقل المعنى كاملا أو كل ظلال المعنى، أي قاصر عن أداء ما في لحظة ما؛ لذا هناك حاجة لدراسة التّواصل المضمر وشروط عمله، ولكن لماذا؟

في دراسة نشرها كل من أوغدن وريتشاردز (Ogden & Richards) في أوائل القرن الماضي عرّفا المعنى بعشرات التّعريفات، سواء أكانت تنطلق من فرض لغويّ أم غيره[3]. وهذا يعني أنّ المعنى متنوع وديناميي ويتأثر بعناصر أُخر غير لغويّة، ويعني أيضًا أن المعنى قابل للاستغلال في الإجراء التّواصليّ بسبب طبيعة العقل الإنساني وعمله وارتباطه بالذاكرة الإنسانية، إذ أثرت أساليب التّفكير الإنسانية، مثل التّفكير السريع والبطيء، وأنواع الذاكرة، مثل الذاكرة العاملة والذّاكرة الطويلة الأمد وغيرها، أثرت كلها في صياغة تصوراته المتنوّعة عن العالم الخارجيّ ورسختها في عقله الباطن، حيث تبين أن هذه التصورات لا يمكن فصلها عن إجراء التّواصل.

1 Carston, Robyn (2002) Thoughts and Utterances: The Pragmatics of Explicit Communi-cation. Oxford: Blackwell Publishing. p. 117.

2 Bach, Kent (2006) “Pragmatics and the Philosophy of Language”, In Laurence R. Horn & Gregory Ward (eds) The Handbook of Pragmatics. Oxford: Blackwell Publishing. p. 484.

3 Ogden, C. K. & Richards, I. A. (1923) The Meaning of Meaning. New York: A Harvest Book. pp.186-187 .

هذه التصورات المتنوعة حثّت الفلاسفة واللسانيين على تنويع أبحاثهم وتطويرها، فحاول كثير من الفلاسفة واللسانيين دمج المناهج البحثية معا ومنهم من حاول شيئا مختلفا؛ فعلى سبيل المثال ميّز بول غرايس بين المعنى واستخداماته[1]؛ وفي المراحل المتأخرة من حياته عنون إحدى دراساته المتأخرة على النحو الآتي: أن تستخدم الّلغة لتعني شيئا ما (Using Language to Mean Something)، وليس أن تستخدم الكلمات أو الجمل لتعني شيئا ما. والفرض الرئيس من وراء ذلك إظهار أن الدلالات الصّريحة الناتجة عن استخدام الّلغة تماثل المقاصد المضمرة الناتجة عن استخدام الّلغة أيضا[2]، أي قد يكون هناك معنى آخر مقصود غير المعنى الّلغويّ للملفوظات ويرافقها في الوقت نفسه أيضا.

فالقصديّة مثل ما وردت في كلام غرايس تفترض وجود نوايا ما، وهذه الأخيرة تفترض أيضا أن المتكلّم يسهم والّلغة أيضا في توليد معنى متفرع من معنى آخر في سياق ما باستخدام الّلغة بأسلوب معين، أي أن هناك إبداعا في استعمال الّلغة، وهو استعمال ذو طبيعة تداوليّة. يقول باخ في هذا السياق: لكي نتواصل مع الآخر بفعالية وكفاءة من المنطقي ألا يصرح الناس بما يحاولون إبلاغه للآخرين تصريحا صريحا إلا نادرا[3].

واستخدام الّلغة هنا أشبه بلعبة يجيد استخدامها واستغلالها كثير من الأشخاص وليس كلهم، لأن الّلغة نفسها قاصرة عن ترجمة كل التصورات الذهنية، ولأن لانهائية المعنى (Under-determinacy of meaning) تتيح لمستخدم الّلغة استغلالها مثل ما سيتضح في المثال رقم (1) و(2) و(3) في الصفحات الآتية. لذا يعرض مستخدمو الّلغة على المستمعين شيئًا آخر للتّواصل معهم، وكثيرًا ما يدركه طرفي التّواصل ويتوقعونه أحيانًا؛ هذا الشّيء الآخر قد يكون ردة فعل أو علامات إرشادية أو تلميحًا[4].

1 Bach, Kent (2011) "Grice", In Barry Lee (ed) Philosophy of Language: the Key Thinkers. London: Continuum. p. 179.

2 Grice, Paul H. (2014) "Using Language to Mean Something", In Johannes Angermuller; Dominique Maingueneau & Ruth wodak (eds) The Discourse Studies Reader: Main Currents in Theory and Analysis. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. p. 68.

3 Bach2006)) "Pragmatics and the Philosophy of Language", In Horn & Ward (eds) The Handbook of Pragmatics. p. 484.

4Gleitman, Lila & Papafragou, Anna (2005) "Language and Thought", In Keith J. Hoyloak & Robert G. Morrison (eds) The Cambridge Handbook of Thinking and Reasoning. Cambridge: Cambridge University Press. p. 636.

هذه الأفكار ليست غريبة، لا بل قد يكون من الطبيعي أن يفكر المرء على هذا النحو، إذ إن تجارب المرء وخبراته ومعارفه تحدد أساليب تصرفاته في المستقبل، وبخاصة إذا أثبتت هذه التصرفات في الماضي نجاعتها، ما يجعل منها أحيانا تصرفات قابلة للتوقع. والتوقع من أهم سمات الذّكاء الإنساني، لذا يحاول المرء شيئًا آخر، يحاول التّعلّم من ماضيه ومن فكرة أنّ المتحادث الآخر يريد أيضًا تحقيق الأهداف نفسها في أثناء الإجراء التّواصليّ، ويحاول أيضا التّملص من الأساليب المباشرة والصّريحة لأنّها متوقعة، حيث تصبح الإجابات بنعم أو لا أقل إعلامية (Informative)، ويلجأ أيضا هنا إلى التّواصل المضمر[1]، ولكن لماذا ينجح هذا الأخير؟

ينجح التّواصل المضمر لأسباب عديدة، منها ما سبق أن ذكرته، ومنها أنّ هناك نوعين من التّفكير، التّفكير الواعي والتّفكير غير الواعي، وهو ما سأتناوله أدناه؛ ومنها أيضا أن العقل البشري وآليات عمله الإدراكيّة صممت لفهم المعنى والقيام بعمليات استدلاليّة مجتمعة، حيث يعد إجراء فهم المعنى إجراءً لاسترجاع المعلومات المخزنة في الذّاكرة وربطها بالخطاب أو الكلام الذي نعالجه[2]، وهو ما يسهل الوصول إلى الاستلزام التّحاوريّ.

انطلاقًا مما ورد أعلاه ومن تعريف كارستون لمفهوم التّواصل الصّريح يمكن أن نفترض ما يأتي:

- يترافق الغموض والتّواصل الضّمني أو المضمر.

- التّواصل المضمر يحث على استخدام العمليات الإدراكية، ومنها الاستدلال، لذلك يحقق نجاحا ملحوظا.

- التّواصل المضمر يشترط مهارات لغويّة وتداوليّة وإدراكية متنوعة، ومنها مهارات الإبداع في استعمال اللّغة ومعرفة السياق الاجتماعيّ.

1 Mazzone (2017) “Why Don’t you Tell it Explicitly? Personal/Subpersonal Accounts of Implicitness”, In Cap & Dynel (eds) Implicitness: From Lexis to Discourse. p. 273.
2 Brown, Gillian & Yule, George (1983) Discourse Analysis. Cambridge: Cambridge University Press. p. 236.

4. اللّغة والفكر والمجتمع

ذكرت أعلاه أن مستخدمي اللّغة يلجأون أحيانًا إلى نوع من أنواع العلامات الإرشاديّة أو التّلميحات في أثناء التّواصل، وهذه الأساليب كثيرا ما تكون ذات طبيعة لسانيّة، وأحيانًا قد تكون ذات طبيعة أخرى؛ ودورها هو مساعدة طرفي المحادثة على التّعبير بوضوح عن أفكارهم أو بغموض إذا قصدوا ذلك. ما يهمني في هذا البحث هو إلقاء نظرة على بعض الأساليب اللّغويّة التي قد تستخدم كعلامات إرشاديّة أو غيرها، لأنّ الأساليب الأخرى مثل لغة الجسد ودراسة الأصوات اللّغويّة وما يتعلق بها من تنغيم وغيره، وإن كانت تظهر بوضوح أن المرء يلجأ دائما إلى أساليب أو علامات غير لغويّة للتّعبير عن تصوراته الذّهنيّة أو لمساعدته على ذلك، تظهر أيضا أن استعمال الأساليب اللّغويّة فقط قاصر عن ترجمة كل الدلالات التي قد يتصورها المرء، ولكن لماذا؟

عزا بعض الباحثين سبب ذلك إلى مسائل عديدة، أهمها طبيعة الفكر الإنسانيّ، إذ يتّصف استخدام اللّغة بأنه غير مفصل أو تمهيدي (Sketchy)، أما الفكر فيتصف بأنه غني جدا حيث تعجز التمثيلات اللّسانيّة عن تبيان محتواه المتنوع[1]. أما ماريان لودويرر (Marianne Lederer) العالمة الشهيرة في دراسات الترجمة فتعزو سبب هذا العجز إلى استخدام اللّغات، أو الفكر الإنسانيّ، لما يسمى بالمجاز المرسل (Synecdoche) المستخدم في علوم البلاغة؛ ينص هذا المبدأ على أن اللغات تلزم نفسها بوصف خصيصة واحدة من خصائص الفكرة بغية نقل الأخيرة كمجموعة متكاملة... لذلك لا يمكن أن تجري الترجمة انطلاقا من مستوى اللغات، بل من مستوى المعاني[2]، أي أن الفكر الإنساني يميل إلى الاقتصاد في استخدام اللّغة، ما يرجح بقاء كثير من المعاني مضمرة. لذلك يلجأ المرء إلى استخدام أساليب غير مباشرة أو منحرفة عن القيود المتداولة، وهذا ما أدى بدوره إلى تطور دراسات التداوليّة في العقود الأخيرة، لأن التداوليّة ليست فقط دراسة لأساليب استخدام اللّغة، بل هي أيضا فهم لأساليب التّفكير، حيث توظف اللّغة في عمليات الاستدلال الذهنية[3].

1 Gleitman & Papafragou2005)) “Language and Thought”, In Hoyloak & Morrison (eds) The Cambridge Handbook of Thinking and Reasoning. p. 636.

2 Lederer, Marianne (2014) Translation: the Interpretive Model, Translated by Ninon Larché. London: Routledge. pp. 54-55.

3 Recanati, François (2006) “Pragmatics and Semantics”, In Laurence R. Horn & Gregory Ward (eds) The Handbook of Pragmatics. Oxford: Blackwell Publishing. p. 449.

هذه الأساليب كثيرا ما تتنوع في الثقافات البشرية، ومنها ما يبدو أنه ينتشر في ثقافات عديدة، ومنها أيضا ما يبدو أنه يقتصر على ثقافة ما من دون غيرها، وهذا يظهر أنّ الفكر البشري أبدع هذه الأساليب، بسبب حاجة تلك الثّقافة. هذا الفكر، وبحسب الدّراسات الإدراكيّة، يرتكز على وجود نظام معرفي معقد الذي بدوره يعمل أحيانا بشكل مستقل عن الوعي الإنساني... إلا أنّ معظم المهمات الإدراكية من الفهم وعمل الذّاكرة وحل المشكلات والإبداعية هي من نتاج كل من التّفكير الواعي وغير الواعي[1]، أي التّفكير الظاهر والخفي.

لذلك فإن الإبداعية التي تكلم نوام تشومسكي (Noam Chomsky)، أو نتائج الإبداع الفكري في اللّغة يمكن ملاحظتها، وهي شغلت حيزًا كبيرًا من الدراسات اللّسانيّة، بدءا من اللّسانيّات التوليدية والتحويلية وصولا إلى دراسات تحليل الخطاب والدراسات الإدراكية في العقدين الأخيرين، حيث ازداد الاهتمام بالاستعارة المفهومية (Conceptual metaphor)، لأنها تمثل جانبا من جوانب الإبداع الفكري[2]، وسأتناولها أدناه بسبب دورها في الكشف عن ثقافة الشّعوب وآليات تفكيرهم المخزنة في الذّاكرة.

تعد الاستعارة المفهومية من نتائج الإبداع الفكريّ في اللّغة وتعود أهميتها إلى أنّها تؤثر أيضًا في الفكر، وهي إحدى تجليات العلاقة المتبادلة بين اللّغة والقدرات الإدراكيّة في العقل؛ لذلك عدّها بعض الباحثين نافذة إلى العقل[3]، أضف إلى ذلك أنّها تتجلّى في البنية السّطحية للغة[(4)]، وتؤثر في آليات أخذ القرارات وحل المشكلات وغيرها. لنأخذ الآن مثالا يشرح الاستعارة المفهوميّة باقتضاب، وهو أشبه بملفوظة قالها أحد الحبيبين للآخر:

1 Litman, Leib & Reber, Arthur S. (2005) “Implicit Cognition and Thought”, In Keith J. Hoyloak & Robert G. Morrison (eds) The Cambridge Handbook of Thinking and Reasoning. Cambridge: Cambridge University Press. pp. 432-434.

2 Langlotz, Andreas (2016) “Language Creativity and Cognition”, In Rodney H. Jones (ed) The Routledge Handbook of Language and Creativity. London: Routledge. p. 54.

3 Handl, Sandra & Schmid, Hans-Jörg (2011) “Introduction”, In Sandra Handl & Hans-Jörg Schmid (eds) Windows to the Mind: Metaphor Metonomy and Conceptual Blending. Berlin: De Gruyter Mouton. p. 1.

4 Schäffner, Christina (2004) “Metaphor and Translation: Some Implications of a Cognitive Approach”, Journal of Pragmatics 36. p. 1265.

(1) وصلت علاقتنا إلى طريق مسدود.

تبين هذه العبارة مفهوم الحب كرحلة (Journey)، وقد استعان بها جورج لاكوف (George Lakoff) في أحد أهم أبحاثه لشرح مفهوم الاستعارة المفهومية، أي أنّ الحب هنا صُوِّر تصويرا مفهوميا كرحلة، وهي رحلة متعثرة، حيث لا يمكن للحبيبين أن يستمرا في علاقتهما، فإما أن يقفلا عائدين وإما أن تنتهي علاقة الحب بينهما[1].

ويمكن أن نستخرج هنا من الاستعارة المفهومية (الحب رحلة) الاستدلالات النسقية الآتية:

- للحبّ بداية ونهاية مثل الرحلة.
- للحبّ مصاعبه مثل الرحلة.
- للحبّ طرفان مثل أعضاء الرحلة.

هذه الاستدلالات نشأت في الجهاز الإدراكي ثم تجلت لاحقا في التعابير الاستعارية، لأن الاستعارة المفهومية تتيح إنشاء تطابقات بين مجال مصدر محسوس، ومجال هدف غير محسوس[2]. لذلك تعد الاستعارة المفهومية نافذة إلى التمثيلات المتنوعة في الجهاز الإدراكي، وليست فقط نتيجة من نتائج الفكر في اللّغة. لنتأمل مجددا مثالا أقرب إلى أن يكون جملة نحوية بدلا من الملفوظة الواردة في المثال رقم (1):

(2) أنا لا أحبكِ.

يبدو أن دلالات هذا المثال أكثر وقاحة من دلالات المثال رقم (1)، واستعمال اللّغة فيه لا يشي بعلاقة عاطفية جمعت الحبيبين سابقا قد يؤسف عليها، بل يوجد ذكر صريح للمسند إليه وأسلوب النفي، بخلاف المثال رقم (1) الذي استعملت فيه اللّغة استعمالا غير محكم (Loose use)، وهو استعمال يترافق والاستعارة[3]، حيث يفسح المجال لتأويلات مختلفة، أي أن هناك دلالات مضمرة، منها على سبيل المثال أن أحد الحبيبين أقر بوجود علاقة حب سابقا وبأنه حزين لما جرى؛ لذلك لم يعد ينظر فقط إلى الاستعارة نظرة بلاغية،

1 Lakoff, George (1993) “The Contemporary Theory of Metaphor”, In Andrew Ortony (ed) Metaphor and Thought. Cambridge: Cambridge University Press. pp. 203-206.

2 Lakoff (1993) “The Contemporary Theory of Metaphor”, In Ortony (ed) Metaphor and Thought. pp. 203-206.

3 Carston, Robyn (2016) “Contextual Adjustment of Meaning”, In Nick Riemer (ed) The Routledge Handbook of Semantics. London: Routledge. p. 203.

حيث يقتصر دورها على تزيين الكلام، بل أصبحت الاستعارة مصدرا رئيسا لشرح عمليات التّفكير في المجتمع الإنساني[1].

أضف إلى ذلك، لا تتجلى أساليب استعمال اللّغة، أي الأساليب التي تعبر عن إبداع فكري، من دون وجود سياق، بل تتجلّى في أثناء التّواصل الحواري؛ لأن الجمل النحوية تنتج عن النظام اللّغويّ المتبع، أما الملفوظات فتنتج عن تواصل حواري بين طرفين اثنين في أثناء استعمال اللّغة[2]. فالجملة (Sentence) تعد وحدة لغويّة أما الملفوظة (Utterance) فتعد وحدة تحاوريّة، والحوار (Dialogue) هو المبدأ المؤسّس لاستعمال اللّغة عند ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin). وهنا، أي في الحوارية (Dialogism)، تبرز كل أنواع استعمالات اللّغة[3]، ومنها المعنى المقصود. فالمثال رقم (1) أشبه بوحدة تحاورية قالها أحد الحبيبين للآخر، إلا أن الأمر نفسه لا ينسحب على الوحدات اللّغويّة التي لا تنتمي إلى الحوار، مثل المثال رقم (2) .

بتعبير أبسط، يبرز المعنى في سياقات استعماله، ومنها السياقات الاجتماعيّة، لأنه لا يمكن الفصل بين استعمال اللّغة والطبيعة الاجتماعيّة لاستعمالها؛ فاللّغة فن اجتماعي[4]، ولا يمكن استنتاج المعنى من مبادئ مجردة، ولا يمكن أيضا الإتكاء على المصطلحات الفلسفية لتفسير المعنى. لذلك يحتاج الفكر الإنساني إلى الجمع بين الدّلالة والتداوليّة لكي يبرز المعنى[5]، وإلا فالبديل قد يكون شيئا آخر.

5. لانهائية المعنى: الغموض والإبهام

ذكرت سابقًا أن المعنى اللّغويّ للتمثيلات اللّسانيّة يتباين عن معناها التّداوليّ، حيث تتداخل إجراءات عديدة لإنتاج المعنى وفهمه. كتب أحد الباحثين شارحًا أنّ الملفوظات

---

1 Schäffner (2004) “Metaphor and Translation: Some Implications of a Cognitive Approach”, Journal of Pragmatics 36. p. 1258.

2 Bakhtin, M. M. (1994) “The Problem of Speech Genres” , In Caryl Emerson & Michael Holquist (eds) Speech Genres and other Late Essays, Translated by Vern W. McGee. Austin: University of Texas Press. p. 75.

3 Mey, Jacob L. (2017) “Interdisciplinarity in Pragmatics and Linguistics”, In Anne Barron; Yueguo Gu & Gerard Steen (eds) The Routledge Handook of Pragmatics. London: Routledge. p. 9.

4 Quine, W.V.O. (2013) Words & object. Cambridge: The MIT Press. p. XXIX.

5 Mey (2017) “Interdisciplinarity in Pragmatics and Linguistics”, In Barron; Gu & Steen (eds) The Routledge Handbook of Pragmatics. London: Routledge. p. 12.

كثيرًا ما تترافق وأكثر من معنى، وباستطاعة سلاسل الفونيمات والحروف والعلامات اللّغويّة التي تكوّن الملفوظات أن تنقل دلالات متباينة[1]، وقد ورد ذلك في أثناء عرضه لموضوع الارتياب التأويلي (Interpretive uncertainty)، وقد ربط ذلك بموضوعي الغموض واللبس الدّلالي اللذين سأكتفي بدراستهما في هذا المبحث دراسة مقتضبة. لنبدأ الآن بالمثال الآتي:

(3) أذاك هو الهاتف؟

إذا سألت إحداهن السؤال الوارد في المثال رقم (3) فإنّ التّركيب الاستفهامي يُقصد به في الواقع وجود أكثر من معنى محتمل، أو قد يكون هناك غموض ما في الكلام أو ازدواجية دلالية. فما ورد في المثال رقم (3) قد يقصد به الاستفهام عما إذا كان الهاتف هو الذي يرن وليس غير؛ أو قد يُقصد به الطّلب من أحدهم أو إحداهن الإجابة على الهاتف، وبخاصة إذا كان يوجد مجموعة من الأشخاص في الصالة نفسها. وهذا ما يسمى بالازدواجية التداوليّة (Pragmatic ambivalence) التي تحدث عندما لا يحدد المتكلّم تحديدا دقيقا أي معنى وظيفي من نطاق المعاني الإنجازية هو المقصود، وبخاصة أن هذه المعاني كثيرا ما تكون مترابطة[2].

ذكرت أعلاه أن مسألتي الغموض في الكلام (Ambiguity) واللبس الدلالي (Vagueness) هما من بين المسائل التي ارتبطت بلانهائية المعنى، ولقد اهتم اللسانييون بدراستهما دراسة لسانيّة؛ بالنسبة إلى الأولى فإن كل كلمة أو كل جملة تمتلك أكثر من معنى تصبح غامضة، لذلك يتكلم اللسانيون أقله عن نوعين من الغموض، الغموض المعجمي والتركيبي. يصف اللسانيون الغموض المعجمي بأن التعرف إليه سهل، وهو ينتج عن التماثل اللفظي (Homonymy)، ويطلق عليه في العربية اسم الاشتراك اللفظي، حيث تتعدد معاني الكلمة الواحدة.

أما الغموض التركيبي فإن التعرف إليه أكثر صعوبة، ويتسبب به وجود أكثر من بنية عميقة للجملة، نحو:

1 Kennedy, Christopher (2011) "Ambiguity and Vagueness: An Overview", In Claudia Maienborn; Klaus Von Heusinger & Paul Portner (eds) Semantics: An International Hand-book of Natural Language Meaning 1. Berlin: De Gruyter Mouton. p. 507.

2 Leech, Geoffrey & Thomas, Jenny (1990) "Language Meaning and Context: Pragmatics", In N. E. Collinge (ed) An Encyclopedia of Language 1. London: Routledge. p. 106.

(4) نقد تشومسكي نقد مبرر.

تمثل الملفوظة أو الجملة رقم (4) البنية السطحية لجملتين في البنية العميقة، وهما:

(4a) نقد أحدهم لتشومسكي نقد مبرر.

(4b) نقد تشومسكي لأحدهم نقد مبرر[1].

أما بالنسبة إلى اللبس الدلالي فهو استخدام لمعنى غير محدد تحديدا قاطعا[2]، وكثيرا ما يرتبط بذكر مسند يحتمل أكثر من معنى ويختلف تفسيره باختلاف السياق والثقافة والثروة والنظام الاقتصادي وغيره، نحو:

(5) سعر صفيحة البنزين غالي الثمن.

الالتباس هنا وقع في تأويل معنى المسند (غالي)، فما هو مرتفع الثمن في لبنان قد لا يكون كذلك في دولة قطر. بتعبير أبسط يرتبط تفسير المسند بكيفية استعمال اللّغة، أي بالتداوليّة. لذلك اشتهرت كثيرا العبارة القائلة بأن الحقيقة قبل جبال البيرينيه هي خطأ ما بعدها. ومن أمثلة استخدام المسند في الثقافة العربية بأسلوب ملتبس دلاليا ما قاله الشاعر الحطيئة لأحد وجهاء بني تميم الزبرقان بن بدر، وهو من الصحابة المخضرمين:

(6) دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

هذا البيت الشعري يحتمل وجهين، مدح وهو الأقل، وذم أو هجاء وهو الأرجح، ويمكن اكتشاف ذلك من أسلوب استعمال المسندين (الطاعم الكاسي)، إذ يظن الناقدون أن الشاعر قصد القول: أنت المطعوم المكسو، وهنا جاء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول، وهو من المجاز العقليّ، وهي صيغة واردة في كلام العرب. ويبدو أن المقصود من كلامه الهجاء المضمر، لأنه عندما شكاه الزبرقان إلى الخليفة عمر بن الخطاب، لجأ الأخير إلى كل من حسان ولبيد ليحكما، فقال حسان: «إنّ الحطيئة سلح عليه، أي تغوط على الزبرقان»، وقال لبيد: «ما يسرني أنه لحقني من هذا الشّعر ما لحقه وأن لي حمر النعم». ومنهم من قال ذرق عليه، أي أفحش عليه بمنطقه[3].

1 سيرل، جون (1979) «تشومسكي والثورة اللغوية»، **الفكر العربي**. بيروت: معهد الإنماء العربي. ع8 و9، ص 131.
2 Allot, Nicholas (2010) key Terms in Pragmatics. London: Continuum. p. 194.
3 http://www.diwanalarab.com/دع المكارم لا ترحل لبغيتها/ (Accessed 28 july 2022)

6. القصديّة والمعنى والحوار

في العام 1962 بدأ جون أوستن (John Austin) دراسة موضوع فعل الكلام وما يرتبط به من لانهائية المعنى، وفي بداية الثمانينيات أصبحت دراسة موضوع لانهائية المعنى أكثر رسوخا في اللّسانيّات بسبب تطور دراسات القصديّة ومنها نظرية أفعال الكلام ومبادئ الحوار. لذلك اهتم فلاسفة اللّغة بآليات التّفاعل الاجتماعيّ واللّغويّ في آن واحد، ودرسوا دلالاته، وأظهرت نتائج الدّراسات اللّسانيّة أنّ معاني الفروق الاجتماعيّة وقوة النّفوذ لم تعد مسألة محددة تحديدا مسبّقًا، بل مسألة تنجز في أثناء التّفاعل اللّغويّ[1]، أي لم يعد ينظر إليها كمعان نهائية ومستقلة عن العالم الخارجيّ، ولا سيما في دراسات تحليل الخطاب ودراسات التداوليّة.

لذا فإنّ إنتاج كثير من هذه الدّلالات وفهمها أصبح يُنظر إليه كأمر يرتبط بالعالم الخارجيّ، ولا سيما بتأثير المقامية (Situationality) وأطراف الحوار وكفايتهم التداوليّة. لنأخذ مثالا يشرح ما ورد للتو:

(7) فادي: خلصت شغلك؟ (هل انتهيت من الأعمال المكلّف بها؟)

(8) نبيل: ايه ايه رح خلص. (نعم. شارفت على الانتهاء)

(9) فادي: امممم... أولك كيف الطقس عبكرا؟ (حسنا. كيف هي حال الطقس غدا؟)

(10) نبيل: مني ليلى عبداللطيف! (لست ليلى عبداللطيف!)

(11) فادي: ليش معصب؟ (لماذا أنت غاضب؟)

دار هذا الحوار بين زميلين اثنين في مكتب من مكاتب المؤسسات اللّبنانيّة العامة، والزميلان لا يتساويان في التراتبية الهرمية، إذ إن درجة (فادي) تعلو درجة (نبيل) الموظف المنهمك في الأعمال اليومية. ولقد ذكرت الحوار مثل ما ورد حرفيا في اللهجة العامية اللّبنانيّة، ثم نقلت الحوار إلى الفصحى بين الهلالين، وقبل أن أشرح هذا المثال الذي جرت أحداثه في شتاء لبنان القارص عام 2022 كان بإمكان نبيل الإجابة على النحو الآتي:

1 Leech & Thomas (1990) “Language Meaning and Context: Pragmatics”, In Collinge (ed) An Encyclopedia of Language. p. 106.

(10a) ما بعرف ما شفت نشرة الأخبار مبارح، وأنا هلق مشغول بدي خلص شغل، تعبان وجوعان.

ولكن (نبيل) منهك وجائع وليس لديه الوقت للإجابة بأسلوب مسهب، والمعرفة المشتركة بين الزميلين في العمل سمحت لنبيل بخرق مبدأ الكيفية في نظرية غرايس والإجابة على السؤال الثاني بأسلوب لغوي مفاجئ مقصود وشبه غامض ومقتضب (لست ليلى عبداللطيف)، وهنا أسهمت المقامية في الاقتصاد في استعمال اللّغة.

وقد يرد الجواب رقم (10) على السؤال الآتي: ما اسمك؟ ولكن، من يتابع محطات التلفزة اللّبنانيّة ومواقع التّواصل الاجتماعيّ في لبنان يعلم جيدا أن ليلى عبداللطيف تعمل منجمة، وهي تتنبأ بالأمور اليومية لحياة اللبنانين، ما ساعد فادي على إدراك الاستلزام التّحاوريّ (لست منجمًا، إليك عني) لجواب (نبيل)، وقد عبّر فادي عن فهمه لذلك الاستلزام بردّه الأخير: «لماذا أنت غاضب» من دون حصول أية تداعيات أخرى لكلام نبيل.

يلاحظ أيضًا في هذا الحوار المقتضب أنّ ممارسة السّلطة بدأت مع فادي، فهو الذي بدأ الحوار وسأل الأسئلة، وهو أيضًا من استفهم عن الأعمال المحققة ثم أنهى الحوار. ويظهر الشّرح أعلاه تفسير التداوليّة أو نظرية غرايس لمعنى الملفوظة التي قالها (نبيل)، أي أن جواب (نبيل) ترافق ومعنى لم يكن ليظهر لو لم يجر الحوار بين طرفين، ويمكن اختزاله بأن (نبيل) المرؤوس في الوظيفة أظهر نوعا من التمرد وممارسة السّلطة المعاكسة بوجه الموظف الأعلى درجة منه، أي (فادي)، مما سمح لنبيل بالإجابة على النحو الذي أجاب عليه، حيث انحرف الجواب رقم (10) عن مبدأ الكيفية، إذ هناك نوع من الغموض المقصود، لكنه غموض قابل للتأويل، لأن المتكلّم يعلم أنّ المعرفة المشتركة وتصورات المتلقي ستتيح للأخير اكتشاف المعنى المضمر. وهذا يعني أن مقصد المتكلّم يترافق والمعنى اللّغويّ للملفوظة، وما مقصد المتكلّم إلا نتيجة من نتائج استعمال اللّغة وعناصرها التي ترد في أثناء التّواصل المضمر، أي هو اختيار مقصود، وهو ما يهتم به هذا البحث.

انطلاقًا مما ورد أعلاه، يتبين أن هناك فجوة بين المعنى القضوي للكلام والقصد من استخدامه، أي المعنى التّداوليّ، وهذه الفجوة كثيرا ما تترافق واستخدام الحوار، ما

يتيح لكلا طرفي الحوار أن يستغلاها. لذلك سرعان ما يوظف طرفي الحوار خبراتهما ومهارتهما الشخصية، سواء أكانت لغويّة أو اجتماعية أو فكرية للتأثير في الآخر. فالمعنى لا يمكن أن يكون نهائيا، وإلا لكان كل مستخدمي اللّغة متساوين في استخدام اللّغة، ولما كان للخبرات الشخصية والمهارات المكتسبة أي دور في حوار أو تفاعل بين اثنين، ولما كان للذكاء الإنساني، بدءًا بالذّكاءالعاطفيّ والاجتماعيّ وصولا إلى الذّكاء الثّقافيّ، أي دور في تأويل الأحداث والمعاني.

تبين لغاية الآن أنّ التّداوليّة تعنى بدراسة المعنى المضمر أو المقصود والمرافق للملفوظات، والمعنى المضمر لا يقتصر فقط على خرق مبادئ الحوار بل يتضمن أيضا إنجاز أفعال معينة تترافق والكلام، أو مثل ما يقول جون أوستن: كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟ وكثيرا ما تتميز بأنها مضمرة، لأن المستمع أو المُخاطَب يعلم أكثر من غيره، أي يستطيع تفسير الكلام تفسيرا صائبا، وهو مبدأ حاول التركيز عليه جون سيرل (John Searle)[1] في دراساته المرتبطة بأفعال الكلام. ماذا يعني هذا الكلام؟

يرى منظرو المقاربة الإدراكيّة أنّ إجراء توليد المعنى لا ينجز فقط باستخدام العناصر اللّغويّة والنّحويّة، أي أنّ المعنى ليس كامنا في الكلمات والجمل، بل يُنشَّط في العقل الإنساني، وذلك باستخدام التعابير الواردة في النص[2]، أي أن المعنى كامن في الدماغ الإنساني. أمّا بالنّسبة إلى معنى الكلام الوارد أعلاه، فإن المستمع كثيرا ما يستطيع تأويل كلام المتكلّم لأن كفايته التداوليّة ومهاراته الإدراكية تتيح له ذلك، أي تتيح عملية استرجاع المعلومات وربطها بالكلام. لنأخذ الآن مثالًا توضيحيا:

(12) مرر لي الملح.

(13) هل بإمكانك أن تمرر لي الملح؟

يتضمّن المثال رقم (12) طلبًا واضحًا اتّخذ التّركيب فيه صفة الأمر، أمّا المثال رقم (13) فتضمن تعديلا للفعل الإنجازي الوارد سابقا (الطّلب)، حيث ترافق الفعل الإنجازي ومعنى آخر، وهو معنى التأدب. فالمتكلّم يطلب بتأدب في المثال الأخير، وكفاية

1 Wardhaugh, Ronald (2002) An Introduction to Sociolinguistics. Oxford: Blackwell Publishing. p. 288.

2 De Beaugrande, Robert & Dressler, Wolfgang (1981) Introduction to Text Linguistics. London: Longman. p. 84.

المستمع الإدراكية أتاحت استرجاع التأويلات التداوليّة المناسبة. وبتعبير آخر، ترافق معنى الطّلب ومعنى التّأدب معا، وهذه الازدواجية التي جمعت بين الدّلالة والتداوليّة أشبه بمقاربة مقصودة، وهي وضعت لحل المشكلة، ما يجعلها عنصرا رئيسا في نظرية أفعال الكلام. هذا الحلّ للمشكلة يمكن إعادة صياغته على النحو الآتي: كيف يمكن أن أغير من تفكير الآخر؟ وكيف أنتج ملفوظة تضمن النتيجة المرجوة؟

لنأخذ مثالا آخر يوضح السّؤالين الأخيرين، وهو مثال قاله أحدهم للمدير في غرفة الاجتماعات:

(14) أشعر بالبرد، أليس كذلك؟

تتضمّن هذه الملفوظة خطة لحل مشكلة البرد الذي يشعر به المتكلّم، إذ يرمي الأخير إلى الشعور بالدفأ، ولكي يقنع المستمع بذلك في أثناء الحوار استخدم أسلوبا غير مباشر، لأنه قد يكون أكثر فعالية، فلم يطلب تشغيل المدفأة التي قد تكون معطلة، بل أثار مشكلة البرد وكأن الاستلزام التحاوري للمشكلة التي أثارها هو طلب تشغيل المدفأة[1]. بدأت إثارة المشكلة المذكورة باستغلال المشاعر الإنسانية (أشعر بالبرد)، وما من شك أن معنى الملفوظة المذكورة نفسها لن يحل المشكلة، لأن الشعور بالبرد قد يكون ملتبسا أو نسبيا، ولا يساهم في إنجاز مضمون فعل الكلام الرئيس (أدر المدفأة)، إنما يزود المستمع بالدلائل المناسبة لهذه المساهمة[2].

يتصف اختيار هذه الدلائل هنا بأنه ذو طبيعة لغويّة واستخدامها في سياق محدد يتصف بقصدية واضحة، إلا أنّ ما ترمي إليه هذه القصديّة بدوره غامض أحيانا، ولكن ما يراهن عليه المتكلّم هو أن المستمع يستطيع دائما اكتشاف المقاصد الفعلية لكلامه باستخدام الاستدلال[3]، مما يعني أن تجليات القصديّة في الملفوظات أشبه بإشارات أو تلميحات تتيح للمستمع تحديد المقاصد في الملفوظات وما تتضمنه من تواصل مضمر، وهي هنا أشبه بالتلميحات التي يستخدمها المتكلّم وقد تكلمت عنها سابقا. فلو عدلنا

---

1 Leech, Geoffrey (1990) Principles of Pragmatics. London: Longman. pp. 38-40.
2 Longworth, Guy (2017) "Semantics and Pragmatics", in Bob Hale; Crispin Wright & Alexander Miller (eds) A Companion to the Philosophy of Language 1. Oxford: Wiley-Blackwell. p. 120.
3 Navarro, Jesús (2017) "Intention (Including Speech Act)", In Anne Barrone; Yueguo Gu & Gerard Steen (eds) The Routledge Handbook of Pragmatics. London: Routledge. p. 217.

صيغة المثال رقم (14) بإضافة كلمة واحدة:

(15) أشعر بالبرد **قليلا**، أليس كذلك؟

لما تضمن المثال رقم (15) فعلا إنجازيا يفيد معنى الطّلب مثل المثال رقم (14)، أي: أدر المدفأة؛ لأن المستمع يستطيع بسهولة إدراك ما عناه المتكلّم. ولكن يمكن أن نعبر عن الفعل الإنجازي نفسه (أدر المدفأة) باستخدام تركيب قضوي آخر؛ وبتعبير آخر، يمكن لأكثر من صيغة قضوية أن تستخدم لتوليد فعل إنجازي محدد[1]، وبخاصة إذا ضم معا المعنى القضوي للجملة ومعنى الكلمات والمعنى النحوي. وهنا تتحوّل الأفعال الإنجازية إلى وسيلة لتفعيل معنى آخر، وهذا الأخير لا يمكن عده إلا معنى مشتقا من المعنى الرئيس للفعل الإنجازي[2]، وهو ما يعد أمرا جوهريا في استغلال الكلام تبعا لغايات المتكلّم، حيث تشارك الصيغة القضوية في توليد مقصد أو مقاصد عديدة؛ لذا يصبح اختيارها الناتج عن استخدام أنواع الذاكرة وآليات الاستدلال البشري في مجتمع محدد اختيارا إبداعيا في سياق الملفوظة أو النص وذات دلالات أيديولوجية مهمة جدا.

فعلى سبيل المثال، تعد عبارة (السلام عليكم) الموظفة لإلقاء التحية في العالم العربي أكثر تداولا من عبارة طاب نهارك (Good morning) أو مرحبا (Hi) المتداولة في العالم الغربي. لذلك عندما يزور السائح أو السّياسيّ الغربي بلاد العرب يختار استخدام العبارة الأولى تعبيرا عن احترامه لثقافة العرب المرتبطة ارتباطا وثيقا بتفكيرهم وعاداتهم الدينية؛ لأنه ولما كانت العناصر المفردة لا تثبت في الوعي من دون روابط، بل تكون على شكل قطع مدمجة[3]، فإنّ تنشيط الدلالات المرتبطة بها يصبح أكثر سهولة، سواء أكانت اجتماعية أم سياسيّة. وهذا ما يجعل من المعاني أو القوة الإنجازية غير المباشرة أكثر أهمية من المعاني أو القوة الإنجازية المباشرة[4]. **7. جوانب من استراتيجيات التّواصل المضمر وأساليبه وأهدافه**

انطلاقا مما ورد سابقا، تبين لغاية الآن أن الملفوظة، أو الوحدة التحاورية، تتأثر

1 Longworth (2017) “Semantics and Pragmatics”, in Hale; Wright & Miller (eds) A Companion to the Philosophy of Language 1. p. 114.

2 Longworth2017)) “Semantics and Pragmatics”, in Hale; Wright & Miller (eds) A Companion to the Philosophy of Language 1. p. 114.

3 De Beaugrande & Dressler (1981) Introduction to Text Linguistics. p. 88.

4 Huang (2006) “Speech Acts”, In Brown et al. (eds) Encyclopedia of Language and Linguistics 11. p. 662.

بسياقات الكلام وتستعين بشروط المقامية التي تعد أنموذجا من نماذج العلاقات الخارجيّة، حيث يربط هذا الأنموذج عالم النص بالعالم الخارجيّ وضوابطه الاجتماعيّة. تؤثر هذه الأخيرة تأثيرا مباشرا على الملفوظات، ولا سيما على استعمالاتها المنتظمة، لأنها ذات طبيعة لغويّة من جهة، ودورها لا يقتصر فقط على نقل المعلومات في أثناء التّواصل، بل يشمل التّعبير عن المشاعر والدوافع والرغبات والمعارف والقيم وسلوكيات المرء من جهة أخرى[1]. هذه الأخيرة تحتاج أحيانا إلى التّواصل المضمر أو إلى التّواصل بأساليب غير مباشرة مرورا باستخدام بعض استراتيجيات التّواصل المضمر.

1.7 استراتيجيات التّواصل المضمر

استراتيجيات التّواصل المضمر عديدة وكثيرا ما ترتبط بالمقامية، ويقع أهمها على النحو الآتي:

- الرّغبة بجعل الكلام إما أكثر تشويقا وإما أقل تشويقا.
- الرّغبة بتعزيز القوة الإنجازية للكلام أو تعديلها.
- الرّغبة بجعل الكلام أكثر تنافسيّة لتحقيق الأهداف.
- الرّغبة بالالتزام بمبدأ التأدب[2].
- الرّغبة بجعل الكلام أكثر إعلامية أو أقل إعلامية.

2.7 أساليب التّواصل المضمر

1.2.7 النّماذج المتكررة (Stereotypes): النماذج المتكررة معتقدات راسخة وعامة مكونة عن مجموعة محددة من الناس، وهي نوع من التحليل العاطفي، وكثيرا ما تشي بدلالات سلبية، ويعد التحقق منها صعبا، نحو:

(16) زعماء دول العالم الثالث.

(17) يجب على الرجال أن يقودوا السيارات لا النساء.

عبارة (دول العالم الثالث) في المثال السّادس عشر حكم يتضمن دلالات مضمرة

1Apte, M. L. (2001) "Language in Society: Overview", In Rajend Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Elsevier. p. 41.
2 Thomas, Jenny (2013) Meaning in Interaction. London: Routledge. p. 143.

ويستخدمه الغربيون للنظر إلى غيرهم نظرة دونية، وهذا ما يظهر جليا في المثال رقم (27)؛ وأما المثال السابع عشر فيضمر لامساواة اجتماعية بين الرجال والنساء، أي هناك تحيّز ناتج عن الأيديولوجيا المنتشرة في المجتمع المشار إليه.

2.2.7 مرتكبي الجرائم (Perpetrators): يقصد بمرتكب الجريمة المرء الذي يقترف فعلا غير شرعي أو فعلا جرميًا أو فعلا شريرًا. ويتفرّع هذا التّصنيف من الأسلوب السّابق، إلا أنّ هناك ما يميزه، وأكثرها ما يرتبط بأفعال جرمية، ويستغل المشكلات الطائفيّة والمذهبيّة والسّياسيّة والعرقيّة. لنأخذ الآن مثالا:

(18) جارنا الأسود يقتل زوجته.

ورد في هذا المثال تعنيف الزّوج لزوجته، وهو أشبه باتهام جرمي مضمر لأنّه شخص من أصول أفريقيّة، ولكن لو كان الزّوج شخصا من ذوي البشرة البيضاء لاختلفت صياغة الجملة، وربما وردت على النحو الآتي:

(19) جارنا يتشاجر وزوجته.

3.2.7 المقارنات (Comparisons): ترتبط المقارنات أو أسلوب المقارنة باستخدام ضمير المخاطب أي (أنت)، وكلما جمع الأسلوب المذكور بين الضمير المخاطب والموضوعات المجردة اتصف التّواصل بالإضمار وباستغلال اللّغة، ويستخدم أسلوب المقارنة للإشارة إلى دلالات إيجابية أو سلبية، نحو:

(20) أنت تبدو كشخص قد تحبه والدته فقط.

يستغل هذا المثال موضوع الحب المجرد وتشي دلالته المضمرة أن المخاطَب هو شخص مكروه من الآخرين.

4.2.7 اللاأنسنة (Dehumanization): يقصد بمصطلح (لاأنسنة) معاملة الناس معاملة غير إنسانية، أي نزع صفة الإنسانية عنهم واتهامهم بصفات مهينة، وهو نوعان، صريح ومضمر، ومن أمثلة النوع الأول:

(21) كيف نحمي أطفالنا من وحوش الإنترنت[1]؟

ومن أمثلة النوع الثاني الذي يهتم به البحث:

(22) أنا أملك زوجتي ومالها.

ففي المثال رقم (22) شبَّه الزوج زوجته بشيء كالسيارة، إذ نزع عنها صفة الإنسانية، لأنه يرمي من جراء تشبيهه المذكور إلى الانتقاص من حقوق زوجته أو التّعبير عن ذكوريته، وهو تعبير يتضمن دلالات مضمرة.

5.2.7 التّراكيب الملطفة (Euphemistic constructions): التّراكيب الملطفة أو المخففة تراكيب متنكرة، وكثيرا ما تشي بدلالات سلبية لو ترجمت دلالتها المضمرة إلى دلالتها المقصودة، نحو:

(23) الليبراليون ليسوا أذكياء جدا.

(24) لست متحمسا لوجودك بيننا.

لو أعيدت صياغة هذين التركيبين أو لو أعيدت ترجمتهما إلى دلالتهما المقصودة لوردا على النحو الآتي:

(23ب) الليبراليون متخلفون عقليا.

(24ب) أنا أكرهك.

بتعبير أبسط، عدَّل المتكلّم الفعلين الإنجازيين في التّركيبين أعلاه وأصبحا أكثر مقبولية بغية تجنب أية مقاومة في سياق المحادثة، وهذا التعديل، أو إضمار الدلالات الفعلية، ساعد المتكلّم على تحقيق أهدافه المرجوة.

6.2.7 الدعوة إلى حل المشكلة (Call for action): يقصد بها الرسائل المقتضبة التي تنتشر إلكترونيا وتدعو إلى التعامل مع مشكلة طارئة وخطرة، حيث تستلزم لاحقا إجراءات فعلية أو قرارات أو حملات إعلامية متنوعة، منها الصّريح ومنها المضمر بغية حشد نسبة مرتفعة من التأييد لقضية معينة أو إيجاد الحلول لها. ومن أمثلة ذلك مشكلة

---

1 http://www.atahari.com/كيف نحمي أطفالنا من وحوش الإنترنت/ (Accessed 25/9/2022)

الحرب بين روسيا وأوكرانيا، حيث اتهمت دول حلف الناتو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (Vladimir Putin) بأنه (مجرم حرب) للضغط عليه وحثه على التراجع عن أفعاله.

7.2.7 الاستغلال المتعدد الوسائط (Multimodal abuse): يقصد به الصور أو مقاطع الفيديو القصيرة التي تنشر إلكترونيا، وهي شبيهة بما ورد أعلاه، إلا أن الفرق بينهما أن الأولى تستدعي التعامل مع مسائل عامة، أما الثانية فإنّها أكثر خصوصية.

8.2.7 الاستفهام البلاغي (Rhetorical question): يقصد به الأسئلة التي تطرح ليس لطلب توضيح فكرة غامضة، بل للتّعبير عن رأي ما أو عن مشاعر ما. ترتبط هذه المشاعر بقضية إنسانية أو سياسيّة أو دينية ويتأتى عنها ردا أو تعليقا[1]، وكثيرًا ما تترافق والاستلزام التحاوري، لأن هذه المشاعر تجذب انتباه المستمع وتحثّه أحيانًا على التّفكير أو على التّعبير عن مشاعره أو الاقتناع بفكرة ما؛ لذلك يعد الاستفهام البلاغيّ أسلوبا تواصليّا تداوليًا، وأمثلته كثيرة جدا في الثقافة العربيّة.

9.2.7 الاستعارة (Metaphor): الاستعارة تركيب من التّراكيب غير المحكمة، وسبق وعرضت في المثال الأول من هذا البحث لموضوع الدلالات المضمرة التي تترافق والاستعارة المفهومية في أثناء التّواصل.

3.7 أهداف التّواصل المضمر

1.3.7 التّلاعب بالعقول

تتنوّع جوانب استخدام التّلاعب بالعقول (Manipulation)، سواء أكان ذلك في عالم السّياسة أم في عالم آخر، وهو يستغل خصائص خطابيّة عديدة، منها ما يقتصر على استغلال اللّغة، ومنها ما يستغل أنواع الذّاكرة في الدّماغ وأهمها الذاكرة العاملة، ومنها أيضا ما يتطلب استغلال اللّغة وأنواع الذاكرة الإنسانية معا وهو أكثرها لأنه يجمع بين الاثنين معا. ويترافق نجاح التّلاعب بالعقول أحيانا كثيرة والخطابات التي تلقى في

1 Wiegand, Michael; Ruppenhofer, Josef & Eder, Elisabeth (2021) "Implicitly Abusive Language: What Does it Actually Look Like and Why are we Not Getting There?", Proccedings of the 2021 Conference of the North America. Stroudsburg: Association for Computational Linguistics. pp. 577-580.

وسائل الإعلام العامة[1]، لأن السّياسيّين يستغلون هذه الوسائل لإيصال رسائلهم في سياقات تناسب مصالحهم.

يعرف نورمان فاركلوف (Norman Fairclough) التّلاعب بالعقول بكلمات دقيقة جدا، ويقول بأن التّلاعب بالعقول هو الاستخدام الواعي للغة **بأسلوب منحرف بغية السيطرة على الآخرين**، ثم يشرح معنى عبارة الاستخدام الواعي للغة قائلا: «إنها تعني إخفاء استراتيجية المرء وأهدافه»، ثم يربطه بموضوع علاقة السّلطة باللّغة[2]، وهو ما سأتطرق إليه أدناه. لذلك يتطلب التّلاعب بالعقول تواصلا مضمرا، لأن المتلاعب بالعقول لن يصرح للمتلاعب بهم قائلا: سأتلاعب بعقولكم! أما الآن فسأتوقف عند مثال جرت أحداثه في مؤسّسة لبنانيّة:

(25) لا يوجد أوراق.

ترددت هذه العبارة كثيرا على ألسنة الموظفين في المؤسّسات العامة اللّبنانيّة بسبب تردي الأوضاع الاقتصاديّة ردًا على طلبات المواطنين الذين سعوا إلى الاستحصال على مستندات الهوية اللّبنانيّة، وكثيرا ما كانت تعني تلاعبا بالمواطن وليس أنه لا يوجد أوراق، على الرغم من شح الأوراق في المؤسسات المذكورة؛ لذلك فإن الرد على الأرجح هو إما طلب غير مباشر لإجراء (الوساطة)، وإما هو طلب غير مباشر للحصول على (رشوة)، مثل ما حدث في أقلام النفوس التابعة للمديرية العامة للأحوال الشخصية في لبنان في عام 2022. وفي هذه الحالة، فإن استخدام الفعل التّأثيري (Perlocutionary act) هو ما يرمي إليه المتكلّم، لا سيما إذا كان يسعى إلى إحداث فعل تأثيري في المستمع[3]، وبخاصة أن السّياق لا يسمح إلا باستخدام استراتيجيات تواصليّة مضمرة.

2.3.7 ممارسة السّلطة والهيمنة

يرتبط استخدام السّلطة مباشرة بالتّلاعب بالعقول وكثيرا ما يترافقا معا، وتعد ممارسات السّلطة الناجحة شرطا رئيسا من شروط نجاح التّلاعب بالعقول. فالسّياسيّون المحترفون

1 Fairclough, Norman (2001) “Manipulation”, In Rajend Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Elsevier. p. 574.

2 Fairclough (2001) “Manipulation”, In Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. p. 574.

3 Fairclough (2001) “Manipulation”, In Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. p. 574.

أو أصحاب النفوذ هم أكثر من يتلاعب بعقول غيرهم بسبب قدراتهم على استغلال الآخرين أو استغلال سلطتهم ونفوذهم في إدارة كلامهم أو خطاباتهم، حيث يتجرأون على ترجمة سلطتهم في البنية السطحية والعميقة للخطاب، كالموظف الذي ذكرته أعلاه؛ وما يتيح ذلك هو المفهوم القائل باشتراط وجود السّلطة وجودا مسبّقا، حيث تتجلى ممارسة السّلطة في الخطاب (Power in discourse)، أي أن النظام المتداول هو مصدر رئيس لممارسة السّلطة في الخطاب[1].

كتب بول شيلتون (Paul Chilton) في هذا السياق ما يأتي: ينشأ التّواصل المنحرف عن القدرة غير المتساوية لطرفي التّواصل على الوصول إلى إجراء التّواصل نفسه، ومرد ذلك قدرة أحد طرفي التّواصل على ممارسة السّلطة من دون الآخر[2]، حيث لا تتساوى قدراتهما التّواصليّة على المشاركة الفعالة. إلا أنّ ممارسة السّلطة واستغلالها ليس مضمونًا دائما، وهناك حالات عديدة يتحوّل الخطاب فيها وسيلة ديناميّة لممارسة السّلطة ممارسة نسبية، وعندها يتحوّل الصراع بين الأطراف المتخاصمة على قضية ما إلى صراع داخل الخطاب وعليه (Power over discourse). فممارسة السّلطة تؤدّي أحيانا كثيرا إلى مقاومة تتجلى في الخطاب[3]، وتلاحظ هذه المقاومة باحتدام الحوار وارتفاع الأصوات، أو بالقول: «ليس هذا ما أعنيه»، أو قد يمتنع أحدهم عن المشاركة في إجراء التّواصل اللّغويّ، كأن يقفل عائدا من لقاء تحاوري أو اجتماع ما.

لذلك يسعى الطرف الذي يحاول الهيمنة (Hegemony) على الطرف الآخر إلى استغلال بعض الأساليب المضمرة لتعزيز هيمنته وفرض سلطته وهيمنته على الآخر لكي يتجنب أي نوع من أنواع المقاومة. ومن هذه الأساليب استغلال مبدأ التأدب والأيديولوجيا وبعض الممارسات الخطابية التي تمهد للهيمنة وممارسة السّلطة على الآخر، كتعديل الفعل الإنجازي، أي تخفيف قوته[4]، مثل ما ورد في المثالين رقم (23) و(24). ومن أمثلة الممارسات اللّغويّة المضمرة أيضا إعادة سبك الكلام، واستغلال انتباه

1 Fairclough, Norman (2001) “Power and Language”, In Rajend Mesthrie (ed) Concise Ency-clopedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Elsevier. pp. 592-593.

2 Chilton, Paul A. (2001) “Politics and Language”, In Rajend Mesthrie (ed) Concise Encyclo-pedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Elsevier. p. 587.

3 Fairclough (2001) “Power and Language”, In Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. p. 595.

4 Fraser, Bruce (1980) “Conversational Mitigation”, Journal of Pragmatics 4. p. 342.

الآخرين، وتدجين الكلام وغيره وذلك كله لجعل الخطاب أكثر تماسكا (Coherent)[1]، أي جعله أكثر مقبولية ورفع نسبة كفاءته التّواصليّة في فقرات محددة، وذلك لإيصال الأفكار التي يرمي إليها الخطيب بأساليب مضمرة لا تستدعي أية مقاومة.

ومن الأمثلة التي لجأ إليها السّياسيّون في خطاباتهم ولا يزالون مسألة لجوئهم إلى تدجين خطاباتهم وفق اللهجات المحلية أو العامية، وذلك لإيصال أفكارهم بأساليب مضمرة وسهلة للاستيعاب أكثر مما لو تكلموا بالفصحى أو خطبوا بها. ومن أشهرهم في تاريخ الجمهورية اللّبنانيّة الرئيس الراحل بشير الجميّل في بداية ثمانينيات القرن الماضي، إذ كان يتكلم بالفصحى عمدا عندما يتكلم عن مسائل سياسيّة خارجية كالمسألة الفلسطينية، وكان يتكلم باللهجة العامية أو يخطب بها عندما يتناول في خطابه مسائل داخلية، كخطابه الشهير أمام نقابة الصحافة بتاريخ 8/9/1982 عندما طلب منهم أن يقولوا الحقيقة، محاولا بذلك، أي بأسلوب خطابه ودلالاته، البدء بممارسة سلطته كرئيس جديد منتخب وإظهار خططه لمستقبل لبنان من دون التسبب بأية مقاومة لخطابه السّياسيّ، لأنه لم يكن قد تسلم سلطاته الدستورية في أثناء إلقائه الخطاب المذكور. ومما جاء في خطابه المذكور:

(26) جاي أطلب منكن تقولوا الحقيقة أد ما كانت هالحقيقة صعبة تكون لما منقول الحقيقة متل ما هي منسعى لتغيير هالحقيقة هاي ولتظبيط الوضع منسعى لتجنب كل الأخطاء والممارسات يلي هي منا مظبوطة بس وقت يلي منموها يمكن يكون في ميل أو يمكن متل ما بيقولوا لا توقعنا في التجارب...

3.3.7 السّخرية والفكاهة

يرى الباحثون أن أساليب استخدام اللّغة واستغلالها في موضوعي السّخرية والفكاهة تتشابه واستخدام اللّغة واستغلالها في موضوعات أُخر، وكثيرا ما تكون مضمرة[2]؛ أضف إلى ذلك أن موضوع السّخرية (Irony) يتماثل وموضوع الهجاء (Satire) والمحاكاة

---

1 Fairclough2001)) “Power and Language”, In Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolin–guistics. pp. 594–595.

2 Kotthoff, Helga (2009) “An Interactional Approach to Irony Development”, In Neal R. Norrick & Delia Chiaro (eds) Humor in Interaction. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. p. 52.

التهكمية (Parody) والتهكم (Sarcasm). لذلك سأكتفي في هذا المبحث بدراسة موضوعي الفكاهة والسّخرية، ولا سيما أنني كنت قد عرضت في المثال رقم (6) موضوع استخدام الهجاء الذي كثيرا ما يعد ممارسة خطابية، أي تجل من تجليات التّداوليّات الخطابية (Discursive pragmatics)[1].

تتميز السّخرية بطبيعتها التداوليّة، حيث يترافق استخدام اللّغة والمعاني المضمرة، أما الفكاهة فتختلف قليلا، لإنّه وإن بدأت الفكاهة باستخدام المعاني المضمرة فإنّ التّصريح بها في نهاية المطاف أمر لا بد منه، وهو أمر لا ينسحب على موضوع السّخرية[2]. فالساخر لا يصرح للمسخور منه بأنه يسخر منه، بل كثيرا ما يستخدم أساليب مضمرة لأسباب عديدة، منها قد يكون الكره والغيرة، ومنها أن المرء أحيانا يتمتع بشخصية ساخرة، وقد تجتمع المسألتان معا كما اجتمعت مع الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب (Donald Trump) الذي سخر بتاريخ (21/9/2022) من مكان جلوس الرئيس الأميركي جو بايدن (Joe Biden) في الصف الرابع عشر في أثناء إقامة جنازة الملكة إليزابيث الثانية قائلا:

(27) «إذا كنت أنا الرئيس، فإنهم بالطبع لم يكونوا ليخصصوا لي هذا المقعد في الخلف... هذا ما حدث لأمريكا خلال شهور قليلة، لا يوجد احترام، إلا أن هذه فرصة جيدة للرئيس الحالي كي يتعرف عن قرب إلى زعماء دول العالم الثالث»[3].

ففي قوله: «هذه فرصة... يتعرف عن قرب إلى زعماء دول العالم الثالث» يعبّر الرئيس الأميركي السابق ترامب عن مشاعره وتقييمه للتجربة، إذ يوازي بين زعماء دول العالم الثالث ورئيس أميركا الحالي!! أضف إلـى ذلك أن السّخرية موقف عدائي وتحقيري[4]، وهذا ما حاول الرئيس الأميركي تضمينه في موقفه الساخر، فهو يقول للرئيس بايدن: «أنا أكرهك ولا أحترمك»، ولكن بأسلوب غير مباشر ومضمر يمكن

---

1 Simpson, Paul (2003) On the Discourse of Satire: Towards a Stylistics Model of Satire. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. p. 72.

2 Gurillo, Leonor Ruiz & Ortega, M. Belén Alvarado (2013) "The Pragmatics of Irony and Humor", In Leonor Ruiz Gurillo & M. Belén Alvarado Ortega (eds) Irony and Humor: From Pragmatics to Discourse. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. pp. 1-5.

3 http://www.atahari.com/ترامب يسخر من موقع بايدن خلال جنازة الملكة إليزابيث/ (Accessed 22/9/2022)

4 Grice, Paul H. (1978) "Further Notes on Logic and Conversation", In Peter Cole (ed) Syntax & Semantics: Pragmatics 9. New York: Academic Press. p. 124.

استنتاجه من الاستلزام التحاوري، لأن السّخرية هي خرق لمبدأ النوعية (Maxim of quality) في مبادئ الحوار[1].

4.3.7 الحجاج والمغالطات المنطقيّة

يشمل التّواصل كل ما يمكن أن يصدر عن الإنسان من كلام وأقوال اتخذت أشكالا وأجناسا متعددة تبعا لغايات معينة، والحجاج (Argumentation) غاية من غايات استعمال المرء للغة في أثناء التّواصل، أي أن الحجاج والتداوليّة يرتبطان معا ارتباط وثيقا. وبما أن مبادئ المقامية لا تتيح للمرء الإطالة في تقديم الحجج، فإن فعالية الخطاب الحجاجي تأتي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره وديناميّة مكوناته، حيث يصبح دور الاقتصاد في الأدلة الحجاجية دورا مهما في عملية الإقناع[2]. لذلك يلجأ المرء أحيانا إلى استخدام مقدمات منطقية (Premises) أو أجزاء أخرى من الحجاج استخداما مضمرا في حجاجه[3]، وقد يلجأ أيضا إلى الالتباس للغاية نفسها[4].

وتشير دراسات التداوليّة إلى أن الإضمار لا يترافق واستعمال الحجج فحسب، بل يترافق أيضا واستعمال المغالطات المنطقية (Fallacies)[5] التي تعد أنماطا شائعة من الحجج الباطلة، وهذه الأخيرة يمكن كشفها في عملية تقييم الاستدلال غير الصوري[6]. ومن أمثلة هذه المغالطات مغالطة الاحتكام إلى القوة (العصا) أو التهديد (Argumentum ad baculum) التي قد تعيق حل الاختلاف في الرأي بين طرفي الحوار[7]، نحو:

(28) أتعرف يا دكتور أدهم أني بحاجة إلى تقدير «ممتاز» في هذه المادة؟ يسرني أن أمر عليك فيما بعد لنتحدث في ذلك. إنني سأكون بجوار مكتبك على أي حال أزور والدي. إنه عميد كليتك بالمناسبة. مع السلامة. أراك بخير.

1Grice, Paul H. (1975) »Logic and Conversation«, In Peter Cole & Jerry L. Morgan (eds) Syntax and Semantics 3. New York: Academic Press. p. 53.

2 عشير، عبد السلام (2006) **عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل الحجاجي**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق. ص 59 و129.

3 Van Eemeren, Frans H. & Henkemans, A. Francisca Snoeck2017)) Argumentation: Analysis and Evaluation. London: Routledge. p. 43.

4 عشير (2006) **عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل الحجاجي**. ص 131.

5 Van Eemeren, Frans H. & Grootendorst, Rob (2004) A Systemic Theory of Argumentation: the Pragma-Dialectical Approach. Cambridge: Cambridge University Press. p.180 .

6 مصطفى، عادل (2019) **المغالطات المنطقية**. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع. ص 17.

7 Van Eemeren & Grootendorst (2004) A Systemic Theory of Argumentation: the Pragma-Dialectical Approach. p. 180.

يمكن تجريد مغالطة الاحتكام إلى القوة في الصورة الآتية:

(28 ب) اقبل الحجة أ وإلا فإن الحدث س سوف يحدث الحدث س مؤذٍ أو مدمِّر أو مهدِّد إذن الحجة أ حجة سديدة كتب عادل مصطفى معلقا بأسلوب صريح عن موضوع إضمار التهديدات وفعاليته بغية الإقناع ما يأتي:

«نحن لا ننظر إلى الاختلاف في الرأي على أنه ثراء وخصب، بل على أنه انحراف وخيانة... ومن المؤسف في أمر العصا أن **التهديدات، الصّريحة أو المستترة، الظاهرة أو المضمرة**، بوسعها أن تخلق وهما بأن امرءا ما قد تم إقناعه أو إفحامه»[1].

بتعبير آخر يفيد الاستلزام التحاوري من المثال الوارد أعلاه أن هناك تهديدا، وهو تهديد مضمر لم يرد صريحًا، ولو ورد صريحًا لما كان على الأرجح فعالّا كما لو ورد مضمرا.

5.3.7 التفاهم وسوء التفاهم

تبين أعلاه أنّ التّهديدات المضمرة تسهم أحيانًا في إقناع الآخر في أثناء عملية التفاوض، وهذا أسلوب منحرف من أساليب التفاهم المتنوعة. والتفاوض بغية التفاهم، أي معادلة رابح–رابح (Win–win situation)، يعد أحد أبرز أهداف التّواصل الواقعي الذي ذكرته في بداية هذا البحث، وقد يتأتى ذلك عن التّواصل الصّريح أو المضمر، وآلياته شبيهة بآليات الحجاج المذكور أعلاه، إلا أن سوء التفاهم المقصود، أو معادلة رابح–خاسر (Win–lose situation)، قد يكون أيضا أحد أهداف التفاوض، وقد يتأتى سوء التفاهم المقصود عن عدم اختيار ملفوظات صريحة أو معلومات صريحة، أي اختيار التّواصل المضمر اختيارا مقصودا[2].

فعلى سبيل المثال، عندما تفاوض رجل الأعمال الشهير إيلون ماسك (Elon Musk) والمسؤولين عن المنصة الاجتماعيّة تويتر (Twitter) لشرائها اكتشف ماسك لاحقا أن المنصة المذكورة تمتلك عددا كبيرا جدا من الحسابات الوهمية، فعدل عن شراءها؛ ومن ثم نشرت وسائل الإعلام لاحقًا أن ماسك يريد شراء المنصة مجددًا بسعر مماثل لما تم

---

1 مصطفى (2019) **المغالطات المنطقية**. ص 141–142.

2Verdonik, Darinka (2010) “Between Understanding and Misunderstanding”, Journal of Pragmatics 42, p. 1369. http://doi:10.1016/j.pragma.2009.09.0007 (Accessed 7/10/2022)

اقتراحه في العرض الأول، لأن المنصة المذكورة رفعت دعوى قضائية على ماسك[1]. ما يهمني في هذا البحث هو ما ذكرته منصة تويتر التي قالت عن الموضوع ما يأتي: «إن مخاوف ماسك [أي كلامه عن عدد الحسابات الوهمية] هي ذريعة للخروج من الصفقة»[2].

يمكن الاستنتاج من كلام المنصة المذكور أنه عندما اكتشف إيلون ماسك شيئا ما غير صحيح حاول إفشال عملية التفاوض لشراء المنصة، أو أقله حاول المماطلة في المفاوضات الممهدة لشراءها، فعبَّر عن ذلك بأسلوب مضمر، أي بأسلوب غير صريح، واستغل سلطته ونفوذه الهائلين لتحقيق ذلك، لئلا يتعرض للمساءلة القانونية، سواء أكان السبب يتعلق بعدد الحسابات الوهمية أم بصعوبة قيام ماسك بدفع المبلغ المذكور مثل ما قيل.

والجدير ذكره هنا، أنّ ما فعله ماسك هنا تفسره مقاربة ستيفن لوك (Steven Luckes) لاستخدام السّلطة وأبعادها الثلاثة، ولا سيما البعد الثالث الذي يرتبط بالهيمنة، وهو أكثرهم شأنا، لأنه غدار وماكر وخفي (Insidious) ويؤثر في أفكار الأفراد ورغباتهم تأثيرا شديدا حتى أنهم يطلبون أشياء كانوا ليعارضوها في سياقات مختلفة.[3] وبتعبير آخر، تراوح أسلوب ماسك في المفاوضات التي جرت بين الضغط والخداع.

8. نقاش وآفاق جديدة للبحث

يبدو مما ورد أعلاه أن التّواصل المضمر ترافق واستخدام العناصر الأخرى من عناصر التّداوليّات الخطابية واستغلالها استغلالا ديناميا. هذا الاستغلال إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن التّواصل المضمر دينامي والنجاح في ممارسته يتطلب أنواعا لا يستهان بها من المهارات التّواصليّة والفطنة. أضف إلى ذلك أن التّواصل المضمر يتأثر بالجوانب الإدراكية والاجتماعيّة والنفسية التي تحكم عمل التّداوليّات الخطابية.

يبدو أيضا، وعلى الرغم من صعوبة الجمع بين الكفاية الإدراكية الخاصة بالمرء والجوانب الاجتماعيّة العامة التي تضع الانتظامات الاجتماعيّة معيارا لاستعمال اللّغة،

---

1 http://www.lebeconomy.com/205774 (Accessed 5/10/2022)

2 http://www.atahari.com/فريق دفاع إيلون ماسك يوجه تهمة خطيرة لـ«تويتر»/ (Accessed 10/9/2022)

3 Lukes, Steven (2005) Power: A Radical View. Houndmills: Palgrave Macmillan. pp. 25–28.

يبدو أن تحليل التّواصل المضمر قد يكشف الممارسات الإبداعية الناتجة عن استعمال الّلغة استعمالا شخصيا واستغلالها استغلالا اجتماعيا في الوقت نفسه، ممارسات يحاول المنهج التّداوليّ أن يكشفها من دون الاستغناء عن النتائج التي قد يتيحها منهج علم الّلغة الاجتماعيّ في تحليل الخطاب، لأن هذا الأخير يهتم بدراسات العلاقات الخارجيّة لاستعمال الّلغة ومنها المقامية، ولا سيما أنه يعد منهجا شبيها باللّسانيّات التداوليّة.

تبين في المبحث الأخير أن العلم بالتّفكير الاجتماعيّ المعيار ضروري لكل من يريد استخدام الّلغة واستغلالها قي الوقت نفسه، ولا سيما إنجاز ما يقصد من التّواصل المضمر. فعلى سبيل المثال، عندما سخر الرئيس ترامب من الرئيس بايدن مستغلا الّلغة ترافق الاستلزام التحاوري والسّخرية في أسلوب الأول، ما جعل العمليات الإدراكية أكثر تعقيدا. لذا كلما ضمّن المتكلّم خطابه كلاما مضمرا ازداد الجهد الإدراكي لكشف الاستلزام التحاوري، لأن الأخير نفسه يرد مضمرا؛ زد على ما ورد للتو أن استراتيجيات التّواصل المضمر وأساليبه وأهدافه ليست قواعد نهائية، بل قد تختلف باختلاف الأجيال والأزمنة والأمكنة والثقافات.

أظهرت نتائج البحث أيضا أن آلية الوصول إلى الاستلزام التحاوري يمكن التّلاعب بها أيضا، ويمكن للعمليات الاستدلالية المرافقة له أن تكون متنوعة ومتدرجة مثل ما ورد تباعا في الأمثلة رقم (25) و(26) و(27)؛ وأسباب ذلك عديدة، ومن أهمها أن السّلطة التي تؤثر في عمليات الاستدلال ترافقت أيضا واستخدام التّواصل المضمر في معظم المسائل التى عرضتها في المبحث الأخير. والجدير ذكره هنا، أن هذا البحث افترض الوجود المسبّق للسلطة في أثناء مقاربة بعض المسائل المطروحة. ولكن ماذا لو وظفت منهجية التحليل التي لا تفترض وجود مسبّق للسلطة، وماذا لو لم يترافق التّواصل المضمر والسّلطة وترافق التّواصل المضمر وغياب السّلطة! كيف كانت لتصاغ الملفوظات؟ وهل ينجح التّواصل المضمر في هذه الحالة؟

المصادر والمراجع العربية:

1. سيرل، جون (1979) «تشومسكي والثورة اللّغويّة»، **الفكر العربي**. بيروت: معهد الإنماء العربي. ع8 و9.
2. عشير، عبد السلام (2006) **عندما نتواصل نغير: مقاربة تداوليّة معرفية لآليات التّواصل الحجاجي**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
3. محسب، محي الدين (2008) **انفتاح النسق اللساني: دراسة في التداخل الاختصاصي**. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
4. مصطفى، عادل (2019) **المغالطات المنطقية**. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

المصادر والمراجع الأجنبية:

5. Allot, Nicholas (2010) key Terms in Pragmatics. London: Continuum.
6. Apte, M. L. (2001) "Language in Society: Overview", In Mesthrie, Rajend (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Elsevier. pp. 36-48.
7. Bach, Kent (2006) "Pragmatics and the Philosophy of Language", In Laurence
R. Horn & Gregory ward (eds) The Handbook of Pragmatics. Oxford: Blackwell
Publishing. pp. 463-487.
8. Bach, Kent (2011) "Grice", In Barry Lee (ed) Philosophy of Language: the Key Thinkers. London: Continuum. pp. 179-198.
9. Bach, Kent (2012) "Saying Meaning and Implicating", In Keith Allan & Kasia M. Jaszczolt (eds) The Cambridge Handbook of Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press. pp. 47-67.
10. Bakhtin, M. M. (1994) "The Problem of Speech Genres" , In Caryl Emerson & Michael Holquist (eds) Speech Genres and Other Late Essays, Translated by Vern W. McGee. Austin: University of Texas Press. pp. 60-102.
11. Barker, S. (2006) "Intention and Semantics", In Keith Brown et al. (eds) Encyclopedia of Language & linguistics 4. Amsterdam: Elsevier. pp. 721-724.
12. Brown, Gillian & Yule, George (1983) Discourse Analysis. Cambridge: Cambridge University Press.
13. Carston, Robyn (2002) Thoughts and Utterances: The Pragmatics of Explicit Communication. Oxford: Blackwell Publishing.

14. Carston, Robyn (2016) "Contextual Adjustment of Meaning", In Nick Riemer
(ed) The Routledge Handbook of Semantics. London: Routledge. pp. 195-210.

15. Chilton, P. A. (2001) "Politics and Language", In Rajend Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Elsevier. pp. 584-591.

16. De Beaugrande, Robert & Dressler, Wolfgang (1981) Introduction to Text Linguistics. London: Longman.

17. Fairclough, Norman (2001) "Manipulation", In Rajend Mesthrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Elsevier. pp. 574-575.

18. Fairclough, Norman (2001) "power and Language", In Rajend Mes-thrie (ed) Concise Encyclopedia of Sociolinguistics. Amsterdam: Else-vier. pp. 591-597.

19. Fernández, Eva M. & Cairns, Helen Smith (2011) Fundamentals of Psycholinguistics. Oxford: Wiley-Blackwell.

20. Fraser, Bruce (1980) "Conversational Mitigation", Journal of Prag-matics 4. pp. 341-350.

21. Gleitman, Lila & Papafragou, Anna (2005) "Language and Thought", In Keith J. Hoyloak & Robert G. Morrison (eds) The Cambridge Hand-book of Thinking and Reasoning. Cambridge: Cambridge University Press. pp. 633-661.

22. Grice, Paul H. (1975) "Logic and Conversation", In Peter Cole & Jerry L. Morgan (eds) Syntax and Semantics 3. New York: Academic Press. pp. 41-58.

23. Grice, Paul H. (1978) "Further Notes on Logic and Conversation", In Peter Cole (ed) Syntax & Semantics: Pragmatics 9. New York: Aca-demic Press. pp. 113-127.

24. Grice, Paul H. (2014) "Using Language to Mean Something", In Jo-hannes Angermuller; Dominique Maingueneau & Ruth Wodak (eds) The Discourse Studies Reader: Main Currents in Theory and Analysis. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. pp. 60-68.

25. Gurillo, Leonor Ruiz & Ortega, M. Belén Alvarado (2013) "The Pragmatics of Irony and Humor", In Leonor Ruiz Gurillo & M. Belén Al-

varado Ortega (eds) Irony and Humor: From Pragmatics to Discourse. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. pp. 1-13.

26. Handl, Sandra & Schmid, Hans-Jörg (2011) "Introduction", In Sandra Handl & Hans-Jörg Schmid (eds) Windows to the Mind: Metaphor Metonomy and Conceptual Blending. Berlin: De Gruyter Mouton. pp. 1-20.

27. Huang, Y. (2006) "Speech Acts", In Keith Brown et al. (eds) Encyclopedia of Language and Linguistics 11. Amsterdam: Elsevier. pp. 656-665.

28. Kennedy, Christopher (2011) "Ambiguity and Vagueness: An Overview", In Claudia Maienborn; Klaus Von Heusinger & Paul Portner (eds) Semantics: An International Handbook of Natural Language Meaning 1. Berlin: De Gruyter Mouton. pp. 507-535.

29. Kotthoff, Helga (2009) "An Interactional Approach to Irony Development", In Neal R. Norrick & Delia Chiaro (eds) Humor in Interaction. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. pp. 49-77.

30. Lakoff, George (1993) "The contemporary Theory of Metaphor", In Andrew Ortony (ed) Metaphor and Thought. Cambridge: Cambridge University Press. pp. 202-251.

31. Langlotz, Andreas (2016) "Language Creativity and Cognition", In Rodney H. Jones (ed) The Routledge Handbook of Language and Creativity. London: Routledge. pp. 40-60.

32. Lederer, Marianne (2014) Translation: the Interpretive Model, Translated by Ninon Larché. London: Routledge.

33. Leech, Geoffrey (1990) Principles of Pragmatics. London: Longman.

34. Leech, Geoffrey & Thomas, Jenny (1990) "Language Meaning and Context: Pragmatics", In N. E. Collinge (ed) An Encyclopedia of Language 1. London: Routledge. pp. 94-113.

35. Litman, Leib & Reber, Arthur S. (2005) "Implicit Cognition and Thought", In Keith J. Hoyloak & Robert G. Morrison (eds) The Cambridge Handbook of Thinking and Reasoning. Cambridge: Cambridge University Press. pp.431-453.

36. Longworth, Guy (2017) "Semantics and Pragmatics", in Bob Hale; Crispin Wright & Alexander Miller (eds) A Companion to the Philosophy of Language 1.

Oxford: Wiley-Blackwell. pp. 107-126.

37. Lukes, Steven (2005) Power: A Radical View. Houndmills: Palgrave Macmillan.

38. Masia, Viviana (2021) The Manipulative Disguise of Truth: Tricks and Threats of Implicit Communication. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

39. Mazzone, Marco (2017) “Why Don’t you Tell it Explicitly? Personal/ Subpersonal

Accounts of Implicitness”, In Piotr Cap & Marta Dynel (eds) Implicitness: From Lexis to Discourse. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. pp. 259-279.

40. Mey, Jacob L. (2017) “Interdisciplinarity in Pragmatics and Linguistics”, In Anne Barron; Yueguo Gu & Gerard Steen (eds) The Routledge Handbook of Pragmatics. London: Routledge. pp. 4-18.

41. Navarro, Jesús (2017) “Intention (Including Speech Act)”, In Anne Barrone; Yueguo Gu & Gerard Steen (eds) The Routledge Handbook of Pragmatics. London: Routledge. pp. 215-226.

42. Ogden, C. K. & Richards, I. A. (1923) The Meaning of Meaning. New York: A Harvest Book.

43. Quine, W.V.O. (2013) Words & object. Cambridge: The MIT Press.

44. Recanati, François (2006) “Pragmatics and Semantics”, In Laurence R. Horn & Gregory Ward (eds) The Handbook of pragmatics. Oxford: Blackwell Publishing. pp. 442-462.

45. Schäffner, Christina (2004) “Metaphor and Translation: Some Implications of a Cognitive Approach”, Journal of Pragmatics 36, pp. 1253-1269.

46. Simpson, Paul (2003) On the Discourse of Satire: Towards a Stylistics Model of Satire. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

47. Sperber, Dan & Wilson, Deirdre (1989) Relevance: Communication and Cognition. Oxford: Blackwell Publishing.

48. Thomas, Jenny (2013) Meaning in Interaction. London: Routledge.

49. Van Eemeren, Frans H. & Grootendorst, Rob (2004) A Systemic Theory of Argumentation: the Pragma-Dialectical Approach. Cambridge: Cambridge University Press.

50. Van Eemeren, Frans H. & Henkemans, A. Francisca Snoeck (2017)

Argumentation: Analysis and Evaluation. London: Routledge.

51. Verdonik, Darinka (2010) "Between Understanding and Misunderstanding", Journal of Pragmatics 42. pp. 1364-1379.

http://doi:10.1016/j.pragma.2009.09.0007 (Accessed 7/10/2022)

52. Wardhaugh, Ronald (2002) An Introduction to Sociolinguistics. Oxford: Blackwell Publishing.

53. Wiegand, Michael; Ruppenhofer, Josef & Eder, Elisabeth (2021) "Implicitly Abusive Language: What Does it Actually Look Like and Why are we Not Getting There?, Proccedings of the 2021 Conference of the North America. Stroudsburg: Association for Computational Linguistics. pp. 576-587.

المراجع الإلكترونية:

54. http://www.atahari.com/ترامب يسخر من موقع بايدن خلال جنازة الملكة إليزابيث/ (Accessed 22/9/2022)

55. http://www.atahari.com/فريق دفاع إيلون ماسك يوجه تهمة خطيرة لـ«تويتر"/" (Accessed 10/9/2022)

56. http://www.atahari.com/كيف نحمي أطفالنا من وحوش الإنترنت/ (Accessed 25/9/2022)

57. http://www.diwanalarab.com/دع المكارم لا ترحل لبغيتها/ (Accessed 28/7/2022)

58. http://www.lebeconomy.com/205774 (Accessed 5/10/2022)

الأنماط القياديّة وعلاقتها بالأداء الوظيفيّ من وجهة نظر العاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة

علي حبيب مهنا (جامعة القديس يوسف)

ملخّص الدّراسة

هدفت الدراسة التّعرف إلى الأنماط القياديّة السّائدة لدى مديري المدارس الثّانويّة الرّسميّة في محافظة جبل لبنان وعلاقتها بالأداء الوظيفيّ من وجهة نظر العاملين فيها (ناظر – منسّق – مشرف – مدرس)، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفيّ لملاءمته موضوع الدّراسة، ولتحقيق أهداف الدذراسة استخدم استبانتين، الأوّلى موجهة إلى المديرين، والثّانية موجهة إلى العاملين، وطبقتا على 20 ثانوية (20 مديرًا و 200 عاملًا) وبنسبة 27 % من الثانويّات الرّسميّة في محافظة جبل لبنان.

وقد توصلت الدراسة إلى عدّة نتائج كان من أهمها:

أنّ النّمط القياديّ الدّيمقراطيّ هو النّمط الاكثر ممارسة من قبل مديري ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة، حيث أنّ هذا النّمط متوافر تمامًا، يليه النّمط القياديّ الحرّ واخيرًا النّمط القياديّ الاوتوقراطي. كما توصلت الدّراسة إلى وجود خصائص تؤدّي إلى تحسّن الأداء الوظيفيّ وهي: عدم تقيد المديرين بالأنظمة والتّعليمات التي تعيق مبادرات العاملين الشّخصيّة لتحسين أدائهم الوظيفيّ/ عدم الفتور في العلاقات الإنسانيّة/ توفير الإمكانيّات الماديّة في بيئة العمل/ استخدام التّقنيّات الحديثة/ الشّعور بالرّضى عن الوظيفة/ حزم القيادة يسهم في تحسين الكفاءة الإنتاجيّة/ تقوية تفويض السّلطات يساعد في تحسّن الأداء الوظيفيّ لدى العاملين، وأخرى تؤدّي إلى تراجع الأداء الوظيفيّ وهي: ضعف التّفاعل بين المديرين والعاملين/ نظام الاتّصال السّائد في القطاع العام/ عدم تقبل المديرين لمقترحات العاملين وآرائهم/ ضعف المنافسة بين العاملين/ عدم المشاركة في اتّخاذ القرارات/ عدم توفير الرّعاية للعاملين في القطاع العام/ عدم الحصول على التّرقية في مواعيدها/ عدم عدالة نظام الحوافز. وكشفت الدّراسة أن هناك علاقة ايجابيّة

بين النّمط القياديّ الديمقراطيّ والحرّ مع الأداء الوظيفيّ، أمّا فيما يتعلّق بالنّمط القياديّ الاوتوقراطيّ فإنّه لا يوجد أي علاقة مع الأداء الوظيفيّ.

Abstract

The study aimed to identify Leadership patterns prevailing among the principals of secondary schools in the province of Mount Lebanon and its relationship to job performance from the perspective of workers (Headmaster – Coordinator – Supervisor– Teacher). Here then, the descriptive approach has been used due to its suitability to the subject of the study. To achieve the objectives of the study, the researcher used two questionnaires: the first addressed to the managers, and the second addressed to the workers, and this has been implemented on 20 secondary schools (precisely 20 directors and 200 workers), that is 27 % of public high schools in the province of Mount Lebanon.

The study reached some of the important results:

The democratic pattern is the most practiced type of leadership style by the directors of secondary official schools in Mount Lebanon, as this style is completely available. This is followed by the free style leadership, and finally the autocratic leadership style. The study also found the presence of the characteristics that lead to the improved job performance, namely: non-compliance of managers with the regulations and instructions that hinder personal initiatives working to improve their job performance/ Lack of apathy in human relations/ Provide means in the work environment/ Use of modern technologies in the work/ Feel good about one's job/ Firm leadership contributes to improving the production efficiency/ Strengthening the delegation of authority helps in improving job performance among workers. Other characteristics lead to a decline in job performance, namely: the weakness of the interaction between managers and workers/ the communication system prevailing in the public sector/ Intolerance on behalf of the managers to the proposals of workers and their opinions/ weak competition between workers/ non-participation in the decision-

making/ Failure to provide care for workers in the public sector/ not getting the upgrade on time/ non-equity incentive system.

The study revealed that there is a positive relationship between the leadership style of democratic and the free one with job performance. With regard to autocratic leadership style, it does not have anything to do with job performance.

مقدمـة

تعد التّربيّة في المفهوم الحديث، عملية مستمرة باستمرار الحياة، لا تقتصر على مدّة عمريّة معينة، ولا على مرحلة دراسيّة محددة، مهتمة بكل جوانب شخصيّة الفرد، متضمّنة الجوانب النّظريّة والتّطبيقيّة، مستندة إلى أسس علميّة مستمدة من علم النّفس وعلم الاجتماع وعلم الإدارة وغير ذلك من العلوم.

من جهة ثانيّة، تؤدّي القيادة التّربويّة دورًا بارزًا في الدّفع نحو قيام جميع العاملين في المؤسّسات التّربويّة بواجباتهم وتحقيق العمليّة التّربويّة لأهدافها، فنجاح القائد في تأدية دوره هو الذي يكفل له الاستمرار فيه، إذ إنّ الدّور هو ذلك الإطار المعياريّ للسّلوك الذي يطالب به الفرد نتيجة اشتراكه في علاقات وظيفته بصرف النّظر عن رغباته الخاصة البعيدة عن هذه العلاقة الوظيفيّة.

وقد احتلت القيادة الفعالة أهميّة كبيرة في الفكر القياديّ المعاصر. فنجد أنَّ التّربويّين متفقون على أهمية السلوك القياديّ الفعال لمدير المدرسة في تحقيق أهدافها وغاياتها وتسيير العمليّة التّعليميّة التعلّميّة في مدرسته، فهو المسؤول عن تنظيم وتوجيه وتحفيز جميع العاملين في المدرسة، وتهيئة جميع الظّروف؛ لتساعدهم على نموهم مهنيًا وشخصيًا للقيام بأدوارهم على أفضل وجه. «فالقيادة نشاط ديناميكي يؤثّر في الجهاز الإداري حيث ينقله من الحالة الاستاتيكية الرّاكدة إلى الحالة الدّيناميكية المتحرّكة» (حمدان، 2007، ص 20).

كما وتشير أدلّة كثيرة، إلى أنّ هناك علاقة وثيقة بين النّمط القياديّ وفعالية المدارس ونجاحها في أداء رسالتها. إذ يؤيد آون (Owen) وجهة نظر ديموك (Dimmock)، حيث يرى بأنّ «التّعليم الجيد ثمرة الإدارة المدرسيّة الجيدة، وأنّ القيادات المدرسيّة أهم عنصر فهي المسؤولة عن المدرسة (Educational Process) في العمليّة التّعليميّة وعن كيانها

ونظامها والعمل والحياة داخلها» (Owen, 1994, p 102).

ومن خلال عمل الباحث كمعلمّ في التّعليم الثّانويّ الرّسميّ في محافظة جبل لبنان، وإطّلاعه على الدّراسات التّربويّة السّابقة،لاحظ أنّ هناك نقصًا كبيرًا في دراسة موضوع ممارسة المهام القياديّة لدى مديري هذه الثانويّات في لبنان.

بناءً على ما سبق سُوِّغ للباحث ضرورة إجراء هذه الدّراسة التي يتناول فيها الأنماط القياديّة وعلاقاتها بالأداء الوظيفيّ، ويؤمل أن يفيد منها كل من الإداريين، والمعلمين، والمشرفين، والمتعلّمين والقائمين على تنفيذ برامج تدريب المديرين.

أوّلًا- مصطلحات البحث:

القيادة: يعرفها باس (Bass) بأنّها «العمليّة التي يتم عن طريقها إثارة اهتمام الآخرين وإطلاق طاقاتهم وتوجيهها نحو الاتّجاه المرغوب» (العجمي، 2008، ص 57). وتعرف القيادة الإداريّة بأنّها «قدرة القائد على تزويد الأفراد بالمعلومات الضروريّة والمناسبة، من أجل أداء واجباتهم بالشّكل الأفضل والتي تمكنهم من تحقيق النّتائج المرجوة» (طافر وبومجيرك، 2019، ص)15.

وقد أوضح كل من إليس وبريسي مفهوم القيادة واختلافه عن الإدارة، إذ «إنّ المديرين يهتمون بما سيحققونه اليوم وما سيستلمونه من أعمال وأهداف ومستوى الكفاية، والصّلاحيات المتاحة لهم ولبقية أفراد المجموعة، مع تركيزهم على التّحكّم وفعل كل ما هو صحيح لقضايا المؤسّسة الدّاخلية، في حين أنّ القادة يوجهون أفكارهم للمستقبل وللتّطوير وبناء رؤية ورسالة وإستراتيجيّة عمل مبنية على التّحفيز المستمر للعاملين (Iles & Preece, 2006, 317p).

1 - **النّمط القياديّ:** يعرفه (النمر، 1990، ص 298) بأنّه «مجموعة التّصرّفات التي يبديها القائد داخل التّنظيم نتيجة لضغوط داخليّة، أو خارجيّة، ومن ثم يترك آثارًا مباشرة على سلوك العاملين في التّنظيم سلبًا، أو إيجابًا».

ويقصد بالنّمط القياديّ في هذا البحث: الأسلوب والتصرفات التي يمارسها القائد داخل الثّانويّة للتّأثير في سلوك العاملين معه وجعلهم يتعاونون لتحقيق الأهداف المرغوبة وتحسين مستوى الأداء الوظيفي.

2 - **الأداء الوظيفيّ:** هو تنفيذ الموظف لأعماله ومسؤولياته التي تكلفه بها المنظمه أو الجهه التي ترتبط وظيفته بها، ويعني النّتائج التي يحقّقها الموظف في المنظمه (هلال، 1996، ص ص 12-11).

ثانيًا- الإشكاليّة

«تعتبر القيادة من أكثر الموضوعات إثارة للجدل في المجتمعات المتقدمة والناميّة على حد سواء لتنمية وتدريب القادة، وتزويدهم بمفاهيم واتّجاهات علوم الإدارة الحديثة، ورفع مستوى قدراتهم، وتحسين أدائهم» (العتيبي، 2003، ص 3). وهذا ما يؤكد حاجة المجتمع إلى جهود الباحثين والتّربويّين في دراسة ظاهرة القيادة بأبعادها وجوانبها المختلفة، والتّعرف على الخصائص المميزة لها. لذلك، تواجه الأنظمة التّربويّة في معظم دول العالم مشكلات تربويّة متعدّدة ومتنوّعة، ولعلّ النّظام التّربويّ اللّبنانيّ أحد تلك الأنظمة بشكل عام والمدرسة الرّسميّة على الصّعيد الأكاديمي والإداريّ بشكل خاص تعيش مثل تلك المشكلات.

من هنا، تسعى الأنظمة التّربويّة الحيّة إلى تطوير إداراتها ومدخلاتها وعملياتها بشكل مستمر بغية الحصول على أفضل مخرجات وبوقت قصير، ولعل واحدًا من أهم مدخلات العمليّة التّعليميّة هو نمط الإدارة التّربويّة وطبيعة النظام التّربويّ فيه، واستخدام الأنماط القياديّة الملائمة لظروف العاملين في المدرسة، ومن دون شك فإنّ القائد يمثّل عنصرًا مهمًا في عملية القيادة. كما أشارت أغلب الدّراسات إلى أنّ «أنماط القيادة الإداريّة تؤدّي دورًا هامًا في خلق بيئة إداريّة ملائمة ومحفّزة، تمكّن العاملين من بذل مزيد من العطاء والولاء، وهو بدوره يؤدّي إلى تحقيق مستويات مرتفعة من الأداء الوظيفيّ الذي تطمح القيادة إلى الوصول إليه» (خليل، 2021، ص 73).

لذا، فإنّ إشكاليّة هذا البحث تتبلور في كيفية اختيار الأنماط القياديّة الملائمة لظروف كل منظمة، والأثر الذي تحدثه الأنماط القياديّة على الأداء الوظيفيّ إيجابًا وسلبًا، حيث أنّ اختيار النّمط القياديّ الملائم لكل منظمة يحتاج إلى بحث ظروف المنظمة الدّاخليّة التي تُمارس فيها القيادة واختلاف العاملين واختلاف خصائصهم؛ لأنّه لا يوجد نمط قياديّ مثالي يمكن أن يطبّق على كل المنظمات.

انطلاقًا مما تقدم، كان موضوع البحث: «الأنماط القياديّة وعلاقتها بالأداء الوظيفيّ من وجهة نظر العاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة». ويمكن صياغة إشكاليّة البحث بالإجابة عن التساؤل الآتي: ما هو النّمط القياديّ الغالب لدى مديري ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة؟

ثالثًا- أسئلة البحث

سعت الدّراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 - ما هي الأنماط القياديّة السّائدة لدى مديري ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة؟

2 - ما مدى فاعلية الأداء الوظيفيّ للعاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة؟

3 - هل هناك علاقة ذات دلالة احصائية بين الأنماط القياديّة السائدة والأداء الوظيفيّ للعاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة؟

رابعًا- أهميّة الموضوع وأبعاده التّربويّة

تعد هذه الدّراسة مرشدًا لمديري المدارس بشكل خاص وللإدارة التّربويّة بشكل عام، إذ أنه يؤمل أن يفيد منها:

1 - **المعلم:** تعمل على تحسين ممارسته اليوميّة الصفيّة بسبب تأثره بممارسة المهام القياديّة في المدرسة.

2 - **المديرون:** هم أيضًا من المستفيدين كونهم سيقومون بتقويم أدائهم في ظل نتائج الدّراسة والتوجه نحو ممارسة المهام القياديّة بصورة فعالة.

3 - **المشرفون التّربويّون:** لأنهم سيقومون بإتباع وسائل إشرافية تظهر مهارات القيادة لديهم ويزيدون من درجة ممارستهم لمهامهم القياديّة.

4 - **وزارة التّربيّة والتّعليم العالي:** يمكنها استخدام الدّراسة كمعايير لتقييم السلوك لمدير المدرسة كما يؤمل أن تكون الدّراسة ذات فائدة للقائمين على تنفيذ برامج تدريب المديرين، وهي بذلك تسهم في تحقيق هدف من أهداف التطوير التّربويّ المتعلق بإعداد قادة تربويين قادرين على التحسين والتطوير في واقع المدرسة.

5 - **المتعلّم:** العنصر الأوّل في الإفادة، من كل العناصر السابقة التي ستؤدي حتمًا

إلى زيادة قدراته التّعليميّة والتحصيلية.

خامسًا- فرضيّات البحث

يترتُّب على إشكاليّة البحث وتساؤلاته الفرضيّات الآتية:

1 - أن هنالك توافرًا للأنماط القياديّة المختلفة حيث يمارس القادة في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة النّمط القياديّ الدّيمقراطيّ والنّمط القياديّ الحر بدرجة متوسطة والنّمط الأوتوقراطيّ بدرجة أقل.

2 - وجود عوامل وخصائص تؤدّي إلى ارتفاع مستوى الأداء الوظيفيّ وأخرى تؤدّي إلى انخفاض مستوى الأداء الوظيفيّ.

3 - أن هنالك علاقة ارتباط دالة إحصائيًا وموجبة بين نمط القيادة الديمقراطيّة ومستوى الأداء الوظيفيّ، في حين وجود علاقة ذات دلالة إحصائيّة سلبيّة بين نمط القيادة ومستوى الأداء الوظيفيّ لدى كل من نمط القيادة الحرّ ونمط القيادة الأوتوقراطي.

سادسًا- منهجيّة البحث وأدواتها

المنهج الذي اعتمد في الدّراسة هو المنهج الوصفيّ - التّحليليّ، كونه الأنسب بين المناهج لتحقيق أهداف هذه الدّراسة، وللإجابة عن تساؤلاتها واختبار فرضياتها للتّحقق من صدقها أو عدمه. فالمنهج الوصفيّ - التّحليليّ، «هو البحث الذي يتم بواسطته إستجواب افراد مجتمع البحث أو عينة منه، بهدف وصف الظّاهرة المدروسة من حيث طبيعنها ودرجة وجودها، ولا يتوقّف المنهج الوصفيّ التّحليليّ عند الوصف بل يتجاوزه إلى توضيح العلاقة بين عناصر الظّاهرة المدروسة ومقدارها» (عبد الفتاح، 1998، ص 12).

أما أدوات البحث فهي:

استخدم الباحث «الاستبانة» أداة لجمع البيانات والمعلومات اللازمة للدّراسة كونها من أنسب أدوات البحث العلميّ الملائمة لتطبيق مدخل المسح الاجتماعيّ، وقد تمت الاستعانة بدراسات ميدانيّة سابقة في بناء الاستبانة، ثمّ أجريت عليها عدة تعديلات

لتصبح في صورتها النّهائيّة، وفيما يلي عرض لمحتوى هذه الاستبيانات التي اشتملت على ثلاثة أجزاء رئيسة هي:

1 - الخصائص الدّيموغرافية الأساسية لأفراد عينة البحث وتضم (العمر، المؤهل العلميّ، مسمى الوظيفة، عدد سنوات الخبرة في العمل والحالة الاجتماعيّة).

2 - الأنماط القياديّة السائدة متمثّلة بأربعين فقرة تشمل (النّمط القياديّ الأتوقراطي، النّمط القياديّ الديمقراطي، النّمط القياديّ الحر).

3 - الأداء الوظيفيّ للعاملين في محافظة جبل لبنان متمثلًا بعشرين فقرة.

هذا، وتم إعداد استبياناتين متطابقتين، واحدة موجهة للمدير، وأخرى للعاملين مع فارق أنّه طلب من العاملين ابداء رأيهم للوضع الأفضل لما يمارسه المدير من سلوك قياديّ.

وفي المعالجة الاحصائيّة للدّراسة، تم الاستفادة من برنامج (SPSS) الاحصائي، و(Excel)، و(Access)، لتحليل البيانات والحصول على النّسب المئوية، واختبار X^2 لمعرفة إن كان هناك فروق ذات دلالة إحصائيّة بين آراء المديرين والعاملين.

سابعًا- مجتمع البحث والعينيّة

تكون مجتمع البحث من 20 ثانويّة من أصل 73 ثانويّة رسميّة في محافظة جبل لبنان (27%)، وشملت المديرين ورؤساء الاقسام (ناظر - منسق - مشرف) والمدرسين. واستخدم الباحث في بحثه مدخل المسح الاجتماعي بالعينة (Survey Approach)، حيث يتناول بعض الأفراد في محافظة جبل لبنان والذين يشغلون وظيفة مدير ثانوية ورئيس قسم ومدرس لتمثيل المجتمع الأصلي «من أجل تحديد نمط العلاقة السائدة بين النّمط القياديّ وبين الأداء الوظيفيّ للعاملين، ومعرفة الارتباط، ومقدار هذا الارتباط واتجاهه» (عطيفة، 1996، ص 115). وقد بلغ عدد المديرين الذين تم استفتاؤهم 20 مديرًا، ورؤساء الاقسام 59 رئيسًا والمدرسين 141 مدرسًا، توزعوا كالآتي:

جدول رقم (1)

توزّع عينيّة المديرين ورؤساء الاقسام والمدرسين

التوزّع تبعًا لمتغير	الفئات التكرار	المدير		رئيس قسم		مدرس	
		%	التكرار	%	التكرار	%	
العمر من 25 إلى أقل من 35 عامًا	أقل من 25 عامًا	0	0.00%	0	0.00%	14	9.93%
من 35 إلى أقل من 45 عامًا	0	0.00%	16	27.12%	73	51.77%	
	6	30.00%	11	18.64%	25	17.73%	
من 45 عامًا فأكثر	14	70.00%	32	54.24%	29	20.57%	
الجنس انثى	ذكر	16	80.00%	29	49.15%	35	24.82%
	4	20.00%	30	50.85%	106	75.18%	
المؤهل العلمي ماجستير	ليسانس	10	50.00%	28	47.46%	79	56.03%
	9	45.00%	19	32.20%	58	41.13%	
دكتوراة	1	5.00%	12	20.34%	4	2.84%	
الحالة الاجتماعية	متزوج	19	95.00%	49	83.05%	112	79.43%
غير متزوج	1	5.00%	10	16.95%	29	20.57%	
سنوات الخبرة في العمل	أقل من 5 سنوات	0	0.00%	6	10.17%	24	17.02%
من 5 إلى أقل من 10 سنوات	1	5.00%	7	11.86%	43	30.50%	
	6	30.00%	8	13.56%	31	21.99%	
من 10 إلى أقل من 15 سنة من 15 سنة فأكثر	13	65.00%	38	64.41%	43	30.50%	

ثامنًا- نتائج البحث

1 - عرض النتائج المتعلقة بوجهة نظر المديرين:

القسم الأوّل- البيانات الشّخصيّة:

يستخلص من النّتائج أن المديرين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة:

- 70% منهم يبلغون من العمر اكثر من 45 عامًا/ 80% منهم من الذكور/ 50% منهم يحملون شهادة ليسانس كمؤهل علمي/ لا يحملون أي شهادة جامعية تتعلق

بالإدارة التّربويّة / 65% منهم خبرتهم في العمل فاقت الـ 15 سنة.

القسم الثاني– محور النّمط القياديّ:

عند عرض نتائج الاسئلة المتعلقة بتقييم علاقة الإدارة التّربويّة بتكنولوجيا المعلومات قسمّت الاجابات إلى ثلاثة اقسام:

1. متوافر: وهو يشمل المديرين الذين كانت اجاباتهم محصورة بين **متوافر** و **متوافر تمامًا**.
2. متوافر إلى حد ما: وهو يشمل المديرين الذين كانت اجاباتهم فقط **متوافر إلى حد ما**.
3. غير متوافر: وهو يشمل المديرين الذين كانت اجاباتهم محصورة بين **غير متوافر** و**غير متوافر تمامًا**.

لذلك، فإنّه عند تحليل النّتائج التابعة لهذه الاسئلة، تم دمج النّسب المئوية حسب الأقسام التي ذكرت أعلاه.

النّمط القياديّ الديمقراطي

إنّ المديرين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة، عدّوا انفسهم، يراعون قدرات العاملين عند توزيع الواجبات عليهم ويشجعوهم على الإبداع والمناقشة الجماعية وإبداء أرائهم في تخطيط العمل وتنفيذه، كما أنّهم يشاركون المرؤوسين في لقاءاتهم الخاصة التي يحتفلون بها، ويطرحون أفكارهم عليهم لمناقشتها، ويطبقون اللوائح التّنظيمية بمرونة وفقًا للموقف المعين، ويبادرون إلى تفويض بعض صلاحياتهم إلى المرؤوسين ويحرصون على التّأكد من تنسيق جهودهم، بالإضافة إلى أنّهم ينظرون إلى المشكلات التي تواجه الأدارة على أنّها مشكلات متجدّدة، وهم يتبنون الاقتراحات الهادفة التي يطرحها العاملون، ويمنحوهم صلاحيات متكافئة مع المسؤوليات المنوطة بهم ويؤمنون بأن المشاركة في اتخاذ القرار أساس الإدارة.

النّمط القياديّ الحر

إن المديرين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة، عدّوا أنفسهم، يتقبلون أي تغيير يقترحه العاملون على أسلوب العمل، ويسمحون لهم بالاجتهاد الشّخصيّ في حلّ مشكلات

العمل، ويعطون لهم الحرية الكاملة لإنجاز أعمالهم، وأنّهم يتأثّرون عادة برغبات العاملين، وأنّهم يعتقدون أنّ الإدارة لديها حلول جاهزة لكل مشكلة.

في حين، عدّوا وبنسبة مرتفعة أيضًا، أنّهم لا يتساهلون مع المرؤوسين المقصرين في أداء واجباتهم، ولا يترددون في اتّخاذ القرارات، ولا يتجنبون التّدخل في النّزاعات التي تحدث بين المرؤوسين، ولا يتهربون من مواجهة مشكلات العمل، ولا يُغفلون أهمية التّعرف على ميول العاملين واتجاهاتهم، إلا أنّهم وبنسبة متوسطة، يتركون للمرؤوسين حرية اختيار الواجبات التي تتناسب مع رغباتهم، وهم يفوضون صلاحياتهم الإداريّة للعاملين.

النّمط القياديّ الاوتوقراطي

إن المديرين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة، عدّوا أنفسهم، يُلزمون جميع العاملين بتحقيق مستويات معينة من الأداء تزيد من الإنتاجية، وهم يحرصون على أن يكونوا المتحدثون الرّسميّون عن العاملين، وأنّهم يقضون كثيرًا من أوقاتهم في مناقشة تفصيلات مشكلات العمل ويفرضون تنفيذ سياسة موحدة لسير العمل.

في حين، أنّهم لا يعتقدون أن تبادل الآراء مضيعة للوقت، ولا يميلون إلى تركيز جميع السّلطات في أيديهم، ولا يترددون في إعطاء أي نوع من الحرية للعاملين، ولا يطالبون المرؤوسين بتنفيذ الخطط من دون الإسهام في وضعها، كما أنّهم لا يوزعون الواجبات على العاملين من دون مراعاة لقدراتهم، ولا يقررون بأنفسهم ماذا يمكن عمله وكيفية تنفيذه، ولا يتجنبون تغيير أسلوب العمل، ولا ينفردون باتّخاذ القرارات.

القسم الثّالث- تقييم أسئلة محور الأنماط القياديّة للمديرين حسب المعدلات الوسطية

بما أنّ الإجابات على الاسئلة كانت على سلم نقاط من خمسة احتمالات، فإنّه يمكن استخدام الخصائص الاحصائيّة، كالمعدل الوسطي والانحراف المعياري والمنوال لدراسة اجابات المستطلعين.

1= متوافر تمامًا	2= متوافر	3= متوافر إلى حد ما	4= غير متوافر	5= غير متوافر إطلاقًا

تعريف مؤشر التفاوت:

يستعمل مؤشر التفاوت عادة لدراسة مدى تناثر الاجابات في سؤال معين، يتم احتساب هذا المؤشر بقسمة الانحراف المعياري على المعدل الوسطي، كلما تدنت قيمة هذا المؤشر واقتربت من 0.00% كلما كان هناك تقارب في الاجابات، وبالتالي كان هناك ميل او توجه عام لدى المستطلعين لاختيار نفس الاجابة، بينما اذا اقترب هذا المؤشر من 100.00% كلما زاد التناثر في الاجابات وكان هناك اختلاف بين المستطلعين في اجاباتهم.

هذا وتبين أن اجابات المديرين بالنسبة للأنماط القياديّة جميعها جاءت متقاربة وغير متناثرة، فيما يلي مؤشر التفاوت بالنسبة لكل نمط قيادي.

جدول رقم (2)

مؤشر التفاوت لجميع الاسئلة في كل نمط قيادي

النّمط القياديّ	مؤشر التفاوت
الديمقراطي	39.02%
الحر	48.61%
الاوتوقراطي	43.10%

عرض النتائج المتعلقة بوجهة نظر العاملين

القسم الأوّل- البيانات الشّخصيّة:

يُستخلص من تحليل عينيّة البحث حول العاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة أنَّ:

44.50 % منهم اعمارهم تتراوح بين 25 و35 عامًا/ 68.00 % منهم من الإناث/ 53.50 % منهم يحملون شهادة ليسانس كمؤهل علمي/ 80.50 % منهم متزوجين/ 45.50% منهم خبرتهم في العمل فاقت الـ 15 سنة.

القسم الثاني- محور النّمط القياديّ

النّمط القياديّ الديمقراطي:

أبرزت وجهة نظر العاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة حول مؤشرات النّمط القياديّ الديمقراطي الآتي:

60.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يراعون قدراتهم عند توزيع الواجبات عليهم/ 67.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يشجعونهم على المناقشة الجماعية لأساليب العمل/ 64.50 % من المديرين لا يشركونهم في تخطيط العمل/ 73.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يشاركونهم في لقاءاتهم الخاصة التي يحتفلون بها/ 70.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يطرحون أفكارهم عليهم لمناقشتها/ 64.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يطبقون اللوائح التّنظيمية بمرونة وفقًا للموقف المعين/ 58.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يشجعونهم على إبداء آرائهم في تخطيط العمل وتنفيذه/ 64.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يبادرن إلى تفويض بعض صلاحياتهم إلى المرؤوسين/ 52.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يحرصون على التأكد من تنسيق جهود المرؤوسين/ 52.00 % منهم رأوا أن المديرين لا ينظرون إلى المشكلات التي تواجه الأداء على أنها مشكلات متجددة/ 61.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يمنحونهم صلاحيات متكافئة مع المسؤوليات المنوطة بهم/ 64.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يؤمنون بأن المشاركة في اتخاذ القرار أساس الإدارة/ في حين أن، 40.00 % منهم رأوا أن المديرين يشجعونهم على الإبداع في أسلوب العمل و %42.00 تباينوا معهم.

النّمط القياديّ الحر

يُستخلص من وجهة نظر العاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة حول مؤشرات النّمط القياديّ الحر الآتي:

53.50 % منهم رأوا أن المديرين وإلى حد ما، يتقبلون أي تغيير يقترحونه العاملون على أسلوب العمل/ 46.00 % منهم رأوا أن المديرين يتأثرون عادة برغبات العاملين/ 43.00 % منهم رأوا أن المديرين وإلى حد ما، يعطون الحرية للمرؤوسين لإنجاز أعمالهم/ 75.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يتساهلون مع المرؤوسين المقصرين في أداء واجباتهم/ 70.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يفوضون كل صلاحياته الإداريّة للعاملين/ 63.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يعتقدون أن الإدارة لديها حلول جاهزة لكل مشكلة/ 59.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يترددون عادة في اتخاذ القرارات/ 61.50 % منهم رأوا أن المديرين يتجنبون التدخل في النزاعات التي تحدث بين

المرؤوسين/ 62.50 % منهم رأوا أن المديرين لا يتركون للمرؤوسين حرية اختيار الواجبات التي تتناسب مع رغباتهم/ 82 % منهم رأوا أن المديرين يتهربون من مواجهة مشكلات العمل/ 49.50 % منهم رأوا أن المديرين وإلى حد ما، يسمحون للمرؤوسين بالاجتهاد الشخصي في حل مشكلات العمل/ 66.50 % منهم رأوا أن المديرين يُغفلون أهمية التعرف على ميول العاملين واتجاهاتهم.

النّمط القياديّ الاوتوقراطي

تبين من وجهة نظر العاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة حول مؤشرات النّمط القياديّ الاوتوقراطي الآتي:

47.50 % منهم رأوا أن المديرين يُلزمون جميع العاملين بتحقيق مستويات معينة من الأداء تزيد من الإنتاجية/ 64.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يعتقدون أن تبادل الآراء مضيعة للوقت/ 62.50 % منهم رأوا أن المديرين يحرصون على أن يكونوا المتحدث الرّسميّ عن العاملين/ 72.50 % منهم رأوا أن المديرين يميلون إلى تركيز جميع السلطات في أيديهم/ 55.50 % منهم رأوا أن المديرين يترددون في إعطاء أي نوع من الحرية للعاملين/ 57.50 % منهم رأوا أن المديرين يطالبون المرؤوسين بتنفيذ الخطط دون الإسهام في وضعها/ 72.50 % منهم رأوا أن المديرين يقضون كثيرًا من اوقاتهم في مناقشة تفصيلات مشكلات العمل/ 80.00 % منهم رأوا أن المديرين لا يوزعون الواجبات على العاملين دون مراعاة لقدراتهم/ 69.50 % منهم رأوا أن المديرين يقررون بانفسهم ماذا يمكن عمله وكيفية تنفيذه/ 49.00 % منهم رأوا أن المديرين وإلى حد ما، يتجنبون تغيير أسلوب العمل/ 50.50 % منهم رأوا أن المديرين وإلى حد ما، يفرضون تنفيذ سياسة موحدة لسير العمل/ 69.00 % منهم رأوا أن المديرين ينفردون باتخاذ القرارات.

القسم الثالث- محور الأداء الوظيفيّ

أظهرت النتائج أن وجهة نظر العاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة حول مؤشرات الأداء الوظيفيّ، جاءت كالآتي:

عدم مشاركتهم في اتخاذ القرارات، لم يساعد على تحسن أدائهم الوظيفيّ/ قلة الإمكانيات المادية في بيئة العمل أسهمت في انخفاض مستوى أدائهم الوظيفيّ/ نظام الاتصال السائد في القطاع العام لم يؤثر في كفاءتهم الإنتاجية/ عدم حصولهم على الترقية في مواعيدها لم يشجعهم على أداء مسؤولياتهم بكفاءة/ استخدامهم للتقنيات الحديثة أسهم في تحسن أدائهم الوظيفيّ/ فتور العلاقات الإنسانية أسهم في انخفاض مستوى إنجازهم لمهام وظيفتهم/ تكليفهم بالعديد من الواجبات لم يؤثر في انخفاض مستوى أدائهم الوظيفيّ/ عدم تفهم رؤسائهم لمشاعرهم واحتياجاتهم لم يشجعهم على تحسين ادائهم الوظيفيّ/ حرص القيادة على تنمية الرقابة الذاتية لديهم أسهم في ارتفاع مستوى كفاءتهم في العمل/ حزم القيادة أسهم في تحسين كفاءتهم الإنتاجية/ عدم تشجيع رؤسائهم لم يدفعهم لإنجاز العمل بكفاءة/ ضعف التفاعل بينهم وبين المديرين اسهم في انخفاض مستوى أدائهم الوظيفيّ/ تقيد المديرين بالأنظمة والتّعليمات أعاق مبادراتهم الشخصية لتحسين أدائهم الوظيفيّ/ عدم ثناء رؤسائهم على مجهوداتهم لم يدفعهم إلى الارتقاء بأدائهم الوظيفيّ/ عدم توفير الرعاية لهم لم يسهم في تحفيزهم للقيام بمهام عملهم/ ضعف المنافسة بين العاملين لم يؤدى إلى انخفاض مستوى أدائهم الوظيفيّ/ عدم تقبل المديرين لمقترحاتهم وآرائهم لم يشجعهم على التجديد في أساليب العمل/ ضعف تفويض السلطات اعاق تحسن الأداء الوظيفيّ لديهم/ عدم عدالة نظام الحوافز لم يساعدهم على أداء عملهم بصورة أفضل.

1 – مقارنة الاجابات

أولًا– مقارنة اجابات العاملين بين واقع الحال والوضع الافضل

يُستخلص من النتائج ما يأتي:

النّمط القياديّ الديمقراطي

أن العاملين غير راضين عن الوضع القائم في ثانويّاتهم، إذ برز التباين جليًا، من خلال واقع الحال والوضع الأفضل الذي يطمحون اليه، فاختلفت اجاباتهم في جميع الفقرات المتعلقة بالنّمط القياديّ الديمقراطي، غير انهم اتفقوا مع المديرين حول نظرتهم إلى المشكلات التي تواجه الأداء على أنها مشكلات متجددة، فأجابوا ان هذه النظرة

يجب ان تكون متوافرة إلى حد ما.

النّمط القياديّ الحر

إنّ العاملين راضون نسبيًا عن الوضع القائم في ثانويّاتهم، من خلال واقع الحال والوضع الأفضل الذي يطمحون اليه، فاتفقت اجاباتهم في بعض الفقرات المتعلقة بالنّمط القياديّ الحر، غير انها تباينت في فقرات اخرى، فطمحوا إلى ان لا يتساهل المديرين مع المرؤوسين المقصرين في أداء واجباتهم، وأن لا يفوضوا كل صلاحياتهم الإداريّة للعاملين، وأن لا يترددوا في اتخاذ القرارات، وأن لا يتركوا للمرؤوسين حرية اختيار الواجبات التي تتناسب مع رغباتهم وأن لا يتهربوا من مواجهة مشكلات العمل، وأن لا يُغفلوا أهمية التعرف على ميول العاملين واتجاهاتهم.

النّمط القياديّ الاوتوقراطي

إنّ العاملين راضون نسبيًا عن الوضع القائم في ثانويّاتهم، من خلال واقع الحال والوضع الأفضل الذي يطمحون اليه، فاتّفقت اجاباتهم في بعض الفقرات المتعلّقة بالنّمط القياديّ الاوتوقراطي، غير أنّها تباينت في فقرات أخرى، فطمحوا إلى أن لا يعتقد المديرين أنّ تبادل الآراء مضيعة للوقت، وأنّ لا يترددوا في إعطاء أي نوع من الحرية للعاملين، وأنّ لا يطالبوا المرؤوسين بتنفيذ الخطط من دون الإسهام في وضعها، وأن لا يوزعوا الواجبات على العاملين من دون مراعاة لقدراتهم، وأن لا يتجنبوا تغيير أسلوب العمل، وأن لا ينفردوا باتخاذ القرارات.

الأداء الوظيفيّ

يظهر من النّتائج أنّ العاملين راضون نسبيًا عن الوضع القائم في ثانويّاتهم، من خلال واقع الحال والوضع الأفضل الذي يطمحون اليه، فاتفقت اجاباتهم في بعض الفقرات المتعلّقة بالأداء الوظيفيّ، غير أنّها تباينت في فقرات أخرى، فطمحوا إلى أن لا يؤثّر نظام الاتّصال السائد في القطاع العام على كفاءتهم الإنتاجية، وأن لا يسهم فتور العلاقات الإنسانية في انخفاض مستوى إنجازهم لمهام وظيفتهم، وأن يشجع، تفهم رؤسائهم لمشاعرهم واحتياجاتهم على تحسين ادائهم الوظيفيّ، وأن لا يعيق تقيد رؤسائهم بالأنظمة والتّعليمات مبادرتهم الشخصية لتحسين أدائهم الوظيفيّ، وأن يسهم توفير

الرعاية لهم في تحفيزهم للقيام بمهام عملهم، وأن تساعد عدالة نظام الحوافز على أداء عملهم بصورة أفضل.

ثانيًا– مقارنة بين اجابات العاملين والمديرين

النّمط القياديّ الديمقراطي:

يُستخلص أنّ العاملين والمديرين اتفقوا حول توافر النّمط القياديّ الديمقراطي، الا أنّ هذا التوافق لم يكن متطابقًا بنسبة مرتفعة، فوجد العاملين أن هذا النّمط متوافر إلى حد ما، في حين ان المديرين وجدوه متوافر تمامًا.

النّمط القياديّ الحر:

يُستخلص أنّ العاملين والمديرين اتفقوا نسبيًا (بشكل متوسط) حول توافر النّمط القياديّ الحر، فجاءت اجابات المديرين (متوافر) حول الفقرات الآتية: يتقبل القائد أي تغيير يقترحه العاملون على أسلوب العمل/ يتأثر القائد عادة برغبات العاملين/ يعطي القائد الحرية الكاملة للمرؤوسين لإنجاز أعمالهم/ يفوض القائد كل صلاحياته الإداريّة للعاملين/ يعتقد القائد أنّ الإدارة لديها حلول جاهزة لكل مشكلة/ يسمح القائد للمرؤوسين بالاجتهاد الشّخصيّ في حل مشكلات العمل، في حين جاءت إجابات العاملين (متوافر إلى حد ما).

من جهة أخرى تباينت اجابات المديرين والعاملين حول الفقرات الآتية: يتساهل القائد مع المرؤوسين المقصرين في أداء واجباتهم/ يتردد القائد عادة في اتخاذ القرارات/ يتجنّب القائد التّدخل في النّزاعات التي تحدث بين المرؤوسين/ يترك القائد للمرؤوسين اختيار الواجبات التي تتناسب مع رغباتهم/ يتهرب القائد من مواجهة مشكلات العمل/ يُغفل القائد أهمية التعرف على ميول العاملين واتجاهاتهم، فكانت اجابات المديرين (غير متوافر اطلاقًا)، في حين تراوحت اجابات العاملين بين (متوافر) و (متوافر إلى حد ما).

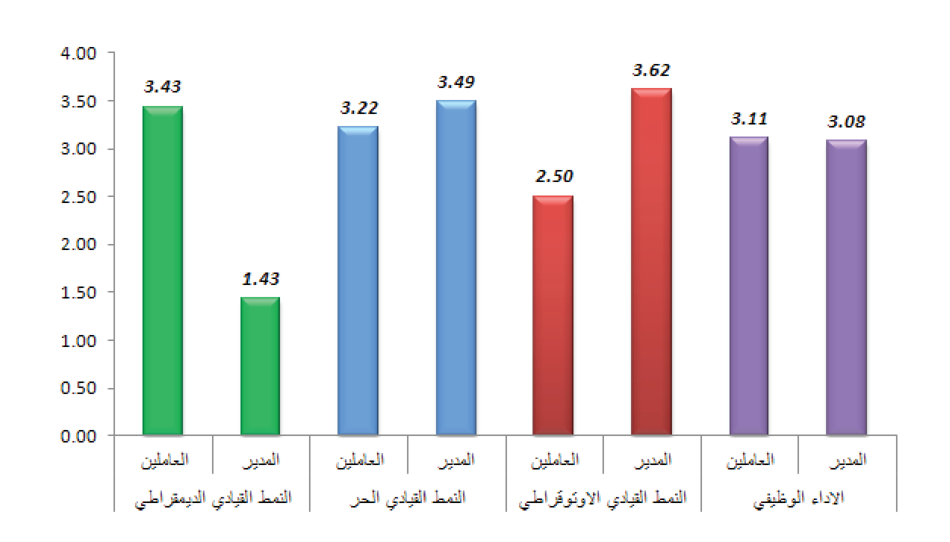
النّمط القياديّ الاوتوقراطي

يُستخلص أنّ العاملين والمديرين اتفقوا نسبيًا (بشكل متوسط) حول توافر النّمط القياديّ الاوتوقراطي ، فجاءت اجابات المديرين (متوافر) حول الفقرات الآتية: يُلزم القائد جميع

العاملين بتحقيق مستويات معينة من الأداء تزيد من الإنتاجية/ يحرص القائد على أن يكون المتحدث الرّسميّ عن العاملين/ يقضي القائد كثيرًا من وقته في مناقشة تفصيلات مشكلات العمل/ يفرض القائد تنفيذ سياسة موحدة لسير العمل، كما جاءت اجابات العاملين أيضًا (متوافر).

من جهة اخرى تباينت إجابات المديرين(غير متوافر اطلاقًا) والعاملين (متوافر) حول الفقرات الآتية: يعتقد القائد أن تبادل الآراء مضيعة للوقت/ يميل القائد إلى تركيز جميع السلطات في يده/ يتردد القائد في إعطاء أي نوع من الحرية للعاملين/ يطالب القائد المرؤوسين بتنفيذ الخطط دون الإسهام في وضعها/ يوزع القائد الواجبات على العاملين دون مراعاة لقدراتهم/ يقرر القائد بنفسه ماذا يمكن عمله وكيفية تنفيذه/ يتجنب القائد تغيير أسلوب العمل/ ينفرد القائد باتّخاذ القرارات.

شكل يقارن بين وجهة نظر العاملين والمديرين



رابعًا- الاجابة على أسئلة البحث

1 - ما هي الأنماط القياديّة السائدة لدى مديري ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة؟

جدول رقم (3): الأنماط القياديّة السائدة لدى المديرين

الترتيب	المتغيرات	المعدل الوسطي	المنوال	الانحراف المعياري
1	النّمط القياديّ الديمقراطي	1.43	1.29	0.19
2	النّمط القياديّ الحر	3.49	3.42	0.29
3	النّمط القياديّ الاوتوقراطي	3.62	3.58	0.18

يُستخلص من الجدول رقم (3)، وتحديدًا اذا ما نظرنا إلى المعدلات الوسطية لوجدنا ان النّمط القياديّ الديمقراطي هو النّمط الاكثر سيادة لدى مديري ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة، حيث دلَّ المعدل الوسطيّ أنّ هذا النّمط، متوافر تمامًا، يليه النّمط القياديّ الحر، وأخيرًا النّمط القياديّ الاوتوقراطي.

2 – ما مدى فاعلية الأداء الوظيفيّ للعاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة؟

جدول رقم (4): الأداء الوظيفيّ

	المتغيرات	**المعدل الوسطي**	**المنوال**	**الانحراف المعياري**
1	الأداء الوظيفيّ	3.11	3.00	0.25

يُستخلص من الجدول رقم (4)، واستدلالًا من المعدل الوسطي، أنّ الأداء الوظيفيّ للعاملين في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة، فعّال إلى حد ما، حيث كان المعدل الوسطي يساوي 3.14 مما يؤشر على توافره إيجابًا (إلى حد ما) في هذه الثانويّات.

خامسًا– فرضيّات البحث

1 – أن هنالك توافرًا للأنماط القياديّة المختلفة حيث يمارس القادة في ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة النّمط القياديّ الديمقراطي بدرجة عالية والنّمط الحر بدرجة متوسطة والنّمط الأوتوقراطي بدرجة أقل.

جدول رقم (5): مدى توافر الأنماط القياديّة

	المتغيرات	**المعدل الوسطي**	**المنوال**	**الانحراف المعياري**
1	النّمط القياديّ الديمقراطي	1.43	1.29	0.19
2	النّمط القياديّ الحر	3.49	3.42	0.29
3	النّمط القياديّ الاوتوقراطي	3.62	3.58	0.18

من خلال الجدول رقم (5)، اذا ما نظرنا إلى المعدلات الوسطية لوجدنا فعلًا ان النّمط القياديّ الديمقراطي هو النّمط الاكثر ممارسة من قبل مديري ثانويّات جبل لبنان الرّسميّة، حيث ان المعدل الوسطي يدل على ان هذا النّمط متوافر تمامًا، يليه النّمط القياديّ الحر واخيرًا النّمط القياديّ الاوتوقراطي.

2 – وجود عوامل وخصائص تؤدي إلى ارتفاع مستوى الأداء الوظيفيّ وأخرى تؤدي إلى انخفاض مستوى الأداء الوظيفيّ

من خلال دراسة المعدلات الوسطية للمتغيرات التي تعبر عن الأداء الوظيفيّ، تبيّن ان الخصائص الآتية هي التي تحسن الأداء الوظيفيّ:

- عدم تقيد المديرين بالأنظمة والتّعليمات التي تعيق مبادرات العاملين الشخصية لتحسين أدائهم الوظيفيّ/ عدم الفتور في العلاقات الإنسانية/ توفير الإمكانيات المادية في بيئة العمل/ استخدام التقنيات الحديثة/ الشعور بالرضى عن الوظيفة/ حزم القيادة يسهم في تحسين الكفاءة الإنتاجية/ تقوية تفويض السلطات يساعد في تحسن الأداء الوظيفيّ لدى العاملين.

اما الخصائص التالية التي تؤدي إلى تراجع الأداء الوظيفيّ فهي:

ضعف التفاعل بين المديرين والعاملين/ نظام الاتصال السائد في القطاع العام/ عدم تقبل المديرين لمقترحات العاملين وآرائهم/ ضعف المنافسة بين العاملين/ عدم المشاركة في اتخاذ القرارات/ عدم توفير الرعاية للعاملين في القطاع العام/ عدم الحصول على الترقية في مواعيدها/ عدم عدالة نظام الحوافز.

3 – أن هنالك علاقة ارتباط دالة إحصائيًا وموجبة بين نمط القيادة الديمقراطية ومستوى الأداء الوظيفيّ، في حين وجود علاقة ذات دلالة إحصائية سلبية بين نمط القيادة ومستوى الأداء الوظيفيّ لدى كل من نمط القيادة الحر ونمط القيادة الأوتوقراطي.

هناك علاقة ايجابية بين النّمط القياديّ الديمقراطي والحر مع الأداء الوظيفيّ، اما فيما يتعلق بالنّمط القياديّ الاوتوقراطي فانه لا يوجد اي علاقة مع الأداء الوظيفيّ.

تعليق عام على نتائج البحث

يلاحظ في الأدبيات العبارة (كل قائد مدير، وليس كل مدير قائد)، وهذا يعني ان مهام القائد اشمل وأوسع من مهام المدير، فأسس كل من القيادة والإدارة تشتمل على: هدف يرغب في تحقيقه – تنظيم وتنسيق مجهودات ونشاطات المجموعة وتوجيهها لتحقيق الهدف – عملية تفاعل بين القائد والمجموعة.

وبالنظرة المتفحصة لهذه الأسس يظهر انه ليس هناك فرق أساس بين الإدارة والقيادة من حيث الغايات والمضامين العامة، وإنما يكمن الخلاف في الأساليب والممارسات التي يتبعها القائد أو المدير في الوصول إلى تلك الغايات.

فالقائد يعتمد استمالة وإقناع وتبني الآخرين للغايات بالوسائل القياديّة والتذكير بالمسؤوليه دون التلويح بالقوانين، بينما يعتمد المدير سلطاته الرّسميّة لتحقيق الأهداف، إضافة إلى ذلك فإن السلطة في حد ذاتها لا تكفي لأن تضفي على بعض الأفراد صفة القادة وإنما المهارة في استخدام السلطة، بالإضافة إلى المهارات واستراتيجيات حل المشكلات.

كما يلجأ القائد إلى تفويض السّلطات، ومشاركة العاملين في اتّخاذ القرارات وصياغة الأهداف، بينما لا يقوم المدير بهذه الممارسات وإنما يلجأ إلى القيام بالأعمال بنفسه أو يشرف عليها إشرافًا مباشرًا.

باستعراض نتائج البحث، يلاحظ أن بعض الفقرات قد حصلت على درجة ممارسة منخفضة مثال: إشراك المعلمين في اتخاذ القرارات – التنبؤ بالمشكلات ووضع استراتيجيات لمعالجتها – تشجيع المعلمين على الابداع – تشجيع المعلمين على إبراز العناصر القياديّة لديهم – تفويض السلطات للمعلمين.

وهي بعض الممارسات التي تميز القائد عن المدير، وهذا يقودنا إلى المزيد من البحث عن الوسائل والكفايات التي على المديرين في ثانويّات جبل لبنان خصوصًا وفي لبنان عمومًا امتلاكها لتكون ممارساتهم في هذه الفقرات مرتفعة، وكذلك مراعاة ذلك عند اختيار المديرين الجدد، ليكون بالميدان التّربويّ قادة تربويون، يتميزون بالممارسات القياديّة.

توصيـات البحث

في ضوء أهداف البحث وما توصل إليه من نتائج فإنّ الباحث يوصي بما يلي:

1 – عقد دورات هادفة لمديري المدارس تتعلّق بعملهم القياديّ وتطويره، مثل دورات في القيادة التّربويّة ، والإدارة المدرسيّة الحديثة، ومهارات الاتصال والتواصل مع المعلمين والعاملين، واستراتيجيات حل المشكلات، والاهتمام بتنمية الصفات القياديّة لدى العاملين، خاصة أن أي من المديرين المستفتين لا يحمل شهادة جامعية تتعلق بالإدارة التّربويّة .

2 – تشجيع المديرين على تفويض السلطات ومشاركة العاملين في اتّخاذ القرارات.

3 – تدريب المديرين على التأثير بالعاملين بدلًا من التلويح بالقوانين للقيام بالأعمال المختلفة.

4 – تشجيع المديرين على الاهتمام بالنمو المهني العاملين من خلال حثهم على الاشتراك بالمؤتمرات العلمية والأبحاث ومتابعتهم لدراساتهم العليا.

5 – اختيار مديري الثانويّات الذين سيتم تعيينهم بعناية فائقة لرفع مستوى الممارسات القياديّة لدى مديريها وخاصة في مجال العاملين والعلاقات الإنسانية.

6 – تخصيص جائزة سنوية مادية ومعنوية لأفضل مدير مدرسة في كل محافظة ضمن معايير الجودة الشاملة.

7 – تحديد شروط ومتطلبات كافية لاختيار مديري المدارس الجدد في المستوى الذي يتناسب والدور الكبير الذي يؤدّيه هؤلاء المديرون في إنجاح العمليّة التّعليميّة التّعلميّة.

8 – مشاركة مديري المدارس في التّخطيط للتعّليم على مستوى المحافظات، خاصة عند وضع خطة سنويّة، وعند تعيين عاملين جدد، وأن تكون العلاقة مع وزارة التّربيّة والتّعليم قائمة على التّعاون والتّشاور وتبادل الرّأي والحوار الهادف.

9 – منح مدير المدرسة، بعد تدريبه، صلاحيات اشمل واوسع، والبعد عن المركزية الإداريّة.

10 – قيام المعنيين في وزارة التّربيّة والتّعليم العالي كل في مجال اختصاصه بالقيام بزيارات إلى الثانويّات للإطلاع المباشر على سير العمليّة التّعليميّة فيها وكذلك

الإداريّة.

11 – إمداد الإدارة المدرسيّة بكل ما هو جديد وتزويدها بالأبحاث التّربويّة والكتب النظرية، والكتب الحديثة في العلوم النظرية والعلمية وتطبيقاتها في مجال الإدارة المدرسيّة والتّربويّة .

12 – إجراء دراسة مماثلة لمعرفة درجة ممارسة المهام القياديّة من وجهة نظر المشرفين في وزارة التّربيّة والتّعليم العالي والقيام بمقارنة بينها وبين نتائج هذه الدراسة.

المراجع باللغة العربية

- حمدان، محمد. (2007). **مشاكل الإدارة المدرسيّة وطرق معالجتها**. عمان: دار كنوز المعرفة.
- خليل، آمال. (2021). **علاقة النّمط القياديّ بالأداء الوظيفيّ: دراسة حالة**. المركز الجامعي. 5(2). الجزائر.
- طافر، مريم وأحلام، بومجيرك. (2019). **القيادة الإداريّة ودورها في تحسين الأداء الوظيفيّ**. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع. جامعة محمد الصديق بن يحيى.
- عبد الفتاح، ثريا. (1998). **منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين**. (ط1). بيروت: دار البشير.
- العتيبي، عبدالمحسن إبراهيم. (2003). **المهارات القياديّة لدى الضباط العاملين في وزارة الدفاع والطيران في مدينة الرياض وعلاقتها بكفاءة أدائهم**، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- العجمي، محمد حسنين. (2008). **القيادة الإداريّة والتنمية البشرية**. الأردن: عمان، دار المسيرة.
- عطيفه، حمدي أبو الفتوح. (1996). **منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في الدراسات التّربويّة والنفسية**. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- النمر، سعود بن محمد وآخرون. (1990). **السّلوك الإداري**. الرياض: مطابع جامعة الملك سعود.
- هلال، محمد عبدالغني حسن. (1996). **مهارات إدارة الأداء**. القاهرة: مركز تطوير الأداء.

المراجع باللغة الأجنبية

- Iles, P. & Preece, D. (2006). **Developing Leaders, or Developing Leadership?** The Academy of Chief Executives' Programmes in the North East of England, Leadership, 2, 317-340.
- Owen. Joslyn. (1994). **"Managing Education"**, Long man Group UK Ltd.

الرّواية في أدبِ المُقاوَمَةِ اللّبنانيّة

رواية «درب الجنوب» أنموذجًا، للروائي اللُّبناني عوض شعبان

قمر نبيل بركات [1]

المقدّمة

إنَّ كلَّ عملٍ أدبيّ لا يقلُّ قيمةً، ولا أهميّةً، ولا شجاعةً عن أيِّ عملٍ مُقاوِمٍ سهِر اللّيالي الباردة، ليزرع عبوةً تحيْلُ المحتلَّ أشلاء. فالمقاومة وُلِدتْ مع الإنسان، منذ بدء الخليقة، وظلَّتْ مُلازِمةً له؛ لأنَّه مخلوقٌ مقاوِمٌ بطبعه وفطرته لكلِّ مايحسبه ضدّه، أيًّا يكن. فإذا تأمّل الإنسان الحياة لوجدَ أنَها بحدِّ ذاتها فعلٌ مُقاوِمٌ، فالإنسان يستطيع تحمَّل الظّروف المحيطة به، إن كانت لديه القدرة على مقاومة الصّعاب التي تواجهه، فلا يجدُ بدًّا من المقاومة؛ للاستمرار.

هذا على مستوى الجسم الإنسانيّ، لتمتدّ المقاومةُ أيضًا إلى المستوى الفكريّ، فعادةً ما يواجه الفكر صعوبات تُعْرف بالمشكلات، وهذه المشكلات تستوجب مِن أجل حلِّها «المقاومة». وكانت اللّغة، ومازالت، تُشكِّلُ إحدى أدوات التواصل والمواجهة، فالتواصل اللغوي الفريد بين الأفعال (قام)، مِن المصدر قيام، قام يقوم، قُمْ قومًا وقِيامًا، فهو قائم، ومُقيم، واسم المفعول منه: مَقُوْم. و(قاوَم)، يُقاوِم، مقاومةً، وقِوامًا، فهو مُقاوِم، واسم المفعول منه: مقاوَم. فتأمل! فالإنسان استخدم اللّغة عنصرًا مُؤثّرًا في الدّفاع عن النّفس، ونجد في التّاريخ عدَّة شواهد لتأثيرها، ثمَّ تحوَّلتْ فيما بعد إلى الأدبِ بأنواعه.

ومنه أدب المقاومة الذي تقع على عاتقه مهمَّةَ صياغةِ أحداث المقاومة، وذاكرتها، والتّأريخ لمنعطفاتها وتطوُّرها، وذلك من خلال لغةٍ حيَّةٍ تستمد قوّتها من قوّة الأدب، وسطوته على الجمهور. إذًا يسعى الأدب المقاوِم، عبر منظومة متكاملة من وسائل الدفاع، إلى تحصين السّاحة، وتبيان أحقية المقاومة، والدّفاع عن رؤيتها، ووجهة نظرها في مواجهة العدوان، متوسلًا في سبيل ذلك لغةً لها بنيتها، وآليات اشتغالها، ومساراتها المتنوعة، لغةً لها مجازها ومعجمها، وتوظيف ذلك في خدمة مقاصدها في أدبها المقاوم.

1 طالبة ماستر في قسم اللّغة العربيّة – الجامعة اللبنانيّة – عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة.

إن أدب المقاومة، نشاطٌ إنسانيٌّ، يُقاوِم عوامل الضّعف التي تنتاب النّفس البشريَّة في لحظات الانكسار، وهذا ما أعطاه وَجْهه الإنسانيّ العام، فتعدى الأُطر القوميّة، والقوالب الاجتماعيّة، بجانبه وعامله الإيجابي، كونه عامل «تجمّع» لاعامل «تفرقة»، فأدب المقاومة يشمل جميع الأجناس من عرب فلسطين، ولبنان،..إلى الحديث عن مآسي الزّنوج، وغير ذلك؛ لنصرة حقهم، ورفع صوت قضاياهم عاليًا.

لكن السّؤال المشروع الآن هو «أين أدب المقاومة» بعد انقضاء أكثر من نصف قرن على الوجود الإسرائيلي في قلب الأمة، واحتلالها لأجزاء عزيزة في الوطن العربيّ والإسلاميّ.

السّؤال يأخذنا مباشرة إلى التّجرية الفلسطينيّة؛ كونها تمثّل الأب الحقيقي للتّجربة اللّبنانيّة، كما كانت المقاومة اللّبنانيّة الإسلاميّة فيما بعد، امتدادًا لحالة المقاومة الفلسطينيّة، التي تزامنت مع بداية الاحتلال، والاستيطان المسلّح، والمدعوم من القوى الخارجيّة على وجه العموم.

ولا يمكننا الحديث عن أعمال فنّية في الرّواية قبل عام النّكبة، فقد كانت أعمالًا أقرب إلى الحكايات الشّعبيّة، وقصائد الملحميّة والأهازيج. وهي بمعظمها تدور حول هجرة اليهود، وبيع الأراضي، وأثر الاحتلال الأجنبي على المجتمع الفلسطينيّ.

والرّواية الأبرز بين روايات تلك المرحلة هي رواية **(لجبرا إبراهيم جبرا)** الرّوائيّ، والرّسام، والنّاقد التّشكيليّ، الفلسطينيّ السّرياني، الذي شكَّل منعطفًا في الرّواية الفلسطينيّة. ويسطع أيضًا في الأدب الفلسطينيّ المقاوِم **(غسان كنفاني)** روائي، وصحفي فلسطينيّ، وهو من أهمّ الكتاب العرب في القرن العشرين، الذين عبَّروا في إبداعهم عن الشّخصية الفلسطينيّة من النّكبة الى المنفى. ننتقل الى الضّفة اللّبنانيّة، فلم تشهد الرّواية اللّبنانيّة المقاوِمة، تلك القوّة التي عرفتها الرّواية الفلسطينيّة المقاوِمة، وتكاد الأعمال الرّوائيّة، والقصصيّة اللّبنانيّة، التي تحدثت عن المقاوَمة، تعدُّ على أصابع اليد. أبرز هذه الروايات، رواية «**درب الجنوب**» لعوض شعبان (حائزة على جائزة اتحاد الكُتّاب اللبنانيين عن أدب المقاوَمة عام 1988).

- **التعريف بالمُؤلّف، وروايته «درب الجنوب»**

رواية **«درب الجنوب»** لمؤلِّفها وكاتبها الرّوائيّ: **عوض شعبان**، وهو عوض العوض، المعروف بعوض شعبان، روائيٌّ، وكاتب قصصٍ، وصحافيٌّ، ومترجمٌ. ولد في بيروت العام 1931. ترجم أعمالًا عديدة من الأدب الرّوسيّ (تشيخوف، وغوغول)، والآداب اللاتينيّة (البرتغاليّة، والإسبانيّة، والإيطاليّة). نال جائزة اتّحاد الكتّاب اللّبنانيين لعام 1988، عن روايته «درب الجنوب»، هاجر إلى أمريكا اللاتينيّة 1953، وعاش في البرازيل، ثمَّ عاد لبنان العام 1960. أمّا غلاف روايته الخارجي فالخلفيّة الأساسيّة صفراء، وهو لون علم المقاومة الإسلاميّة، الذي يرتبط بالشمس والذهب... وهي أمور توحي بالخير والجمال والتّقديس، وفي داخل الخلفية الصّفراء، مستطيلٌ مليءٌ بالعشب الأخضر، والورد الأبيض، واللّون الأخضر أيضًا اشتمل عليه علم المقاومة، وهو يدلُّ على الخصب، والحياة، والنّماء، والأبيض: رمز النّقاء والصّفاء. وكل هذه إشاراتٌ تصبُّ في خدمة الرّواية، وخدمة أبعادها التي رمز إليها عوض بالألوان.

في درب الجنوب[1] يعالج الكاتب معاناة المواطنين اللّبنانيين، منذ ما قبل الاحتلال الصّهيوني لأرض الجنوب، إلى وقت اندلاع المقاومة ضد هذا الاحتلال، فقد كان أبناء الجنوب يعيشون تحت نيْر السُّلطة اللّبنانيّة الداعمة لعسف الريجي[2]، التي صادرت محاصيل التّبغ في أرض الجنوب؛ بذريعة عدم الحصول على رخص لزراعة التّبغ، حيث أنَّ هذه الرُّخص ما كانت تُمنح إلا لمحاسيب البكوات، وعندما كانت السّلطة اللّبنانيّة تبعث برجالها من الدّرك لمصادرة الغلال، كان رجال الدّرك لا يتورَّعون عن نهب مواشي المزارعين البسطاء ودواجنهم. يروي عوض قصة عائلة جنوبيَّة، تُمثّل أنموذج العائلة الفقيرة، العاملة في الزّراعة، وهم - بشكلٍ مستمرٍّ - على خط المواجهة مع البيك، والسّلطة، والعدو الإسرائيلي!! إنَّ عائلة (علي حيدر)، الأب، الفلّاح، تُوزّع

---

1 الجنوب اللبناني: تُشكِّل محافظة لبنان الجنوبي، لسانًا ساحليًّا، يمتد من صيدا عاصمة الجنوب، ومركز المحافظة شمالًا، حتى الناقورة جنوبًا. تضم المحافظة ثلاثة أقضية: صيدا- الزهراني- صور، على الساحل بالإضافة إلى قضاء جزّين، الذي يشكّل مجموعة من البلدات الداخلية المنتشرة على منحدرات جبلية، وصولًا إلى ارتفاع يفوق ال 1000 متر من سطح البحر؛ لذلك تشكل مركزًا مهمًّا. وفقًا لبيانات سجلات الناخبين، فإنَّ الشيعة يشكلون حوالي 60%، والسُنّة 20%، ويشكل المسيحيين حوالي 20% من السكان. وتضم محافظة لبنان الجنوبي 178 مدينة، وقرية، منها 133 فيها مجالس بلدية.

2 وهي سلطة إدارة حصر التّبغ والتنباك في ذاك الوقت، وبمكان الرّواية، «الجنوب»[2]، وأصبحت منذ عام 1935 مُرفقًا عامًّا تعمل تحت وصاية وزارة المال.

الهموم، والتطلُّعات التي تتراوح بين الثّورة على الإقطاع، الذي كان «البيك» راعيه، وهذا التطلّع الثوري المقاوِم، كان من نصيب الابن «حسين»، أمّا الرغبة في الوصول إلى السّلطة، والاندماج بعلْيةِ القوم، فكانت من تطلُّعات الابن «يوسف».

إذًا، في «درب الجنوب» نجد الصّراع المرير بين المناضل المنضم إلى المقاومة الإسلاميّة (حسين)، وأخيه (يوسف)، غير المؤمن بجدوى الجهاد، وهو الذي يسعى أن يكون بين محاسيب «البيك»؛ بُغية الوصول إلى الكليّة الحربيّة، ليغدو ضابطًا، وهذا أقصى أمانيه. فيكون الصّراع بينه وبين أخيه، صراعًا طبقيًّا، ودينيًّا، ووطنيًا، في الوقت ذاته، لكن استشهاد حسين في نهاية المطاف، يفتح النُّور في عيني يوسف المغمضتين، فيدرك مُتأخِّرًا أنّ لا سبيل إلى تحرير الأرض والإنسان، إلّا في مقاومة العدو وعملائه. وفي تلك المدّة الزّمنيّة، كانت تعْصِفُ بالجنوب أحداثًا مهولة، بين النّزاعات الدّاخلية، والسّلطة القامِعة، والاحتلال الإسرائيليّ. ومِن صميم هذه المأساة، والأحداث الجلل، انبثق ضوء المقاومة الإسلاميّة من حضن الجنوب، بهمومه الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة. ومن الملاحظ أنّ الراوي كان عارفًا، وعالمًا بكل شيء، وهو يتحدّثُ من خلال شخصيّات روايته، فأمَّنَ للقراء الإصغاء الوجدانيّ إليها، عندما تُناجي، وتُحدّثُ عن نفسها، فدخل بذلك أعماق النّفس البشريّة، يرمقُ الحسَّ الباطن ببلاغةِ أسلوبٍ، وسردٍ ممتع.

ومن ذلك مثلًا، إدراكه مشاعر الأب (علي حيدر)، حين «أحسَّ بشيءٍ من الارتياح، مع أنّه بلغ شأوًا عظيمًا من الإعياء، عند اقتراب عودته إلى البيت مساءً». (شعبان، 1988، صفحة 102). أيضًا قفز شعبان بقدرته الإدراكيَّة، للغوص في قلب الابن حسين، في لحظاته الأخيرة حين استشهاده، «كان آخر طيفٍ رآهُ قبل أن يلفظَ أنفاسه، طيف أمِّه، وذلك قبل أن ينقُلَ رفاقه خبر صرختِه: أمّاااه!!، لحظة وقوعه صريعًا». (صفحة 115). ويركّز الراوي على سِّمة أخلاقية شائعة في المجتمع الذكوري، متمثّلةً في خلجات الأب: «فقوّة الذكورة الخاصّة بمجتمعه الفلاحيّ، تُحرِّم الإحساس ببعض المشاعر الطّبيعيّة، فهو يشعر أنَّ الدّمعة التي ذرفها منذ لحظات، مُهيْنة لرجولته!، فيغالط نفسه: لا، ما كانت دمعة ذرفتُها،؛ بل عرَقٌ مسحتُه عن وجهي!!» (صفحة 88). إنّ ظلم الحياة المُعيشة في ذاك الوقت، وقساوتها التي لا ترحم الضّعفاء، أدخلت في

قلوبهم، وخَلَدِهم، أنَّ الضّعف والبكاء، محرّمٌ على الذّكور، حتى لو كان من طبيعتهم، وطينتهم البشريّة!! ورغم كل هذه الخطوط الحمراء الصّارمة على الذكور، إلا أنّها لم تمنع يوسف من تعلّقه بابنة المختار، وافتتانه بها، فهو –حسب ما ذُكر في الرّواية– أحبَّها؛ لأنَّ فيها شيئًا مميّزًا عن أمّه، وأخته، وجميع الإناث من حوله، فيها من الأَنَفَة والكِبر الكثير، وهذا جديدٌ، وغريبٌ على فلّاح أنْ يرى لأنثى كلمةً ورأيًا وعِزّة شأن.

ولا يكشف لنا الانتماء الفلاحي عُقَد هؤلاء الفقراء المبهورين، فحسب؛ بل تعدَّى ذلك إلى مافي نفوسهم من أمراض، فيمثّل (يوسف) الوصوليّة، مسوّغًا لأخيه (حسين) سبب تعاونه مع أذناب السلطة، ومن بينهم المختار: سيتغيّرُ كلّ شيءٍ بالنسبة إلينا، حالما نُصبح أقوى منهم..، عندما نغدو أثرياء وموظّفين كبارًا، ونكون جزءًا من السلطة التي يستأثرون بها علينا». (صفحة 65).

فالمنظور الإيديولوجي[1]، لم يكن وحده السّائد في رواية (درب الجنوب)؛ بل هناك منظور خطير أيضًا، يتمثّل في وجهة نظر المختار إلى حركة اليسار، فيقول علنًا أمام يوسف «أنت تعلم حقيقة هذه الأفكار الفتيّة، التي تدعو إلى الثّورة، والاضطراب العام، بمناهضة السّلطة». (صفحة 91)، وربط الثّورة بكلمة اضطراب، هو تشويه فكريّ، وثقافيّ، ودينيّ، لصورة الثّورة، ودسُّ السمِّ في معسول الكلام!! ففي كلام المختار منحيان خبيثان:

الأوّل: أنّ هؤلاء الثّوار هم فتية مغرّرٌ بهم، لم يبلغوا سنّ الرُّشد.

والثّاني: إلى قيادي هذه الثّورة، الذين يحمّلهم مسؤوليّة الاضطراب، وتزعزع الأمن، حسب قصديّته الخبيثة.

ثمَّ يتطاول بمفهومٍ تطبيعيٍّ أشدُّ خطورةً من سابقه، فيقول: ماذا تفيدنا استثارة إسرائيل في كلِّ مرّة، غير قصفها لقرانا، والإغارة عليها أحيانًا، وهدم بيوتنا، وقتل أبنائنا، وترويع نسائنا، وأطفالنا؟ «. (صفحة 78).

---

1 الأيديولوجيا، أوعلم الأفكار باليونانية القديمة: النسق الكلي للأفكار، والمعتقدات، والاتجاهات العامة الكامنة في أنماط سلوكية معينة. وهي تساعد على تفسير الأسس الأخلاقية للفعل الواقعي، وتعمل على توجيهه. وللنسق المقدرة على تبرير السلوك الشخصي، وإضفاء المشروعية على النظام القائم والدفاع عنه. فضلًا عن أن الأيديولوجيا أصبحت نسقًا قابلًا للتغير استجابة للتغيرات الراهنة والمتوقعة، سواء أكانت على المستوى المحلي أم العالمي.

إنَّ ما يوحيه هذا الخبث: عبثيّة قتال إسرائيل، فالقتال ضدّها، وهمٌ لن يُجدي نفعًا، بل يصبُّ الويلات على النّاس. وهو بذلك القول، يهتمُّ بمصالحه المعادية لكل توجّهٍ نضالي، ولا تهمُّه ثورة، ولا نضال.

- الإشكاليّة

يُسلّط هذا البحث الضّوء على روايةٍ مُقاوِمةٍ، (درب الجنوب)، الحاصلةٍ على جائزة اتّحاد الكُتَّاب اللبنانيين لعام 1988.

1- فهل نجح عوض شعبان في روايته، بتسليط الضّوء أدبيًّا على أهداف المقاوَمة آنذاك؟ وأهميتها؟

2- هل حقّقت رواية «درب الجنوب» الواقع، أو المستقبل؟ بمعنى: هل تطابقت أحداثها قديمًا مع الأحداث الحاليّة في غزّة، والجنوب؟

3 - ما دور المقاومة في حياة الشّعوب، رواية «درب الجنوب» أنموذجًا؟

- المنهج المتّبع

يعتمد هذا البحث على المنهج السّرديّ البِنيويّ، فهو منهجٌ ملائمٌ لدراسة «مظاهر الخطاب السّردي أسلوبًا، وبناءً، ودلالةً، ويهتمّ باستنباط القواعد الدّاخليّة للأجناس الأدبيّة، واستخراج النّظم التي تحكمها، وتوجّه أبنيتها، وتحدّد خصائصها وسماتها. وتبحث السّرديّة في مكوّنات البنية السّرديّة للخطاب، من راوٍ، ومرويٍّ، ومرويٍّ له». (مهى جرجور، 2020، صفحة 57)، وحسب رأي النّاقد، والباحث الفرنسي جيرار جينيت (Gérard Genette) (1930-2018) «أنّ البنية السّرديَّة للخطاب تتشكّل من تضافر ثلاثة مكوّنات، هي: الرّاوي، والمرويّ، والمرويّ له».(مهى جرجور، 2020، صفحة 58).

«وفي مطلع السّبعينيات طرح الباحث السّوفياتي أوسبنسكي (Uspensky) (1937)، وجهة نظر من خلال ما سمّاه «بوطيقا التّوليف» أو «شعريّة التّأليف»، ساعيًا إلى معاينة المواقع التي يحتلُّها المؤلِف من خلال أربعة منظورات، هي: المنظور الإيديولوجيّ، المنظور التعبيريّ، المنظور النّفسيّ، والمنظور الزمكانيّ.

«واهتمّ البنيويُّون أيضًا بدراسة المكان الرّوائيّ؛ لما له من أهميّة خاصة في المتخيّل القصصي، فهو يُجسّد الحاضنة الاستيعابيّة، والإطار العام الذي تتحرّك فيه الشّخصيّات، وتتفاعل معه، وأحد العوامل الأساسيّة التي يقوم عليها الحدث، وأولى وسائل تقديم المنظور الرّوائيّ. وعليه، يشمل مجموع الأمكنة في الرّواية، وعلاقتها بالأحداث، والمنظورات، والشّخصيّات، والزّمان، ومن ارتباط المكان بالزّمان تكتسب الرّواية تماسُكَها وانسجامها، ومن التحامه به ينشأ الفضاء الرّوائيّ». (صفحة 58)

بناءً على ما تقدّم، نستنبط أنَّ المنهج السّردي البِنيوي، سيساعد في استنباط القواعد الداخليّة للجنس الأدبي «رواية درب الجنوب»، وتحديد خصائصها، وسماتها، من أجل استظهار فرضيات الإشكاليّة، والإجابة عنها.

- ماهيّة المقاومة

بدايةً، لابدَّ من القول إنّ «المقاومة ليست مجرد تعبير، وليست مجرد إظهار لعواطف وأحاسيس؛ بل هي في الواقع فعلٌ وسلوكٌ خارجيٌّ يقوم به الإنسان، على أثر عقيدة، أو هدف، أو قيم عالية، وتاليًا فإنّ هذا الفعل يختزن في داخله معاني سامية تدعو إلى التّمجيد والقبول والاستحسان». (الثقافيّة، 2016، صفحة 1).

و«ليست المقاومة المسلحة قشرة، هي ثمرةٌ لزرْعةٍ ضاربةٍ جذورها عميقًا في الأرض، وإذا كان التّحرير ينبع من فوهة البندقيّة، فإنَّ البندقية ذاتها تنبع من إرادة التّحرير، وإرادة التّحرير ليست سوى النّتاج الطبيعي والمنطقي، والحتمي للمقاومة في معناها الواسع: على صعيد الرّفض، والتّمسك الصّلب بالجذور والمواقف». (كنفاني، ط1 1968/ ط2 2013، صفحة 9)؛ لهذا، ومن خلال ما تقدّم تنجلي الصّورة أكثر في أهمية التّرابط والتّعاون بين المقاومة السّياسية، والمقاومة الثّقافية، فمهما كانت المقاومة سامية وشريفة وفاعلة، إنْ لم يرافقها عمل بمستواها لجهة التّأريخ والتخليد، فإنّها لن تسمو بقيمتها الأصيلة السموَّ المناسب.

وتصبح على هذا الأساس مسؤولية الأدب والأدباء كبيرة، حيث يفترض أن يُعمل على استخراج المفاهيم الأساسية للمقاومة، وتبيين الأسباب، والأهداف، والغايات، والحفاظ على المصطلحات التي يتركها العمل المقاوم كالشهادة وغيرها. «إنَّ مثل هذا النّوع من

المقاومة، يتّخِذ شكله الرّائد في العمل السّياسي، والعمل الثّقافي، ويشكّلان معًا الأرض الخصبة التي تستولد المقاومة المسلحة، من هنا فإنّ الشّكل الثّقافي في المقاومة يطرح أهمية قصوى، ليست أقل قيمة من المقاومة المسلّحة». (صفحة 9).

- **الرّواية المقاوِمة**

«في أزمنة الانعطافات الكبرى، والمصائر الحاسمة، والصّراعات، تنهض الكلمةُ القضيّة، بأشكالٍ شتى؛ لتعلن عن حضور الرّفض والاحتجاج، وفي وضعنا العربيِّ الراهنِ المتردّي انتصبت المقاومة، في فلسطين ولبنان، ماردًا في وجه العدوان، والاحتلال، والتّدمير، وكلِّ ما يمارسُه العدّو الصهيوني، وتمثّلت بها الكلمة». (الثقافيّة، 2016، صفحة 48)، والكلمة المقاوِمة، تُولد من رحم المعاناة، هاجسها تحرير الأرض، وحرية الإنسان.

فالرّواية المقاومة إذًا، هي نوع من أنواع الأدبِ المقاوم، الذي برز في العصر الحديث، بفعل المقاومة الفلسطينيّة بداية، وهي ترتبطُ بواقعِ مقاومة الاحتلال، وتتّصف بالكفاحيّة، شخصياتها المحورية نبيلة، يحدوها النّزوع إلى النّضال، والتّضحية، ونشدان الحرية، ورفض الظّلم والعدوان على كل مستوى، وهي وجهٌ من وجوه العمل السّياسي النّضالي، و«إذا كانت المقاومة، أصلاً، حركةً ثوريّةً ظهرت أثناء عدوانٍ أو غزو واحتلال..، فإن روايتها ستُحدّد حتميَّة حركيّتها الكفاحيّة، مما يوجب أن تكون شخصياتها المحورية القتالية، تمارس بشكل سرّي ما يقتضيه قتالُ من تدريب، وحمل سلاح، وتخطيط عمليات حربية». (صفحة 49).

- **ظروف نّشأة المقاومة**

ترتبط الرّواية المقاوِمة، أيضًا، **بالواقع** الاجتماعيّ، وتتحرّك وتتفاعل مع قضاياه، وهذا ما سينعكس على أبطالها، ويدخلُهم في مواجهة مع العدوان، وتسليط الضّوء على الظّواهر السّلبية، التي تحول دون تقدّم المجتمع.

«فأدب المقاومة في فلسطين، ارتبط ببُعدٍ اجتماعيّ، يطرح ولاءه للطّبقة الكادحة، التي على أكتافها تعلّق المقاومة بنادقها، ومصيرها». (كنفاني، ط1 1968/ ط2 2013، صفحة 105). ورواية «درب الجنوب» في لبنان، مرتبطة بالواقع الاجتماعيّ،

وانبثقت من ثناياه المؤلمة. فكانت قبل سرد الرّواية، وفي أثنائها، أحداثٌ مهولةٌ، وخطيرةٌ، من تسلّط الإقطاع، واحتلال العدو.

أيضًا ترتبط بما اشتمل عليه التاريخ العربيّ من عوامل انهيارٍ وتراجعٍ، فعلتْ فِعْلها في إنساننا، فكادت أنْ تتفرّغ شخصيته من العروبة، والقوّة، والكرامة، والأنَفة العربيّة، فأصبحت الثّقافة الغربيّة السّلبية منها، بديلًا عن الانتماء العربيّ، وأخلاقه، واتُّخِذَتْ المعيار الأساس، والمحرّك الفاعل في مجريات الأحداث بين فئات الشباب، الذين هم عِمادَ الأمّة وأُسَّها وقوامها!!

أهداف المقاومة

إنّ المقاومة في لبنان، نشأت في ظلِّ ظروف قاسية –كما سبق ذكْره–، وأخذت على عاتقها تحقيق هدفين، سلّط شعبان في روايته الضّوء عليهما، من خلال مجريات أحداث روايته، وشخصيّاتها، ومكانها، وفضائها الزّماني، وهما:

1– «مواجهة المحتل، وإخراجه من أرضنا التي دُنِّستْ باحتلاله». (الثقافيّة، 2016، صفحة 5). وهذا ماكان الابن حسين بن علي حيدر، –ابن العائلة الجنوبية– حريصًا عليه، إذ انتمى برفقة شبّانٍ من عمره إلى الجهاد في سبيل الدفاع عن الأرض، ورفع الظّلم والعدوان.

2– «مواجهة الواقع البائس من أجل تجاوز كل العقبات، والموانع المثقلة بتراكمات جعلتْ هويتنا الثقافية الأصليّة، غريبةً في مجتمعها وأمتها!». (صفحة 5)، واصطبغ الابن يوسف بن علي حيدر بالانسلال من هويته في الرّواية، حيث سعى جاهدًا الانتساب لأزلام المختار، والدخول في الكليّة الحربية؛ ليغنى؛ ويتطلّع للسلطة والنفوذ والمال، معتقدًا أنه حين وصوله سيغيِّر الواقع!!، لكن مرضه النّفسي، والانتمائيّ، قد حال به دون الوصول، فظلَّ غارقًا طويلًا، إلى أن عاد لانتماءه وبصيرته حين علِم باستشهاد أخيه حسين.

المقاومة الثقافيّة

الاحتلالُ، خصوصًا الاستيطانيُ منه، فيروسٌ خطيرٌ، تواجهه المقاومة الإسلاميّة، والإسلامُ ثقافةُ مقاومةٍ بطبيعته، فلا بد من أن نبتكر ممّا يكْمن في وجداننا، وتُراثنا،

عوامل قوَّة، تُلغي مفاعيل الآلة الفيروسيّة العسكرية الإسرائيلية الهائلة.

فإمكانيَّة الانتصار العسكريّ على إسرائيل إمكانية متاحة، برهن على حقيقتها ما اجترحته المقاومة الإسلامية سابقًا، وفي الوقت الراهن، في غزّة، والجنوب اللبناني؛ لكنَّ المقاومة الأصعب، وإنْ كانتْ لا تكلِّف دمًا غزيرًا، هي المقاومة الثقافية.

فما الثّقافة المطلوبة منّا؟

تبدأ ثقافة الأمة بفهمٍ وإدراكٍ لمشكلاتها، وللتّحديات التي تواجهها، وتنتهي بوضع حلولٍ لتلك المشكلات والتحديات، يعني أن ثقافة الأمة مرتبطة بواقعها، وتاريخها، ومستقبلها. فلكلِّ أمَّةٍ خصوصيَّةٌ ثقافيَّةٌ هي دواء دائها، وهي مساهمتها الإنسانية في إغناء الثّقافة العالمية. إنَّ ما يقوم به الغرب من اجتياحٍ عابرٍ للقارات تحت أسماء مختلفة: العولمة ،الشرق الأوسط الكبير، إنما يستهدف في –ما يستهدفه– ثقافتنا.

فالمطلوب منا إذًا بناء مقاومةً ثقافيّةً حديثةً، تناسب عصرنا، وتتماشى مع شبابنا، ثقافةً قادرةً على فهم مشكلاتنا، ومعالجتها، إنَّ تغيُّب هذه الثّقافة عن ساحة الفعل والتّطبيق، خصوصًا في المرحلة التي تلت خروج المستعمر الغربيّ، قد هيّأ الظروف للثقافة اليسارية كي تملأ فراغنا المقيت، وتحتل موقع الفعل والتطبيق من واقعنا، وسلوكنا، وتاريخنا، ومستقبلنا، أمَا وقد دخلت الثّقافة اليسارية المكان، صار الصراع بين ثقافة إسلامية ربَّانيّةٍ جاهد أسلافنا في إنتاجها وبنائها؛ لتصلح لزمانهم وزماننا، وثقافة مشروع الشرق الأوسط الكبير التي تريد أن تنتج إسلامًا، وثقافةً على مقياس المصالح الأمريكية الإسرائيلية.

ومن يفهم الثّقافة، ووظيفتها وِفاق هذا الفهم، يعِ أن الأجناس الأدبيَّة، ومن بينها الرّواية، غيرُ منفكّة عن تلك الثّقافة، فالرّواي الأرِق؛ الذي يعيش قلق الوضعية التي تحتلها ثقافة الأمة، والثّقافة الضّحلة التي تفورُ وتمورُ بين أبنائها، يكن قادرًا على الإمساك بخيط الثّقافة الأثير، ويسعى جاهدًا إلى انبثاق الوعي، والنّضوج، ونشره في محيطه، بين القاصي والداني، قدْر استطاعته.

فالأدب ليس بلاغةً وزخرفة ألفاظٍ، وتنميقَ معانٍ، فحسب؛ بل هو أكبر وأوسع وأهم، فأدباء الأمم، والعالم الذي خّلدهم كتاباتهم، لم يكونوا بلاغيين كبارًا فقط؛ بل كانوا مثقفين

كبارًا أيضًا. إن انكسار الأمة العسكري هو بُعدٌ من أبعاد انكسارها الثقافي.

إن المقاومة وليدة الثّقافة، وهذا الأمر أدركته الإدارة الاستعمارية، فأرادوا أن يحولّوا هذه الثّقافة التي تولّد المقاومة إلى شيء مُضلّ، واهتدوا إلى مسألة الانحلال الخلقي، وانتشاره في المجتمعات التي تحمل ثقافة المقاومة، أرادوا أن يحوِّلوا هذه الثّقافة، من ثقافة فاعلة، إلى انحلالٍ خُلُقيٍّ يُميت، ويُنهي، ويفني، هذه الثّقافة. فوجب دخول هذه الثّقافة (الشعر . الأدب) إلى الوجدان الشعبي؛ لتكون الشعلة الأولى للمقاومة، والطّريق القويم للشّعوب. وقد كان جليًّا للمقاومة وأبنائها منذ البداية، أنَّ الانتصار في المواجهة الثّانية (مواجهة الواقع البائس)، هو الذي يؤسِّس للانتصار في المواجهة الأولى (مواجهة المحتل)؛ لذا كانت المهمة شاقة وطويلة.

إنّ أهميّة المقاومة إذًا، لا تكمن فقط في الجهاد، ومواجهة العدو الإسرائيلي؛ بل في فرض الشخصيّة العربيّة الأصيلة، والوفيّة لدمها وشعبها، التي تأبى التطبيع[1]، وموالاة العدوان الغاشم. وسعيها الدائم في تثقيف الشباب، بنشر الوعي والمعرفة. والمقاومة وإنْ حقّقت تباشير انتصار على المستوى العسكري، في جنوب لبنان، أو في فلسطين، إلا أنّها لم تحسم الصِّراع، وسنظلّ ننتظر انتصارًا آخر يجب أن تحققه المقاومة على المستوى الثقافي.

رواية «درب الجنوب» بين الواقع والمستقبل

– تعريف الرّواية

«أدب نثري، وسرد قصصي، وهي تطوّر لفن القصة القصيرة في الطول، والشّكل، والمضمون، واللّغة، وتتضمّن العديد من الشّخصيّات التي لها أحاسيسها، واندفاعاتها، وانفعالاتها، ودواخلها، ودواخلها التي تميزها فيما بينهما». نقاوة (2022, p.1) , أو «هي فنّ من فنون النثر الأدبيّ، قائم على الحكاية، ينتظِم سلسلة من الأحداث الحقيقية،

1 تطبيع العلاقات (بالإنجليزية الأمريكية normalization)، من يُطبّع، أي: يُسوّي (normalize)، وتطبيع العلاقات مصطلح سياسي يشير إلى «جعل العلاقات طبيعية» بعد فترة من التوتر أو القطيعة لأي سبب كان، حيث تعود العلاقة طبيعية، وكأن لم يكن هناك خلاف أو قطيعة سابقة. أما التطبيع في علم الاجتماع أو التطبيع الاجتماعي؛ فهي العملية التي يتم من خلالها اعتبار الأفكار والسلوكيات التي قد تقع خارج الأعراف الاجتماعية على أنها «طبيعية»، والتطبيع العربي الإسرائيلي، يُشير إلى جهود ومعاهدات السلام بين جامعة الدول العربية وإسرائيل لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي. منذ سبعينيات القرن الماضي، بُذلت جهود موازية لإيجاد شروط يمكن على أساسها الاتفاق على السلام في الصراع العربي الإسرائيلي، وكذلك الصراع الإسرائيلي الفلسطينيّ على وجه التحديد. على مر السنين.

أو المتخيَّلة، تقوم بها شخصيات، أو قوى معينة، وتستغرق وقتًا طويلًا من الزّمن». (العربية، 2023، صفحة 1).

عناصر الرّواية

يجتمع في الرّواية، عناصر تختلف أهميتها بحسب نوعها، ويربط ذلك كله حبكة ترتفع بها إلى التأزُّم، الذي يصل مداه قبل النهاية، فيأتي الحلُّ إيجابًا، أو سلبًا، أو تكون النهاية مفتوحة، لا تُقدِّم حلاً؛ بل تدفع القارئ إلى المشاركة في الصراع، والبحث عن حل للتأزم والعقدة.

1- الحبكة

هي «مجموعة من الحوادث مرتبطةً زمنيًّا، ومعيار الحبكة الممتازة هو وحدتها». (صالح، 2018، صفحة 75). وكما مرَّ ذكره، تُنتج الفكرة لدى الرّوائيّ مجموعة من الحوادث، وصراعاتٍ متفرِّقة، تخدم غاية الكاتب. ومن الملاحظ في رواية شعبان، اعتماده على النَّظْم الانحداري المناسب، الذي من شأنه أنْ يُحقق الانسجام والتّركيز. فلم يهبِط بالقارئ من موقفٍ إلى آخر بشكلٍ فجائيٍّ مزعجٍ؛ بل ارتبطت أحداثها، ووقائعها بشكلٍ منسجمٍ، متسلسلٍ، مُقنع. إنَّ الحبكة توصل إلى العُقدة، وتتكوَّن العُقدة في هذه الرّواية، من:

أ- العرض

ابتدأ الرّاوي شعبان بعد حبكته، بعرضٍ عن بدايات نشوب ماعُرِفَ بالحرب الأهلية في لبنان[1]، وبدايات التّدخّل الإسرائيليّ في الجنوب اللّبنانيّ، الذي انتهى بحرب لبنان عام 1982[2]. «تظهر هنا أسباب الخلاف أوالأزمة، إذ تبدأ العقدة بالصعود والتطوّر ببطيء». (المستنصريّة، 2020، صفحة 3). فيعالج شعبان بدايةً، -وكما ذكرنا- المرحلة التي سبقت انتصار المقاومة، مُوظِّفًا تشعُّب منطلقات المقاومة وفئاتها في ذاك

1 الحرب الأهلية اللّبنانيّة، هي حرب أهلية متعددة الأوجه في لبنان، واستمرت من عام ،1975 إلى عام 1990، وأسفرت عن مقتل ما يقدر بـ 120 ألف شخص. في عام 2012، كان ما يقرب من 76 000 شخصًا لا يزالون مشردين داخل لبنان. ونزوح لما يقرب من مليون شخص من لبنان نتيجة للحرب.

2 حرب لبنان 1982، أو ما أطلقت عليه إسرائيل اسم عملية السّلام للجليل. حوَّلت الحرب أراضي لبنان إلى ساحة قتال بين منظمة التّحرير الفلسطينيّة وسوريا، وإسرائيل. ترجع أسبابها إلى عدد من الأحداث التي جرت في الشرق الأوسط خلال السّنين التي سبقتها، من اتفاق القاهرة الذي نظّم وجود الفصائل الفلسطينيّة المسلحة في لبنان، إلى الحرب الأهلية اللّبنانيّة.

الوقت؛ لخدمة روايته، ومن هذه الفئات العقيدةُ الماركسية[1] على رأس تلك المنطلقات؛ بسبب انتشارها الواسع، في تلك المرحلة، بين الشبَّان الفقراء الذين عاينوا من خلالها الملكيَّة الخاصة، ورأوا أنّها قد غدت إقطاعيّات، ومزارعَ للقلَّة من الناس، فيما الكثرةُ لا تجد حتى قبورًا لرُفاتها، إن حديث اليساريين عن الملكيَّة الخاصة المتعلّقة بالعقارات، واضحُ الغمز باتجاه الملكيَّة الزراعية في الجنوب اللبناني، حيث تستأثرُ القلةُ بالكثير، من دون أن تبقي للكثرة إلا القليل. وبذلك يكون يوسف، وفق هذه النظرة، مُضلّلاً.

كما يجدر بنا أن نتوقف عند رؤية هؤلاء الماركسيين إلى المسجد الجامع، والإسلام، والتي تتكشّفُ عن تلفيقٍ موقفٍ موحِّدٍ، في محاولة ذكية لا تخفى على اللبيب؛ فحسين، المرتبط بحلقة حزبيَّة يساريّة، يتمنّى أنْ يلتحق أخيه **يوسف** به « فمكانه الطبيعي معنا، في الجامع وفي حجرة الأستاذ فهيم، وليس في بيت المختار». (شعبان، 1988، صفحة 57)، وتناسى المخاض العسير، الذي شهدته السَّاحة الوطنيَّة في أثناء بروز الصَّحوة الإسلامية. ولا يعني هذا أن نتجاهل التناقض القائم بين الاتجاه الديني، والاتجاه الجدلي المادي، ويعني هذا افتراقًا، على مستوى الإيديولوجيا، بين الجامع، والحلقة الحزبية، وعلى مستوى الممارسة، كما كشف الواقع. صحيح أن الموروث الإسلامي، الشيعي منه على وجه الخصوص، يركّز على ما مُتّع به الأغنياء، وحُرم منه الفقراء، إلاّ أن ما ذهب إليه الشيخ في خطبة الجمعة، والتي ذكرها الراوي بكلماتها . إنما يلامس الخطاب الشيوعي بشكل واضح. ويعود سبب هذا الخلل إلى المنظور الرّوائيّ، ويؤكد هذا الحكم بقاءُ حديث الشيخ عن عاشوراء، حديثًا، يبدو زُخرفيًا، شكليًّا، خارجيًّا، لم يتحوَّل إلى نسْخٍ تطبيقيٍّ يجري في عروق الرّواية.

ج- الذّروة

«هي النقطة التي تتأزّم فيها الأحداث، فتصل العُقْدة إلى أقصى درجات التكثيف والتوتر». (المستنصريّة، 2020، صفحة 3). وهذا بالفعل ما لُوحِظ في رواية «درب

1 الماركسية، هي ممارسة سياسية، ونظرية اجتماعيّة، مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وهو فيلسوف من أصول ألمانية يهودية من القرن التاسع عشر. وكان عالم اقتصاد، وصحفي وثوري شاركه رفيقه فريدريك إنجلز في وضع الأسس واللّبِنات الأولى للنظرية الشيوعية، ومن بعدهم بدأ المفكرون الماركسيون في الإضافة والتّطوير للنظرية بالاستناد إلى الأسس التي أرسى دعائمها ماركس، سميت بالماركسية نسبة إلى مؤسسها الأول كارل ماركس، تفرَّد ماركس وأنجلس بالتوصل إلى فكرة الاشتراكية كتطور حتمي للبشرية، وفق المنطق الجدلي وبأدوات ثورية. كانت أعمالهم تهتم في المقام الأول في تحسين أوضاع العمال المهضومة حقوقهم من قبل الرأسماليين، والقضاء على استغلال الرأسماليين للإنسان العامل.

الجنوب». حيث تتأزّم الأمور في ثنائية (الأخ حسين المجاهد اليساري، ومن معه، والأخ يوسف الوصولي، غير المؤمن بجدوى الجهاد والمقاومة، ومن معه). فكيف ليساريٍّ مسلمٍ أنْ يمتلئ قلبه بالإيمان الجهاديِّ، وكلَّ مقصديّته تحرير الأرض المقدسة، وحريّة الإنسان!! ولا تخفى علينا الإجابة، إنْ أدركنا فهم الاسم الذي اختاره الرّوائيّ لبطل روايته «حسين علي حيدر».

د- الحدث النازل

«وهو يعقب الذروة، حين يشرع التّوتر بالانتهاء؛ تمهيدًا للحل». (صفحة 4). حيث وضَعَنا عوض شعبان في روايته «درب الجنوب»، أمام حل هو «إرهاصات ولادة المقاومة الإسلاميّة. لقد كان قادرًا على إيجاد عمارة روائيّة تستوعب تلك الإرهاصات المنذِرة بولادة عملاقٍ كبيرٍ، سيهزُّ لبنان، والمنطقة، ويدفع الكيان الإسرائيليّ إلى إعادة حساباته، وأهدافه، ومنطلقاته». (الإخباري) p. 1 ، فبذلك حقّقت رواية «درب الجنوب»، الواقع: من خلال الوصول لحلٍّ لابُدَّ منه، وهو المقاومة، التي من شأنها السّعي والجهاد في كل الاتجاهات؛ لتحقيق الذّات، ورفع راية الحق، وبذلك نجد التّطابق في مسيرتها وأهدافها، بين القديم (1988)، والأحداث الحاليّة المهولة في غزّة والجنوب(2024-2023). فهي في كلا البلدين: فلسطين (حماس)[1]، ولبنان (حزب الله)[2]، نبعت من كنَف شعبٍ مظلوم مقهور، فكان لابدَّ منها؛ لأنّها مجابهة القوّة بالقوّة، وصمودٌ في وجه المعتدي، ومن دونها لا حياة، ولا كرامة. وبئس هؤلاء المثبّطين الخانعين، أمثال المختار في الرّواية، الذي لا يرى قيمة للثّورة والجهاد، وكلّ مقصديّته التّحقير مِن شأن المقاومين، وتهويل إسرائيل!! وأمثاله في زماننا كثير. وقد ذكرهم الله في محكم تنزيله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنكم والقائِلِينَ لِإخْوانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنا ولا يَأْتُونَ البَأْسَ إلّا قَلِيلًا أشِحَّةً عَلَيْكم فَإذا جاءَ الخَوْفُ رَأيْتَهم يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهم كالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكم بِألْسِنَةٍ حِدادٍ أشِحَّةً عَلى الخَيْرِ﴾. الأحزاب19-18.

1 حركة المقاومة الإسلاميّة، حماس: (1987)، هي حركة سياسية إسلامية، سُنية، فلسطينيّة، وطنية، مُسلَّحة، مقاومة للاحتلال الصهيوني، وهي جزء من حركة النهضة الإسلامية، تُؤمِن أنَّ هذه النهضة هي المدخل الأساسي لهدفها، وهو تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر.

2 حزب الله أو المقاومة الإسلامية في لبنان(1982)، هو حزب سياسي، إسلامي، شيعي، مُسلَّح، مقره في لبنان، وهو جزء من محور المقاومة ضدّ إسرائيل، وحلفائهم في الشرق الأوسط. الجناح العسكري لحزب الله هو: مجلس الجهاد، وجناحه السياسي هو: حزب كتلة الوفاء للمقاومة في البرلمان اللبناني. وبعد وفاة السيّد عباس الموسوي العام 1992، ترأّس السيّد حسن نصر الله، أمينها العام.

«أيْ: فاللَّهُ يُنْبِئُ رَسُولَهُ بِكم، بِأنَّ فِعْلَ أُولَئِكَ تَعْوِيقٌ لِلْمُؤْمِنِي. و(قَدْ) مُفِيدٌ لِلتَّحْقِيقِ؛ لِأنَّهم لِنِفاقِهِمْ ومَرَضِ قُلُوبِهِمْ يَشُكُّونَ في لازِمِ هَذا الخَبَرِ، وهو إنْباءُ اللَّهِ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، بِهِمْ، أوْ لِأنَّهم لِجَهْلِهِمُ النّاشِئِ عَنِ الكُفْرِ يَظُنُّونَ أنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ خَفايا القُلُوبِ. وذَلِكَ لَيْسَ بِعَجِيبٍ في عَقائِدِ أهْلِ الكُفْرِ...والمُعَوِّقُ: اسْمُ فاعِلٍ مَن عَوَّقَ الدّالِّ عَلى شِدَّةِ حُصُولِ العَوْقِ. يُقالُ: عاقَهُ عَنْ كَذا، إذا مَنَعَهُ وثَبَّطَهُ عَنْ شَيْءٍ». (والتنوير، 1984، صفحة 293).

و- الحل، أو الخاتمة

«هو القسم الأخير من العُقدة، وفيه تأتي النتيجة التي تنتهي إليها أزمة الرّواية». (المستنصريّة، 2020، صفحة 4).

ففي النّهاية، المقاومة دفعت الإسرائيليّ إلى إعادة حساباته، وأهدافه، ومنطلقاته. لقد عاين شعبان الخيط الأبيض الذي حاكته المقاومة الإسلاميّة لجسد الجنوب؛ لكنّها -في النّهاية- لم تجد حتى الآن من يُساندها في إكمال الحِياكة، ويزفّها بالعناية والدّعم.

إنَّ هذه المقاومة شقيقة لمقاومة أخرى، هي المقاومة الفلسطينيّة التي تواجه العدو نفسه، وفي ظروف أشدَّ قساوة وصعوبة. والمقاومتان واجَهَتا وتواجهان الآن آلة عسكرية تُعدُّ من أكثر الآلات العسكرية تطوّرًا في العالم، والمقاومة العسكريّة. ومِن المُلاحظ أنَّ المقاومة الممتدَّة من غزّة الصُّمود، إلى جنوب التَّحدي، يبدو أنَّها البقعة المقدّسة، والنُّور الوحيد في تاريخنا المعاصر، وإنَّ من بين كل إناث الأرض، ليس أطهر أنوثةً من المقاومة، ومن بين كل رجال الأرض، ليس أكثر رجولةً من مقاومين حملوا أرواحهم على أكفّهم ودفعوا من دمائهم ضريبة صمتنا المقيت!!

2- الشخصيّات

«هي التي تُشكّل بتفاعلها ملامح الرّواية، وتتكوّن بها الأحداث؛ لِذا فعلى الراوي أنْ ينتقي شخوص روايته بحكمة، بحيث يجعل الشّخصيّة المناسبة في المكان المناسب». (صفحة 5). ونلاحظ في رواية «درب الجنوب»، اهتمام الرّاوي بالبُعْد الاجتماعيّ والوجدانيّ لشخصيّات روايته، أكثر من اهتمامه بالبُعْدِ التّكوينيّ الذي يصِفُ الخِلْقَة (الشكل الخارجي للجسم). فمثلًا، الأب علي حيدر، تأثّر بمجتمعه الصّارم، فحرّم على

نفسه مشاعر البكاء!!، وحسين تأثر بمن حوله من الشباب، ويوسف تأثّر بأزلام السّلطة، والمختار، والبيك، والشّيخ... كلٌّ واحدٍ منهم طاله بالضّرورة، تأثّرٌ اجتماعي وجدانيّ.

3- الزّمان

«هو الموجود المعنوي الذي يُدْرَك بالموجودات الحسيّة، فتغيُّر المحسوسات يُوحي بتقدُّم الزمن، ولولا التَّغيُّر لمَا أدركنا الزمن». (صفحة 6). لقد اعتمد الرّاوي شعبان في روايته على الديمومة، وهي زمن دوام الحدث، وتتفاوت في الرّواية بين لحظات تستغرق عدَّة صفحات، وبين أيام وشهور لا تأخذ حيِّزًا في الرّواية، إلا عدّة أسطر. والرّاوي قد استطاع تجاوز الزّمن الماضي المنصرم، إلى الماضي المستمر!! فقد وظَّف الماضي في استشرافِه المستقبل، فالمقاومة كانت، ولا تزال، وستبقى تسري في دم كلِّ حرٍّ مقاوِم.

صورة الوطن اختلفت، التراب ارتفع إلى مقام النّشيد، واللغة توضأت بالدم، وصار القلم كما السّيف قادرًا على الفعل، قادرًا على التّجرؤ على المخرز وقاموس التّبعيّة والانكسار المستبد!

4- المكان

حين نلفظ كلمة مكان، فإن أول ما يخطر ببالنا، ذلك الموقع المرئيّ والملموس، سواء أكان سهلًا، واديًا...، غافلين -في كل الأحوال-، عن السماء والفضاء، وغير متنبهين إلى مُركَّباته، وحيثياته المتعددة. وهو يرتبط ارتباطا عضويًّا بالزمان، مما حدا بالفيلسوف، واللغوي الروسي باختين إلى اجتراح مصطلح الخرونوتوب، الزّمكانية[1]. ويرى الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار أنّ المكان مرتبط بالانتماء والألفة، وهي رؤية صائبة جدًا. فالمكان يتحول من مجرَّد موقع جغرافي، إلى انتماء وجدانيّ وعاطفيّ.

وهو يعدّ من أهم مكونات الشّخصيّة، سواء كان ذلك في الفنّ أو في الواقع. والمكان جزءٌ من التّكوين النّفسيّ والعاطفيّ للبشر، فقضية العلاقة التي تربط الإنسان بالمكان، هي قضية إنسانيّة من الدّرجة الأولى، ولم يغفله الأدب الإنساني على مر العصور، خاصة في ظل الحروب والمآسي التي مرّت بها البشرية. ولما كانت غالبية سكان رواية

1 الزّمكان (بالإنجليزية: Spacetime) (الزّمان-مكان)، أو الزمان المكاني، هو دمج لمفهومي الزمان والمكان، هو الفضاء بأبعاده الأربعة، الأبعاد المكانية الثلاثة التي نعرفها؛ الطول والعرض والارتفاع، مضاف إليها الزمن كبعد رابع، هذا الفضاء الرباعي يُشكّل نسيج أو شبكة، تحمل كل شيء في هذا الكون، كل جسم مهما كان حجمه، وكل حدث يخضع لها، فلا وجود للأشياء ولا للأحداث خارج نطاقي الزمان والمكان.

«درب الجنوب»، من الفلاحين، والطّبقة الكادحة؛ فإنّ صورة القرية، بأهلها وبيوتها وأزقتها، نموذج لحياة عامة الفلاحين في بلادنا.

وللمكان أهمية قصوى في حياة الإنسان، تتبلور شخصيته في إطاره، ويلتصق بوجدانه إلى آخر يوم من عمره. يتغير الزّمان ويسير إلى الأمام؛ لكنَّ المكان يظل راسخًا في الوجدان والذاكرة عميقًا. والمكان «هو المحيط الذي تجري فيه الأحداث، أو تدور فيه، ويرتبط جدًا بالزمان، إذ لا فصْل معقول بينهما». (صفحة 6).

والمكان المذكور في رواية «درب الجنوب»، هو مكانٌ مفتوح، «وهو المكان المحدد بغير البنيان، والمكشوف للعيان». (صفحة 6). ورواية «درب الجنوب»، تفيضُ بمعنى الالتحام بالأرض، ولقد دعا غير شاعرٍ أو أديبٍ جنوبيٍّ للإقامة في المكان، وهي إقامة ضَنَك؛ لكثرة الأحداث المهولة، وأفواج الشهداء المستمرَّة. وفي الإقامة، وَصْل للجذور القريبةِ في المكان، بالجذور البعيدة، فيما يشبْهُ الوصايا المقدّسة بالحفاظ على مطارح الآباء والأجداد.

إنَّ الجنوب في رواية «درب الجنوب»، هو مكانٌ كونيٌّ شاسعٌ، كدرب التَّبانة، مكانٌ معلقٌ في الفضاء، يزدحم بالنجوم الفستقية، شذراتُ تِبْنِه المتناثرة وراء عدائل الحصَّادين، تِبْرٌ أَحَالتْه الدماء الزكية مفتاحًا يدور في أقفال البلاد، مهما أُوْصِدّتْ، وازداد إحكامها.

فالجنوب سقف العالم، كان يمكن لقاطنيه أن يذهبوا إلى الإحباط والصّمت، وأن يدخلوا -كما كلنا دخلنا- مستنقع الهزيمة، ولُذنا بالسكوت. لكن نهر دم المقاوِمين، الجارف والقاني، كان المصْل لزمن عربيّ كلّه يرقد في غرفة العناية المشددة فثمَّة حراسة للمكان، قريبة من السِّحر أو القداسة، إنَّ رجال المقاومة في غزّة، والجنوب، قد التحموا مع الأرض التحامًا يصل لحدود الاتحاد الصُّوفي، مِنْ فرْط حبِّهم، وتشبُّثهم بأرضهم، ومكانهم.

إنَّ المقاومة تضحّي، على أمل أن يستعيد العرب حيوية النخوة والتشظي، إثر كل قذيفة كاتيوشا تُسجَّل في الطرف الآخر،العدو، أننا مازلنا على قيد الحياة. وسجَّل جهاز تخطيط القلب، شريانًا مقاوِمًا يعجُّ بالحيويّة، فكل شيء كان مواتًا، خط الحياة كان جنوبيًّا، كان يزداد امتدادًا، والمسافة نحو الفجر تقصر، وتقصر كلَّ يوم. إنَّ وظيفة

الزمان والمكان في رواية شعبان، هي خلق الوهم لدى القارئ، بأنَّ مايقْرأه قريبٌ مِن الواقع، أو جزءًا منه.

5- الكاتب

«هو واضع العناصر ومنتج الفن، ومن العيب أن نذكر العُنصَر، ونهمل المعنْصِر. والرّوائيّ هو المتحكّم في طبيعة المكتوب يختار ما يشاء لما يشاء، وكثيرًا ما ينثر الكاتب أبعاد شخصيته على إنتاجه الأدبي، وهذا ليس غريبًا؛ فإنّ الفكرة لا تتولَّد من الفراغ؛ بل هي عبارة عن حدث وقع في حياة الرّوائيّ، وأثَّر فيه، وليس بالضّرورة أن يكون قد حدث له شخصيًّا، إنَّما حدث في حياته، فشارك في بناء فكرته؛ لأنّ المحيط يؤثر في النّفس، والنّفس تؤثر في الإنتاج. فالواقع دوافع والصنائع نوابع». (صفحة 5)، كما فعل الكاتب عوض شعبان في روايته «درب الجنوب».

دور المقاومة في حياة الشعوب

إنّ مقاومة أيَّ شعبٍ، هي التّجسيد الأروع لإرادة الحياة الكريمة، وهي الطّريق القويم لتحقيق الإنسانيّة، ورفع الظّلم عن المظلومين، والمضطهدين. والمقاومة في قاموس شعوب الكرامة: الذَّخيرة الوجدانيّة، والمرجع الأول، والذاكرة التي لاتموت، وتنطوي على أسمى معاني الافتخار، والاعتزاز؛ لتكون الحقيقة الممتدَّة في تاريخ الشعوب؛ ولِتغْدو جزءًا من التكوين الثقافي، وتُسهم في ترسيخ الانتماء لكل الأجيال.

إنَّ ماوصل إليه حال الأمّة من الانحدار، والسّقوط، لأمْرٌ جللٌ؛ حتى لقد أصبح الكلام عن منطق الحق في بعض المراحل، كلامًا غير واقعيّ، وخارج سياق الأحداث، وهذا أسوأ ماوصل إليه الحال!!

وكما ذكرنا سابقًا، فإنَّ مِنْ أهمِّ أدوار المقاومة، هو مواجهة الواقع البائس، فإذا عاد الشّباب لرشْدِهم، وتخلَّوا عن التَّبعّية الغربيّة السّلبيَّة، وزادت ثقافتهم، وتشبَّثت في وجدانهم الوطنيّة، والانتماء؛ لاستطعنا الانتقال للدور الأول مِن أدوارالمقاومة، وهو مواجهة العدو. فهل هذا الدور أو المهمّة لا تستحقُّ منَّا التغيُّر الإيجابي، والوعي؟

ومن الدّور الإيجابي للمقاومة، التّماسك والتّضامن، الذي يُرفَدْ من المستوى الثقافي للمقاوِمين، فيتحوّل إلى سلوكٍ يوميٍّ يحمله الأفراد، والجماعات. فيجمع كلمتهم، ويزيد وعيهم وثقافتهم، فيتكوّن لديهم مفهومٌ مُضادٌّ لكل الأفكار السلبيّة، التي تعمل على تآكل روح المجتمع الأصيل، وتعمل على تهاوي قدرته على الصمود

الخاتمة

أظهر هذا البحث تأثّر الجنس الأدبي (الرّواية)، ورواية»درب الجنوب»، أنموذجًا، بالمجتمع المحيط به، كما تأثّر الكاتب عوض شعبان، بالأحداث المهولة حين تدوينه روايته، من سطوة الإقطاع، إلى حرب الجنوب. إن أجمل ما في هذه الرّواية أنها تنقل نبضاتَ قلبٍ، وخواطرَ فكرٍ، وترسم ألوانًا لحياةِ أشخاصٍ عاشوا في فترةٍ زمنيّةٍ معيَّنةٍ، وفي حيِّزٍ مكانيٍّ معيَّن، وأفقٍ محدَّدٍة، وغيرِ محدَّدةٍ، وبذلك فهي تحكي الحياة بما فيها، من حلوٍ ومرٍّ، ومن ضَعْفٍ وقوَّةٍ، ومن صعودٍ وهبوطٍ.

ولرواية المقاومة نكهة أخرى تتميز عن غيرها: إنها تمدُّ جسرًا بين واقع لم يدخل في حيِّز الماضي، وبين أديب يحاول أن يُخرِج هذا الواقع في قالبٍ إبداعيٍّ،عاش ولا يزال يعيش قارئه. إنَّ رواية «درب الجنوب»، لم تُعط الاهتمام في دائرة الكتابة، إلا أنَّ دورها سيبقى خالدًا في الذّاكرة والوجدان. ففيها: صورة الوطن اختلفت، التراب ارتفع إلى مقام النشيد، واللغة توضأت بالدم، وصار القلم كما السَّيفُ قادرًا على الفعل، قادرًا على التجرُّؤ على المخرز، وقاموس التبعيَّة، والانكسار المستبد!

غير أنَّ الراوي عوض قد أغفل في روايته حضور المقاومين من خارج الجنوب، مع أن الواقع يؤكد مشاركة هؤلاء في المقاومة، ولهم فيها شهداء. وإغفاله هذا ربّما من ضيق الرّؤية، أو السهو غير المقصود.

ويبقى أن عوض شعبان، وإن إضاء على إرهاصات ولادة المقاومة الإسلاميّة، إلاّ أنه لم يكن قادرًا على استيعاب أبعادها، بسبب ثقافته اليساريَّة. «من هذا المنطلق كتب هذه الرّواية، معتمدًا على الأمل، البارقة الوحيدة التي ستظهر في نهاية النفق، وهي الإيمان الديني، والايمان الأممي اليساري الذي سيبقى متوقِدًا رغم العسف والاضطهاد». (السفير، 2006، صفحة 1)، وبما أنَّ الرّواية تُعبّر عن الواقع بمواضيع حقيقيّة ومتخيّلة، ولمسات جماليَّة، فلا بدَّ لها أن تتناسب مع واقعها، وتنبثق منه؛ لتكون صوت زمنها، ومُتنفَّس مُنتجها ومجتمعه. وبناءً على هذه المعطيات، فإنّ الرّواية تأثّرت بالحياة، وبالمجتمع وثقافته، وتأثّرت كذلك بالمقاومة، فوُلِدتْ رواية «درب الجنوب» مِن رحم المعاناة الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة وغيرهم.

لكن، إلى أيِّ مدى أثّر هذا الجنس الأدبي، (الرّواية) في عالمها المتلقي، والمحيط؟

وأين وظيفة النقد الأدبي من هذا الجنس الأدبي؛ ليثبّته، ويبرزه بشكلٍ واضح وحاسم، له مقوماته، وعناصره، وكتّابه، ومتلقيه؟

المصادر والمراجع

الكتب:

- بن عاشوراء، محمد الطّاهر (1984)، **تفسير تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**. ج 21، تونس: الدار التونسية للنشر.

- جرجور، مهى؛ لبّس، جوزف (2020)، **دليل مناهج البحث العلمي** (طبعة إلكترونيّة). بيروت: كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة –الجامعة اللّبنانيّة.

- جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافيّة (2016). **الأدب المقاوم رؤى وتطلعات**. بيروت: جمعية المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.

- شعبان، عوض (1988). **رواية «درب الجنوب»**.ط1، بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع.

- كنفاني، غسّان (ط1 1968/ ط2 2013). **الأدب الفلسطينيّ المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968**. قبرص: مطبعة كركي. بيروت: دار منشورات الرمال.

الدّوريّات الإلكترونيّة:

- الجامعة المستنصريّة (12كانون الثاني 2020). **«الرّواية وعناصرها»**. تمَّ الاسترجاع في (3شباط 2024 - 8 مساءً) من:

Uomustansiriyah.edu.iq/ media/Lectures.

- نقاوة، عمَّار (3-نيسان-2022). «تعريف الرّواية». موضوع. تم الاسترجاع في: (1شباط 2024-7صباحًا) من:

Mawdo33.Com.

- فن باحثو اللغة العربية (30كانون الأول2023). **«تعريف الرّواية، وعناصرها، وأنواعها»**. تمَّ الاسترجاع في (8 شباط 2024 6 - مساءً) من:

. Arabicrws.com

- مجلة السفير (17-حزيران-2006). **«كرم يتسلّم كتاب الزميل عوض شعبان»**. (ع 10420). تمَّ الاسترجاع في: (4 شباط 2024- 5مساءً) من:

alchive.assafir.com.

- نعيم، حسن (30-تشرين الأول-2006). **«الانتقادات، مقالات، حازت جائزة إتّحاد الكتّاب اللبنانيين لعام 1988: درب الجنوب رواية عوض شعبان المنسيّة»**. أرشيف موقع العهد الإخباري. (ع 1151). تمَّ الاسترجاع في: (27كانون الثاني2024 - 11.40مساءً) من:

Archive.alahed news.com.ib.

سيميائيّة النّصّ في السّيرة الشّعبيّة

سيرة الزّير سالم نموذجًا

روضة محمّد رياض صبحة[1]

الملخّص

أدب السّيرة الشّعبيّة من الآداب الواسعة الانتشار. يتداولها المرء بمستوياته المختلفة، وبمواقفه المتعدّدة. إنّها مادّة التّسلية زمن الحكواتي، تمخر على باب المجالس الّتي يقضى فيها السّمر، وتزجى بواسطتها أوقات الفراغ ويُذهب العُسر.

وتدخل للفرد من نافذة أخرى، تتمثّل في القراءة والمطالعة. وفي كلا الموقفين تعلن اتساعها وشموليّتها الفرد والجماعة في المجالس الخاصّة والعامة.

مثّل ذاك الاتساع مثير للدّراسة، فكانت الاستجابة بحثًا في سيرة «الزّير سالم أبوليلى المهلهل»؛ لبطولته من جهة، ولتسجيل وقائع حرب البسوس من جهة أخرى.

تناول البحث بعد التّمهيد، الخوض في غمار السّيرة المذكورة، عبر آلية السّيمياء. عرّف البحث بالسّيمياء ومصطلحاتها العديدة، ثمّ جاب في أرجاء السّيرة، وفق آلية السّيمياء وتقنياتها المتفرّقة على جسم النّصّ، كسيمياء الألوان والأصوات الطّبيعيّة غير اللّغويّة، ولغة الجسم، وإشارة الرّائحة والطّعوم ... وسواها. ولم يكن القول هزلًا، بل جِدًا وأصلًا.

ويخرج البحث بعد ذلك إلى ما ظهر في التّحليل والمعالجة الماثل في الدّرس التّاريخيّ وما يعكسه من استيعاب المتلقي له، وفهمه عبر بوابة السّيرة، وما تدفعه فيه من توقّظ البصر والبصيرة.

لقد تعانق البحث التّاريخيّ والأدبيّ والفنيّ، فجاءت معرفة المتلقّي له لوحة فنيّة تسرّ النّاظرين، ولا تكدّ بثقلها إرهاقًا للمفكرين والباحثين.

1 باحثة في الدّكتوراه جامعة القدّيس يوسف معهد الآداب الشّرقيّة قسم اللّغة العربيّة.

تمهيد

يخلد في ذهن الإنسان معنى من المعاني، يحاول التّعبير عنه، والإفصاح عمّا في نفسه من الأعراض والمرامي. يتفكّر مليًّا؛ ليختار الأسلوب الأكثر عمقًا وجلاء، فيقع حينًا على التّعبير بواسطة اللّسان، أو بكلمة «التّواصل الشّفهيّ». وهي حقيقة خلّدتها المبادئ، إذ الكلام يدور في القلب، ويثير صاحبه إلى التّعبير الأنسب، يعزّز ذلك قول الشّاعر الأخطل: [من الكامل]

لا يُعْجِبَنّكَ مِنْ خَطيبٍ خُطْبَةٌ ... حتّى يكونَ مَعَ الكَلامِ أصيلَا

إنّ الكـــلامَ لَفِــي الفُؤادِ وَإنّـما ... جُعِلَ اللّسانُ على الفُؤادُ دَليلَا[1]

وقد يملي المقام التّواصل بالكتابة؛ فتنوب عن فعل اللّسان، وتشاطره آلية البيان؛ لذلك قالت العرب: «القلم أحدُ اللّسانَينِ»[2]. وسمّوا أيضًا ما بين دَفّتَي المصحف: «كلام الله»[3].

وفي أحايين أخرى، تتعطّل لغة الكلام، ويقف الإنسان في التّعبير ما بين الإقدام والإحجام، ولا يجد سبيلًا إلّا الاعتماد على غير الكلام. فقد تسعفه الإشارة الجسديّة، أو غيرها من أدوات، يتخذها المعبّر أصلًا إلى جانب ما عداها من المفردات. والاستناد في عملية التّواصل إلى أبجديات غير الإشارة اللّغويّة هو ما يعرف بالسّيمياء، أو علم العلامات. ما حقيقة السّيمياء؟؟ وكيف تمّ توظيفها في سيرة الزّير سالم؟ أين تجلّت معالمها؟؟

السّيمياء في فضاء المعاجم

للسّيمياء دلالة ماديّة ثمّ تحوّلت إلى اصطلاح؛ لذا فهو يدور بين المعنَيَينِ:

1- السّيمياء لغة

اشتقت –في الأغلب– من وَسَم، قال ابن منظور: «اسم الشّيء وسَمهُ وسِمَه وسُمُهُ

1 الأخطل/ غيّاث بن غوث التّغلبيّ: الدّيوان، صنعة السّكريّ، تحقيق د. فخر الدّين قباوة، دار الفكر المعاصر ودار الفكر بيروت ودمشق، ط4، 1416هـ –1996م، ص 560.

2 ابن عبد البرّ القرطبيّ: بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذّاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلميّة بيروت، ط2، لا.تا، مج 1، ف1، ص90.

3 ابن هشام: شرح شذور الذّهب، بتحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، القاهرة، ط 10، 1385هـ 1965م، ص 29. ويطلق «كلام الله» على ما ننطق به أيضاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴿٦﴾﴾. سورة التّوبة، الآية 6.

وسَمَاهُ: علامته»[1]. ومعناه العلامة الموضوعة لتميّز الشّيء حقيقة؛ ولهذا قال أبو العباس: «الاسم وَسْمٌ وسِمَه توضع على الشّيء تُعرف به»[2]. وأكّد على معنى العلامة الكوفيون، حين ذهبوا في أن اشتقاق الاسم من العلامة، قالوا:»... إنّه مشتقٌ من الوَسْم لأنّ الوسم في اللّغة العلامة، والاسم وَسْمٌ على المُسَمّى، وعلامة له يعرف به»[3].

وقد تكون اشتقاق [سيمياء] من مادّة [سوم]، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴿٢٩﴾﴾ [4]. وهي تحمل معنى العلامة، قال الرّاغب الأصفهانيّ: «السّيماء والسّيمياء: العلامة»[5] وعلى ضوء معنى العلامة، أنشد الشّاعر [من الطّويل]

غلامٌ رماهُ اللهُ بالحسنِ يافعًا   له سيمياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ[6]

ومهما يكن من أصل المشتق ما بين [سمو] و[سمي] و[وسم]... فإنّها بجملتها تدلّ على العلامة. والسّيمياء باعتبارها مفردة عربيّة «ترتبط بحقل دلاليّ لغويّ ثقافيّ، يحضر فيه كلمات مثل: السّمة والتّسمية والوسام والوسم والميسم والسّيماء والسّيمياء (بالمدّ والقصر) والعلامة؛ وعلى هدي المعنى المشترك الماثل في العلامة يبرز المعنى الاصطلاحيّ.

2- السّيمياء اصطلاحًا

السّيمياء في الاصطلاح النّقديّ واللّغويّ الألسنيّ «نظرية عامة للأدلّة وسيرها داخل الفكر، وهي نظريّة للأدلّة والمعنى وسيرها في المجتمع»[7]. عرَّفها دوسوسير كعلم يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية[8]. ويعرّفها الفيلسوف الأميريكي تشارلسساندرز بيرز في أنّها «نظريّة شكليّة للعلامات، وقد اهتم بيرس كثيرًا بدراسة الدّليل اللّغويّ من

1 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ -1990م، مج 14، ص 401، مادة [سما].
2 ابن منظور لسان العرب، مج 14 ص401، مادة [سما]، وأضاف ابن سيده بالقول: «الاسم اللفظ الموضوع على الجوهر أو العرض لتَفْصل به بعضه من بعض، كقولك مبتدئًا اسم هذا كذا».
3 الأنباريّ: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لا. تا،ج1 ص6.
4 سورة الفتح، الآية 29.
5 الرّاغب الأصفهانيّ: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط5، 1433 هـ -2011م، ص 438.
6 أبو فرج الأصفهانيّ: كتاب الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثّقافة، بيروت، لا. تا، مج 19، ص.
7 د.آمنة يوسف: سيميائيّة النّصّ القصصيّ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 2016م، ص 17-16.
8 F.De Saussure: Cours De Linguistique Générale, Publie Par Charles Bally et Albert Sechchaye, Payot, Paris, 1967, P:33.

وجهة فلسفيّة خالصة»[1].

ومهما افترقت التّعريفات، أو انحرف بعضها إلى جانب معيّن، فالمجمع عليه أنّه العِلم الّذي يدرس العلامات، ويفترق عن غيره من آليات التّعبير، بأنّه يهتمّ بالإشارات غير الشّفوية المتعدّدة، الّتي تحاكيها بخطابها الحواس أكثر من خطابها الأذن، لتجيب عمّا تشعر به من إحساس...

والسّيمياء، كمنهج نقديّ حديث، نشأ كعِلم يناظر اللّسانيّة، وقد حمل منذ ظهوره مصطلحات متنوّعة؛ تبعًا لترجمة كلّ باحث عربيّ وثقافته، فشاع بمصطلحات: السّيميائيات، السّيمائيات، السّيميائية، السّيمياء، علم السّيمياء، السّيمولوجيا، علم السّيمولوجيا، السّيموطيقا، السّيموتيكا، علم الرّموز، الرّموزية، علم الأدلّة، العلاميّة، العلامتيّة، علم العلامات، علم الإشارات، نظريّة الإشارة، الأعراضيّة... وسواها[2]. ويتمّ التّعامل في البحث بمصطلح «السّيمياء».

والسّيمياء باعتبارها «علم العلامات»، والتّواصل بواسطتها، يدرس الأنظمة الدّلاليّة المختلفة في حقل الحياة الإنسان، منها: اللّباس والطّعام والأثاث والهندسة المعماريّة؛ ولهذا يبقى السّيمياء خير منهج في تحليل النّصوص ومقاربتها. وهو يتناول العلامة بجميع أصنافها، وفق نظام منهجيّ خاص، يبرز ويحدّد صنف العلامة ودورها التّواصليّ، ويرصد طبيعة العلائق الدّلاليّة الّتي يكشف التّحليل السّيميائيّ عن وجودها، وأنماط عملها داخل هذا النّظام التّواصليّ، الّذي يشترط في كلّ حالاته وجود المتلقي؛ «ولهذا يتصل بنقد استجابة القارئ، ونظرية الاستقبال»[3].

على ضوء المنهج السّيميائيّ، وأثره في تحليل النّصوص، والميادين الّتي يهتمّ بها، يمكن إجمالها على نحو ما أثبتته الدّراسات الّتي جاء فيها: «... سنعمد الآن إلى عرض وسائل التّعبير المستعملة في التّواصل الإنسانيّ، بدءًا بمجالات التّواصل الأقل استعمالًا (العملية، المدروسة) من طرف الإنسان، العلامات الشّمسيّة، اللّمسيّة والعلامات الذّوقيّة، وانتهاءً بالمجالات الأكثر استعمالًا: العلامات السّمعيّة– البصريّة والأيقونيّة

1 فيصل الأحمر: معجم السّيميائيّات، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص 17.

2 ينظر، د. يوسف وغليسي: كتاب إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ الجديد، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2008م، ص 233.

3 يراجع، د. آمنة يوسف: سيميائيّة النّصّ القصصيّ، ص 25.

(Iconiques)[1] فضلًا على مجالات تنتمي إلى بناء النّصّ، من حواشٍ وغيرها.

التّحليل السّيميائيّ لنصّ سيرة الزّير سالم

يتناول التّحليل وسائل التّعبير المتعدّدة الماثلة فيه، وهي على الرّغم من تعدّدها، يمكن التّوقف عند أبرزها، والّتي أدّت دور التّواصل بين المرسِل أو الباث والمستقبل أو المتلقي.

1- سيميائيّة العنوان والاستهلال

يشكل العنوان الواجهة الأولى للمتلقي، ويلعب دورًا هامًا في تحفيزه وإثارته للقراءة. وللعنوان وظيفتان رئيستان، تتمثلان في:

أ- إثارة القارئ وتنشيطه لتلقي المادة المعنونة.

ب- تلخيص المضمون وإيجازه، بما يعدّ دافعًا للأول.

والدّارس المتأمّل لسيرة «الزّير سالم»، يدغدغه الاسم «الزّير»، وهو معروف في البطولة والرّيادة والجرأة؛ لذلك قالت العامّة: «زير نساء». ويتلوه الاسم «سالم» مؤكّدًا دلالة الأوّل، إذ هو سالم ببدنه وسالم[2] بمعتقده من البدع والخرافات، قويّ مقدام ساعة الملمات. ويذيّل العنوان الرّئيسيّ بآخر فرعيّ يحمل اسم «أبو ليلى المهلهل». جاء العنوان دعمًا للأوّل وتوضيحًا له، إذ احتوى على الكنية «أبو ليلى»، ومعروف مقامها الدّلاليّ عند العرب، بما تورثه للمكنى من فخر واعتزاز، يصوّر ذلك قول بعض الفزاريين: [من البسيط]

أكْنِيه حينَ أُناديه لِأُكْرِمَهُ وَلا أُلَقِّبُهُ والسَّوْأةُ اللَّقَبَا[3]

ويتلو الكنية اللّقب «المهلهل»، وهو شاعرٌ جاهليٌّ معروفٌ، وأوّل من قَصَّد القصائد[4]

1 برنار توسان (B. Toussaint): ما هي السّيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشّرق، المغرب، ط 2، 2000م، ص 205.

2 السّالم في الأندلس – على سبيل المثال – من سلم من البدع ومن العمل في الفلسفة. رُوِيَ أنّه في الأندلس «كفّر العلماء كلّ من عمل في علم الكلام وأُحرقت كتب الغزالي...» ينظر د. إحسان عبّاس: تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر الطّوائف والمرابطين، دار الثّقافة بيروت، ط 6، 1981م، ص 99.

3 يراجع، الأعلم الشّنتمريّ: شرح حماسة أبي تمام، تحقيق وتعليق د. علي المفضّل حمودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثّقافة والتّراث، دبي، ط1، 1413هـ 1993م، ج2، ص627.

4 يعزز ذلك، قول أحد الشعراء فيه: [من الكامل] * ومُهَلْهِلُ الشّعراءِ ذاكَ الأوّلُ*

وتكون محصلة اسم السّيرة أنّ الزّير سالم جمع بها قوّة البيان والبنان والجنان. بطل مقدام شجاع شهم، لا توفّيه المعاني إلا سيمياء التّسمية.

وأكملت أسماء الفصول الأخرى الدّلالة السّيميائيّة، إذ حمل القسم الأوّل منها اسم «حرب البسوس بين بكر وتغلب»[1]، والقسم الثّاني اسم: «حرب برجيس الصّليبيّ مع اليهود»[2]. وهي أسماء تفصح بحالة الزّير سالم، ودوره وبطولته الّتي تعدّت حرب القبائل العربيّة، ما بين بكر وتغلب، إلى رحاب أوسع تمثّل بحرب برجيس الصّليبيّ.

وتشارك العنوان في الدّلالة السّيميائيّة «الاستهلال» الّذي يتلّخص مفهومه في أنّه «عبارة توجيهيّة تمتلك العديد من الوظائف النّصيّة تبعًا للموقع الّذي تحتلّه في بناء عالم الحكاية»[3]. برز الاستهلال في مطلع السّيرة، واحتوى على ما يلي: «أقول بعد حمد الله. والصّلاة والسّلام على رسُله وأنبيائه هذه سيرة الأسد الكرّار، والبطل المغوار، الّذي شاع ذكره في الأقطار، وأذلّ بسيفه كلّ صنديد بتّار، المهلهل بن ربيعة صاحب الأشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة. وما جرى له في تلك الأيّام مع ملوك التّبابعة»[4].

لقد جاء الاستهلال خطابًا تعريفيًّا بالسّيرة وصاحبها، وأدّى دورًا بارزًا في عمليّة التّلقي من القارئ، إلى رسم مخطط السّيرة الأولى؛ ممّا أفسح رسم خارطة طريق القراءة بشهيّة واندفاع. وهي حقيقة ماثلة في وظيفة الاستهلال، الّذي هو في أصل تركيبه وموقعه «بدء الكلام ويناظره في الشّعر المطلع. وفي العزف على النّاي الافتتاحيّة، فتلك كلّها بدايات كأنّها تفتح السّبيل إلى ما يتلو... ويشكّل دورًا توجيهيًّا يقود الدّلالة من الكثافة والغموض إلى حقول توسّع المعنى وتضيئه، وتمتلك حساسيّة عالية تساير البنيّة الدّاخليّة للنّصّ على قدر اشتغالها الوظيفيّ...»[5].

ويشاطره – كما سبقت الاشارة–العنوان، الّذي يوجز المضمون، ويفهمه المتلقي أساس أكّدته مصادر الأدباء والعلماء، على نحو قول أبي العبّاس الجرجاني: «...وهذه مقدمة كافية، وبلغة شافية في الاستدلال من عنوان هذا الكتاب على ما فيه، والاطلاع من

ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار التّراث العربيّ، القاهرة، ط 3، 1977م، ج1 ص303.

1 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، شرحها محمد عبد الرّحيم، مؤسّسة الكتب الثّقافية، بيروت، ط1، لا. تا، ص44.

2 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 84.

3 د. آمنة يوسف: سيميائيّة النّصّ القصصيّ، ص 46.

4 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 5.

5 د. آمنة يوسف: سيميائيّة النّصّ القصصيّ، ص 47.

فاتحته على مطاويه»[1]. والمعيار نفسه في وظيفة العنوان، فاه به الأدباء، على شاكله قول أحد الشّعراء: [من الخفيف]

كُنتُ مِثْلَ الكِتابِ أخفاهُ طيٌّ فاسْتَدَلّوا عليه بالعُنْوانِ[2]

2- سيمائيّة اللّون

تؤدّي الإشارة اللّونيّة دلالة، وتنوب عن مفردة اللّغة. وقد كثرت في نصوص السّير لاحتواء الأخيرة على الأصول الملحمية، القائمة على القتال والمعارك الدّمويّة. والدّارس للسّيرة يقع على الشّواهد الّتي تصوّر الفرسان، وأبطال القبائل والقواد؛ من ذلك وصف سيد بني قيس الأمير ربيعة: «... ثمّ ناداه فحضر وقد تعجّب من عظم هيبته وبياض لحيته...»[3]. فقد أدنى لون بياض اللّحية الدّلالة على البطولة من جهة والهيبة والوقار من جهة أخرى... ولم يَفُه اللّون الأبيض بكبر سن الشّيخ؛ لأنّ الشّيخ في هذا السّنّ ضعيف لا يقوى على المقاومة[4]، وقد عزّز الدّلالة التّعبير اللّغويّ السّابق: «وقد تعجبّ من عظم هيبته».

وفي رحاب البياض ودلالته وإشارته، يبرز الضّياء في مقام المدح والثّناء. يفوه به حكمون بن عزرا مرحّبًا بالزير سالم، واصفًا إيّاه بما توحيه إشارة الضّياء من الخير والفأل والسّرور، أنشد: [من الرّمل]

طيْبٌ قلبُكَ يا مُهَلْهِلُ لا تخاف ثُمَّ أُطْلُبْ يا ضيا عَيْني اليمينِ[5]

كأنّه يقول: مقامك يا مهلهل مقام ضياء العين، وهو أغلى مقامات الجسم، وأرفعها وظيفة في حياة الانسان، يهتدي بها ومن دونها الخسران. ولا أدلّ على ذلك من تسمية الله عزّ وجلّ الكتب المُهْتَدى بها ضياء، في نحو قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ

---

1 القاضي أبو العبّاس الجرجاني: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، تحقيق د. محمود شاكر القحطان، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2003م، ص 44.

2 ينظر ابن أبي عون: كتاب التّشبيهات، عُنِيَ بتصحيحه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كمبردج، 1369هـ -1950م، ص 86.

3 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 12.

4 يعزّز ذلك قول الشّاعر: [من الخفيف]

زَعَمَتْني شيخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إنّما الشيخ مَنْ يَدُبُّ دَبِيبا

يراجع، ابن هشام: شرح شذور الذّهب، ص 358.

5 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 92.

ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

ويأتي اللّون الأصفر ليشير إلى أجناس من البشر، غير ما عُهِد به في بيئة الزّير. كأنّ اللّون يشير إلى الجنس، ويعرّف بأصل الأشخاص وأسمائهم. موقف عبّر عنه الزّير، وهو مجروح عند حكمون، ويعالجه طبيبه شمعون، عندما فتح عينيه: «وفتح الزّير عينيه فنظر في ذلك المحفل فرأى جماعة من الرّجال صُفر الوجوه بسوالف طوال فاعتراه الانذهال»[2]. صفرة اللّون تشير إلى غرابة الوجوه، ومقام الزّير في غير موطنه، يعزّز ذلك قوله: «فاعتراه الانذهال»، ولا يعتري الذّهول الإنسان إلّا عندما يجد نفسه في غير موقعه. ويتفاقم اللّون الأحمر صعدًا من السّيرة، مبّرزًا صفعلى غيره من الإشارات اللّونية، وعلّة ذلك قيام السّيرة على الحرب والقتال، وما تخلف معها من دماء الرّجال. فاللّون الأحمر مع اشتداد المعارك ينقل صفة للموت؛ وتقدّم إلى المعركة وقال: «أين فرسان الطّعن والضّرب اليوم تبان الفرسان وتعرف اليمينيّة من القيسيّة فبرز إليه آخر، فأذاقه الموت الأحمر»[3]. كأنّي به يقول: الموت الزّؤام، الموت المحتم...، فعدل عن العبارة إلى الإشارة. ويتقاطر الدّم في المعارك، فيصطبغ به الزّير من شدّة بطشه بالأعداء، فيعود بلون الانتصار، الماثل في لون الأرجوان، المنقول عن التّراث الفينيقي، بدل قوله الأحمر: «ورجعت إلى الدّيار، بالعزّ والانتصار، والبطش والاقتدار، في مقدمتهم الأمير المهلهل الجبّار وهو مثل شقيقه الأرجوان ممّا سال عليه من أدمية الفرسان...»[4]. واصطباغ المكان والإنسان بلون الدّماء الحمراء صورة واقعيّة تصرّح بشدّة القتال واستبسال الرّجال. ألم يخلّد المتنبي تلك الصفة في إحدى معارك سيف الدولة، قال: [من الطويل]

هَلِ الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعرِفُ لَونَهَا وَتَعَلَمُ أيُّ السَّاقِيَيْن الغَمائمُ[5]

يقول: وهل تعلم أي الساقين ساقاها الغمائم أم الجماجم، لأنّ لون القلعة (الحدث) تغيّر.

ولا يلتقي اللّون الأحمر في الأوصاف الخارجيّة، بل يتعدّاه إلى الأوصاف الدّاخليّة،

1 سورة الأنبياء، الآية 48.

2 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 81.

المصدر نفسه، ص 30.

4 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 95. كان الفينيقيون أسياد اللّون الأرجوانيّ أيّ الأحمر القاني، الّذي استخرجوه من صدفة الموركس، فشكّل لباس الملوك ولباس كاهن فينيقيا الأكبر. ينظر ناصر الجميل: الرّموز المسيحيّة، لا.تا، بيروت، 2011م، ص 117.

5 المتنبي: الدّيوان، شرح أبي البقاء العُكبري، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه مصطفى السّقّا وإبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، بيروت، 1431هـ –2010م، ج 3 ص381.

الّتي لا تدرك بالعين والبصر بل بالمخيلة والتّفكّر. إنّه يتنقل إلى العيون ليصفها بالغدر والبطش والتّربّص بالآخرين الدّوائر. قالت الجليلة وهي تبكي مخاطبة كُليبًا.حدث) تغير..الحدث) تغير...؟؟ً، مفصحةً عمّا ظهر من الزّير بحقّها: «...لأنّي لستُ أأتمنه على نفسي إذا بقيت عندك لأنّه لا بدّ أن يغدر بي وعيونه محمرّة عليّ وأنت بعد كلّ هذا ليس عندك نخوة ولا ناموس»[1].

ويغدو بعدها احمرار العين إشارة متداولة في ثنايا السّيرة. يملي ذلك القتال والغدر والخيانة، وغيرها من أفعال قامت السّيرة بِنَفَسِها الملحمي عليه. ففي مقام بطولة الزّير وقتله للأسد، تحمّر عينا اللّبوة خوفًا من شجاعته: «...ثمّ ضربه بالعصا حتى قتله... وإذا بلبوة أقبلت ومن خلفها سبعة أشبال، فلما رأت ذكَرها مات احمرّت عيناها فأراد الزّير أن يلاعبها قليلًا وقد علم أنّها مغتاظة...»[2]. ألم تكن إشارة «احمرّت عيناها» تؤدّي معنًى «أنّها مغتاظة»، من دون الكلام؟!

وتتابع إشارة «احمرار العين» في مواقف شتى، تحكي الغضب، وتشير إلى الخوف والوجل ممّا قد يحدث في أثناء الحرب. من ذلك ما جرى بين شيبون ابن أخي الزّير عندما طلب مبارزة خاله المهلهل، وما ولّد في نفس الزّير من اضطراب، عبّرت عنه الإشارة اللّونية: «وطلب مبارزة خاله المهلهل، وكان الزّير شاهد أفعال ابن اخته، وما فعل بأبطاله رفقته، حمل عليه وقد احمرّت آفاق عينيه، وقال له: اذهب يا وجه العرب قبل أن تهلك وتعطب...»[3]. وقد تتحوّل إلى شرر يقدح من العين، ترادف الحمرة، تبرز في مواقف الغضب، أو الشدّة والبأس في القتل: «... ومازال يسير حتى وصل إلى غابة كثير الأشجار... فبينما هو ينظر من خلفه وأمامه فإذا بأسدٍ هائل المنظر قد ظهر، وعيناه تقدح الشّرر...»[4]. والإشارة اللّونية دالّ للمعنى، قياسًا على المفردة. إنّها تحمل دلالة، وتشير بهيئتها إلى مدلول يسبق اللّفظة في كثير من المقامات، وبخاصة المعاني النّفسيّة والوجدانيّة. ومن معاني الإشارة اللّونيّة: اللّون الأبيض الّذي يستخدم للتّعبيرعن النّصر والطّهارة، وهو يوحي بالغبطة والسّلام. والأسود عكس الأبيض تمامًا، فهو لون الحداد والبؤس والتشاؤم. والأصفر لون أساسيّ يمثّل عادة الضّعة والغش والخداع،

1 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 36.
2 المصدر نفسه، ص 38.
3 المصدر نفسه، ص 103.
4 المصدر نفسه، ص 38.

والأحمر يدلّ على القسوة والثّورة والغضب والإثم والخطر، وهو يثير الغرائز والهيجانات الرّخيصة. وكذلك حال الألوان الأخرى[1].

3- سيمياء الطّعوم والرّائحة

تحمل الأطعمة، على مختلف أنواعها، إشاراتٍ معنويّة إلى وقوعات القصور، ومجالس التّسرّي واجتماع علّية القوم. وباختلاف ألوانها تدلّ على مقام أصحابها، والسّيرة مدوّنة حملت الكثير من المذكور.

في مقام ضرب الرّمل، واللّجوء في الحيلة إلى السّحر والتّعاويذ، تدافع العجوز السّاحرة عن رأيها، وما أدّته بصيرتها، ناعتةً الرّمال بقصر النّظر، وضيق أفقه والفكر بقولها: « قالت إنّ الرّمّال عمّي من أكل البصل والثّوم، فأمر الملك بضرب عنقه، وراحت روحه إلى سقر...»[2]. فجاء تعبيرها بليغًا؛ لأنّ عينَيه لم تفقد البصر، بل البصيرة، حاله في ذلك حال من يأكل البصل والثّوم، وما تنتشر رائحتهما من فم الآكل؛ فكانت خباثتهما توازي خباثة رأيّ الرّمّال، من دون الإفصاح بالأقوال. وقد جمعا الطّعم والرّائحة.

ومن فوائد الطّعام، إلى حانات الشراب، حيث يشير الفعل إلى الفرحة والسّعادة؛ صورة جسّدتها حالة تُبعّ بعد الفراغ من الإنشاد: «فلما تبّع من كلامه، والحاضرون يسمعون نظامه أخذوا الكأس والطّاس، وقال للجماعة: حلّت البركة فيكم فقعدت بنوفرة تشرب معه المدام، وشرب الملك تبّع حتى سَكِر وغنّت البنات ورقصت»[3]. ولا أدلّ على الإشارة إلى السّعادة والنّصر والسّرور من مقام الشّراب؛ لذا «وغنت البنات ورقصت».

ومجالس الشراب، ومقام الطّرب، صورة ترسم النّصر والبطولة بالفوز، حقيقة سطّرها ما دار بين كُليب وهمّام بن مرّة، قال الأوّل: « لقد ضاقت نفسي من الوحشة والانفراد، فوالله ما عدت أدعمك أن تذهب من عندي أبدًا. وكان همّام يصرف أكثر أوقاته فينادمه ويشرب معه المُدام... وما زالا كذلك في بسط وانشراح وطرب وأفراح وشرب المدام وسماع الأنغام مدّة ثلاثة أعوام»[4].

1 يراجع تفصيل دلالة بقيّة الألوان، د. عفيف البهنسي: النّقد الفنيّ وقراءة الصّورة، دار الكتاب العربيّ، دمشق، لا. تا، ص 44-43.

2 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 20.

3 المصدر نفسه، ص 22.

4المصدر نفسه، ص 43.

وأحيانًا تتجاوز الرّائحة وصف مقامات الشّراب، إلى نوع من التّقية والتّكنية؛ فتغدو الرّائحة ساترة للعيوب، حتى لا تتكشف، فتقع الخطوب. من ذلك ما فعلته سعاد الشّاعرة السّاحرة الماكرة، بعد أن صار لها عند بني مرّة القبول، وجميع كلامها عند جسّاس مقبول: «أخذت طاسة من الفضّة وملأتها من المسك والزّباد والعطر، وخفقت الجميع في بعضهم البعض، وعمدت إلى ناقتها الجربانة وأخذت تطلي أجنابها، وتدهنها بذلك الطّيب...»[1]. هكذا أخفت سرّها، وحالت من دون كشف سرّها. أليس العطر كفاية على حقيقة خفِيَ ظهورها، ومنِعَ نشرها؟!

ودَهنُ النّاقة بالعطر رسالة أرسلت إلى جساس سرًّا؛ ليفهم ما قصدته السّاحرة، يؤيّد ذلك وصيتها لعبيدها: «... ثمّ أمرت بعض العبيد أن يأخذها إلى المرعى، ويمرّ فيها بالقرب من صيوان جسّاس في الصّباح والمساء، وأوصته إذا سأله أحدٌ عنها وعن سبب رائحتها يقول له: لا أعلم وإنّما مولاتي تعلم»[2].

لقد كنّت بالرّائحة؛ فتساوت الأغراض، إذ الأفضل في الكنايات «عبارة الإنسان عن الأفعال الّتي تستر عن العيون في العادة... بألفاظ تدلّ عليها غير موضوعة لها...»[3]. وفيها تطابق العطر مع الكناية باللّفظ. هكذا أدّت الرّائحة وظيفة في التّواصل ثنائيّة: سترت العيوب عمّن تخافه من إنسان، وأوصلت الرّسالة إلى جسّاس في الصّيوان. والتّواصل والإخبار بالرّائحة متداول في غير موقف اجتماعيّ من ذلك إثارة بواسطة الرّائحة، قول الشّاعر في أثناء ذكر حبيبته: [من الطّويل]

ذكرتُك بالرّيحانِ لمّا شَمَمْتُهُ   وبالرّاح لما قابلت أَوْجهَ الشّربِ

تذكَّرتُ بالرّيحانِ منك روائحًا   وبالرّاحِ طعمًا من مُقَبَّلكِ العذبِ[4]

السّيرة تعكس في تضاعيفها الأصول الملحميّة. والملحمة – كما هو معروف – «هي الواقعة العظيمة في الحرب والقتال، ثمّ أصبحت تدلّ على الشّعر المطوّل في واقعة أو مجموعة من الوقائع، تقترن ببطل أو أكثر برز في فنون الحرب وانتصر على

1 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 48.
2 المصدر نفسه،ص 48.
3 القاضي أبو العبّاس الجرجاني: كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، ص 41.
4 ينظر، عماد الدين الأصفهانيّ الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجة الأثريّ، مطبعة المجمّع العلميّ العراقيّ، بغداد، 1384 هـ –1964م، ج2، ص 85.

عدوّه»[1]. والمعارك متجذّرة في السّيرة، يتزعّمها البطل الزّير من جهة وجسّاس تبع من جهة أخرى، مع احتضانها الكثير من الشّعر الحماسيّ. لقد فاهت في السّيرة الأصوات، ونابت عن الكلمات. شاهد ذلك ما دار بين الزّير سالم والأمير تبّع، وكان إعلان المعركة على النّحو التّالي: «... وركب الأمير مُرّة الفرق وتمنطقوا بالسّلاح والدّرق، دقّت الطّبول وصهلت الخيول... وهجم كلّ فريق على فريق، وتقاتلوا بالسّيوف... وقام الحرب على قدم وساق»[2]. هكذا كان بيان إعلان الحرب، إيقاع صوتيّ نابع من دقّ الطّبول، وما يصحبه من أصوات الحيوانات الّتي تشترك في القتال.

والأصوات نفسها تعلن الاستعداد للمعركة والتّأهّب لها، وذهاب الفرسان إلى ساحتها صورة جسّدها فعل حسّان تبّع وهو ينوي غزو بني قيس، ويرسم خطط المعركة والعسكر كان حالهم: «فأجابوا أمره في الخضوع والامتثال، فعند ذلك دقّت الطّبول، وركبت الفرسان ظهور الخيول، وارتفع الصّياح، ولمع السّلاح...»[3]. إنّ الأصوات غدت كصافرات الإنذار اليوم، تقول كلمتها بإيقاع صوتها، ويستجاب بالحال لطلبها.

ويؤازر إيقاع الآلات أصوات القوّاد وهي تعطي أوامرها وتبثّ بيانها، منها فعل تبّع عند سماعه مقال ربيعة سيد بني قيس: «...إنّي ما أتيت من بلادي بهذا الجمع المتزايد إلاّ لأجعل زمام الدّنيا في قبضة رجل واحد، ثمّ إنّه صاح على الأعوان والخدام بصوت كالرّعد في الغمام: يا ويلكم اقبضوا على هذا الشّيخ الكبير ومن معه من بني قيس الطّناجير...»[4]. فقد سبق بيانه صوته الصّاخب، فكان أساس الإبلاغ، وتلاه القول بعد فهم المراد. وفي مقامات كثيرة يشارك القول الصّوت، بعد أن يتقدّمه الأخير؛ لعظمه في التّقرير والتّأثير. أمر تجلوه أصوات تبّع، بعد سماعه أوصاف سيد قيس: «فقالوا هذا الأسد الغشمشم سيد قيس الأمير ربيعة المعظم. فلما سمع تُبّع هذا الكلام شخر ونخر، وتبدّل عيشه بكدر، واحمرّت عيناه حتى صارت مثل الجمر...»[5]. فقد عبّر بِشخر ونخر أجمل تعبير وجدانيّ انفعاليّ يعتمل في نفسه ويخالج فؤاده.

وتعلو الأصوات غير اللّغويّة في مواقف التّعجّب، ويعلو الصّياح فيما يرون من

1 عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1983م، ص 194.
2 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 64.
3 المصدر نفسه، ص 10.
4 المصدر نفسه، ص 13.
5 المصدر نفسه، ص 12.

استغراب، كحال الزّير «وهو راكب على ظهر أسد غير مبالٍ بأحد، لأنّه بلغ المقصود والأرب... ولما دخل الحيّ جفلت الخيل والجمال، ودهشت النّساء والرّجال لما رأوا الأسد على تلك الحال، فكثرت الضّجّات، وتصايحت النّساء والبنات...»[1]. وهل أبلغ من الصّوت لما في التّعجب[2] من انفعال لا يؤدّى بغيره من الأساليب.

وتستمر وتيرة الأصوات غير اللّغويّة صعدًا، مسجّلة كلّ مواقع السّيرة بمعاركها وصداها من بأساء وضرّاء، من سعادة وسراء. من أمثلة الضّراء ما حدث للجارية عندما تقدّمت «وأخذت المخلاة، فوجدت فيها رأس شيبان فاستعظمت الأمر وأعلمت مولاتها بواقعة الحال فطار عقلها لما نظرت رأس ابنها مقطوع وضجّت بالبكاء والنّواح والعويل والصّياح...»[3]. فقد أعلنت عن حزنها بسيمياء الصّوت «بالبكاء والنّواح والعويل والصّياح». وتستمر الأصوات تؤدّي النّذير بإيقاعها، لا تعتمد على القول الكثير. حقيقة رسمتها واقعة مقتل كُليب: «ولما اشتهر موت كليب... وعلمت بذلك جميع أهله فمزّقوا الثّياب وأكثروا من البكاء والانتحاب، ووقع في الحيّ العويل والصّياح...»[4].

وفي المقلب الآخر، يؤدّي سيمياء الصّوت بيان النّصر، يسطّرها انهزام جسّاس، بما رافقها من إيقاع يبشّر بذلك: «وكانت وقعة عظيمة... انهزم فيها جسّاس أقبح هزيمة، وغنم المهلهل غنيمة جسيمة، لها قدر وقيمة. ورجع إلى الدّيار بالعزّ والانتصار، فالتقته النّساء بالدّفوف والمزاهر...»[5]. لقد أدّى سيمياء صوت الدّفوف والمزاهر دور خطاب النّصر في التّواصل وإعلان الخبر.

وحملت الأصوات أوصاف الطّبقات الاجتماعيّة، من بدو وحضر. تجلّى الصّوت في نعت حال بني مرّة عند علمهم بقتل جسّاس: «...ولا دار إلا مشتتين في البراري والقفار، يقضون حياتهم بضرب الطّبل ونفخ المزمار...»[6]. يقصد من ذلك تبديد شملهم، وجعلهم

1 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 41.

2 التعجّب انفعال ممّا يستعظمه الإنسان، يوضّحه ما جاء في تعرفيه: «التّعجّب تفعّل من العجب؛ ذلك جاء في معنى صيغته: «ما أفعله». «ما» مبتدأ بمعنى شيء عظيم... ابن هشام: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت، 1439هـ –2018م، ص 357. وتوضّح الألسنيّة صورته الصّوتيّة – الدّلاليّة على النّحو التّالي: «صورة تتمثّل في القطع المفاجئ للخطاب التّوكيد تحت تأثير انفعال أو شعور خياليًّا أو واقعيًّا.

George Mounin: Dictionnaire de la linguistique, quadrige, PUF, 1978, P: 138.

3 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص59.

4 المصدر نفسه، ص 60.

5 المصدر نفسه، ص69.

6 المصدر نفسه، ص 119.

بدوًا يقضون حياتهم في القفار، يضربون الطّبل وينفخون المزمار... وبذلك تكون نهايتهم، تعلن عنها أفعلهم كبدوٍ رُحّل، لا وطن لهم ولا أمجاد ولا تاريخ.

5- سيمياء الجسد

لمّا كانت السّيرة معارك بين قبيلتَين، برز دور الجسد بأعضائه المتباينة في تأدية الدّلالة، والخطاب بغير الكلمة. لقد سجّل الأبطال بأجسادهم وأفعال القتال بأعضائهم سطورًا أبلغوا فيها عن غاياتهم. وقد جاء خفقان القلب إعلانًا عن الخوف والفزع بغير تصريح «فلمّا سمع مرّة بقدوم وزير تبّع خفق قلبه من شدّة الخوف والفزع...»[1]. والقلب في حركته واضطرابه يعلن: الخوف والفزع بكلّ طبيعة وواقع.

ويعلن القلب بخفقاته؛ نتيجة شهيق المقاتلين وزفيرهم، عن حقيقة واقعهم؛ لأنّ القلب عضلة غير إراديّة، لا يتحرّك إلا بمشاعر داخليّة، وحوافز نفسيّة. فقوّة القلب عنوان الشّجاعة، تحكيه واقعة الأمير مُرّة عند قتاله عمران: «...وفي اليوم العاشر برز الأمير مرّة لقتال عمران ولمّا صار في الميدان تقنطر عن ظهر الحصان... فعند ذلك نزل إلى عمران الأمير جسّاس وصدمه بقوّة قلب وشدّة بأس...»[2]. وقوله: بقوّة قلب عنوان الشّجاعة والإقدام.

ويسطّر القلب معاني أخرى، حين يعبّر عن الحزن بإضافته صيغة: «احتراق» القلب: «...ولمّا بلغ أبو همام وأمّه ضياع قتل شيبون احترق قلبهما عليه لأنّه كان ابنهما الوحيد بعد أخيه شيبان...»[3].

وتأتي الألوان لتكون علامة إعراب المعنى؛ وذلك حين ترافق القلب، كأنّها حركة علت أواخر الكلمة. فالقلب يرتعش خوفًا يفصح عنه اللّون الأصفر: «فلما فرغ كليب من شعره ونظامه فخاف جساس واصفرّ لونه وارتعش قلبه»[4]. وبذلك تعانقت حركة القلب مع اصفرار الوجه؛ ليسطّر المعنى بأفصح لفظ سيميائيّ.

وفي مواقف الاستبسال، وهو عنوان قوّة الرّجال، يضفي القلب على الوجه لون الحُمرة، كعلامة إعراب سيميائيّة تختلف عن الاصفرار، كاختلاف الضّمّة بدلالتها عن الفتحة

1 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 16.
2 المصدر نفسه، ص 30.
3 المصدر نفسه، ص 105.
4 المصدر نفسه، ص 53.

أو الكسرة. رُوِيَ أنّ كُليبًا عندما علم في أثناء حربه مع الأمير جسّاس أن الأمير عمران لم يأبه به، «رجع في المساء عن حربه ونزاله فوقعت هيبة عمران في قلوب الفرسان والشّجعان، فاستعظم كُليب ذلك الأمر واشتعل قلبه بالجمر...»[1]. وما غليان القلب في موقف البطولة إلّا دافع لنخوة الرّجولة والإقدام إلى ساحة المقاتلة. عند ذلك تحمرّ الوجوه وَجَلًا؟ هكذا يملي القلب اللّونين: الاصفرار عنوان الخوف والوجل، والاحمرار عنوان الاضطراب والاستعظام والخجل. مسألةٌ فسّرتها مواقف حياة العاشقين. فاللّون الأصفر يحدث نتيجة انفراج القلب لمحبوبه، ومبادرته إلى تلقيه، فيهرب الدّم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاصفرار[2]. ويتعانقان في موقف عشق واحد، إذ يصفرّ وجه الحبيب وجلًا ويحمرّ وجه الحبيبة خجلًا. أصلٌ شاع في بيئة المحبّين، فاستدلوا بالألوان على صدق الصّادقين. أنشد الشّاعر واصفًا رمزيّة اللّونين الأصفر والأحمر: [من المنسرح]

يَصْفَرُ لوني إذا تأَمَّلهُ   طَرْفي ويحمَرُ وجْهُه خجلًا

حَتَّى كأنَّ الذي بِوَجْنَتِهِ   مِنْ دَمِ وَجْهي إليهِ قَدْ نَقَلا[3]

وتبرز في السّيرة سيميائيّة الجسد الأخرى، كالكفّ حين يضرب الكفّ الأخرى، معلنًا عن حالته، ومعبّرًا عن النّدامة والأسف. جاء في خطاب أبي جسّاس لأولاده، وخوفه من سيف المهلهل: «فلما فرِغ جسّاس من كلامه، قال له أبوه: سوف ترى ما يحلّ بنا من البلاء والويل من سيف المهلهل، ثمّ بكى وضرب كفًّا بكفّ وقال لأولاده: إنّ الرّأي عندي أن نكتّف جسّاس ونرسله إلى الزّير...»[4]. إنّها الحسرة من تقاعس جسّاس سطّرتها مفردات سيمياء الكفّ. ويتكرّر مشهد الأسف بمفردة «كفًّا على كف»، من أمثلة ما حصل عند وصول كتاب شيبون إلى خاله الزّير «فلما فتحه وقرأه وعرف فحوى معناه غاب عن دنياه، وشقّ عليه وتأسّف وصفّق كفًّا على كفّ...»[5]. ولغة الكفّ سيميائيّة، معروفة في رحاب التّواصل، عند مواقف الحسرة والنّدامة. قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ

---

1 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 30.

2 ينظر: ابن قيم الجوزيّة: روضة المحبّين ونزهة المشتاقين، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1415هـ –1995م، ص 194.

3 يراجع، الحصري: نُور الطّرف ونَوْر الظّرف، تحقيق ودراسة لينة عبد القدّوس أبو صالح، مؤسّسة الرّسالة بيروت، ط1 1416هـ –1996م، 198.

4 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص 56.

5 المصدر نفسه، ص 102.

كَفَّيْهِ ﴿٤٢﴾ [1]. قال الرّاغب في تفسير الآية: «وتقليب اليد: عبارة عن النّدم ذاكرًا لحال ما يوجد عليه النّادم»[2]. وقد تدخله علامات إعراب أخرى كالعضّ على الكفّ واليدين: منه قول الشّاعر: [من الوافر]

كمغبونٍ يعَضُّ على يَدَيْهِ　　　تَبيَّنَ غَبْنُه بَعْدَ البياعِ[3]

وتحكي لغة العين بإشارتها غير معنى في السّيرة. وتزيد إعرابًا وضبطًا ما يدخلها من ألوان. من صور إشارة العين بالإضافة إلى اللّون، قول تُبَّع لجليلة، وكّليب يلعب بالسّيف: «والله يا كاملة المعاني وشريكة عمري وزماني لقد أصبت في منادمة هذا البهلول. فسلّ الحسام من غِمده بيده، ثمّ دخل على الملك وقد احمرّت عيناه، تذكّر أباه فصال وجال ولعب بالسّيف كما تلعب الأبطال...»[4]. فقد دلّت إشارة «احمرّت عيناه» عند غضبه، بدليل أنّه تذكّر أباه... فثارت في نفسه عاطفة الثّأر، ولم يعبّر عنها إلّا بالإشارة. ويتكرّر التّعبير بسيمياء العين في أكثر من مقام في السّيرة، وتظهر مفردات مختلفة يمليها الموقف الحربيّ من جهة، والاجتماعيّ من جهة أخرى. من ذلك «عيونه محمرّة»، «صار الضّياء في عينيه كالظّلام» و«وصار الضّياء في عينها ظلام»[5]، وسواها من التّراكيب والتّواصل بسيمياء العين متداول في مقام التّعبير، وبخاصّة في المقامات الوجدانيّة، والحقول الّتي يخشى منها الافتضاح، فيلجأ إلى القول من دون إفصاح. أصلٌ معروف في بيئة الأدباء، يشهد له قول الشّاعر : [من البسيط]

العينُ تُبدي الّذي في نَفْسِ صاحِبِها　　　مـنَ المـحبّةِ أو بُغـضٍ إذا كانا

والعـينُ تَنْطِـقُ والأفـواهُ صَامِـتَةٌ　　　حتَّى تَرَى مِنْ ضَميرِ القَلْبِ تِبيانا[6]

«وقوله العين تنطق» أصل سيمياء العين، يؤكّده النّطق من دون كلام: «والأفواه صامتة».

1 سورة الكهف، الآية 42.

2 الرّاغب الأصفهانيّ: مفردات ألفاظ القرآن، ص 682.

3 ينظر، الرّاغب الأصفهانيّ: مفردات ألفاظ القرآن، ص 682.

4 قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل، ص24-23.

5 المصدر نفسه، ص 36 و51 و77 و... .

6 الجاحظ: البيان والتّبين، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط 4، لا. تا، مج 1، ج1، ص79.

خلاصة

يخلص البحث بعد ما تقدّم إلى رسم أُطر سيرة الزّير سالم بكلّ تشعباتها وتفاصيلها. كان الاعتماد في ذلك على علم السّيمياء أو علم العلامات، لحاجته في مقام تحليل السّيرة، ودقّته في أُطُرها ورسم معالمها، ومن أَقدَرُ من السّيمياء على ذلك؟!

وينبجس من بين ثنايا السّيرة درسٌ منهجيّ لا يمكن تجاهله. إنّه يضيف أهميّة إلى مستقبل السّيرة ومتلقيها، يتمثّل بالمخرجات الثّقافيّة والفكريّة الّتي أنبتها. وعلى رأس تلك الثّمرات المحصلة التّاريخيّة، إذ رسمت السّيرة تاريخ قبيلَتَي تغلِب وبكر، صراعها المستحكم الّذي تمثّل بحرب البسوس الّتي دامت أربعين سنةً، سجّلَت وقائعها السّيرة بطريقة جماليّة – أدبيّة فنيّة. وهو درس تاريخيّ يمتاز بالجمال أسلوبًا وسردًا، ممّا يعود على الطّالب والدّارس سرعةً في الفهم والاستيعاب، بعد أن يتحرّر من لغة الأرقام، ووقائع المعارك والأيّام، بما تتضمّنه من فافٍ يبعثُ حينًا الملل والسّأم، والزّهد فيما يتلقاه من العِلم. والسّيرة تقّل مصادر التّاريخ البحت ودراساته الطّويلة بما حشيت وتضمّنت. فالمتلقي للسّيرة يجد نفسه أمام لوحةٍ زيتيّةٍ، عمادها الألوان الطّبيعيّة، وحركيّة الاحداث العسكريّة.

وهل أجلى للبصر من لونٍ به يأنس؟ [1] أو يوازي الألوان ما يتخلّل السّيرة من إيقاع[2] وموسيقى تطرب، وعلى ضوئها الفكر يعي ويستوعب!؟

وتؤازر التّاريخ صور العادات والتّقاليد العربيّة، المعروفة في تلك الأيام، كاستقبال الضّيوف، والأعراس، وعادات الأخذ بالثّأر... وما يعرف عندهم من محرّمات (تابو)... وما يتلو من عقائد تقوم على الإيمان بالسّحر والبخت، والسّير على منواله في تنفيذ أعمالهم وتوجيه سلوكهم. كلّ ذلك جاء في قالبٍ فنيٍّ، راح يُحاكي الحِسَّ، ويقدّم الدّرس، بما تستريح إليه النّفس، فيغدو التّلقي له يمتّع المستمعين، ويطرب المتابعين في كلّ أوانٍ[3] وحين.

---

1 يوضّحه قوله::(إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِين)، سورة البقرة، الآية 69. وما المسرّة إلا محصلة اللّون.

2 بواسطة الإيقاع تربطنا الموسيقى بالمنابع العميقة للحياة. وتلعب الإيقاعات دورًا مهمًّا في الموسيقى وفي جميع الفنون. «فالإيقاع موجود في حركة أو نشاط أو أجهزة الجسم كالشّهيق والزّفير والرّاحة والتّعب وفي دورات الكواكب وتعاقب اللّيل والنّهار والفصول الأربعة. والإيقاع هو عنصر التّنسيق والتّنظيم المطرد في الموسيقى». د. شاكر عبد الحميد: التّفضيل الجماليّ، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 267، مارس 2001م، ذو الحجة 1421هـ، ص290.

3 ناهيك عن أشعاره ومعلّقاته وفواجعه الّتي وجدت صداها على طول العصور، لمُستَمِعي السّير والملاحم في الأسواق والموالد والمنتديات الشّعبيّة في عصور ما قبل المعرفة بالتّلفزيون ومسلسلاته الملفّقة إيّاها. يراجع، شوقي عبد الحكيم: السّير والملاحم الشّعبيّة العربيّة، ص120.

لائحة المصادر والمراجع

1- ابن أبي عون، **كتاب التّشبيهات**، عُنِيَ بتصحيحه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كمبردج، 1369هـ -1950م.

2- ابن عبد البرّ القرطبيّ، **بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذّاهن والهاجس**، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلميّة بيروت، ط2، لا.تا.

3- ابن قتيبة، **الشّعر والشّعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار التّراث العربيّ، القاهرة، ط 3، 1977م.

4- ابن قيم الجوزيّة، **روضة المحبّين ونزهة المشتاقين**، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1415هـ -1995م.

5- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ -1990م.

6- ابن هشام، **شرح شذور الذّهب**، بتحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، القاهرة، ط10، 1385هـ -1965م.

7- ابن هشام، **شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى**، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت، 1439هـ -2018م.

8- الأحمر، فيصل، **معجم السّيميائيّات**، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010م.

9- الأخطل، (غيّاث بن غوث التّغلبيّ)، **الدّيوان**، صنعة السّكريّ، تحقيق د. فخر الدّين قباوة، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت ودمشق، ط4، 1416هـ -1996م.

10- الأصفهانيّ ، أبو فرج ، **كتاب الأغاني**، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثّقافة، بيروت، لا. تا، مج 19.

11- الأصفهانيّ، عماد الدين، **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق محمد بهجة الأثريّ، مطبعة المجمّع العلميّ العراقيّ، بغداد، 1384 هـ -1964م.

12- الأعلم الشّنتمريّ، **شرح حماسة أبي تمام**، تحقيق وتعليق د. علي المفضّل حمودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثّقافة والتّراث، دبي، ط1، 1413هـ 1993م.

13- الأنباريّ، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت،لا.تا.

14- البهنسي،عفيف، **النّقد الفنيّ وقراءة الصّورة**، دار الكتاب العربيّ، دمشق، لا. تا.

15- توسان، برنار (B. Toussaint)**: ما هي السّيميولوجيا**، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشّرق، المغرب، ط 2، 2000م.

16- الجاحظ، **البيان والتّبين**، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط 4، لا. تا.

17- الحصريّ، **نُور الطّرف ونَوْر الظّرف**، تحقيق ودراسة لينة عبد القدّوس أبو صالح، مؤسّسة الرّسالة بيروت، ط1 1416هـ -1996م.

18- الرّاغب الأصفهانيّ، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط5، 1433 هـ -2011م.

19- الرّويلي، ميجان و البازعي، سعد، **دليل النّاقد الأدبيّ**، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، ط 3، 2002م.

20- عبّاس،إحسان تاريخ الأدب الأندلسيّ، **عصر الطّوائف والمرابطين**، دار الثّقافة بيروت، ط 6، 1981م.

21- عبد الحكيم، شوقي، **السّير والملاحم الشّعبية العربيّة**، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، 2014م.

22- **قصّة الزّير سالم أبو ليلى المُهلهل** ، شرحها محمد عبد الرّحيم، مؤسّسة الكتب الثّقافية، بيروت، ط1، لا. تا.

23- القاضي الجرجاني، أبو العبّاس، **كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**، تحقيق د.محمود شاكر القحطان، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2003م.

24- المتنبي، **الدّيوان**، شرح أبي البقاء العُكبري، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه مصطفى السّقّا وإبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، بيروت، 1431هـ -2010م.

25- ناصر الجميل، **الرّموز المسيحيّة**، لا.تا، بيروت، 2011م.

26-وغليسي، يوسف، كتاب إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ الجديد، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 8002م

72- يوسف،آمنة، سيميائيّة النّصّ القصصيّ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 6102م.

82- يونس، عبد الحميد ، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 3891م.

29 -De Saussure, Fernand,Cours De Linguistique Générale, Publie Par Charles Bally et Albert Sechchaye, Payot, Paris, 1967.

30 -Mounin,George, Dictionnaire de la linguistique, quadrige, PUF, 1978, P: 138. ,

الحُبّ في شعر الأسر عند أبي فراس

رقية مراد

مقدمة

ما أكثر الشّعراء الذين حُسبوا، وما أكثرر الأشعار التي قيلت في الأسر! فبدّدت بنور توهّجها ظلام الأسر والحبس الدّامس، وتنسّمت قوافي تلك الأشعار نسائم الحريّة، وخرجت من غياهب الحبس ودياجيرها، لتصبح تاجًا مرصّعًا على هامة الخلود، وقلادة حرّة في صدر الزّمان.

ويبقى الحبّ وذكر الحبيبة الأكثر تأثيرًا لأنّ الشّاعر في الأسر بعد فراق حبيبته يشعر بآلام شديدة في قلبه نتيجة الافتراق العاطفيّ.

ونحن عندما نتحدّث عن الحبّ في الأسر وعن الشّعراء وقصائدهم في الحبّ التي دبّجوها في غياهب السجّون، والأسر لا بدّ أن نتذكّر جميعًا قصيدة أبي فراس الحمداني الرّائعة «أراكَ عَصِيّ الدّمعِ» تأبى الدّمعة أن تنزل من عين العاشق الأسير ولكنّ قريحته الفيّاضة التّي لا تعرف حدودًا للعطاء أمطرت وابلًا من الحنين والعتاب.

أبو فراس الحمداني الحارث بن سعيد بن حمدان الثّعلبيّ الربعي أمير، شاعر، فارس وهو ابن عم ناصر الدّولة وسيف الدّولة بني حمدان، ولموهبته الشعرية الإبداعيّة وصفه الثعالبيّ: «كان فرد دهره وشمس عصره أدبًا، وفضلًا وكرمًا ومجدًا وبلاغةً وفروسيةً».

معالم الفخر والحبّ عند أبي فراس

الحبّ مشاعرٌ موجودة منذ القِدم، يولد الإنسان وتولد معه هذه المشاعر فيبدأ بحبّ نفسه فيحاول بصوته تأمين ما تحتاجه نفسه. و الشّاعر أبو فراس ابن البيئة الحمدانيّة قد بدا حاليًّا حبّه لنفسه ومدحه لِنَسَبه وفخره بهذا النّسب، فهذا ابن عائلة حاكمة عريقة في العصر العبّاسيّ. وقد عبّر عن فخره قائلًا:

أُولَئِـكَ أَعـمَامي وَوالِـدِيَ الـّذي   حَمَى جَنَباتِ المُلكِ وَ المُلكُ شاغرُ

بـحيثُ نـساءُ الغـادرينَ طَوالِقٌ   وحَيـثُ إِمـاءُ النّاكـثينَ حَـرائرُ

لـهُ بـسُلَيـمٍ وقـعـةٌ جاهـليّةٌ   تُقـرُّ بـها فَيـدٌ و تشـهَدُ حاجِرُ

وَأذكَـتْ مَـذاكيهِ بِسَرحٍ وَأرضِـها   مـنَ الضّربِ نـارًا جمْرُها مُتطايِـر

شَفَتْ منْ عُقَيلٍ أنفُسًا شفّها السُّرى   فَـهـوّمَ عَـجلانٌ وَنـوّمَ ساهِرُ

وَأوّلُ مـنْ شَـدَّ المَجيدُ بـعِينِهِ   وَأوّلُ مـنْ قّـدّ الكَـمِـيُّ المُظاهِرُ

غَـزا الـرّومَ لَـمْ يقصِدْ جوانِبَ غِرّةٍ   وَلا سبـقَـتـهُ بِـالمُـرادِ النّذائِرُ[1]

ويقولُ في قصيدة أخرى و يشير إلى نسبه في شعره، فيفتخر بنسبه التّغلبيّ العربيّ الأصيل، قائلًا: (من الكامل)

حمدانُ جدّي خيرُ من وَطئَ الثّرى   وأبـي سـعـيدٌ فـي المكارِمِ أوحَدُ

أعـلى لـنا لقمانُ أبياتِ العُلا   وَأنـافَ حَمـدانٌ وشـيّـدَ أحمَدُ

يُعـطي إذا ضَـنّ السّحاب تكرّمًا   ويُـجـيرُ إن جارَ الزّمان الأنكدُ[2]

فلننظر إلى هذا الفخر وهو في أسره، فهو يتعالى فوق الآلام، ونفسه الأبيّة لا تقبل الضّيم والقيود، وقد كان يدخل المعارك الضّارية بحسامه، فهو مُتفرّد عن فرسان عصره لا يتخاذل في الدّفاع عن أعراض قومه، والعُلا مقرونٌ بفروسيّته، ودائمًا ما نجده يحلّق في فضاءات العزّة و الشّموخ فيقول: (من الطّويل)

مَتـى تُخلـفُ الأيّامُ مثلي لكم فتى   طَـويلَ نـجادِ السيف رَحبَ المقلّدِ

متـى تلـدُ الأيـّامُ مِثلي لَكُم فتىً   شَـديدًا عـلى البأساءِ غَيْرَ مُلهّدِ

فَـإنْ تَـفْتَدُوني تَفْتَدوا أشرفَ العُلا   وَأسـرعَ عَـوّادٍ إليـها مـعوّدِ

فـإنْ تَفْتَدُونـي تَفْتَدوا لِعُـلاكمُ   فـتىً غـيرَ مَرْدُودِ اللّسان أواليدِ

يُـطاعِـنُ عَنْ أعراضِكُمِ بِلِسانِهِ   وَيـضْرِبُ عَنْكُمْ بِالحُسامِ المُهنّدِ[3]

1 الدّيوان، ص138-137

2 الدّيوان، ص209

3 الدّيوان، ص98

حُبّ الأمّ

لقد اشتهر أبو فراس بحبّه لأمّه و شوقه إليها، ففي الأسر كان دائمًا يظهر لنا لوعته و حزنه على أمّه، فهو لا يهاب الموت بل يخاف على حزن تلك العجوز التي يلتهب فؤادها حرقة على ولدها الأسير، ويظهر ذلك من خلال قوله: (من مجزوء الكامل)

لَوْلا العَـــجـــوزُ بمَنـــبِجٍ   مـــا خِـــفْتُ أســـبابَ المَنيّهْ

وَلَكــانَ لـــــي، عمّا سَأَلـ   تُ مـــنَ الفــدِا، نفسٌ أبيّهْ

لـــكـــنْ أردتُ مُــرادَها،   وَلـــوِ انـــجذبـــتُ إلى الدّنيّهْ

وأرَى مُـــحامـــاتي عَـلَيْـ   هــــا أنْ تُـضامَ منَ الحَميّهْ

وحاول تخفيف معاناتها بقصيدة أرسلها لأمّه الكليمة الحزينة على أسره قائلًا: (من المنسرح)

يـا أيّهــا الرّاكبان هَلْ لَكُمَا   في حَمْلِ نَجْوَى يَخِفُّ محملها

قُـولا لها: إنْ وَعَتْ مَقالَكُما   وَإنّ ذِكـري لـــها لَـــيُذْهلَـها

يــا أُمـــتّاهُ هـــذه مَنـازِلُنا   نَتْرُكُـــها تَـــارَةً و نَـــنْزِلُهـــا

يـــا أمـتّاهُ هـــذه مَـوارِدُنا   نَعلّـــــها تَــارَةً و نُنــهَلُهــا

أَسـلمَنا قـــومُـنا إلى نُوَبٍ   أيــــسَرُها فـي القلوبِ أقتلُها

واستـبدلوا بعدَنا رِجالَ وغًى   يَـــوَدّ أدنَـــى عُــلايَ أمثلُها[1]

نرى الشّاعر في هذه الأبيات قد استوقف الرّكبان وحمّلهم شوقه وحنينه، وقد عمل جاهدًا لتخفيف حزن والدته على بعاده، وحاول في الوقت عينه التّلميح لسّيف الدّولة الذي تركه في الأسر.

وعندما سمع بمرض والدته وتقييد البطارقة وهو بخرشنة فيشكو علّة أمّه بالشّام وابنها الّذي يحب أن يكون معها بأيدي العدا، وأكثر ما أمرضها همّها في أسره وإذا سكن ألمها، ومن أين له السّكون تتذكّره فتنزعج وتقلق.

1 الدّيوان، ص263

ونراه يناجي أمّه بأن لا تجزع بل يطلب منها أن تتحلّى بالصّبر وتكون ثقتها بالله قويّة فالحوادث الجَلَل دائمًا ما تحمل في طيّاتها خيرًا خفيًّا، فخير الوصايا الصّبر، وهو حلّها الوحيد، وهذه وصيّة سيدنا يعقوب «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» ويناديها بقوله: (من مجزوء الكامل)

يــا أمّــــتاه لا تــــحزني وَثِقـــي بفــضلِ اللهِ فيَّهْ

يــا أمــــتّاه لا تيــأسي لله ألطــــافٌ خَـــــفيَّهْ

كَــــمْ حـــادثٍ عنّا جَلا هُ وكــــمَ كفانا مِنْ بَليَّهْ

أوصــــيكِ بـالصّبر الجَميـ لِ فــإنّـــه خيرُ الوصِيّهْ

وفي الحنين إلى الأمّ لا بدّ من ذكر الرّثاء الذي كتبه فيها، فقد ماتت حسرة عليه، وهو وحيدها و تعب أيّامها، وقد غلبت على هذه الأبيات عاطفة التّحسّر على الأمّ التي رحلت وهو في الأسر فقال: (من الوافر)

أيــا أمَّ الأسيرِ سَقاكِ غَيْثٌ بكــرهٍ مِنْكِ ما لقي الأسيرُ

أيــا أمَّ الأسيرِ سقاكِ غَيْثٌ تَـحيّـــرَ لا يُقيمُ ولا يسيرُ

أيــا أمَّ الأسيرِ سقاكِ غَيْثٌ إلى من بالفدا يأتي البَشيرُ

أيــا أمَّ الأسيرِ لمــن تُرَبّـى وقّـدمْتُ الذّوائبُ والشّعورُ [1]

وقال:

يـــا حـسرةً ما أكادُ أحمِلُها آخِــرُها مـــزعــجٌ وأوّلها

عــــليلـــةٌ بـالشّامِ مُفردةٌ بـــاتَ بـأيدي العِدا معلّلهُا

تُمسِكُ أحشَاءَها على حُرَقٍ تُـــطفِئُها والهُمومُ تُشْعِلُها

وإذا اطْمئّتْ وأين أو هَدأتْ عَنّـــت لــــها ذُكرَةً تُقَلْقِلُها

تسـألُ عنّا الرُّكبانَ جاهدةٍ بـــأدمــعٍ ما تكادُ تُمْهِلُها

1 الدّيوان، ص161

لقد ظهر جليًّا تعلّق أبي فراس بسيف الدّولة بقصائد كثيرة كقوله : (من مجزوء الكامل)

هَــلْ للفَصــاحَـةِ و السّما ـــــةِ والعُـلى عنّي مَحيدُ

إذ أنـــتَ ســيّدي الّـذي رَبّيْتَنـــي وأابـــي ســعيدُ

فـــي كـــلّ يـومٍ أستفيـ ـدُ مـــن العَــلاءِ وأستزيدُ

ويــــزيــــدُ فِــيَّ إذا رأيْـ ـتُكَ في النَّدى خُلُقٌ جـَديدُ[1]

فقد كتب هذه الأبيات عند قدوم سيف الدّولة إلى منبح ذكر فيها أبو فراس سبب حبّه الشّديد لسيف الدّولة، فهو الذي حضنه وعلّمه، فكانت مجالس سيف الدّولة كلّها أدباء ومفكّرين، ومجالسه يعمّها الأدب والشّعر. وتعلّم منه فنون القتال فأصبح فارسًا لا يشقّ له غبار في ميداني المواجهة العسكريّة و المواجهة الأدبيّة[2].

وقال في مدح سيف الدّولة أيضًا : (من الطويل)

فَـلا تُــلزِمنّـــي خطّةً لا أُطِيقُها فَمَـجْدُكَ غَلّابٌ و فَضْلُكَ باهرُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَخري وَفَخْرُكَ واحدًا لَمـــا سَارَ عَنّي بالمَدائحِ سائرُ

وَلكنّنــي لا أُغفِلُ القَولَ عَنْ فَتًى أُساهِـمُ فـــي عَـلْيائِهِ وأُشاطِرُ

وَعَــنْ ذِكْرِ أَيّامٍ مَضَتْ وَمَواقفٍ مَكَانـي فيها بَيّنُ الفَضلِ ظَاهِرُ

وهذا المدح نابع عن حبٍّ حقيقيّ، فهو لا يطمع بمال أو جاه، فهو شريكه في ذلك، لكنّه رأى فيه خير نموذج للملوك، لذا يعجز اللّسان عن وصفه، فسيف الدّولة صاحب الفضل الّذي يترفع على كلّ مدح و فخره هنا بسيف الدّولة لأنّه يرى فيه القدوة السّنيّة.

إنّ سيف الدّولة بنظر أبي فراس سيّدٌ لن يأتي بمثله الزّمن لا جودًا ولا كرمًا ولا أدبًا، فكما، نعلم فإنّ سيف الدّولة كان يملك جرأة عظيمة دفعته لغزو الإمبراطوريّة البيزنطيّة أكثر من مرّة، وهو في الخامسة والعشرين من عمره فانتصر عليهم، واستولى على سرير الدمستق و كرسيّه[3].

---

1 **الدّيوان**، ص 95

2 **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 124

3 سيف الدّولة الحمداني: **مملكة الدّولة ومملكة الأقلام**، ص 109

وقد قال فيه أبو فراس: (من المتقارب)

أيـــــا سيّـــــدًاعَـمّـني جُودُهُ　　　بِفَضــــلِكَ نِلْتُ الـسَّنا و السّناءَ

وَكـــــَمْ قــــَدْ أتـيتكَ مِنْ لَيلةٍ　　　فَنــــِلْتُ الغِـنَى وَسَمعتُ الغِناءَ[1]

ورغم كلّ التّعلّق الّذي يربط أبو فراس بسيف الدّولة إلّا أنّه عندما سُجن كانت قصائده يخيّمُ عليها العتاب لسيف الدّولة، فقد تركه في الأسر وهو يعلم بطولاته ومن ذلك قوله: (من الطّويل)

وَمَا كُنْتُ أخشَى أَنْ أَبيتَ وَ بَيْنَنا　　　خَـليجانِ وَ الـــدّربُ الأشمُّ وآلِسُ

وَلَوْ أنّني أستَصحِب الصَّبْرَ ساعةً　　　وَلــي عَنْكَ مَنّاعٌ وَدُونَـكَ حَابِسُ

يُنــــافســـــنُي فيكَ الزّمانُ وأهلُهُ　　　وكلّ زمـان لــي عـليكَ مُنافسُ

شَريتُكَ من دَهْري بـذي النّاس كُلُّهمْ　　　فَلا أنا مَبْخوسٌ ولا الدّهْرُ باخِسُ

وَمَلّكُتكَ الّنفــسَ النّفيــسةَ طائِعًا　　　وَتُــبذَلُ لِلمَولَى النّفوسُ النّفائِسُ[2]

ومن أجمل قصائد العتاب تلك الّتي بثّ فيها أبو فراس أعلى مراتب الحبّ لسيف الدّولة، فهو يحمل بين طيّاتِ قلبه أصدق معاني الحبّ وأصفاه، فسيف الدّولة مأواه وسنده ولو ضمّه بين ضلوعه لأورق، وهذه الصّورة الشّعرية تحمل عتابًا فلا أحد سيحبّ سيف الدّولة كما أحبّه أبو فراس، وثباته في هذا الحبّ دليل صدقه، فكتب إليه بسبب تأخّره في الإفتداء: (من الطّويل)

تَنــــكّرَ سَــــيْفُ الـدّين لَمّا عَتَبْتُهُ　　　وَعــرّضَ بــي تَحــتَ الكَلامِ وقَرّعَا

فَقـــولا لـــهُ مِنْ أَصْدَقِ الوِدّ أَنّني　　　جَــــعَلْتُكَ مِـــمّا رابَني الدّهر مَفْزَعا

لـــــو أنّنــي أَلَنَنْتُهُ في جَوانِحي　　　لَأَوْرَقَ مـــــا بيــــن الضّلوعِ وَفَرّعَا

فَـــلا تَغْتَرِ بالناس، ما كُلّ مَنْ تَرَى　　　أَخُوكَ إذا أوضَعْتَ في الأمر أوضَعَا[3]

ولعلّ من أجمل ما كُتب في العتاب في الشّعر العربيّ هو المنسوب إلى أبي فراس

1 **الدّيوان،** ص17
2 **الدّيوان،** ص 197
3 **الدّيوان،** ص 209

الذي وجّهه إلى ابن عمّه سيف الدّولة، فمن أسمى مراتب الحبّ أن تمنح المحبوب مكانةً توازي جميع المخلوقات، فأبو فراس تمنّى لو أنّ علاقته بكلّ الدّنيا خراب وعلاقته بسيف الدّولة عامرة بقوله : (من الطويل)

فَـليتَـكَ تَـحْلو والحَياةُ مَريرةٌ وَلَيتَكَ تَـرْضَى والأنامُ غِضَابُ

وَلَيتَ الـذي بَيْني وَبَينكَ عَامِرٌ وَبَيْني وَبـيْنَ العالَمين خَرَابُ

إذا صَحّ مِنْكَ الـوِدُّ فالكُلُّ هَيّنٌ وَكُلّ الـذي فَوْقَ التُّرابِ تُرابُ

ويحاول استعطاف سيف الدّولة فيعاتبه ويقول له: جاءتك تريد ردّ ولدها الوحيد فكيف لك أن تغفلها فأنت أملها الوحيد فيقول له:

جَاءتْكَ تَـمتاحُ رَدّ واحـدِها يَنتظِرُ النّاسُ كَـيْفَ تُقْفِلُهَا

سَمْحتَ منّي بِمُهجةٍ كَرُمَتْ أَنْتَ على يَأسِها مُؤمّلُها

إنْ كُنْتَ لَمْ تَبْـذُلِ الفِداءَ لَهَا فَلَمْ أَزَلْ في رِضَاكِ أبْذُلَها

تِلكَ المَـودّاتُ كَيْفَ تُهْمِلُها تِـلْكَ المَـواعـيدُ كَـيْفَ تُغْفِلُهَا

تِـلْكَ العُـقودُ التي عَقدْتَ لَنَا كَيْفَ وَقَـدْ أُحـكِمَـتْ تُحَلّلُها[1]

حبّ المرأة

لقد كتب أبو فراس لحبيبته أبلغ القصائد وأكثرها وقعًا جميلًا في النّفس مستخدمًا عنصر الحوار، فيستحضرها في مخيّلته ويلومها مفتخرًا بنفسه مُعاتبًا إيّاها، ويصوّر لها حزنه وقهره في غيابها، فقد أهلكت فؤاده، ويتهمها بأنّها هي من أزرَت به وليس الدّهر كما تدّعي هي، فيقول:(من الطّويل)

تُسَائِلُني مَنْ أنتَ؟ وهِيَ عَليمةٌ وَهَـل بِفَـتًى مـثِلي على حَالِهِ نُكْرُ؟

فقُلتُ كما شاءَت وَشاءَ لها الهوى قَتـيلُك! قَـالَتْ أيُهـمُ فَهُم كُثْرُ

فَقُلْتُ لهـا لَو شِئتِ لَمْ تَتَعنّتي وَلَـمْ تَسـألي عنّي وَعِندَكِ بي خُبْرُ

1 الدّيوان، ص 87

فَقالَتْ لَقَدْ أَزرَى بِـكَ الدّهرُ بَعْدَنا فَقُلْــتُ مَــعاذَ اللهَ بلْ أنْتِ لا الدّهْرُ

ومــَا كـانَ للأحزانِ لَوْلاكِ مَسْلَكٌ إلِـــى القَلْبِ لكنَّ الهَوَى لِلبَلَى جِسْرُ

وَتَهـلِك بَينَ الهَزلِ وَ الجِدّ مُهْجَةٌ إذا ما عَادَاها البَيْنُ عَذّبَها بِها الفِكْرُ

استخدم الشّاعر هنا اللّيل، وهو أكثر الأوقات الّتي تتأجّج فيها المشاعر وتزداد اللّهفة والاشتياق بين المتحّابين، فقد حمل لهُ الرّيح في اللّيل رسائل من المحبوبة لم يشعر بها إلّا هوَ، وكلّ هذه الأبيات سببها شدّة الجوى والهوى.

يشعر أبو فراس بغربةٍ بسبب بعاده عن محبوبته فيصف لها الحال بغيابها، فلو حضر كلّ أهله وغابت هي يشعر بالوحدة، فكلّ دارٍ ليست فيها فهي قفر، فهو حارب كلَ قومه بسبب عشقه لها، فلولاها كانت علاقته بهم قويّة مثل امتزاج الماء بالخمر و نراه يقول: (من الطّويل)

مُـعَلّلتــي بالوَصْلِ والمَوتُ دُونَهُ إذا مـِتّ ظَــمآنًا فــلا نَزَلَ القَطْرُ

بـــدَوْتُ وأهْلي حاضِرون لأنّني أَرَى أنّ دارًا لَـــسْتِ مِنْ أهْلِها قَفْرُ

وَحــارَبْتُ قَوْمي في هَواكِ وأنّهُمْ وإيــَايَ لَوْلَا حـبُّك المَـاءُ و الخَـمْرُ[1]

يشكو الشّاعر في الأسر مرارة السّهر، فمن شدّة شوقه لا تغفو مُقلتاه فلا أُنْسَ بدون المعشوقة ولا يستطيع تخفيف الشّوق إلّا بذرف الدّموع، فقد كان قبل الأسر يخاف ويحذر من الفراق، ويخاطب رفاقه من العشّاق ليخبروه عن حال الفريق الّذين تقدمت جمالهم فيقول: (من البسيط)

إنّ الحبيب الّـذي هــامَ الفـؤاد به ينامُ عن طول ليلٍ أنتَ سَاهِرهُ

مـــا أنْسَ لا أنسَ يَومَ البينِ موقِفنَا والشّوقُ ينهى الكاعني و يأمرُهُ

وقَـــولُها ودُمـــوعُ العَـيْنِ واكفةٌ هــذا الفِــراقُ الّذي كنّا نُحاذِرهُ

هــل أنتِ يا رِفقةَ العِشّاق مُخْبرَتي عَن الخَليطِ الّذي رُمّت أَباعِرُهُ

---

1 الدّيوان ص 92

حبّ المعشوقة

لقد خرج أبو فراس من ظلّ الإمارة إلى ذلّ الأسر، وقاسى ما قاساه فقد خرج من عناية الأهل إلى مقابلة العدوّ المستكبر، وهذه التّجربة الأليمة التي لا يحسّ فيها بأيّ من ملذّات الدّنيا لا عطف قريب ولا عناية حبيب[1]. فهو أسير الجسم في بلدة و أسير القلب في مكان آخر فيقول في أسره: (من السّريع)

إرثِ لــصَبٍّ فــيكَ قَــدْ زِدْتَهُ   عـــلى بَــلايا أسْــرِهِ أَسْرا

قَــدْ عَــدِمَ الــدّنيا ولذّاتِها   لَكنّــــهُ مـــا عَدِم الصّبْرا

فـــهُوَ أســـيرُ الجِسْمِ فـــي بلْدَةٍ   وَهُـــوَ أسيرُ القَلْبِ في أُخْرى

ويرسِلُ سلامَه لحبيبته السّاكنة في الوادي فيعرِبُ عن حبّه لها بسبكةٍ جميلةٍ فيمتزج الحبّ بالغزل، فقد أحبّ البّوادي من أجلها، وشبّهها بالغزال فهي المتزيّنةُ بالحليّ على منكبها وعنقها، وبسبب حزنه على فراقها شمت به الحسّاد وابتهجت أفئدة الأعداء، ففي الأسر لا أحد يرقيه من المرض، ولا أحد يفتديه من القيود، ويعبّرعن هذه المشاعر قائلًا: (من الهزج)

ســـلامٌ رائـــحٌ غـــادِ   عـــلى سَـــاكنةِ الوادي

عَــلى مَــنْ حُــبّها الهادي   إذا مـــا زُرْتُ والـــحَادي

أحـــبُّ البَـــدوَ مِـــنْ أجلِ   غَـــزالٍ فيـــهمُ بـــادِ

ألا يـــا ربّـــة الحَـــلْي   علـــى العَـــاتقِ والـــهَادي

لَقـــدَ أبـــهَجَـــتِ أعـــدائي   وَقَـــدْ أشـــمَتِّ حُـــسّادي

بِسُــــقْــمٍ مـــالَــهُ راقِ   وَأسْـــــرٍ مـــالـــهُ فَـــادِ[2]

وفي ذكر الشّوق واللّوعة أكثر القصائد انتشارًا وتداولًا على ألسنة النّاس هي قصيدة أبي فراس و قد كساها من ححل البلاغة أبهى لباس فجرّد من نفسه شخصًا آخر يقول له أراك... وهو يحاول إخفاء دمعه ولوعته، فهو أميرٌ وشاعرٌ، ومن وجهاء آل حمدان، لا

1 **شعر أبي فراس الحمداني، دراسة فنيّة**، ماجد ولين وجيه بسيسو ط1، 1409 هـ- 1988م، ص 124-123، منقولًا من من مقدمة ديوان أبي فراس، سامي الدّهان
2 **الدّيوان**، ص80

تُذاع أسراره ولا تدمع عيونه علنًا، فالسّجن مأوى الآلام وهذه القيود تثير همومه وشوقه، وتجري عبراته فلا يستطيع البوح بها إلّا في ظلام اللّيل، فالسّكينة تسمح للذّات الدّاخلية بأن تستيقظ[1] فيعرب عمّا خطر بباله بأروع و أصدق صورة قائلًا: (من الطّويل)

أراكَ عَصيّ الدّمعِ شيمتُكَ الصّبرُ　　أما للهَوى نَهيٌ عليك ولا أمر

نَعَمْ أنا مُشتاقٌ وَعِنْدِي لَوْعَةٌ　　وَلَكِنّ مِثْلي لا يُذاعُ لَهُ سِرُّ

إذا اللّيلُ أضْوَاني بَسَطتُ يدَ الهوى　　وَأذْلَلتُ دَمعًا مِنْ خَلائقِهِ الكِبْرُ

تَكادُ تُضيىءُ النّارُ بينَ جَوانِحي　　إذا هِيَ أذْكَتها الصّبابةُ والفِكْرُ[2]

ونلاحظ في هذه الأبيات لومه وعتابه للمحبوبة، فهي تُنكِرُه، وهو يستنكر هذا النّكران والجهل الّذي تدّعيه فهل بفتى وفارس مثله يُنكَر؟ فهو في حلوّ الحياة ومرّها يستذكرها فنراه يقول:

فَلا تُنْكِرِيني يا ابنةَ العَمّ إنّهُ　　ليَعْرِفُ مَنْ أنكرْتِهِ البَدْوَ وَ الحَضْرُ

ولا تُنكريني إنّي غيرَ مُنكِرٍ　　إذا زُلّت الأقدامُ واسْتُنزلَ النّصْرُ[3]

ويستحضرُ أبو فراس صورة البوادي المقتبسة من حياة الصّحراء وثقافتها، فيتشبّه محبوبته بالظّبية التي تجفل تارّةً و تدنو تارّةً كأنّها تُنادي صغيرها العاجز عن الرّكض فيقول:

كأنّي أُنادي دُونَ مَيثاءَ ظَبيةً　　على شَرَفٍ ظَمْياء جَلّلَها الذّعْرُ

تَجفّلُ حينًا، ثُمَّ تَدنُو كأنّما　　تُنادي طَلًا بالوادِ، أَعجَزَهُ الحُضْرُ[4]

وبعد اطّلاعنا عل أغلب قصائد أبي فراس خلال مدّة الأسر نُلاحظ أنّ الحبّ احتلّ حيّزًا واسعًا فيها، لكنّه الحبّ الذّاتي، فنلاحظ علوّ صوت الأنا بعد انقطاعه عن العالم الخارجيّ وانطوائه على أحزانه، فرصدَ إنجازاته وافتخر بنسبه العريق، فَبَنو حمدان اشتهروا بالفصاحةِ والرّجاحةِ[5]، وذَكَر مواطن القوّة في حياته الجسديّة والعاطفيّة

1 **ينظر السجون وأثرها في الآداب العربيّة من العصر الجاهليّ حتى نهاية العصر الأمويّ**،ص 209
2 **الدّيوان**، ص91
3 **الدّيوان، شرح إبن خالويه**، ص158
4 **الدّيوان** ص 159
5 **يتيمة الدّهرفي محاسن أهل العصر** تأليف أبي منصور الثّعالبي النيسابوري شرح و تحقيق د. مفيد محمد الجزء الأول الطّبعة الأولى 1983-1403 م دار الكتب العلميّة – بيروت لبنان ص 25

فهذه الذّات الّتي أضحَت متقلّبة بين الألم والشّوق والكبرياء والاعتزاز والحنين والذّلة والإفتخار، وربما ارتفاع صوت الأنا جاء لوازن بين انكساره في الأسر وكبريائه قبل ذلك.

وليطفئ بها نار ذاته المعذبة والمعللة، وهو ما فسّره د. نيلا غرانبرغ: «إنّ الجُرح النّرجسيّ الّذي تتحمّله الأنا يُجَنّد بعض آليات الدفاع، فالنّرجسيّة في التّصوّر الفرويديّ لا تمثّل حبّ الفرد لذاته فحسب، ولكنّها تُمثّل أيضًا عاطفة القوّة الكليّة[1]. ونراه اتّخذ اتّجاه الفخر والإعتزاز ليستعيد قوّته النّرجسيّة الكليّة.

والحبّ الذي هَيمَن على قصائد أبي فراس في أثناء الأسر بعد قصائد الفخر الذّاتي التي كانت لسيف الدّولة، فالشّاعر لم يخرج يومًا عن الإطار الأسريّ، فقصائده دلائل واضحة عل شدّة التّرابط والألفة، وخاصّةً أنّ سيف الدّولة تكفّل برعايته فكان الوالد والمُربّي والمُعلّم. ورغم تذبذب العلاقة بينهم في أثناء الأسر لكنّها باتت عتابًا وألمًا وشكوى وكلّها بغرض الفداء: (من الطّويل)

وإنّــــكَ المــــوَلى الّذي بكَ أفتَدي   وَإنّــكَ للنّجــمِ الّذي بِــهِ أَهتَدي

وَأَنـــــتَ الذّي عَرَّفتَني طُرقَ العُلا   وَأَنــتَ الّذي أَهدَيْتَني كُلَّ مَقصَدِ

وَأنـــــتَ الّـــذي بَلّغتَني كُلَّ رُتبةٍ   مـشيتُ إليها فوقَ أعناقِ حُسّدي[2]

الخاتمة

لقد كانت قصائد أبو فراس التي نظمها خلال مدّة أسره ممتلئة بالأحاسيس مفعمةً بالمشاعر الصّادقة فهي مشاعر حقيقية غير مصطنعة، مرّ صاحبها بتجارب قاسية صوّرها أبلغ تصوير، ولا يمكن لقارئها إلّا أن يستشعر ما شعربه وقاساه حينها.

فالسّجن على الرّغم من أنّه تجربة مريرة، إلّا أنّها ثرية جدًا، فقد فاضت قرائحهم شعرًا ثائرًا ناطقًا بروح المقاومة وإرادة الحياة؛ فهذا النّوع من الشّعر النّضاليّ الذي ولد في ظلام الزّنازين وخلف القضبان ودياجير الظّلام الدّامس صوّر تجربة المعاناة وسطّر ملاحم الصّمود في قصائد صادقة عذبة.

---

1 **النّرجسيّة- دراسة نفسيّة د. نيلا غرانبرغر**- ترجمة وجيه أسعد منشورات وزارة الثّقافة- دمشق- سوريا 2000م ص 76
2 **ديوان**، ص 85

فهرس المصادر والمراجع

1- بسيسو، لين وماجد، شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنيّة، ط، 1409هـ، 1988م.

2- الثّعالبي، أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2000م.

3- الدّويهي، خليل، ديوان أبي فراس الحمداني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1428هـ، 2000م.

4- الزّركلي، خير الدين، ديوان أبي فراس الحمداني، دار العلم للملايين. ط 1، 2002 م.

5- الشكعة، مصطفى، سيف الدّولة الحمداني، مملكة السّيف ومملكة الأقلام، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1977م.

6- الصّمد، واضح، السّجون وأثرها في الآداب العربيّة من العصر الجاهليّ حتى نهاية العصر الأمويّ، مكتبة عين الجامعة.

7- غرانبر، نيلا، النّرجسيّة دراسة نفسيّة ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2000 م.

الأوقاف في دمشق في عصر المماليك البحريّة

زينب العاصمي

ا.د علي حلاق مشرفًا رئيسًا

ا.د محمد علي القوزي مشرفًا مشاركًا

المقدمة

المماليك: هم عبيد أتراك وجراكسة ومغول جنّدهم الأيّوبيون في الخدمة العسكرية. تمكّن بعضهم من الوصول إلىٰ الحكم وأسّسوا في عصر سلالتي المماليك البحريّة والمماليك البرجيّة.

أ- المماليك البحريّون (1253 – 1382م) (648 – 784هـ): يعدّ السّلطان نجم الدين أيوب مؤسس المماليك البحريّة وكان ذلك بعد أن شعر بتدبير المؤامرات علىٰ الدّولة وحاجته الكبيرة لجيش قوي ومنيع يساعده في الحكم، وهذا ما جعله يقوم بتأسيس هذه الجماعة. ودُعوا بالمماليك البحريّون لإقامتهم في جزيرة الروضة علىٰ النيل وكان أولهم (أيبك المعز) ابن السّلطان نجم الدين وأشهرهم الظاهر بيبرس وقلاوون المنصور وقد تمكنوا من الوصول إلى الحكم عن طريق استغلال الظروف الداخلية والخارجية لدولة الأيوبيين واستطاعوا حكم مصر فترة طويلة.

ب- المماليك البرجيون: (1382 – 1517م) (784 – 923هـ) أقاموا في برج القلعة وكان أولهم برقون وآخرهم طوفان باي الثاني (الأشرف) الذي أعدمه سليم الثاني.

بسط بعض السّلاطين المماليك سيطرتهم علىٰ سورية وأجزاء من آسيا الصغرىٰ وحاربوا الصليبيين والمغول. حكم أكثرهم مددًا قصيرة كانت تنتهي دائمًا بالاغتيال.

بعد أن قضىٰ العثمانيون علىٰ دولتهم البكوات منهم قوة، ومصدر اضطرابات وفتن حتىٰ تخلّص منهم (محمد علي الكبير) في مذبحة القلعة عام (1811م).

ورغم اشتهار عهدهم بالفوضىٰ السّياسيّة والاغتيالات إلا أنهم تركوا آثارًا عمرانية هامة (مساجد – مدارس – أضرحة – تكايا).

والعصر المملوكي هو العصر الذي أضحت فيه مصر وبلاد الشام مركزًا للتجارة العالمية والطريق الرئيسي للتجارة بين الشرق والغرب وبوابة العبور إلىٰ أوروبا الأمر الذي يجعلنا نفسّر سبب تلك الثروة الواسعة التي تمتع بها المماليك وذلك الثراء الضخم وما نتج عنه من ازدهار النشاطات الدّينيّة والفكرية جراء ازدهار الوقف كما سنرىٰ – كما مارس المماليك نشاطًا دينيًا وعلميًا خصبًا ظهرت آثاره في مصر وبلاد الشام من خلال إحياء الشعائر الدّينيّة وإقامة المنشآت الدّينيّة والعلميّة والرغبة الجامحة في الإقبال علىٰ التعليم والتأليف والكتابة وإنّ من أعظم إنجازات وإيجابيات علماء ذلك العصر أنهم أعادوا وبزمن قياسي ما خسرناه من التراث والفكر الإسلامي الذي تعرض للنهب والسلب والإحراق والإغراق والإتلاف علىٰ يد المغول، وتابعوا فوق ذلك مسيرة التأليف والإبداع، فكوّنوا نهضة كبرىٰ توّجت حلقات تطور الحضارة الإسلامية.

أولًا: الوقف وأنواعه

الوقف لغة: هو الحبس والمنع وهو مصدر وقفت الشيء إذا حبسته وأوقفته ثم اشتهر إطلاق المصدر، أعني الوقف علىٰ اسم المفعول فيقال: هذا البيت وقف، أي: موقوف. ومن ثمّ جُمع علىٰ أوقاف.

والوقف شرعًا هو حبس العبد عن أن تَملك لأحد من العباد والتصدق بمنفعتها ابتداءً وانتهاءً، أو انتهاءً فقط.

فالتصدق ابتداءً وانتهاءً يكون فيما إذا وقف العين من أول الأمر علىٰ جهة من جهات البرّ التي لا تنقطع كالفقراء والمساجد والمدارس والمستشفيات والحصون والخانات والمقابر والسقايات والقناطر... ونحو ذلك، وهذا هو المسمىٰ بالوقف الخيري.

والتصدق انتهاءً فقط يكون فيما إذا وقف العين من أول الأمر علىٰ من يحتمل الانقطاع واحدًا أو أكثر، ثم جعلها بعدهم لجهة برٍّ لا تنقطع كالوقف علىٰ نفسه وذريته أو علىٰ زيدٍ ونسله ومن بعدهم للمساكين، ويسمىٰ هذا بـ: الوقف الأهلي. (عبد الجليل عشوب: كتاب الوقف 2000م، ص9).

وقد وزعت أملاك الدّولة في مصر والشام في عصر المماليك علىٰ ثلاثة أوجه: أراضي الدواوين السّلطانيّة وأراضي ديوان الوزارة وأراضي موزعة علىٰ أفراد أو جهات

(عماد بدر الدين أبو غازي: تطور الحياة الزراعية زمن المماليك الجراكسة، ص9).

أما باقي الأراضي فملكٌ حرّ لأفراد يقومون بوقفها علىٰ النفس والذرية أو علىٰ جهات خيرية مختلفة، كما أن الدّولة لها يدٌ طويلة وسلطات واسعة علىٰ تلك الأراضي جميعها بالمصادرة أو بالميراث الحشري (القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج3 ص464).

وبالتالي دور الدّولة الفاعل في أوضاع الحيازة الزراعية، وفي غالب الأحوال فقد كانت الملكية الخاصة للأفراد محدودة لا يعتدّ بها خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ولكن سرعان ما اختلف الأمر عند نهاية العصر المملوكي وهو ما كشفته وثائق ذلك العصر (عماد أبو غازي: مرجع سابق، ص10).

وبشكل عام فقد تحوّلت كثير من الإقطاعات العسكرية إلىٰ أراضي وقف وغيرها ولكن دون أن توضح المصادر أوجه إنفاقها ناهيك عن عدم تحديد المساحة الموقوفة بدقة في أغلب بلاد الشام نتيجة لاشتراك أكثر من حائز في ملكتها ودون تحديد نسبة كل حائز وبخاصة أن مساحة الأراضي الزراعية التي كانت تجري في حيازة الأوقاف في الشام عمومًا في بداية العصر المملوكي كانت قليلة ولكنها زادت في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عما كانت عليه حتىٰ بلغت عشرة قراريط من أصل/24/ قيراطًا أي نسبة (41.6%) فيما بين عامي (777هـ - 1375م) (5883 - 1478م) حيث ذكر القلقشندي أن البلاد جارية في إقطاع الدواوين والأمراء وغيرهم من سائر الجند إلا النزر اليسير مما يجري علىٰ الأوقاف ولا يعتد به.

وقد شهد العصر المملوكي عدة أنواع من الأوقاف هي:

- الأحباس المبرورة: يقصد بها الأراضي الموقوفة على المساجد والمدارس والزوايا والربط، ويتحدث فيها السّلطان بنفسه وتارة يشرف عليها نائب السّلطان ثم استقر الحال علىٰ أن يشرف عليها الدودار. ويساعده ناظر الأحباس وقد وقفت عدة أراضي بدمشق علىٰ هذا النوع.
- الأوقاف الحكمية: يقصد بها الأراضي الموقوفة علىٰ الحرمين الشريفين وكانت تخضع لإشراف قاضي القضاة الشافعي الذي عُرف باسم/ناظر الأوقاف/ولم نجد أراضي موقوفة علىٰ هذا النوع وقفًا مباشرًا وإنما تحوّل بعض الوقف الأهلي إلىٰ

أوقاف حكمية منها ما أوقفه (سف الدين منجك) علىٰ جهة البر علىٰ أولاده وذريته وعقبه وعند الانقراض على الحرمين الشريفين.

– الأوقاف الأهلية: يقصد بها الأراضي والعقارات التي يوقفها الناس علىٰ أنفسهم وأهليهم وهذه الأوقاف وإن كانت تخضع لإشراف قاضي القضاة الشافعية إلا أنه كان لها ناظر خاص بها غالبًا ما يكون الواقف في أثناء حياته ومن بعده الأرشد فالأرشد أو السّلطان أو أحد الأمراء في الدّولة وكان الواقف في هذا النوع من الأوقاف يوقف الأرض أو العقار علىٰ نفسه وأولاده وذريته جيلًا بعد جيل حتىٰ ينقرض نسله ثم تؤول بعد ذلك إلىٰ جهة من جهة البر، مثل: وقف جلال الدين محمد المنجي علىٰ أولاده وذريته وبعد الانقراض علىٰ البر والصدقة. ونظرًا لأن هذه الأوقاف تبدأ أهلية وتنتهي خيرية فقد أطلق عليها الأوقاف الأهلية الخيرية. (محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 2014م – ص108 – 113).

ويشتمل هذا النوع من الأوقاف علىٰ أراضٍ من أعمال مصدر والشام وبلاد أخرىٰ مقررة وهي موقوفة لصالح الخوانق والمدارس والجوامع، وقد خصص النوعان الأول والثالث من الأوقاف لبناء المؤسسات العلميّة والدّينيّة ولذلك نالت هذه الأماكن حصة الأسد من الأوقاف.

ومن ناحية ثانية كانت للأوقاف عامة أثرها الاقتصاديّ المؤثر في شتّىٰ مجالات حياة الدّولة، فمن عائداتها أنفق علىٰ المؤسّسات التّعليميّة ودور الثّقافة والمشافي والمصحات.

ثانيًا: ازدهار الأوقاف في العصر المملوكي

شهد العصر المملوكي تطوّرًا كبيرًا وازدهارًا لمختلف الأنظمة والأنشطة ومن جملتها نظام الوقف، حيث كان نظام الوقف نظامًا راسخًا متغلغلًا في المجتمعات الإسلامية، ولكن ما شهده المشرق الإسلامي من تطورات في العصر المملوكي وما أحاط بهذه التّطوّرات من ظروف خاصة انعكست آثارها علىٰ نظام الوقف وأعطته صورة مغايرة إلىٰ درجة كبيرة لما كان عليه قبل العصر المملوكي. وفي الوقت نفسه ساعدت علىٰ انتشار الوقف. فكل من كان لديه أرضًا أو عقارًا أو مالًا ثابتًا أو منقولًا في ذلك العصر كان يتطلّع لوقفه لسبب أو لآخر إمّا وقفًا خيريًا أو أهليًا لأن الظروف (بل طبيعة العصر)

كانت تحتم هذا الاتجاه (عبد اللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية في وثائق من عصر الغورىٰ – 1926م، ص3).

وكان لانتشار الأوقاف وازدهارها في العصر المملوكي أثر كبير في تنوع (ما يوقف وما يوقف عليه) تنوعًا كبيرًا حتىٰ كاد أن يشمل كل شيء تقريبًا أما عن أهم الأشياء التي انتشر وقفها في العصر المملوكي فهي الأراضي الزراعية والمباني مثل: الدور والقصور والمدارس ومكاتب الأيتام والخوانق والربط والوكالات والفنادق والقياس والخانات والسبل وأحواض الدواب ومعاصر الزيت والقصب والحمامات والطواحين والأفران ومخازن الغلال ومصانع الصابون والنسيج ومعامل لترقيد الفروج ومعامل للنشا والنشادر.... إلخ.

ويمكن أن نقول إنّه من دراسة وثائق الأوقاف في العصر المملوكي تبيّن لنا أنّ كلّ شيء يمكن أن يدرّ دخلًا عد لخراج وأنواع الضرائب المختلفة، ولم يقتصر الأمر علىٰ ما يدرّ دخلًا فقط، فقد وجد من أوقف عبيده لخدمة مؤسّسة دينيّة، وذلك أنّ الفقهاء أجازوا وقف الرّقيق – وأزواجهم وأولادهم إذا كانوا يعملون في صنيعة ثم أوقفها صاحبها بمدر فيها منهم علىٰ أساس تبعية الرقيق للأرض، كما قام البعض بوقف عبيدهم لخدمة المسجد أو المدرسة، ففي وثيقة (وقف سليمان باشا) يقف ستة من عبيده للعمل في خدمة المسجد الذي شيّده فوق قبر سارية الجبل، وحدد الواقف لهؤلاء العبيد أعمالًا معينة، كما خصّص لهم أجرًا من ريع الوقف، وفي حالة تكاسلهم أو هربهم حدّد عقابًا لهم (محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر – 2014م، ص101).

ولأهمية الوقف عيّن له موظف سمي (ناظر الوقف) وهو مسؤول عن المباشرة في توظيف الوقف بحسب الجهة المخصّصة لها، وترتبط بهذه الوظيفة وظيفة (نظر الأحباس) وهي وظيفة عالية المقدار وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والأربطة والزوايا والمدارس من الأرضين المغردة لذلك.

وما هو من ذلك علىٰ سبيل البرّ والصدقة لأناس معينين وتتبع هذه الوظيفة لديوان الأحباس أو ديوان الأوقاف.

وكان ريع الأوقاف هو المصدر المالي الأساسي لغالبية المؤسسات العلميّة في العصر المملوكي، ويفهم من هذا أن الحركة العلميّة الواسعة التي شهدها ذلك العصر، وبسبب

الإقبال علىٰ إنشاء المدارس واستمرار التعليم فيه إنما هي في الحقيقة من نتائج ازدهار الأوقاف وانتشارها في العصر المملوكي.

كان للأوقاف الفضل الأول باحتفاظ المساجد الكبرىٰ بشهرتها العلميّة من ناحية واستمرارها كمراكز للحركة العلميّة من ناحية أخرىٰ، فنلاحظ أنه لم يَبنَ مسجد إلا وقد قُرّر له وقفه الذي سيصرف منه عليه وعلىٰ القائمين ببنائه والعمل به من الأئمة والخدّام والمؤذنين والمدرسين وغيرهم. (المقريزي، الخطط المقريزي، ج2، ص295، 296).

علىٰ الرغم من زيادة عدد المدارس في العصر المملوكي فإنّه لم تكن هناك سياسة تعليميّة للدّولة أو للسّلاطين وإنما كانت الدّوافع الدّينيّة والسّياسيّة السّبب في إنشاء المدارس والمكاتب وهذا ما أعطىٰ الأوقاف الأهمية الخاصة بالنسبة للتعليم، فالأوقاف هي التي ثبّتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها ومكّنتها من أداء رسالتها، وكان الرّيع الذي تقدّمه الأعيان الموقوفة علىٰ المدرسة شهريًا أو سنويًا نقدًا أو عينًا هو الضّمان لاستمرار العمل بالمدرسة حيث تدفع منه مرتبات موظفي المدرسة والطلبة بحسب شرط الوقف (محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، 1980، ص204).

ثالثًا: نماذج عن أوقاف المؤسسات العلميّة في دمشق

تنوّعت الأوقاف في دمشق فشملت العديد من المباني والمنشآت سواء أكانت مخصصة لأغراض دينية أو علمية أو صحية، وفي هذا المجال يمكن الحديث هنا عنه الأوقاف التي أوقفت علىٰ المؤسسات العلميّة من مدارس ومساجد ودور قرآن وخانقاوات وزوايا وبيمارستانات وغيرها في دمشق (بوران لبنية: الخانقاوات والزوايا الدمشقية – 2004م، ص160).

حيث بلغ عدد دور القرآن في دمشق في العصر المملوكي الأول (سبع دور).

أشهرها (دار القرآن الجزرية) التي أسسها وأوقفها شيخ قرّاء عصره: (شمس الدين بن الجزري) (حسام الدين الحزوري: الحركة الفكرية ومراكزها في دمشق في عصر المماليك البحريّة، 2011م).

بالإضافة إلىٰ (دار القرآن الصابونية) التي أنشأها (أحمد بن علم الدين الصابوني) وفرغ من بنائها سنة (1463م – 868هـ) وقد شرط الواقف فيها قراءة البخاري كل ثلاثة

أشهر، وإقراء القرآن الكريم، وبنىٰ اتجاهها مكتبًا موقوفًا عشرة مع شيخ يقرئهم القرآن العظيم ويُصرف علىٰ كل ذلك من الوقف وكان ذو جهات كثيرة.

قُرىٰ في بيروت وقُرىٰ في غوطة دمشق وقرىٰ في بعلبك وأخرىٰ في حوران وقرىٰ وبساتين أخرىٰ متفرقة في مناطق متفرقة.

(عبد القادر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، 1990م، ص10).

أما دور الحديث النبوي الشريف فقد قُدّرت بستة عشر دارًا أهمها (دار الحديث النورية) التي أنشأها (السّلطان العادل نور الدين محمود).

(حسام الدين الحزوري: الحركة الفكرية ومراكزها في دمشق في عصر المماليك البحريّة، 2011).

وهو أول من بنىٰ دارًا للحديث، وقال أبو شامة في أول الروضتين في ترجمة نور الدين: (وبنىٰ بدمشق أيضًا دار الحديث ووقف عليها وعلىٰ من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفًا كثيرة).

وقال الأسدي: (فلما بنىٰ الأشراف دار الحديث غربها شرط أن يؤخذ من وقفها ألفا درهم فتضاف إلىٰ وقفها انصلح حالها).

(عبد القادر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، 1990م، ص74).

وكانت أوقاف المدارس غنية في عصر المماليك حيث كان الوقف يزوّد المدرس بحاجتها من المدرّسين الذين قد يبلغ عددهم (30) مدرّسًا، ويزودها بالماء والنور والأثاث.

وكانت بعض الأحباس الغنية توفر الخبز والنفقات للطلبة، كما أنّ ثمة مدارس تأتي نفقاتها من إبحار السوق وبضعة بساتين، ومن بعض أسباب التجارة.

فقد كان وقف المدرسة الريحانية مكونًا من بساتين وقطعة أرض وخمسة أسداس مزروعة وأسطبل.

وقد كان وقف المدرسة الجوانية غنيًا علىٰ يبدو من نفقاتها: فقد كان كلٌّ من مدرّسيها الخمسة والعشرين يتقاضىٰ/130/ درهمًا شهريًا، بالإضافة إلىٰ كيل كبير من القمح

وآخر من الشعير لدابته أيضًا. وكان النّاظر علىٰ المدرسة يتناول عُشر مدخول المدرسة لقاء أتعابه وسهره ومراقبته ما تملكه المدرسة.

وقد خصص/800/ درهمًا لتنفق علىٰ الاحتفاء بليلة نصف شعبان. وكان للناظر أن يزيد عدد المدرّسين وغيرهم إذا رأىٰ في ذلك نفعًا. (نقولا زيادة: دمشق في عصر المماليك – 1966م، ص120).

أما الخانقاوات فكانت من أهمها الخانقاه الأندلسية وكانت أوقافها مشتركة مع أوقاف الخانقاه السميسياطية.

بلغ مصادر الوقف 38 مصدرًا منها الدكاكين وقطع الأراضي والأسطلات والحمّامات والبساتين والأحكار والمزارع.

وأشارت بعض السجلات إلىٰ أن أوقاف عدد كبير من الزوايا كانت إمّا ذرية في البداية، ثم بعد انقراض النسل والأعقاب يتحوّل الوقف إلىٰ خيري.

وأما خيرية وتصرف عوائدها علىٰ مصالح الزوايا حسب شروط الواقفين. ومن هذه الزوايا الزاوية الآرموية: والتي تقع في منطقة الروضة.

أوقف السّلطان الملك الظاهر ما قيمته (6380) درهمًا من حاصل قرية مادع من سوق الحرادين، علىٰ/إبراهيم بن عبد الله بن يوسف الآرموي/ثمّ علىٰ أولاده وأنساله وأعقابهم، فإذا انقرضوا عاد وقفًا جاريًا إلىٰ: الزاوية الآرموية بسفح قاسيون. (بوران بنية: مرجع سابق، ص170، 171 – 187).

رابعًا: بيوت دمشقية في عصر المماليك أوقفت مدارس العلم

برزت في دمشق في عصر المماليك ظاهرة ملفتة وهي ازدهار الوقف العلمي ومساهمة الجميع في ذلك، إذ نقف في المصادر التاريخية علىٰ ميزة لأهل هذه المدينة ربما لم تتوافر عند غيرهم وهي وقف بيوتهم بعد مماتهم مدارس علميّة، ومثال علىٰ هذه البيوت نبدأ بالحديث عن دار الحديث البهائية، وقد كانت دارًا للشيخ المسند بهاء الدين أبو محمد القاسم، فوقفها آخر عمره دارًا للحديث النبوي الشريف ودرس فيها أفاضل العلماء وتخرّج منها طلبة علمٍ كثيرون بفضل هذا الوقف.

بالإضافة إلىٰ المدرسة القواسية والتي كانت دارًا للأمير عز الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن القواس. أوصىٰ أن تُجعل مدرسة لمّا حضرته الوفاة (733هـ - 1334م) ووقف عليها أوقافًا دارة، وأصبحت منارة علم في دمشق.

ودار الحديث السامرية كانت دارًا للشيخ أحمد بن علي البغدادي السامري في دمشق فوقفها دار حديث وخانقاه وعُقدت فيها دروس العلم.

ولم تقتصر أهمية الأوقاف في دراسة الطب علىٰ البيمارستانات بل جاوزتها إلىٰ المدارس والمساجد والخوانق والمكتبات.

خامسًا: المكتبات والوقف

توافرت في عصر دولة المماليك عوامل عديدة أدت إلىٰ ازدهار المكتبات. وجل هذه العوامل ارتبط بعملية الوقف، كبذل السّلاطين والأمراء وحبّ العلماء وحبّ العلم والمعرفة، وسعي طلبة العلم لاقتناء الكتب بنسختها أو استعادتها من المكتبات الموقوفة أو بشرائها.

وظهر عامل جديد ومهم كان له الأثر الكبير في نمو المكتبة الإسلامية في ذلك العصر، وهو التوجه نحو الاعتناء بالكتب فنيًا من حيث النسخ والتجليد والترهيب والحفظ وانتشار الأسواق المختصة بتجارتها.

ولا يغيب اهتمام الأيوبيين بإنشاء المكتبات الكثيرة المتنوعة التي ورثتها دولة المماليك، فكان لذلك أثر في إثراء المكتبة في ذلك العصر.

وقد يغيب عن بعض الناس الأهمية الكبيرة للمكتبة المملوكية التي لا تُقدر بثمن فهي المكتبة التي حفظت العلم والتراث العربي الإسلامي من الفقدان والضياع بعد أن أحرق التتار الكتب وأغرقوها عند اجتياحهم بغداد، لذلك تحتوي مكتبات العالم الكبرىٰ اليوم الآلاف من المخطوطات المملوكية التي لا يضاهيها عدد من عصر آخر، وتفوق في غنىٰ مضمونها مضمون كتب أي عصر من العصور.

وفي ذلك العصر حظي الكتاب – مصدر المعرفة – بالمنزلة الراقية والمنزلة العظيمة في قلوب أهل العلم بمختلف مشاربهم وميولهم الفكرية، فنال كثيرًا من الاهتمام والعناية، فلم تقتصر العناية به علىٰ إنشاء المكتبات العامة، بل سعىٰ الكثير إلىٰ إنشاء مكتبات

كبيرة في منازلهم.

فتعدّدت أنواع المكتبات الموقوفة في عصر المماليك، فوجدت المكتبات الملحقة بالمساجد، والمكتبات الملحقة بالمدارس، والمكتبات الشخصية الخاصة، واشتملت هذه المكتبات علىٰ عدد كبير من الكتب في شتىٰ أنواع العلوم والمعارف، ووضعت تحت تصرّف طلبة العلم كوقف يطلّعون علىٰ ما فيها وينهلون منها. وارتبطت بنظام تعلق بقائمة الوقف يحفظها ويصونها وينظّم الاطلاع علىٰ محتوياتها وتداولها.

وألحقت المكتبات الموقوفة بالكثير من المساجد، فألحقت مكتبة بالجامع الحظيري وأخرىٰ في الجامع الحاكمي.

واقترنت المكتبة بالمدرسة في عصر المماليك، لذلك يندر أن نجد مدرسة ليس فيها مكتبة موقوفة عليها: فقد كان في المدارس مكتبات تحتوي مادة علمية يطلع عليها الطّلاب ويستكملون بها تعليمهم وكان في المدرسة الفاضلية «جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال إنها كانت مئة الف مجلد».

واشتملت المدرسة الظاهرية علىٰ أمهات الكتب في سائر العلوم والختمات الشريفة وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعر.

وسارت أمور هذه المكتبات وفور نظام محدد تبعًا لشروط الوقف لكونها تمثل جزءًا مهمًا من الأواة التعليمية علىٰ مدىٰ العصرين الأيوبي والمملوكي، فكانت خزانة الكتب تقسم إلىٰ رفوف مقطعة بحواجز وعلىٰ كل حاجز باب مقفل بمعصّلات وقفل وكان فيها إطارات كبيرة وصغيرة مصنوعة من الخشب، واحتوت كل خزنة مجموعة من الكتب تصور عليها ورقة مترجمة ملصقة علىٰ باب كل منها، وكانت المصاحف الكبيرة توضع في خزانة خاصة جانب المحراب في المدرسة، وأثبتت الكتب في سجل علىٰ هيئة كتاب يتضمن قوائم الكتب مرتبة بعناية بحسب الموضوعات أو أسماء المؤلفين.

وكان يشرف علىٰ المكتبة موظف خاص يسمىٰ (خازن الكتب) وحددت مهمته تبعًا لشروط الواقف.

وحدد الواقفين نظام الاطلاع والاستعارة بدقة تامة بغية الحفاظ علىٰ الكتب من الضياع. فمن الواقفين من منع الاطلاع علىٰ الكتب لمن عُرِف بتفريطه بها.

وشرط بعضهم الآخر كتابة اسم المستعير علىٰ أن يمحىٰ بعد الإعادة زيادة في الحرض، وحرّم بعض الواقفين خروج من المكتبة نهائيًا.

وفي حال سمح بإخراج الكتب من المدرسة فكثيرًا ما كان يشترط الواقف ألا يتمّ ذلك إلّا برهن. والأولىٰ في الإعارة أن تكون للمحتاجين إلىٰ الكتب والعارفين لقيمتها ونص بعض الواقفين علىٰ ضرورة عزل خازن الكتب إذا بدا منه أي تقصير. وكثرت إلىٰ جانب مكتبات المساجد والمدارس مكتبات خاصة، وهي المكتبات الشخصية المنزلية المملوكة من قبل الأفراد، وقد يساهم هذا النوع من المكتبات في الحركة الفكرية، لغنىٰ هذه المكتبات بالكتب الكثيرة التي جعلها أصحابها وقفًا أو ميراثًا للمدارس وللأصدقاء في أغلب الحالات.

سادسًا: الأوقاف وأثرها علىٰ نظام التعليم

كانت الأوقاف في العصر المملوكي فعالة إلىٰ درجة كبيرة، ويحق لنا أن نقول وبكل ثقة أنها كانت الشريان الرئيسي لكل النشاطات العلميّة، فلم تكن المورد المالي للمؤسسة العلميّة فحسب بل كانت أكثر من ذلك.

إذ أن كتاب الوقف كان اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية التي تضم نظام المدرسة والأسس التربوية للتعليم والشروط التي ينبغي أن يتصف بها القائمون بالتدريس والموظفون ومواعيد الدراسة وسكن المدارس والمرقبات... وغير ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية.

1 - الوقف والنظام الداخلي للمدرسة

انقسمت المدارس في عصر المماليك إلىٰ قسمين من حيث نوعية التعليم:

المدارس الابتدائية: وتشتمل المساجد ومكاتب التعليم: وفيها يتلقىٰ الطلبة العلوم الابتدائية الأولية.

والمدارس العليا: التي تشبه الجامعات في عصرنا وتتمثل بالمدارس الكبرىٰ التخصصية.

وأما المواد العلميّة المدرسية في كل من هذين القسمين فقد تخصصت كل مدرسة بتدريس علم أو عدة علوم.

وارتبط نظام المدرسة بعدد من الوظائف المهمة التي تولاهما موظفون اختلفت مهماتهم بحسب العمل الموكل إليهم وجميعهم كانوا مسؤولين عن الحفاظ علىٰ المدرسة وتنظيم فعالياتها وأنشطتها والحفاظ علىٰ نظافتها ورونقها وتسيير شؤون الطلبة فيها ومراقبة أحوالهم... وكلّ ذلك حسب لائحة الوقف.

وتأتي علىٰ رأس هذه الوظائف (وظيفة النّظر) وهي من أهم الوظائف التي ترتبط بالمؤسسة التعليمية ويسمىٰ صاحبها (بالنّاظر) وهو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها وترفع إليه حساباتها لينظر فيها، فيمضي ما يمضي ويرد ما يرد.

والنّاظر: مأخوذ إما من النّظر الذي هو: رأي العين فهي بمعنىٰ الرعاية والإدارة.

وإما النّظر الذي بمعنىٰ التفكير بما فيه المصلحة من ذلك.

ويختلف النّظر باختلاف ما يضاف إليه؛ كناظر الجيش وناظر المال وناظر الجامع. وتظهر أهمية وظيفة النّظر في تسيير أموال المؤسسة التعليمية واستمرار عملها.

ومن مهمات النّاظر الإشراف علىٰ المؤسسة التعليمية بكل أساسياتها من عماراتها وأوقافها والنشاط القائم بها والاعتناء والمحافظة عليها، بالإضافة إلىٰ اختيار المدرس الكفء.

ومن الوظائف المتعلقة بالمدارس: وظيفة البوّاب، ومهمته تنظيم الداخلين إلىٰ المدرسة والخارجين منها، فيمنع دخول من ليس له ارتباط بها.

أما أعداد الطّلاب فقد حددت في بعض الأحيان في كتاب الوقف وتركت من دون تحديد في أحيان أخرىٰ مع تحديد عدد المدرّسين، واختلف عدد الطّلاب من مدرسة إلىٰ أخرىٰ.

2 - المساكن المدرسية

ويبدأ دور الوقف هنا من البداية، إذ أنّ علىٰ واقف المدارس والسّكن فيها أن يكون ورعًا بعيدًا عن البدع ويغلب ظنه أن هذا الوقف من المال الحلال، ثم علىٰ واقف مسكن المدارس الالتزام بإسكان الطّلاب المرتبين لسكن هذه المدرسة فلا يسكن غيرهم، فإن فعل ذلك كان (عاصيًا ظالمًا) وإن لم يحصر الواقف ذلك فلا بأس إذا كان السّاكن أهلًا لها.

وقد تمتعت المساكن الدراسية بخدمات راقية تدلّ علىٰ رقي خدمات الأوقاف.

فقد ذكر عن المدرسة الظّاهرية أنّ (للناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسًا يرتفعون فيه إلىٰ الحكام).

وكان السّكن المدرسيّ مؤلّفًا من عدة طوابق سفلية وعلوية، نصصت الطّوابق العلوية لأصحاب المقدرة علىٰ صعودها والطوابق السّفلية لغير القادرين علىٰ الصّعود ولأصحاب الفتيا ليسهل علىٰ الناس قصدهم.

وكان السّكن المدرسي يسير علىٰ نظام معين حسب لائحة الوقف يتألف من شروط السّكن وأنظمته، وقد خصص جماعة لذلك بابًا بعنوان (في آداب سكن المدارس) فمن ذلك يتعرف الطالب علىٰ شروط المدرسة قبل أن يقيم فيها ليؤدي حقوقها.

وأن يكون ساكني بيوت المدارس متحابين متوادين بإفشاء السلام وإظهار المودة والاحترام.

3 - المرتبات

خصّص للمدرسين وللطلبة مبالغ حالية أجريت عليهم شهريًا بالإضافة إلىٰ المعونات العينية، وكل ذلك من الأوقاف.

وقد تبيّن لنا في بداية هذا البحث أثر الأوقاف في الحياة العلميّة وأوردنا أخبارًا عن إغلاق عدد من المدارس بسبب انقطاع معونات المدرّسين والطلبة عنها.

وقد اختلفت المرتبات ما بين مدرسة وأخرىٰ علىٰ حسب كتاب الوقف؛ ففي مدرسة الظاهر بيبرس: كان يعطىٰ لكل مدرّس مئة وخمسون درهمًا في الشهر ولكل معيد أربعون درهمًا وللفقهاء أعلاهم عشرون درهمًا وأدناهم عشرة دراهم ولكل مقرئ خمسة وعشرون درهمًا وللبواب عشرون درهمًا.

أما دار القرآن الدلامية في دمشق (أنشأها أحمد بن دلامة البصري 847هـ - 1443م وجعل لها أوقافًا) ويصرف من هذه الأوقاف كالتالي:

إمام وله مئة درهم، وقيّم وله مثل ذلك. ستة أنفار من الفقراء من الغرباء والمهاجرين في قراءة القرآن لكل منهم ثلاثون درهمًا في كل شهر.

شيخ لإقراء القرآن وله مئة وعشرون درهمًا، ستة أيتام لكل منهم عشرة دراهم في كل شهر، شيخ يقرأ البخاري كل 3 أشهر وله مئة وعشرون درهمًا.

ناظر له ستون درهمًا في كل شهر، وغير ذلك...

والمدرسة الفارسية في دمشق أوقفها للعلم سنة (808هـ - 1405م) الأمير سيف الدين فارس الدودار وأوقف عليها حوانيت إلىٰ جانبها وجعل فيها تدريس المذاهب الأربعة وجعل فيها لكل شيخ ثمانين درهمًا وللطلبة كل شهر خمسًا وأربعين درهمًا وللمقرئين لكل منهم خمسة عشر درهمًا.

وكانت المعونات العينية متنوعة: ففي المدرسة الحجازية كان يُصرف في كل عام لأصحاب الوظائف في العيدين (الفطر والأضحىٰ) الكعك واللحم والطعام المطبوخ وغير ذلك.

وأعطي كل مدرس في مدرسة بيبرس رطلي خبز.. وكل معبد وإمام رطل واحد في كل شهر، وكان يفرّق علىٰ نزلاء خانقاه ركن الدين بيبرس في كل يوم اللحوم والطعام والحلوىٰ وثلاثة أرغفة خبز.

(عماد محمد النهار: بحث في الأوقاف الإسلامية في عصر المماليك - جامعة دمشق، ص80 - 16).

سابعًا: عوامل ازدهار الوقف في عصر المماليك البحريّة

وقد اتضح الأثر الأبرز للمماليك في الحياة العلميّة بتصدّيهم لبناء العمائر الدّينيّة والعلميّة التي أقيمت فيها الفعاليات الدّينيّة والعلميّة، ودرّس فيها العلماء، وتخرج بها العلماء الأعيان الذين كان لهم الدور الفعّال في النهضة الفكرية.

فأشاد المماليك المساجد والمدارس والروابط والزوايا والخوانق والبيمارستانات والمكتبات ووقفوا عليها الأوقاف الكثيرة لضمان استمراريتها.

ومن أهم العوامل هو العامل الاقتصاديّ فلقد كان اقتصاد دولة المماليك متينًا ومزدهرًا لاهتمام السّلاطين بالزراعة والصناعة وكذلك التجارة التي احتلت المكان الأول في الحياة الاقتصاديّة، ونتج عن ذلك الازدهار الاقتصاديّ ثراء الدّولة وامتلاك المماليك

لثروات طائلة فكان إذا توفي أحد السّلاطين أو الأمراء خلّف وراءه تركات هائلة، فانعكس ثراء الدّولة علىٰ الأعمال العمرانية، واستطاعت الدّولة علىٰ الإنفاق بسخاء علىٰ هذه المؤسسات، مما جعلها تؤدي الدور المطلوب منها وأن تصل إلىٰ الهدف المقصود. (ناصر (عامر نجيب) الحياة الاقتصاديّة في مصرفي العصر المملوكي – دار الشرق، 2003م).

ويظهر كذلك العامل الدّينيّ الهام جليًّا في ازدهار الأوقاف، حيث ذُكر عن الأمير علاء الدين طيبرس أنه بعد أن استكمل بناء مدرسته الطيبرسية:

(أحضر إليه مباشروه صاب مصروفها فلما قُدِّم إليه استدعىٰ بِطشت فيه ماء، وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف علىٰ شيء منها وقال: شيء خرجنا عنه لله تعالىٰ لا نحاسب عليه).

(المقريزي: الخطط، ج2، ص383).

فلعل السبب الدّينيّ لم يغب عن سادي العمائر في العصر المملوكي ولا سيما السّلاطين، والأمراء الذين تقربوا إلىٰ الله عزّ وجلّ وطلبوا الأجر والثواب ولا سيما أن الله عزّ وجل يقول: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ٣٦ ﴾ [سورة النور، الآية: 36].

وأن الرسول ﷺ يقول: (من أحبّ الله عزّ وجلّ فليحبني، ومن يحبني فليحبُّ أصحابي، ومن أحب أصحابي فليحبَّ القرآن، ومن أحب القرآن فليحب المساجد، فإنها أَفنيةُ الله أَنبيتهُ، أذن الله في رفعها).

(القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي – القاهرة، دار الشعب، ج12، ص266).

وقد قال الرحالة العبدري في صور سلاطين دولة المماليك (ولككن ملوكهم أهل دين وعقائد سليمة وشفقة وحنان علىٰ المسلمين وتفضل علىٰ الفقراء وحسن ظن بأهل الدين وهم ركن الإسلام).

(العبدري، (محمد)، رحلة العبدري، دمشق، دار سعد الدين، 1999م، ص280).

فقد اعتنق المماليك الدين الإسلامي وهذا ما أشعر عددًا منهم بأنهم مسؤولين أمام الله

ثم أمام الشعب عن الدفاع عن البلاد وإقامة بنيانها ومن ذلك تشييدهم المساجد والمدراس ووقف الأوقاف عليها، وقد عبر الشعراء عن هذه الصورة في مواضيع عديدة فقال أحدهم عن السّلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب:

بـــنيت لأرباب العلوم مدارسًا لِتنجو بها من هول يوم المهالك

وكان بعض المماليك قد أنشأ المدارس وأوقافها حبًّا بالعلم وتقديرًا لأهله.

وقد بيّن بعض الشعراء أيضًا ذلك عند افتتاح المدرسة الظاهرية، فذكر أحدهم عن الظاهر بيبرس:

مليكَ له في العلم حب وأهله فللّـه حـــــب ليـــــس فيه كلام

فشــــيدها للعـــلم مدرسة غدًا عــــــــــراق إليــــــها شيق وشآم

ولا تـذكرون يومًا نظامية لها فليـس يضاهي ذا النظام نظام..

(المقريزي: الخطط، ص375، ص379).

ويرتبط بهذا السبب كثرة العلماء والفقهاء وطالبي العلم في العصر المملوكي، فشجع ذلك المماليك علىٰ الإكثار من بناء المساجد والمدارس لأن العلاقة كانت وثيقة ومتينة بينهم وبين العلماء، فجاء نشاطهم متماشيًا مع روح العصر وتطورات الزمن واستجابة لتطور الحياة الفكرية.

ومن أسباب بناء المساجد والمدارس التنافس بين أصحاب المذاهب الفقهية كل منهم يريد بناء مدرسة تؤيد مذهبه الفقهي، فمثلًا في عام (767هـ – 1365م) قام الأمير يلبغا بتحديد درس في جامع ابن طولون فيه سبع مدرسين للحنفية وجعل لكل فقيه منهم في الشهر أربعين درهمًا وإردب قمع، وذكر أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا إلىٰ مذهب أبي حنيفة لينزلوا هذا الدرس.

ويتجلّىٰ العامل الدّينيّ كذلك ممتزجًا مع العامل السّياسيّ في قضية الخلافة الإسلامية فنلاحظ أن مظاهر العلم تنتقل مع انتقال الحكم (الخلافة)، فالمدينة المنورة كانت موطن الحركة العلميّة وعاصمتها علىٰ عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ثم انتقلت هذه الحركة العلميّة إلىٰ دمشق بانتقال مقر الخلافة إليها وقيام الدّولة العباسية،

ثم كان سقوط العاصمة العباسية علىٰ يد التتار فانتقل العلماء إلىٰ مصر وقاهرتها حيث استقر المماليك وأسسوا حكمًا وسلطانًا، وفي ذلك يقول ابن خلدون:

(ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة، فانتقل بشأنهما من الخط والكتابة بل والعلم إلىٰ مصر والقاهرة). (ابن خلدون: المقدمة، ص528).

وربما من أسباب ازدهار الأوقاف الإسلامية في عصر المماليك خوف السّلاطين والأمراء وأصحاب المناصب العليا في الدّولة علىٰ ذريتهم وخلفائهم من أن تصادر أملاكهم بعد وفاتهم فعملوا في الإكثار من العمائر ووقفها لتكون ملكًا لهم، فلا يستطيع أحد التطاول عليها وأخذها، وقد عبّر ابن خلدون عن ذلك بقوله: (إن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم علىٰ من يتخلفونه من ذريتهم، لما له عليهم من الرق والولاء، ولما يخشىٰ من معاطب الملك ونكباته، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المقلة، يجعلون فيها شركًا لولدهم ينظر عليها أو يصيب منها). (ابن خلدون: المقدمة، القاهرة، دار الشعب، ص40).

ثامنًا: نتائج ازدهار الوقف في العصر المملوكي

إن دولة المماليك جاءت لتكمل إنشاء المؤسسات العلميّة والتربوية، وكان الأيوبيون قد سبقوها بإنشاء المدارس، لكن هذه المدارس زادت أعدادها في عصر المماليك زيادة لم تكن – في أي عصر من العصور الإسلامية في مصر والشام وكذلك المساجد التي أنشأت مع ظهور الدين الإسلامي، زادت أعدادها أيام المماليك بشكل ملفت وازدهرت باقي المؤسسات كالمكتبات والبيمارستانات والروابط والزوايا والخوانق، وكل ذلك كان بسبب ازدهار الوقف الإسلامي وفعاليته.

وقد ازدهرت دمشق في هذه الفترة بمئات المدارس الكبيرة المختلفة التي أُسست لتلقّي الثقافة الإسلامية الدّينيّة، وما يتصل بها من علوم العربية، فكان فيها مدارس للقرآن والحديث وللمذاهب الفقهية الأربعة وللطب.

وقد أسّس هذه المدارس ملوك دمشق – وسلاطينها وأمراؤها وولاتها وأزواجهم وأخواتهم من الأميرات والخواتين، ونساؤها العالمات وعلماؤها وقضاتها وتجارها وقد وقف أولئك جميعًا علىٰ هذه المدارس المتعددة أوقافًا وافرة من الأموال والقرىٰ والضياع والبساتين

والحوانيت والخانات والقاعات، حتىٰ أصبحت دمشق – وأريافها أوقافًا لهذه المدارس المبثوثة في كل هي من أحيائها، فكانت هذه الأوقاف قدرّ المال عليها وتُرغّب الطّلاب في التعلّم بها.

ولعل دمشق قد تفرّدت في ذلك الزمن بعدد المدارس الذي فاض علىٰ مائة وخمسين مدرسة، وفاق بذلك مدارس بغداد والقاهرة والقدس وجميع مدن العالم الإسلامي، ونظرة إلىٰ كتاب النعيمي (الدارس في تاريخ المدارس) و(تنبيه الطالب) تبيّن أننا لا نبالغ فيما نقول.

وكما يقول الدكتور المجد بأن دمشق – تفرّدت بمجد دمشق – آخر من بين بغداد والقاهرة والقدس فقد كانت أسبق هذه المدن الثلاث إلىٰ تأسيس مدارس خاصة بالعلوم، أي الأمكنة التي تتخذ لتلقي علم واحد علىٰ أيدي شيوخ موقوفين عليه، متميزة بذلك عن حلقات المساجد.

(النعيمي (عبد القادر) كتاب: تنبيه الطالب والمدارس في أحوال القرآن والحديث والمدارس – دار الكتاب الجديد – ط2، 1973، ص6 – 8).

الخاتمة

– شكّل نظام الوقف المصدر الأساس لمصادر الإنفاق على المؤسسات التعليمية والخدمات الإجتماعية في بلاد الشام في دولة المماليك البحريّة.

– وفّر الوقف أسباب وجود المعايش في هذه المؤسسات، ومن ذلك إعطاء رواتب منتظمة للمدرسين والطلاب والموظفين الإداريين فيها، وتقديم الخدمة لفئات الصوفية وكفالة الأيتام، ما مكّن هذه المؤسسات من الإستمرار في القيام بعملها.

– قدمت هذه الأوقاف صورة واضحة للوظائف التي كانت موجودة داخل الخانقاوات والزوايا الدمشقية على اختلافها الإدارية والدّينيّة والخدمية.

– تنوعت مصادر الأوقاف في دمشق، فشملت المزارع والقرى والطواحين والمعاصر والأشجار وقطع الأراضي والحوانيت والبساتين.

– خصصت الأوقاف لتقديم الرعاية الصحية للمرضى في البيمارستانات، وخصوصاً

مرضى الجذام من حيث الاعتناء بهم وصرف الأدوية لهم.

– أدّت الأوقاف من الناحية الثقافية دوراً مهماً، من خلال الأوقاف التي أوقفت على مختلف المؤسسات التعليمية من مدارس ومساجد وجوامع وخانقاوات وزوايا.

– بيّنت سجلات مدينة دمشق، تنوّع الأوقاف فيها، فشملت المباني والمنشآت سواء أكانت مخصصة لأغراض دينية أو علمية أو صحية.

– يمكننا حسبان الاهتمام بالأوقاف ظاهرة من ظواهر النشاط السّياسيّ الدّينيّ في عصر المماليك البحريّة، إذ أبدى سلاطين المماليك رغبتهم إلى زيادة المنشآت الوقفية لاستمالة فئات الشّعب المختلفة.

المصادر والمراجع

– إبراهيم، عبد اللطيف، **دراسات تاريخية في وثائق من عصر الغوري**،جامعة القاهرة،القاهرة، 1956.

– أمين، محمد، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار الكتب والوثائق القومية**،القاهرة،2014.

– الحزوري، حسام الدين،**الحركة الفكرية ومراكزها في دمشق في عصر المماليك البحريّة**،الهيئة العامة السورية،دمشق،2011

– ابن خلدون، **المقدمة،** دار الشعب، القاهرة، 1985.

– زيادة، نقولا، **دمشق في عصر المماليك،** مكتبة فلسطين، بيروت،1966

– العبدري، محمد، **رحلة العبدري** ، دار سعد الدين، دمشق، 1999.

– عشوب، عبد الجليل،**كتابالوقف**،المكتبة المكيّة، القاهرة،2000.

– أبو غازي، عماد بدر الدين، **تطور الحياة الزراعية زمن المماليك الجراكسة**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2000.

– القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج3، المطبعة الأميرية، القاهرة،1913.

– لبنية، بوران ، **الخانقاوات والزوايا الدمشقية**،الجامعة الأردنية، عمان،2004.

– المقريزي، تقي الدين أبي العباس،**الخطط المقريزية**، دار الذخائر، القاهرة،2002.

– نجيب، عامر، **الحياة الاقتصاديّة في مصر في العصر المملوكي**، دار الشروق،2003.

– النعيمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس**، ج1، دار الكتب العلمية،بيروت، 1990

تأسيس يوغسلافيا[1]

أسيل محمد عبيد القريشي

أ.د محمد علي القوزي مشرفًا رئيسًا

أ. د راما دراز مشرفًا مشاركًا

المستخلص

كان من طموحات السّلافيّون الجنوبيون هو حصولهم على الاستقلال التام، لكن طموحهم الاكبر هو قيام دولة خاصة بهم، واتت الرياح بما اشتهت سفنهم عقب نهاية الحرب العالمية الأولى وتفكك الإمبراطورية النمساوية – والمجرية وانهزام الدّولة العثمانية بموجب معاهدة سيفر، منح هذا الامر فرصة للسلافيين الجنوبيين للإعلان عن قيام دولتهم التي عُرفت بمملكة الصّرب والكروات والسلوفنيين في كانون الأول عام 1918، وبمرور الوقت أصبحت تعرف رسميًا بأسم مملكة يوغسلافيا وذلك في عام 1929.

اعطى الموقع الجغرافي أهمية كبيرة لدولة يوغسلافيا، ولم تختلف يوغسلافيا كثيرا عن الدول المجاورة لها، ولكنها تميزت بتنوعها العرقي والمذهبي والديني. أن كلمة يوغسلافيا تتكون من مقطعين باللغة الصّربو – كرواتية (Jugo) وتعني الجنوب و (SLav) وهم القومية السّلافيّة، وبعد عام 1929 تم الإعلان عن اسم المملكة الجديد وهو مملكة يوغسلافيا، بعد أن كان اسمها مملكة الصّرب والكروات والسلوفنيين عند تأسيسها في الأول من كانون الأول عام 1918، والذي استمر حتى عام 1945، إذ تم انهاء الحكم الملكي وإعلان الحكم الجمهوري في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام 1945 بزعامة المارشال يوسيب بروز تيتو

الكلمات الافتتاحية: – يوغسلافيا– الصّرب –الكروات– العرقيّة– كاراجورجفيج– الدّستور

1 بحث تكميليّ لنيل درجة الدكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر

Abstract

One of the ambitions of the South Slavs was to gain complete independence, but their greatest ambition was to establish a state of their own, and the winds blew as their ships desired following the end of World War I, the disintegration of the Austro-Hungarian Empire, and the defeat of the Ottoman Empire under the Treaty of Sevres. This gave the South Slavic's an opportunity to announce them. The establishment of their state, which was known as the Kingdom of Serbs, Croats and Slovenes.

The geographical location gave great importance to the state of Yugoslavia, and Yugoslavia did not differ much from its neighboring countries, but it was distinguished by its ethnic, sectarian and religious diversity. The word Yugoslavia consists of two syllables in the Serbo-Croatian language (Jugo), which means south, and (Slav), which is Slavic nationalism. After 1929, the new name of the kingdom was announced, which is the Kingdom of Yugoslavia, after its name was the Kingdom of Serbs, Croats and Slovenes when it was established on the first of January 1918, which continued until 1945, when the monarchy was ended and republican rule was declared on the twenty-ninth of November 1945 under the leadership of Marshal Josip Broz Tito.

Keys words: - Yugoslavia - Serbs - Croats - Ethnicity - Karađorđevic - Constitution.

مقدمة

لقد بدأت الدّولة القومية اليوغوسلافيّة كحلم للمثاليين في القرن التاسع عشر الذين تصوروا اتحادًا سياسيًا بين المجموعات السّلافيّة الجنوبية الرئيسية: الكروات، والصّرب، والسلوفنيين، والبلغار. ولكن بحلول القرن العشرين، كانت كل مجموعة من هذه

المجموعات، فضلا عن عدد من المجتمعات العرقيّة الأصغر داخل أراضيها، قد شهدت قرونا من التأثيرات الثّقافية والسّياسية المتنوّعة للغاية. في ظل هذه القيود، تشكّلت مملكة الصّرب والكروات والسّلوفنيين والتي أعيدت تسميتها فيما بعد بمملكة يوغوسلافيا بوصفها ملكية دستوريّة بعد الحرب العالمية الأولى. أصبحت يوغوسلافيا حقيقة واقعة في عام 1918،

يحلل هذا البحث الظروف والاحداث التي أدت الى قيام دولة يوغسلافيا واعتمدت على عدد لا بأس به من المصادر التي أسهمت في وضع خطة كتابة الموضوع بالشكل المطلوب.

قّسّم البحث الى قسمين: القسم الأول تناول جذور التكوين لدولة يوغسلافيا، أما القسم الثاني فتناول تأسيس دولة يوغسلافيا 1918.

أوّلًا: جذور التّكوين لدولة يوغسلافيا

شكّلت المصلحة المشتركة للشعوب السّلافيّة الجنوبية[1] في مقاومة المحتلين المتمثلين بالدّولة العثمانية والامبراطورية المجرية- النمساوية فكرة التقارب الثقافي والسياسي، وإنشاء دولة مشتركة لهذه الشعوب، ونشأت الفكرة من التقارب في الأصل العرقيّ واللّغة والثّقافة، وأصبحت هذه الحركة ملموسة في الثّلاثينيات من القرن التّاسع عشر، إذ نشأت الحركة في كرواتيا، وكانت بقيادة ليوديفيتا كايا (Leodivita Kaya)، إذ كانت تلك الحركة وطنية بالدرجة الأولى، فضلًا عن كونها حركة ثقافية وسياسية كرواتية، وكانت ذات أهمية استثنائية بالنسبة للشعب الكرواتي، لأن الوعي بالانتماء الوطني قد أستيقظ، وانه لابد من أن يكون هناك تجمع أوسع للشعوب السّلافيّة تحت الاسم الإيليري[2]، والذي كان محاولة لمقاومة الشعب الكرواتي ضد السّيطرة النّمساويّة -المجريّة، إذ رأى كايا أن السّلاف الجنوبيين نشأوا من الإيليريين القدماء، وكان اسم إلير غالبًا هو تسمية

1 السّلاف هم أكبر مجموعة عرقية لغوية في أوروبا، وتقسم السّلاف الى ثلاث مجموعات، السّلاف الغربيين وتضم التشيك والبولنديين، والسّلاف الشرقيين ويمثلون الروس والاوكرانيين وروسيا البيضاء، والسّلاف الجنوبيين يمثلون شعوب دولة يوغسلافيا من الصرب والكروات والسلوفنيين والبلغار. للمزيد انظر: Ramet, 1978, pp.79-101.

2 هم مجموعة من القبائل الهندية الأوروبية عاشت في العصور القديمة، وسكنوا أجزاء من غربيّ البلقان وجنوب شرقي شبه الجزيرة الإيطالية، عرف الإغريق والرومان القدماء الإقليم الذي سكنته هذه القبائل باسم إيليريا، وبحسب التعاريف الواردة في كتاباتهم القديمة فقد كان هذا الإقليم يشمل دولة يوغوسلافيا السابقة وأجزاءً من ألبانيا الحديثة، وهي منطقة تمتدُّ ما بين البحر الأدرياتيكي غرباً ونهر درافا شمالًا ونهر مورافا شرقاً ومنبع أوس جنوباً. انظر: A. Frazee, 1997, p.89

للكروات، خاصة في أوروبا الغربية وكان الكروات على استعداد للتنازل عن اسمهم لصالح اسم إيليري مشترك(Hupchick,2002,p.198.)

تشكلت الفكرة اليوغوسلافيّة لأول مرة في الحركة الإيليرية، ولم يتم إبراز التوحيد السياسي مع الشعوب السّلافيّة الجنوبية الأخرى (بما في ذلك البلغار) كهدف مباشر، وفي الواقع لم يتم صياغة الأفكار السياسية الأخرى رسميا أيضا (Sirotković, Margetić,1988,p.140.

رفض الصّرب والسلوفنيون قبول الاسم والبرنامج الإيليريين، لذلك اقتصرت حركة الإحياء الإيليري على المناطق الكرواتية، إذ كان الهدف الذي تم تحديده هو تطوير الوعي الوطني والتغلب على التجزئة في المقاطعات الكرواتية غير الموحدة بهدف توحيدها، فضلًا عن ذلك أراد الكرواتيون إيقاف تفشي القومية الهنغارية من خلال إدخال اللغة الوطنية الكرواتية بوصفها لغة رسمية، وهذا هو السبب في أن الحركة الإيليرية واجهت خصوما لاسيما من المجريين (Davorin, Čobanov, 2009,p.289).

كان يوسيب يوراي ستروسماير (Joseph Yuray Strossmayer) أول من طورَّ فكرة قيام دولة يوغوسلافيا بوصفها برنامجًا سياسيًا بعد التوحيد الثقافي، واستندت فكرة ستروسماير على حقيقة أن الشعوب اليوغوسلافيّة قد تشكلت بالفعل على المستوى الوطني، لذلك يجب أن تعيش أخيرًا في حالة شعوب متساوية متحدة، لذا لم تعد الفكرة تشمل البلغار في الأفكار حول إنشاء الدّولة اليوغوسلافيّة التي نشأت من القرن التاسع عشر (Davorin, Čobanov, 2009,p.289)، ويمكن رؤية نقاط البداية لفكرة ظهور الدّولة الجديدة عند غالبية السياسيين الكروات في وقت لاحق.

ظهر في كرواتيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تيار سياسي جديد مناهض لأفكار الحركة اليوغسلافية، مثلَّ هذا التيار مؤسسي حزب الحق الكرواتي (The Croatian Party of Right –Hrvatska Panka prava)) بزعامة انته ستارجفيج (Ante Starćveić) وأوكين كفاتيرنيك (Eugen Kvaternik)، وكان برنامج هذا التيار السياسي متطرفًا يسعى لتحقيق بناء (دولة كرواتيا الكبرى) المستقلة عن هيمنة الإمبراطورية النمساوية– المجرية، والتي تضم الكروات والبلغار باعتبارهم عرق نقي على خلاف القومية الصّربية التي تضم العديد من القوميات

.(Djilas,1991,p.3)

كانت السياسة الصّربية تهدف إلى إنشاء (دولة صربيا الكبرى)، وكان هذا المشروع بقيادة الحزب الراديكالي الصّربي (Srpska Radikalna Panka –Serbian Radical Party) الذي تم تأسيسه عام 1881 بزعامة نيكولا پاشيچ (Nikola Pašić) [1]، ونص برنامجه السياسي على ضرورة قيام نظام مركزي الحكم للدولة الصّربية، وان تكون الأقاليم المنضوية تحت حكمه من العرق الصّربي، تجمعهم لغة واحدة وديانة واحدة وهي المسيحية الارثوذكسية، فضلًا عن تأكيدهم ضرورة ضم منطقة البوسنة والهرسك بسبب موقعها الجغرافي المطل على بحر الادرياتيك(Banac,1992,pp.303-305)، وبُذلت الجهود لاستعادة «إمبراطورية دوشان» كنواة لتجمع الشعوب السّلافيّة الجنوبية الأخرى (Davorin, Čobanov, 2009,p.290).

في العام 1903 بدأت العلاقات الصّربية- الكرواتية تشهد تحسنا ملحوظًا، وهذا انعكس بدوره على السّلاف الجنوبيين، إذ قتل ملك الصّرب الكساندر ابرنوفيج (Aleksandr Obrenović) [2]، وتولى العرش الملك بيتر كاراجورجفيج (Peter Karađorđevíc) [3] وكان الأخير معروضا بكرهه لأسرة هابسبورغ، وهذا ما شجع على التقارب بين الشعوب السّلافيّة(Hupchick,2002,p.308).

وفي إطار ذلك التعاون تم تشكيل ائتلاف سياسي صربي-كرواتي عام 1905، ضم العديد من الأحزاب الصّربية والكرواتية، وكان هذا الائتلاف بزعامة السياسي الكرواتي

---

1 **نيكولا پاشيچ:** زعيم صربي من أصول بلغارية ولد في قرية فيلكي ازفور (Veliki Izvor) الواقعة بالقرب من مدينة زايجر (Zaječar) شرق إمارة صربيا في الثامن عشر من كانون الأول عام1845، كان زعيما للحزب الراديكالي وأنتخب في عام 1889، تولى منصب عمدة بلغراد عام 1897، أصبح رئيساً لوزراء صربيا في الأعوام 1891 – 1904-1892، تم انتخابه رئيساً للوزراء ولعدة مرات حتى وفاته في العاشر من كانون الأول 1926. انظر: Станковић, б. д, ,p. 25-75.

2 **الكساندر ابرنوفيج** (1903-1876): آخر سلالة ابرنوفيج ، تولى العرش تحت وصاية والدته لان كان يبلغ من العمر فقط العمر ثلاثة عشر عاماً، بعد تنازل والده الملك ميلان عن العرش عام 1889، اغتيل اثر انقلاب عسكري من قبل الضباط الصرب في الرابع عشر من اب/ أغسطس عام 1903، لتبدأ بعدها اسرة كاراجورجفيج الحكم حتى عام 1945. أنظر: Хоптнер, 1964,p.245.

3 **بيتر كاراجورجفيج** (1921-1844): أخر ملوك صربيا، وأول ملك لمملكة الصرب والكروات والسلوفنيين عام 1918، تم انتخابه ملكاً لصربيا من لدن البرلمان الصربي بعد مقتل الكساندر ابرنوفيج عام 1903،تنازل عن العرش لولده الملك الكساندر بعد مرضه، توفي عام 1921. انظر:
Bataković, 2002, p.352; Hupchick, 2002, p.308.

السياسي انته ترومبيج [1](Ante Trumbic)، ودعا هذا الائتلاف الى إقامة دولة سلافية جنوبية مستقلة(Lampe,2000,p.77).

بعد اندلاع الحرب العالميّة الأولى (1914–1918)، بدأت التكهنات حول سقوط مملكة النمسا–المجر، وبدأت مجموعة من السياسيين الكروات والمسؤولين الحكوميين بالهروب إلى الخارج، وتغلبت فكرة تحرير المناطق السّلافيّة الجنوبية من الحكم النمساوي –المجري وتوحيدهم مع صربيا والجبل الأسود على أذهانهم، وفي الثلاثين من شهر أبريل/ نيسان 1915، أسسوا اللجنة اليوغوسلافيّة، التي عملت على تحقيق هذا الهدف، فضلًا عن السياسيين الكروات، كان هناك أيضا ممثلون عن صربيا وسلوفينيا في اللجنة وكانت اللجنة برئاسة الدكتور أنته ترومبيج (Davorin, Čobanov, 2009,p.291).

لم يكن النّشاط الدعائيّ القوي للجنة الإطاحة بالنّمسا والمجر مناسبًا لقوى الوفاق، التي لم يكن لها هذا الهدف في بداية الحرب، وفد عرف السياسيون الذي هاجروا خارج اراضيهم أن التوحيد لم يكن ينظر إليه على قدم المساواة من كلا الجانبين، إذ يعتقد نيكولا باشيج، أنّ دولة جديدة يجب أن تنشأ من صربيا، وأن الكروات والسّلوفنيين يجب أن يندمجوا مع الصّرب في دولة واحدة، وكانت إيطاليا ضد الوحدة اليوغوسلافيّة على وجه التحديد بسبب تطلعاتها الإقليمية على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي، لذا كانت متفقة مع صربيا بشكل مشترك، ونجحا في ذلك، وأن تكتسب اللجنة اليوغوسلافيّة شرعية ممثلي الدول الحليفة أمام قوى الوفاق، وهو الأمر الذي أرادته صربيا لنفسها فقط حتى تتمكن من القيام بعملية التوحيد وفقا لشروطها، إذ يمكن لممثلي «الدول» المعترف بها بعد الحرب، أن يدافعوا عن دولتهم في مؤتمر السّلام. على عكس اللّجنة اليوغوسلافيّة، فقد تم الاعتراف باللّجان الوطنية للشعبين التشيكوسلوفاكي والبولندي من قبل فرنسا وبريطانيا العظمى في عامي 1917 و1918(Davorin, Čobanov, 2009,p.291).

1 **أنته ترومبيج (1868–1938):** سياسي كرواتي، ولد في مدينة سبلت الكرواتية التي كانت خاضعة آنذاك لسيطرة الإمبراطورية النمساوية – المجرية عام 1864، أصبح رئيساً لبلدية سبلت منذ عام 1905 قام بتأسيس لجنة اليوغسلاف مع مجموعة من السّلاف الجنوبيين في المنفى في إيطاليا بعد قيام الحرب العالمية الاولى سعياً لإقامة دولة موحدة تضم الصرب والكروات والسلوفنيين، أصبح أول وزير للخارجية في المملكة على الرغم من معارضة الراديكاليين، طالب بإقامة دولة فدرالية، وهذا ما تعارض مع المركزية الملكية. انتخب عام 1927 ممثلا للكتلة الكرواتية وأصبح زعيماً لها في عام 1933، توفى عام 1938. للمزيد عن دوره السياسي. انظر: Tucker, 2005, p. 1189; Ramet, 2006, p.57.

ثانيًا : تأسيس دولة يوغسلافيا 1918

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر صربيا واللجنة اليوغوسلافيّة حول التنظيم الداخلي للدولة المستقبلية، إلا أنهما اتفقا على أن الأمر يتعلق بتوحيد نفس **«الأمة الثلاثة أو الثلاث قبائل"**، وفي حزيران /يونيو وتموز / يوليو1917، انعقد مؤتمر لأعضاء الحكومة الصّربية مع الرئيس نيكولا باشيج ووفد اللجنة اليوغوسلافيّة برئاسة أنته ترومبيج في كورفو، ووقع على الإعلان الختام باشيج وترومبيج أراد ترومبيج التوحيد بأي ثمن بسبب الادعاءات الإيطالية بشأن الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي واحقيتها في الاستحواذ، وتم الاتفاق على أن الصّرب والكروات والسلوفنيين سوف يتحدون بإرادتهم الحرة في دولة مشتركة، ملكية دستوريّة وبرلمانية خاضعة لأسرة كاراجورجفيج [1]،أنه توحيد أمة ثلاثية الأسماء(Петрановић,1918,p.19)

ويظهر ان الجماعة اليوغسلافية استثمرت اعلان الرئيس الأمريكي (توماس وودرو ولسن Thomas Woodrow Wilson 1913 - 1921)[2] لنقاطه الأربعة عشر والتي تضمن حق الشعوب في تقرير مصيرها (Heckscher, 1991, p.459-474)، لذا كانت تلك النقاط بمثابة الحجر الاساس الذي اعتمد عليه اليوغسلافيون في اعلان مملكتهم، وعلى أثر نهاية الحرب وتفكك تلك الامبراطوريات والتي كانت مهيمنة على معظم دول البلقان، ظهرت دولتان يوغسلافيتان الأولى في الشمال ضمت كرواتيا وسلوفينيا والبوسنة عاصمتها زغرب، والثانية في الجنوب والتي ضمت صربيا وفويفودينا والجبل الأسود وعاصمتها بلغراد(Pešic,1996,p5)

في غضون ذلك، قامت الجمعية الوطنية في الجبل الأسود، وتحت الضغط الصّربي

---

1 **اسرة كاراجورجفيج** هي من الاسر الكاثوليكية الذين سكنت في الجبل الأسود ومن ثم غادرت الى صربيا، مؤسسها هو كاراجورج أو المعروف ب جورج الأسود الذي اغتيل من قبل رجال ميلوش أوبرينوفيج في 24 تموز/ يوليو عام 1817، حيث بدأ عهد الاسرة الأخيرة حتى عام 1903 حيث استطاع احد الضباط الصرب من قتل اخر امير من سلالة أوبرينوفيج ليعود الحكم لأسرة كاراجورجفيج مرة أخرى، ومنذ منتصف عام 1914 اختير الأمير الكساندر وريثاً شرعياً لعرش صربيا بعد ان تنازل والده الملك بيتر الأول في الثاني والعشرين من شهر حزيران من نفس العام عن العرش مدعياً المرض. للمزيد انظر: القريشي، 2014، ص 45.

2 **ودرو ويلسن** (1856-1924): ولد عام 1856 في ولاية فرجينيا، مارس العمل الأكاديمي حتى أصبح رئيساً لجامعة (برنستون Princeton) ، ثم حاكماً لولاية نيوجيرسي منذ عام 1911 حتى فوزه مرشحاً عن الحزب الديمقراطي في الانتخابات الرئاسية عام 1912 لدورتين متتاليتين. اشتهر بمبادئه الأربعة عشر وانشاءه لعصبة الأمم، حصل على جائزة للسلام توفى عام 1924. انظر:

New Age Encyclopedia, 1980, pp. 387 - 390.

المتزايد بعزل الملك نيكولا بتروفيج (Никола Петровић)[1] والاعلان عن نيتهم قيام الاتحاد مع صربيا، إذ أرسل المجلس الوطني وفدًا إلى بلغراد لمقابلة الأمير الكساندر كاراجورجفيج (Александар Карађорђевич)[2] الوصي على عرش صربيا، وتقديم طلب له من اجل الاتحاد مع صربيا في مطلع تشرين الأول عام 1918، وبذلك قامت دولة الجنوب وعاصمتها بلغراد بعد ان قامت فويفودينا كذلك بالاتحاد مع صربيا في تشرين الثاني عام 1918(**Jelavich,1999,p.147**).

بالمقابل، أقدمت دولة الشمال وعاصمتها زغرب بفعل مخاوفها من الاطماع الإيطالية في الاستيلاء على أراضيها على تقديم طلبها الى دولة الجنوب في السابع والعشرين من شهر تشرين الاول/ أكتوبر عام 1918، ابدت فيه رغبتها بالانضمام الى دولة الجنوب وإعلان الاتحاد معها (**Krizman,1977,p.223-224**)، حتى جاء يوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه، ليعلن انضمام دولة الشمال إلى مملكة صربيا والجبل الأسود وفويفودينا، ليأتي فيما بعد الاعلان عن تأسيس مملكة سميت بمملكة الصّرب والكروات والسلوفينين (Kraljevina Srba ,Hrvata i Slovenaca –Краљевина Срба, Хрвата, Словенаца) في الأول من كانون الأول/ ديسمبر عام 1918، وكان هذا ايذانًا لظهور دولة موحدة عرفت فيما بعد باسم مملكة يوغسلافيا الحديثة والتي أصبح لها دور بارز في تاريخ أوربا الشّرقية (القريشي،2014، 41-40).

مع إنشاء دولة جديدة نشأت مسألة الاعتراف بها، حتى ذلك الحين كانت صربيا والجبل الأسود خاضعتين للقانون الدولي، ولم يكتفِ الاعتراف بهما، لكنه لم يمتد إلى الدّولة المنشأة حديثا، في مرحلة التّحضير لمؤتمر السلام في باريس عام 1919، أثيرت مسألة الاعتراف كونها ضرورة ملحة، لأنّ الدّولة غير المعترف بها ستكون في موقف صعب فيما يتعلق بالأراضي التي تطالب بها إيطاليا. كانت حكومات القوى العظمى

1 **نيكولا بتروفيج** (19 تشرين الأول عام 1840 -2 اذار 1921): حكم الجبل الأسود من عام 1860 حتى عام 1918، واتخذ لقب ملك بعد إعلانه الجبل الأسود مملكة، تنازل عن السلطة في عام 1918. للمزيد. انظر: Ђурић, Павловић, 2010, ctp.52.

2 **الكساندر كاراجورجفيج** (1934-1888) او الكساندر الأول والمعروف أيضاً باسم ألكساندر الموحّد ، أصبح وريثاً لعرش مملكة صربيا عام 1914، وبعد اعلان تشكيل مملكة الصرب والكروات والسلوفنيين اصبح ملكاً عليها بعد تنازل والده الملك بيتر الأول في العام 1921، إذ اعلن في الأول من كانون الثاني عام 1929 ، عن تغيير اسم المملكة الى مملكة يوغسلافيا واصبح بذلك ملكاً لمملكة يوغسلافيا حتى العام 1934، اذ تم اغتياله في مدينة مرسيليا بفرنسا ، من قبل البلغاري فلادو جرنوزمسكي(Vlado Černozemski _Владо Черноземски) أثناء زيارة رسمية. للمزيد. انظر: Тодоровић, 2006, p.14-136.

المتحالفة مقيدة، ولم تتسرع في الاعتراف: قررت فرنسا، بدافع من إيطاليا، الاعتراف بمملكة الصّرب والكروات والسلوفنيين، في حين تركت بقية الدول مسألة الاعتراف لمؤتمر السلام، إن الاعتراف بالدّولة الجديدة يعني أن دولة جديدة قد تم إنشاؤها بالفعل (Davorin, Čobanov, 2009,p.299).

منذ البداية، كانت هناك خلافات كبيرة وتطلعات متعارضة وتوقعات مختلفة لعملية التوحيد، إذ نظر السياسيون الكرواتيون والسلوفنيون إلى الحالة المشتركة للسلاف الجنوبيين باعتبارها صلة بين الدول المنفصلة وكيانات الدّولة في دولة اتحادية مشتركة، وخلال الحرب العالمية الأولى(1914-1918) رأى السياسيون الصّرب في فكرة التوحيد إمكانية توسيع صربيا لاسيما بسبب حقيقة أنهم كانوا إلى جانب قوى الوفاق المنتصرة، كانت الاختلافات في مقاربة فكرة التوحيد هي أيضا بذور الصراع في الدّولة المشتركة المستقبلية، أرادت صربيا تعزيز موقعها في البلقان بهذه الطريقة وتضمين جميع الدول الصّربية في إطار دولة واحدة مع كرواتيا وسلوفينيا لإنشاء دولهم الخاصة خارج إطار الملكية النمساوية- المجرية ومنع التطلعات الإيطالية نحو أراضيهم، في حين كانت بعض القوى العظمى مهتمة أيضا بالحفاظ على امبراطورية النمسا-المجر بدلًا من تدميرها، كونها إحدى الدعائم الأساسية للنظام السياسي في أوروبا آنذاك(Бартуло вић,Ранђеловић,2012,p.165

غطت مملكة الصّرب والكروات والسلوفنيين مساحة واسعة إذ بلغت مساحة المملكة ما يقارب (666,248) كم^2 وبلغ عدد سكانها وفقًا لإحصائية عام 1921 عشرين مليون نسمة، من مختلف القوميات والأديان، فكان الصّرب يؤلفون الأغلبية تلاها الكروات ومن ثم السلوفنيين وعدد من القوميات الأخرى [1]، فضلا عن تعدد المذاهب والأديان (عبد القادر، 1996، ص73) .

فضلًا عن المشاكل الاقتصادية المتراكمة، ظهرت مشكلة تنظيم الدّولة أمام الدّولة الجديدة، أي العمل على وضع النظام القانوني والسياسي حتى اعتماد الدّستور، الذي

1 تعددت القوميات في المملكة، إذ كان هناك أكثر من 25 قومية كانت الصرب اكبرها تلتها الكروات ومن ثم السلوفنيين والمقدونيين والالبانين والمجريين والاتراك والبلغار والرومانيين والروس والتشيك والايطاليين والأوكرانيين والغجر والبوسنيون وعدد من القوميات الأخرى. أنظر:
Архив Југославије , Фонд бр.103, Фасц.бр116, ctp.1.

سيؤسس لدستور فريد من نوعه، ويرسخ الوضع القانوني في المملكة، إذ كانت النزاعات حول تنظيم الدّولة هي إلى حد كبير انعكاس للاختلافات الكبيرة التي كانت قائمة بين أجزاء معينة من البلاد من الناحية الاقتصادية والسياسية والجغرافية والثقافية والقانونية للذين يريدون أن يصبحوا أمة واحدة، فقد نشأ السؤال حول كيفية تنظيم هذه المملكة، التي تم إنشاؤها على أنقاض قوة عظمى عمرها ألف عام.

جغرافيًا امتازتْ المملكة بموقع جغرافي سياسي مهم، إذ تقع يوغسلافيا في جنوب شرق أوروبا، ويحدُّها من الشمال المجر والنمسا، ومن الجنوب البانيا واليونان، ومن الشرق بلغاريا ورومانيا، ومن الغرب بحر الأدرياتيك وإيطاليا(الغريري ، 1988، ص15)، وبذلك مثلت جسرًا بين أوربا الوسطى وآسيا الصغرى والشرق الأوسط، إذ كان الرابط مفتوحًا نحو البحر المتوسط ومتصلًا بالبحر الأسود عبر نهر الدانوب، وعليه، كان لذلك الموقع أهمية بالغة؛ ليس فقط من ناحية السياسة الخارجية، ولكن أيضًا من الناحية الاقتصادية ، إذ تم إنشاء منطقة اقتصادية جديدة تمامًا، عقب تفكك اقتصاديات الامبراطوريات الكبرى نتيجة الحرب العالمية الأولى(Bićanić,1973,p.1) لذا، بدأ التكيف والتكامل التدريجي للمنطقة الجديدة، الذي لم يحدث بهدوء أو دون جهد، بفعل وجود الصراعات السياسية، فضلًا عمّا تمخض من الحرب من ازمات اقتصادية حادة(Bićanić,1967,p.84).

كان هناك عدد من الأحزاب التي ساهمت في العملية السياسية للمملكة الفتية، إلا ان صراع القوميات والخلافات السياسية ، أدى الى وجود حزبين بارزين في الساحة السياسية، هما الحزب الراديكالي الشعبي (People's Radical Party –Narodna Radikalna Panka) والحزب الديمقراطي اليوغسلافي(Yugoslav Democratic Jugoslovenska demokratska Panka–Party)، وكانا هذان الحزبين من أهم الأحزاب المسيطرة على دفة الحكم وكان لكل منهما وجهة نظر في طبيعة النظام الذي يجب أن يتبع في إدارة المملكة فقد أراد الحزب الراديكالي الشعبي أن يتبع نظام الحكم المركزي تحت قيادة الصّرب أما الحزب الديمقراطي اليوغسلافي فكانت لهم وجهة نظر مختلفة ،إذ أرادوا أن يتبعوا النظام الفيدرالي اللامركزي الذي تستطيع من خلاله القوميات المكونة للمملكة الحصول على بعض الاستقلالية (القريشي ، 2014، ص48–47).

تعد المرحلة التأسيسية من المراحل الانتقالية الصعبة لمملكة الصّرب والكروات والسلوفنيين، بسبب الخلافات بين الأحزاب السياسية، لاعتقاد الصّرب انهم عانوا اكثر من غيرهم خلال الحرب العالمية الأولى(Станковић,1985, p.265).

تشكلت الحكومة الجديدة بزعامة نيكولا باشيج الزعيم الصّربي، وأجريت انتخابات الجمعية التأسيسية في الثامن والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني عام1920، وحصد الصّرب نسبة عالية من المقاعد البرلمانية كونهم يمثلون نسبة (45%) من مجموع الشعب اليوغسلافي، فكانت لهم حصة الأسد في المقاعد بواقع مائة وثلاث وثمانون من أصل اربعمائة وتسعة عشر مقعدًا(Аврамовски,1986,p.37).

شارك في الانتخابات اثنين وعشرون حزبًا سياسيًا، كان أبرزها الحزب الديمقراطي بزعامة ليوبومير دافيدوفيج (Ljubomir Davidović) [1]، وسفيتوزار بريجيفيج (Svetozar Pribićević) [2]، وحصد أربعا وتسعون مقعدًا، والحزب الراديكالي الصّربي بواقع تسع وثمانون مقعدًا، في حين حصل الحزب الفلاحي الكرواتي وحزب الاتحاد الكرواتي على خمسين مقعدًا، وكانت الاحزاب السلوفينية قد حصلت على سبعة وعشرين مقعدًا وقد حصلت الأحزاب المسلمة اليوغسلافية على أربعة وعشرين مقعدًا (**Аврамовски, 1986,p.37**).

مع بداية كتابة الدّستور للمملكة اصطدمت وجهات النظر الموحدة والفيدرالية، إلى جانب عدد من الخلافات الأخرى والمصالح المتضاربة مع التنازلات والصراعات، تم تبني دستور فيدوفدان عام 1921[3] ، تم تشكيل مملكة الصّرب والكروات والسلوفنيين

1 **ليوبومير دافيدوفيج (1940-1863)**: سياسي صربي، كان عضواً في البرلمان الصربي، وقام بدور بارز في تأسيس الحزب الديمقراطي، شغل عدة مناصب مهمة في مملكة صربيا منها وزيرا للتعليم عام 1904، ورئيس الجمعية الوطنية عام 1905، ورئيس الدفاع الوطني عام 1908، كن ابرز المؤيدين للفكرة اليوغسلافية ، وكان احد أعضاء لجنة كورفو، اصبح رئيساً للوزراء لمملكة الصرب والكروات والسلوفنيين عام 1919واعيد انتخابه عام 1924، كان من المعارضين لقرار الملك الكساندر بإعلان الديكتاتورية الملكية عام 1929. انظر:

Petranović, 1988, p.95-139

2 **سفيتوزار بريجيفيج(1936-1875)**: سياسي صربي، شغل مناصب عدة، ابرزها وزيرا للداخلية 1920-1918، ووزيرا للتربية والتعليم للأعوام 1924-1922-1920و1925، أسس الحزب الديمقراطي وبعد خلافه مع أعضاء الحزب انشق وأسس الحزب الديمقراطي المستقل عام 1924، زج في السجن بعد معارضته لسياسة الملك عام 1929، افرج عنه في عام 1931 لسوء حالته الصحية، غادر الى باريس والف كتاباً بعنوان ديكتاتورية الملك الكساندر باللغة الفرنسية عام 1933، وبعد مقتل الملك في باريس عام 1934، تم اعتقاله من قبل السلطات الفرنسية، الا انه تم الافراج عنه ليرحل الى براغ حيث توفي هناك عام 1936 ، وتم نقل جثمانه في عام 1968 لعدم سماح الحكومة الملكية بنقل جثمانه وقتذاك ودفن في المقبرة الجديدة في بلغراد عام 1968.انظر: **Матковић, 1999, стр.270-289**.

3 كان دستور فيدوفدان أو دستور عيد القديس فايتوس هو أول دستور لمملكة الصرب والكروات والسلوفنيين، تمت الموافقة

كملكية دستوريّة برلمانية، على رأسها سلالة كاراجورجفيج Karađorđević ، ونظام ديمقراطي مركزي، إذ كان تكوينها المتعدد للقوميات هو الذي افترض ترتيبا وحدويا فيدراليا، إذ تنظيم الحكومة المركزية على أساس مبدأ الفصل بين السلطات، في شكل نظام برلماني لكن هذا المبدأ شوهته الأحكام المتعلقة باختصاص السلطات المركزية، وألغيت السمات الأساسية للنظام البرلماني، إذ كان الملك والجمعية التأسيسية يمارسان السلطة التشريعية بشكل مشترك(Jovanović,2009,p.25-26).

فضلًا عن المشاكل العامة والمعروفة، فإن مشكلة عمل الجمعية التأسيسية كانت ممثلة أيضا في النظام الداخلي المؤقت، الذي تم اعتماده بمرسوم الملك والذي نص من بين أمور أخرى، على أن النواب المنتخبين يقسمون أمام الملك، وهو ما عارضه بعض أعضائه، ولقد كان عمل البرلمان الشعبي منذ عام 1921 حتى التاسع والعشرين من تشرين الأول عام 1928 يسير بصورة طبيعية، وكانت عملية الانتخابات تتم بطريقة الاقتراع السري والمباشر، محددة بمدة الأربع سنوات، والتي هي عادة تكون مدة الدورة الواحدة(Аврамовски, 1986,p.40)، وكان عددًا من النواب الكروات قد قاطعوا جلسات البرلمان منذ عام 1921 حتى عام 1924 بسبب رفضهم التصويت على فقرات الدّستور لعام 1921 ومنها قيام النظام المركزين إذ انهم كانوا يطالبون بقيام نظام فيدرالي، واستمرت تلك المناوشات والمقاطعات بين النواب الصّرب والكروات داخل قبة البرلمان حتى وصلت ذروتها في عام 1928، عندما تم تبادل اطلاق النار داخل البرلمان من قبل احد النواب الصّرب الراديكاليين ليصيب خمسة نواب كروات توفي منهم اثنان على الفور فيما أصيب الاثنان الاخران بجروح خطيرة ، اما الخامس وهو زعيم الحزب الفلاحي الكرواتي ستيبان راديتج(Stepan Radić) بجروح قاتلة توفي بعدها بأيام قليلة، وكانت هذه الازمة قد أوصلت الحكومة الى ازدياد الخلاف والهوة بين الكتل السياسية ، الامر الذي دفع الملك الكساندر الى تعليق الحياة الحزبية وإعلان الديكتاتورية الملكية في عام 1929(Петрановић, 1992,p.88) .

عليه من قبل الجمعية الدستورية في الثامن والعشرين من يونيو/ حزيران 1921 على الرغم من مقاطعة =المعارضة للتصويت، تمت تسمية الدستور على اسم عيد القديس فيتوس (فيدوفدان) ، وهو عيد أرثوذكسي صربي. تطلب الدستور أغلبية بسيطة لتمريره، صوت لصالحه (223) من أصل 419 نائباً، فيما صوّت (35) ضده وامتنع (161) نائباً عن التصويت، كان الدستور ساري المفعول حتى أعلن الملك الكساندر ديكتاتوريه في السادس من يناير/ كانون الثاني في عام 1929. انظر:

Singleton, 1989, p.142.

الخاتمة

لقد كانت الدّولة اليوغسلافية التي تأسست في عام 1918، والني عرفت باسم مملكة الصّرب والكروات والسلوفنيين، قد امتازت بالتعددية والتنوع الديني والعرقي. وتسبب ذلك التنوع عن صراع سياسي عرقي بين الصّرب والكروات والذي اشتد في عام 1928، بسبب رفض الكروات الهيمنة الصّربية، ورفض الصّرب للوجود الكرواتي، وهذا ما أظهرته مقولة أحد النواب الصّرب عندما «**قال نحن لا نستبدل الدماء الصّربية بثيران كرواتية**».

لقد كانت الصراعات العرقيّة هي أحد الأسباب التي أدت الى قيام الصراعات الداخلية داخل المملكة وقيام الملك الكساندر في عام 1929 الى إيقاف العمل بالدّستور وإعلان الديكتاتورية المطلقة وإيقاف وحظر عمل الأحزاب السياسية.

المصادر

الوثائق غير المنشورة

1. Архив Југославије ,Фасцикла двор, Подела Краљевине Југославијк од стране сила осовине, Фонд бр.103, Фасц.бр116.

باللغة العربية

1. عبد القادر، حسين، 1996، انشطار يوغسلافيا –دراسة تاريخية تحليلية، ط1، مركز الدراسات العربي –الأوربية، باريس.
2. الغريري، عبد الحميد ياسين، 1988، يوغسلافيا الأرض والانسان، الأمانة العامة لإدارة الثقافة والشباب لمنطقة كردستان الحكم الذاتي.
3. القريشي، اسيل محمد عبيد ،2014، التطورات السياسية الداخلية في يوغسلافيا 1945-1918، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية – الجامعة المستنصرية، بغداد.

باللغات الاجنبية

أ. باللغة الإنكليزية

1. Frazee, Charles,1997, World History the Easy Way, Volume One, Barrons Educational Series.

2. Batakovíc, Dušan T., 2002, Belgrade in the Nineteenth Century: A Historical Survey, in the Serbian Studies, Journal of the North American Society for Serbian Studies, Bloomington, Indiana.
3. Bićanić, Rudolf, 1973, Economic Policy in Socialist Yugoslavia, Cambridge University Press.
4. Djilas, Aleksa, 1991, The Contested Country Yugoslav Unity and Communist Revolution, 1919-1953, Harvard University Press, London.
5. Heckscher, August, 1991, Woodrow Wilson 1856-1924 President United State-Biography, published by Charles Scriber's Sons, New York.
6. Hupchick, Dennis P, 2002, the Balkans from Constantinople to Communism, New York.
7. Jelavich, Barbara, 1999, History of The Balkans Twentieth Century, Volume 2, 14th edition, Cambridge University Press, Cambridge.
8. Lampe, John R,2000, Yugoslavia as History Twice there was a Country, 2nd edition, Cambridge University press, United Kingdom.
9. New Age Encyclopedia, 1980, 18th. ed., Vol.,19, Lexington, Lexicon Publication, Inc.
10. Pešic, Vesna, 1996, Serbian Nationalism and the Origins of the Yugoslav Crisis, United State Institute of peace, Washington.
11. Ramet, Pedro ,1978, Migration and Nationality Policy in Soviet Central Asia, Humboldt Journal of Social Relations, Vol. 6, No.
12. Ramet, Sabrina P. 2006, The three Yugoslavias: state-building and legitimation 1918-2005, Indiana University Press.
13. Singleton, Fred, 1989, A Short History of Yugoslav people, Cambridge university press, United Kingdom.
14. Tucker, Spencer, 2005, Encyclopedia of World War I: A Political, Social, and Military History ABC-CLIO, California.

ب. باللغة الصّربية

1. Аврамовски, Живко,1986, Британци о Краљевини Југославији: Годишњи извештаји Британског посланства у Београду 1921-1938, Београд.
2. Бартуловић Жељко & Ранђеловић, Небојша ,2012, Основи уставне историје југословенских народа, Ниш.
3. Bićanić, Rudolf ,1967, Ekonomske promjene u Hrvatskoj izazvane stvaranje Jugoslavije 1918, u: Prilozi za ekonomsku povijest Hrvatske, Zagreb.
4. Ђурић, Ђорђе, Павловић, Момчило,2010, Исторја за трећи разред гимназије природно-математичког смера ичетврти разред гимназије општег и друштвено -језичког смера, завод за уџбеника, Београд.
5. Davorin, Rudolf, Čobanov, Saša Jugoslavija,2009, Unitarna država ili federacija povijesne težnje srpskoga i hrvatskog naroda – jedan od uzroka raspada Jugoslavije, Zbornik radova Pravnog fakulteta u Splitu, Vol.46, No.2.
6. Хоптнер, Јаков Б., 1964, Југославија у Кризи 1934-1941, Превео Ото Ливац, Цолумбиа Университи Пресс, Нев Иоурк и Лондону.
7. Jovanović, Milan ,2009, Politički Sistem Srbije - Hrestomatija, Beograd, Univerzitet u Beogradu, Fakultet političkih nauka.
8. Krizman, Bogdan, 1977, Raspad Austro-Ugarske i stvaranje Jugoslavenske drzǎve, Zagreb, Śkolska Knjiga.
9. Матковић ,Хрвоје, 1999, Повијест Хрватска сељачке ранка, Наклада ПИП Павичић,Загтеб.
10. Петрановић, Бранко, 1918, Историја Југославије 1918-1988, књиге прве, Београд, 1918.
11. ________________ ,1992,Србија у другом светском рату 1939-1945, Војноиздавачки и новинарски , Београд.
12. ________________, 1988, Istorija Jugoslavije 1918-1988, Knjiga Prva,

Nolit, Beograd.

13. Sirotković, Hodimir & Margetić Lujo,1988, Povijest Države i prava Naroda SFR Jugoslavije, Školska knjiga, Zagreb.
14. Станковић, Ђорђе Ђ, Б.Д, Никола Пашић Савезници И Стварање Југославије, Нолит, Београд.
15. ______________________, 1985, Никола Пашић и југословенско питање (2) БИГЗ, Београд.
16. Тодоровић, Митар, 2006, Александар први – краљ Југославије1918–1934, Издавач: Архив Србије и Црне Горе, Београд.

موقف الأحزاب اللّبنانيّة الموالية للسّلطة والمعارضة لها من الوحدة العربيّة[1]

منذر محمد الصّميلي

أ. د. ميرفت عطاالله مشرفًا رئيسًا

أ. د. محمد علي القوزي مشرفًا مشاركًا

الملخص

تناول البحث موقف الأحزاب اللّبنانيّة الموالية «للسّلطة» والمعارضة لبيان الوحدة العربيّة، وذلك في المرحلتين الأولى قبل الوحدة العربيّة حيث مرّت العلاقات بين الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ والرّئيس جمال عبد النّاصر بتأييد تارةً ومن ثُمّ تعارض عقائدي واختلاف حاد تارةً أخرى حيث أدّى ذلك إلى تقارب جمع الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ والحكم اللّبنانيّ في عدائهما لعبد النّاصر.

وعلى الرّغم من تقاطع المواقف ما بين المسيحيين من جهة والحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ من جهة أخرى في معارضتهما للوحدة السّوريّة . المصريّة، إلاّ أنّ دوافع كلٍّ منها بقيت متباينة بصورة جذريّة، كما جاءت مواقف حزب الكتائب معتدلة خلال إدلاء رئيس الحزب الشّيخ بيار الجميل آنذاك بتصريحه مشككًا بالسّياسة السّوريّة المصريّة، أما الشّيوعيّون فلم يعارضوا قيام الوحدة لا بل أيّدوها حيث كان يهمّهم موقع لُبنان ودوره في السّياسة الأقليمية، وفيما خصّ الحزب التقدمي الاشتراكي فقد أيدّ الوحدة النّاصريّة حيث أعلن جنبلاط موقفه الصريح في خطابه الذي ألقاه في دمشق بتاريخ 9 آذار 1958 بتأييده المطلق للوحدة النّاصريّة.

Summary

The research examines the stance of Lebanese parties, both pro–"authority" and opposition, towards the declaration of Arab unity in the initial stages preceding Arab unity. During this period, relations between the Syrian Ba'ath Party and President Gamal Abdel Nasser fluctuated between

1 بحث أعد لاجتياز مرحلة الدكتوراه في التّاريخ الحديث المعاصر

occasional support and doctrinal opposition, leading to sharp differences at times, which ultimately led to a convergence between the Syrian Ba'ath Party and the Lebanese government in their hostility towards Nasser.

Despite the intersecting positions between Christians on one side and the Syrian Ba'ath Party on the other in their opposition to the Syrian-Egyptian unity, their motivations remained fundamentally divergent. The Kataeb Party's positions remained moderate, as evidenced by the statement of the party's leader, Sheikh Pierre Gemayel at the time, expressing skepticism towards the Syrian-Egyptian policy. The Arab Socialist Ba'ath Party, on the other hand, supported the unity. Meanwhile, the communists not only did not oppose the unity but also supported it, as they were concerned about Lebanon's position and role in regional politics. As for the Progressive Socialist Party, it endorsed the Nasserist unity, with Jumblatt explicitly declaring his support for it during his speech in Damascus on March 9, 1958.-

1 - موقف الأحزاب اللّبنانيّة الموالية للسّلطة، وبالمقابل مواقف الأحزاب والتيارات السّياسيّة المعارضة لها بالإضافة إلى مواقف فعاليات المجتمع المدني من الوحدة العربيّة

مرت العلاقات بين الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ، والرئيس عبد النّاصر بمرحلتين:

- المرحلة الأولى – قبل الوحدة:

حين حدث تقارب ين الجانبين، وشهدت اندفاعًا من قبل الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ باتجاه عبد النّاصر، وظهر ذلك عبر عناوين ومقالات صحيفة البناء الناطقة بلسان الحزب المذكور، حيث أيدت مواقف عبد النّاصر وأشادت بها، ثم ترجمت تلك الاندفاعة عبر قيام وفد قومي سوري[1]، بزيارة عبد النّاصر في القاهرة، الذي استقبلهم بحرارة وترحيب، وذكر عبد الله قبرصي أحد قياديي الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ

1 ضم الوفد كل من: غسان تويني، محمد البعلبكي، جبران حايك، عصام المحايري، وكذلك: كلف الصحافي أحمد شومان بمهمة مد الخيوط بين الحزب السوري القومي الاجتماعي وناصر، وشرح ملابسات مقتل رياض الصلح على يد القوميين، لما لشومان من علاقات شخصية مع ناصر، لكن المهمة لم تؤد غرضها المطلوب، راجع إبراهيم يموت، الحصاد المر، قصة تفتت قيادة حزب وتماسك عقيدة، منشورات دار الركن، لا مكان 1993، ص296.

آنذاك، بأن هناك أسبابًا عدة دفعت الحزب المذكور لمحاولة التقرب من ناصر، أهمها:

أ. تقاطع معظم مبادئ ثورة يوليو مع ما ينادي به الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ، مثل: العلمانيّة، محاربة الاستعمار والصّهيونيّة، ثم عدم قدرة الحزب المذكور على معاكسة التيار الشعبي الجارف المؤيد لناصر، حيث تقدم الولاء النّاصري، على ما عداه من عقائد، إضافة إلى حاجة القوميّين السّوريّين إلى دعم ناصر المادي والمعنوي لهم، فمعارضة ناصر، تعني خسارة الكثير من الحزبين والمؤيدين للحزب المذكور، لكن علاقة الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ بالرّئيس عبد النّاصر، ساءت بعد قيام الوحدة، ذلك أن عوامل التّباعد والاختلاف بين الحزب ودولة الوحدة، كانت أقوى من عوامل التّقارب بين الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ وناصر، وأتى الاختلاف العقائدي في مقدمة تلك العوامل، إذ رأى الحزب المذكور أن وحدة مصر الطبيعية هي مع وادي النيل وليست مع الهلال الخصيب[1].

ب. إن الصّراع الحزبي في سورية إبان مرحلة ما قبل الوحدة، جاء ليضيف عاملًا جديدًا في عوامل التباعد تلك، وفي هذا الصدد، رأى قبرصي أن تهافت الأحزاب السّياسيّة السّوريّة نحو عبد الله النّاصر، وتسابقهم في إعلان الولاء والتأييد له، ساهم في تشويه صورة الحزب القوميّ الاجتماعيّ لدى ناصر، فقد أقنعه البعثيون والشّيوعيّون السّوريّون بأن القوميّين السّوريّين هم الأعداء الطبيعيون للوحدة السّوريّة – المصريّة[2].

وشكل التعارض العقائدي أساس الاختلاف بين الرئيس عبد النّاصر والقوميّين السّوريّين في لبنان، ولم يأتِ نتاج المعادلة السّياسيّة الداخلية اللّبنانيّة، وللدلالة على ذلك، فقد عارض الحزب السّوريّ القوميّ حلف بغداد، بنفس وتيرة معارضته للوحدة السّوريّة – المصريّة، بينما أيدته الحكومة اللّبنانيّة، وذلك على الرغم من التقارب الطبيعي الذي جمع الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ والحكم اللّبنانيّ في عدائهما لعبد النّاصر[3].

– المرحلة الثانية:

بدأت خلالها معالم الصّراع السّوريّ القوميّ – النّاصري تظهر في البيانات الرسمية

1 عبد الله قبرصي، عبد الله قبرصي يتذكر، الجزء الرابع، دار الفرات للنشر، بيروت، 2004، ص148.
2 عبد الله قبرصي، المرجع نفسه، ص149.
3 النشرة الرسمية للحركة السورية القومية الاجتماعية، شباط 1958، العدد الثاني، السنة (26).

للحزب المذكور، بالتزامن مع ولادة الوحدة، فبتاريخ 3 شباط 1958، أي بعد يومين على إعلانها، وجه رئيس الحزب المذكور (جورج عبد المسيح) رسالة إلى شكري القوتلي، والملك حسين والملك فيصل، والمجالس النيابية في كل من دمشق وبغداد وعمان، جاء فيها: .. لقد كانت جامعة الدول العربيّة ارتجالًا سياسيًا ماسخًا لفكرة الجبهة العربيّة، لأن تلك الجامعة قامت على التجزئات الأجنبية الاستعمارية.. باسم السّوريّين القوميّين الاجتماعيّين في الوطن وعبر الحدود، نستوقفكم وصحبكم السّوريّين في مباحثات علمية (الاتحاد المصري الشامي) حيال المسؤولية التاريخية الخطيرة في ربط جزء من الوطن السّوريّ باتحاد مع غير وحدته الطبيعية بدلًا من تحقيق هذه الوحدة أولًا، وبالتالي في تعريض مصير الأمة كلها إلى ما يتنافى مع سيادتها على نفسها...[1].

وفي المقابل، أيد الحزب السّوريّ القوميّ مشروع «الاتحاد العربيّ» بين الأردن والعراق، كونه يحقق اتحاد جزئين طبيعيين من أجزاء سورية الطبيعية، ففي رسالة موجهة من الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ إلى الملك حسين، للتهنئة ببزوغ الوحدة السّوريّة، المتمثلة بقيام الاتحاد العربيّ بين الأردن والعراق، جاء فيها:

2 – **تهنئة جلالة الملك – حسين عمان**

... نقدم تهانينا للمبادرة البطولية التاريخية الرائعة التي اتخذتموها لتحقيق نواة الوحدة الطبيعية لوطننا العزيز، الهلال السّوريّ الخصيب...[2].

وفي لبنان أدى هذا التّنافر بين القوميّين السّوريّين وناصر، إلى فقدان الحزب المذكور العديد من مناصريه ومؤيديه، وخصوصًا من المسلمين الذين تأثروا بالتيار النّاصري الجارف، والذي تعزز أكثر بعد إعلان الوحدة، وبالمقابل، شهد الحزب إقبالًا من المسيحيين اللّبنانيّين الذين تقاطعت مواقفهم وتطلعاتهم التقليدية في المحافظة على استقلال لبنان، ومعارضة انضمامه إلى أية وحدة...، مع الموقف السياسي المرحلي للحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ، المعارض لهذه الوحدة النّاصريّة[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى بروز تيار داخل الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ، تخوف من التبعات السلبية التي يمكن أن تسببها معاداة القوميّين للرئيس عبد النّاصر، ووقوفهم

1 نقلاً عن النشرة الرسمية للحركة السورية القومية الاجتماعية، العدد الثاني، شباط 1958، السنة (26).
2 نقلاً عن المصدر نفسه، العدد الثاني، شباط 1958، السنة (26).
3 عبد الله قبرصي، المرجع نفسه، ص149.

بجانب السّلطة اللّبنانيّة، وبالتالي بجانب السّياسة الاشتراكيّ في المنطقة العربيّة، وترأس هذا النيار المعارض، القيادي جورج عبد المسيح الذي حاول لاحقًا (خلال أحداث العام 1958)، جر القوميّين للوقوف بجانب المعارضة، لكن حركته تلك لم تؤثر بشكل فاعل في الموقف الرسمي للحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ بجانب السّلطة اللّبنانيّة[1].

إذًا، فعلى الرغم من تقاطع المواقف ما بين المسيحيين وبين الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ، في معارضتهما للوحدة السّوريّة – المصريّة، فإن دوافع كل منها بقيت متباينة بصورة جذرية، فمعارضة القوميّين السّوريّين للوحدة، لم تنبع من دوافع المحافظة على استقلال لبنان، ككيان مستقل، وتجنبيه أخطار الذوبان في تلك الوحدة، وإنما جاءت من أجل جعله جزءًا من وحدة أخرى تفوق الوحدة السّوريّة – المصريّة، مساحة وسكانًا، ومن جهة أخرى، انبثقت معارضة المسيحيين اللّبنانيّين لتلك الوحدة، من خلال عاطفة تقليدية لديهم، عنوانها المحافظة على استقلال الكيان اللّبنانيّ كدولة مستقلة ذات سيادة وحضارة قومية لبنانية.

أما حزب الكتائب اللّبنانيّة، فلم يبد معارضته الواضحة لقيام الوحدة السّوريّة – المصريّة بعيد إعلانها، تفاديًا لمواجهة الرأي العام الإسلامي المؤيد للوحدة، داخل لبنان وخارجه، ففي خضم المهرجانات والاحتفالات الشعبية المؤيدة للوحدة، أدلى رئيس حزب الكتائب اللّبنانيّة الشيخ بيار الجميل، بتصاريح معتدلة فيما يتعلق بالحدث المذكور، لكنها اتسمت بالحذر والتوجس الشديدين من توجهات دولة الوحدة، سيما وأن الجميل كان دائم التشكيك والريبة من السّياسيّة السّوريّة تجاه لبنان، منذ الاستقلال وحتى قيام الوحدة. وقد زاد من حذره، ركوب السّوريّين التيار النّاصري الجارف في سائر الأقطار العربيّة، واعتبر الشيخ بيار الجميل أن هذا الاتحاد غير طبيعي[2]، ومفتقد لمقومات الوحدة الطبيعية لناحية الجغرافيا، والثقافة، والحضارة.. كونه ولد نتاج عوامل سياسية، وهو موجه ضد فريق عربي آخر، وبالتالي فإنه سيزيد من التفكك والتفسخ العربيّ، فهو وحدة فرعية تهدم مشروع الوحدة العربيّة الشاملة.

---

1 إبراهيم يموت، الحصاد المر، قصة تفتت قيادة حزب وتماسك عقيدة، منشورات دار الركن، لا مكان، 1993، ص331.
2 جريدة العمل، 4 شباط 1958، العدد (3622)، السنة (20).

وفي ما يتعلق بتأثير الوحدة على لبنان، عول الجميل على مواقف المسلمين اللّبنانيّين المؤيدين لها، من خلال تأكيدهم سيادة لبنان واستقلاله، وربط الجميل بين وحدة لبنان والوحدة العربيّة، إذ لا وحدة عربية من دون لبنان مستقل موحد، وفي هذا النطاق، حذر الجميل من أن كل تقارب يقوم به المسلمون اللّبنانيّون من الجمهورية العربيّة المتحدة، سيقابله تقارب المسيحيين من العراق ومشروعه للوحدة، وقال: عندما تريد طرابلس الوحدة مع الجمهورية العربيّة المتحدة، فماذا يمنع جونيه وبيروت من الاتحاد بالعراق..؟ لبنان لن يتنازل عن سيادته مادامت السماء سماءً والأرض أرضًا[1].

3 – مواقف الأحزاب والتيارات السّياسيّة المعارضة للسّلطة

يعدّ حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ، من أكثر الأحزاب المعارضة التي تفاعلت مع قيام الوحدة السّوريّة – المصريّة تأييدًا، وذلك بسبب التّوافق الطّبيعيّ بين ماهية ذلك المشروع الوحدويّ، وبين التّوجهات العقائديّة للحزب المذكور، ففكرة الاتّحاد بين مصر وسورية، طرحت من قبل حزب البعث العربيّ الاشتراكي، من خلال مشروع الميثاق، المقدم من قبل القياديّ البعثيّ أكرم الحوراني إلى لجنة الميثاق القوميّ للحزب في أوائل العام 1956[2]، وتكررت دعوة الحزب المذكور إلى قيام الوحدة بين مصر وسورية، في بيان أصدره حزب البعث العربيّ الاشتراكي بتاريخ 20 أيار 1956[3].

عقب إعلان قيام الوحدة السّوريّة – المصريّة، أصدر عدد من البعثيين اللّبنانيّين بيانًا موقعًا من قبلهم، تضمن تأييدًا كاملًا لدولة الوحدة، باعتبارها انتصارًا للقوى الثورية والتقدمية العربيّة، ودعا البيان المذكور لبنان لأن يكون في سياق هذا الركب التقدمي، من خلال انسجام سياسته الخارجية مع السّياسة النّاصريّة، والتحرر من الالتزامات السّياسيّة الغربية[4].

وفيما يتعلّق برؤية حزب البعث العربيّ الاشتراكي لموقع لبنان من الوحدة السّوريّة – المصريّة يقول جبران مجدلاني أحد مؤسّسي الحزب المذكور، إنّ انضمام لبنان إلى أي وحدة، يتم عبر إقناع الغالبية العظمى من اللّبنانيّين بهذا الهدف، وليس عبر إجبار

1 نقلاً عن جريدة العمل، 9 شباط 1958، العدد (3627)، السنة (20).
2 لم يؤخذ باقتراح الوحدة بين مصر وسورية، واستعيض عنه بمبدأ تعزيز وتوسيع التكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي بين البلدين.
3 ناجي علوش، الثورة والجماهير، مرجع سابق، ص95.
4 جريدة الأنباء، 8 شباط 1958، العدد (335)، السنة (6).

أي فريق من اللّبنانيّين بهذه المسألة، لأنه حينئذٍ سيتحول هذا الفريق المجبر إلى عامل تخريب ودمار، ويضيف، بأن إقناع الفريق اللّبنانيّ المتخوف من الوحدة يتم عبر علمانية الدولة، واشتراكية النظام، وبأن عروبة لبنان ليست هي المسألة المركزية في ظل الوحدة، وإنما دور لبنان تجاه السّياسة العربيّة التقدمية المتمثلة بمصر النّاصريّة[1].

أما الشّيوعيّون في لبنان وسورية، فعلى الرغم من عدم إيمانهم بالقوميّة كسبيل لإنجاز وحدة ما، إلا أنهم لم يعارضوا قيام الوحدة بين مصر وسورية، وفي كانون الثاني 1958، أي قبيل إعلان الوحدة، اتخذ الحزب الشّيوعيّ في لبنان وسورية موقفًا مؤيدًا للوحدة السّوريّة – المصريّة، شرط الحفاظ على ذاتية وشخصية كلا الإقليمين المصري والسّوريّ، ولا سيما لجهة الاقتصاد والإرث الثقافي لكلا الإقليمين، وجاء هذا التّأييد المشروط، والمتمايز عن مواقف سائر الأحزاب الأخرى المؤيدة للوحدة، ليعبر عن رغبة الحزب المذكور، بمسايرة التيار النّاصري الممتد في أوساط العالم العربيّ، وعن عدم قدرة الحزب على الوقوف في وجه هذا المد النّاصري لأن ذلك يؤدي إلى خسارة الحزب للعديد من المناصرين والمؤيدين، الذين يفضلون الولاء النّاصري على ما عداه من المبادئ والعقائد[2].

وفيما يتعلق برؤية الحزب الشّيوعيّ اللّبنانيّ لدور لبنان السياسي في تلك المرحلة، قال نقولا شاوي أحد مؤسسي الحزب، بأن أمر عروبة لبنان لا تعني الحزب الشّيوعيّ، بقدر ما يهمه موقع لبنان ودوره في السّياسة الإقليمية، ورأى بوجوب تحرر لبنان التام من تأثير السّياسات الغربية وأحلافها المنتشرة في المنطقة، كونها أبرز مظاهر الاستعمار، ورأى شاوي، بأنّ مسألة انضمام لبنان إلى الجمهوريّة العربيّة المتحدة أمر سابق لأوانه[3].

وهكذا، نرى بأن الشّيوعيّين في كل من لبنان وسورية تفاعلوا مع قيام الوحدة السّوريّة – المصريّة بإيجابية تامة، فسارعوا إلى تظهير نقاط التقاطع والالتقاء، وتجنبوا البحث في عوامل التباعد والاختلاف بينهم وبين دولة الوحدة، وتبوأ شعار مقاومة الاستعمار والسياسات الغربية في المنطقة العربيّة، طليعة ما تشارك به الشّيوعيّون وعبد النّاصر في تلك المرحلة.

1 جريدة الجريدة، 29 تشرين الثاني 1958، العدد (1816)، السنة (6).
2 ناجي علوش، الثورة والجماهير، مرجع سابق، ص117.
3 جريدة الجريدة، 5 كانون الأول 1958، العدد (1821)، السنة (6).

أما الحزب التقدمي الاشتراكي، فتبوأ طليعة الأحزاب المعارضة للسياسات الرسمية اللّبنانيّة، ورأى الوحدة العربيّة من منظار ثقافي وحضاري وأيديولوجي، ونادى بوجوب ارتكازها على قواعد المنطق في الاقتصاد والتنظيم السياسي[1].

وانطلاقًا من هذه الرؤية العلمية – المنطقية للوحدة العربيّة، رأى الحزب المذكور، أن عوامل ولادة دولة الوحدة، لم تكن قد اكتملت عشية إعلانها في 1 شباط 1958، ولكن ذلك لم يدفعه إلى إعلان معارضته لتلك الوحدة، بل على العكس من ذلك، أعلن تأييده لها، ونالت الشعارات النّاصريّة كمناهضة للاستعمار، والاشتراكية النّاصريّة.. إعجاب وتقدير القيادة السّياسيّة والقاعدة الشعبية في الحزب التقدمي الاشتراكي آنذاك.

وفي الاجتماع الشهير للحزب التقدمي الاشتراكي في بيروت بتاريخ 10 شباط 1958، ولدى سؤاله عن الموقف الرسمي للحزب من إعلان الجمهورية العربيّة المتحدة، أجاب جنبلاط: إننا نرحب بكل خطوة اتحادية تقوم بين العرب، يكون رائدها توفير الأكثرية من الرفاهية الاقتصادية والاجتماعيّة والسّياسيّة للمواطنين... إن مجلس إدارة الحزب سيبرق إلى الرئيس عبد النّاصر والقوتلي مهنئًا ومعلنًا غبطته وارتياحه لهذه الخطوة التقدمية العظيمة[2].

وهكذا، جاء موقف الحزب التقدمي الاشتراكي، متماشيًا مع مواقف سائر الأحزاب والتيارات السّياسيّة اللّبنانيّة، المعارضة لسياسة الحكومة اللّبنانيّة آنذاك، لجهة تأييدها للوحدة النّاصريّة، وسواءً أكانت المصلحة السّياسيّة الآنية هي السبب المباشر لهذا الموقف أم لا، فإنه من المؤكد القول إنه ليس في مصلحة أي من تلك الأحزاب السّياسيّة المعارضة، الوقوف في وجه المد الشعبي النّاصري الكاسح في لبنان، وخارجه عشية قيام الوحدة، لكن هذا التأييد الاشتراكي للوحدة، بقي ضمن إطار المحافظة على سيادة لبنان واستقلاله، وأعلن جنبلاط هذا الموقف صراحة، في الخطاب الذي ألقاه في دمشق بتاريخ 9 آذار 1958، حيث أوضح للرئيس عبد النّاصر بأن لا تعارض بين استقلال لبنان ودوره السياسي الريادي العربيّ[3].

1 كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، الدار التقدمية للنشر، المختارة، 1978، ص113.
2 نقلاً عن جريدة الأنباء، 8 شباط 1958، العدد (335)، السنة (6).
3 إيغور تيموفييف، كمال جنبلاط الرجل والأسطورة، مرجع سابق، ص264.

أما حزب النجادة، الذي ترأسه عدنان الحكيم، والذي حمل الفكر الأيديولوجي التقليدي للمسلمين اللّبنانيّين السنة، فقد أيد بصورة مطلقة قيام الوحدة بين مصر وسورية، وعبر بصورة مباشرة عن مواقف سائر المسلمين اللّبنانيّين، والبيروتيين السنة خاصة المؤيدة للوحدة، فولادة أول وحدة عربية في تاريخ العرب الحديث، كان بمثابة تحقيق لأحلام هؤلاء ومشاعرهم التقليدية، التي اختزنوها منذ جلاء العثمانيين عن المنطقة العربيّة، وحتى تاريخ إعلان الوحدة في العام 1958.

تقاطعت تلك العواطف الوحدوية لدى هؤلاء المسلمين، مع معارضتهم للنظام السياسي اللّبنانيّ برمته، والذي وصل إلى ذروته خلال السنوات الأخيرة من عهد الرئيس كميل شمعون، ففور قيام الوحدة، أعلن حزب النجادة موقفه المؤيدة للوحدة، عبر بيان حزبي رسمي جاء فيه: في هذا الظرف الدقيق وشمس الحرية تشرق على دنيا العرب باتحاد قطرين عزيزين مصر وسورية، نواة الجمهورية العربيّة المتحدة.. فحزب النجادة ملتزم بخوض غمار معركة التحرر وأداء رسالته العربيّة الخالدة تأييد الرأي العام العربيّ بقيادة رئيس الحزب الأستاذ عدنان الحكيم[1].

من جهة أخرى، شكل القوميّون العرب، أبرز التيارات السّياسيّة المعارضة للحكم اللّبنانيّ، والتي لم تنضوِ ضمن إطار حزبي منظم، واعتبر هؤلاء أن قيام الوحدة بين مصر وسورية في العام 1958، هو بمثابة الخطوة الأولى في سبيل تحقيق الوحدة العربيّة الشاملة، ولم يجاهر القوميّون العرب علانية وصراحة في رغبتهم بضم لبنان إلى تلك الوحدة، رغم اعتقادهم بأنه جزء لا يتجزأ من الوحدة العربيّة الشاملة، التي يدعو القوميّون العرب إلى تحقيقها، وفي هذا الصدد، وبعد مضي أقل من سنة على قيام الوحدة، قال محسن إبراهيم، وهو أحد قياديي تيار القوميّين العربيّ في لبنان آنذاك، بأنه لا يمكن فصل لبنان عن محيطه العربيّ، لا بل هو جزء لا يتجزأ من الوحدة العربيّة الشاملة، فهو عربي القوميّة والمستقبل والمصير.. وأضاف أن العمل الوحدوي الذي يقوم به القوميّون العرب في لبنان، يختلف عنه في سائر الدول العربيّة، نظرًا إلى الوضع الخاص للبنان، لذا، فتحقيق انضمام لبنان إلى الوحدة العربيّة الشاملة لاحقًا، يتم بالوسائل السلمية والديمقراطية، وعبر إقناع الغالبية العظمى من المواطنين بذلك[2].

1 جريدة النهار، 1 شباط 1958، العدد (6796)، السنة (25).
2 جريدة الجريدة، 2 كانون الأول 1958، العدد (1818)، السنة (6).

ويمكننا إيجاز الأهداف المعلنة للقوميين العرب في لبنان، عند إعلان الوحدة السّوريّة – المصريّة، بالدعوة الصريحة لتغيير وجهة السّياسة الخارجية اللّبنانيّة، لجعلها متناغمة مع السّياسة النّاصريّة، على مختلف الصعد السّياسيّة والاقتصادية والثقافية.

طالت المفاعيل السّياسيّة لقيام الوحدة السّوريّة – المصريّة في العام 1958، سائر الدول العربيّة لناحية تفاعل الجماهير مع هذا الحدث الوحدوي، تأييدًا ودعمًا...[1].

لكن لبنان، حظي ببالغ التأثيرات السّياسة لهذا الإعلان، نظرًا إلى مجاورته دولة الوحدة بإقليمها الشمالي في أكثر من ثلثي حدوده، ثم إلى هشاشة الداخل اللّبنانيّ وتمايزه عن سائر الأقطار العربيّة، وإن قيام فريق من اللّبنانيّين بإعلان تأييده لهذه الوحدة، كان من شأنه أن يخلق أزمة وحكم نظام داخل لبنان، خلافًا لباقي الدول العربيّة، ففي هذا التأييد، ما يثير قلق وهواجس فريق آخر من اللّبنانيّين، وكذلك الحال في حالة المعارضة، فنجد أن هناك تشابكًا قويًا ما بين مسار السّياسيّة الداخلية اللّبنانيّة وبين الثقل السياسي النّاصري الذي خلفته دولة الوحدة في العمق اللّبنانيّ.

لذا، لابد من تسليط الضوء على مواقف أبرز الكتل السّياسيّة اللّبنانيّة من دولة الوحدة، وآراء النخب السّياسيّة والثقافية اللّبنانيّة، تجاه الحدث المذكور، وذلك لإيضاح مدى التقاطع بين ما هو مبدئي وبين ما هو مصلحي آني، في تلك المواقف.

شكلت جبهة الاتحاد الوطني، أكبر تجمع سياسي معارض للرئيس شمعون، وضمت في صفوفها تشكيلًا واسعًا من الشخصيات السّياسيّة التقليدية الإسلامية والمسيحية معًا، لكن إعلان تأييدها ودعمها لدولة الوحدة[2]، لم ينبع من القناعات نفسها لدى سائر أعضاء هذه الجبهة، فرأى السياسيون التقليديون السنة في هذه الجبهة، مثل صائب

1 عبد الله فكري الخاني، جهاد شكري القوتلي، في سبيل الاستقلال، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003، ص142.

2 بتاريخ 5 شباط 1958، وجهت جبهة الاتحاد الوطني برقيتي تهنئة إلى الرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي بمناسبة إعلان الوحدة، ومما جاء في البرقية الموجهة إلى عبد الناصر: يسعد جبهة الاتحاد الوطني أن تقدم لسيادتكم أطيب وأحر التهاني بإعلان الجمهورية العربية المتحدة، التي هيأت لها انتفاضتكم الوطنية الشعبية المباركة وأخرجتها سياستكم الرشيدة من ضمير الزمن إلى عالم الوجود.."

ووقعت البرقيتان باسم علي بزي أمين سر جبهة الاتحاد الوطني، لمزيد من التفاصيل، راجع: جريدة النهار، 6 شباط 1958، العدد (6800)، السنة (25).

سلام وعبد الله اليافي...، في الجمهورية العربيّة المتحدة، داعمًا إقليميًا مهمًّا في سبيل تحقيق مكاسب إسلامية في نظام الحكم اللّبنانيّ، بينما لم تكن هذه الأهداف هي عينها بالنسبة إلى حميد فرنجية، أو بالنسبة إلى الراديكالية نفسها الناشئة حينها.

وبموازاة التكتلات السّياسيّة اللّبنانيّة الموالية والمعارضة لسياسة الحكم اللّبنانيّ، تشكلت قوة سياسة ثالثة عرفت بـ "رابطة العمل اللّبنانيّ"، ضمت العديد من المثقفين والأكاديميين المسلمين والمسيحيين، كغسان تويني، ويوسف سالم، وبهيج تقي الدين، وغبريال المر.. وعملت هذه القوة السّياسيّة، على إيجاد متنفس للصراع السياسي المحتدم بين الموالاة والمعارضة، عبر تبنيها مواقف سياسية معتدلة بينهما[1].

وفيما يتعلّق برؤية هذا التّكتل السّياسيّ لموقع لبنان وموقفه من دولة الوحدة، أصدرت «القوّة الثالثة» بيانًا بتاريخ 5 شباط 1958 رأت فيه، أنه يجب على لبنان الاعتراف بالجمهورية العربيّة المتحدة وعدم مناصبتها العداء، شرط احترام سيادته واستقلاله التامين، ففي ذلك مصلحة عليا للبنان، فقد أدرك القيمون على هذا التكتل السياسي مدى خطورة العداء للناصرية ولدولة الوحدة آنذاك، ففي هذا العداء تهديد مباشر لكيان لبنان وبنيته كدولة، وليس فقط لسيادته واستقلاله[2]، وانطلاقًا من موقف هذه الكتلة السّياسيّة، نجد بأنه ارتكز على مقتضيات الظرف السياسي المحيط بلبنان وواقعه، وليس انطلاقًا من مصالح وأنانيات أعضاء هذه الكتلة وميولهم السّياسيّة.

تفاوتت ردود فعل النخب السّياسيّة والثقافية اللّبنانيّة من إعلان الوحدة، فعلى الرغم من الدعاية الحكومية اللّبنانيّة، الرامية إلى تخويف المسيحيين اللّبنانيّين من الوحدة، باعتبارها ستبتلع لبنان، وبالتالي ستفقد المسيحيين خصوصيتهم الدينية والسّياسيّة من جديد[3].

إلا أنّ هناك أصواتًا مسيحيّة ومارونيّة بخاصة، ارتفعت بعيد إعلان الوحدة، لتعبر عن إعجابها بدولة الوحدة وبقيادتها وتوجهاتها القوميّة العربيّة، وأكدت تمسكها باستقلال لبنان وسيادته بجانب دولة الوحدة، ومن أبرز تلك الأصوات الشيخ بشارة الخوري،

1 جريدة النهار، 3 تشرين الأول، 1957، العدد (6694)، السنة (25)
2 جريدة النهار، 6 شباط 1958، العدد (6800)، السنة (25).
3 أبو صالح، الأزمة، ص80.

والأستاذ هنري فرعون[1]، كذلك عبر السيد بيار إده عن تأييده دولة الوحدة وقال: إنها مدعاة للتفاؤل، وإننا نحن في لبنان لا نخاف الوحدة العربيّة[2].

وقد تشاركت تلك الشّخصيات في قناعاتها بعدم قدرة لبنان على التفرد بسياسة معادية للناصرية، وبأن وقوفه إلى جانب الوحدة النّاصريّة هو أفضل الممكن، وفي المقابل، تشابهت معظم مواقف النخب السّياسيّة الإسلامية في تأييدها للوحدة، ولكنها تمايزت في دوافعها ومنطلقاتها، فكمال جنبلاط مثلًا، جهد في طمأنة المسيحيين وتهدئة مخاوفهم من دولة الوحدة، فشدد على الحفاظ على سيادة لبنان واستقلاله، من خلال الخطاب الذي ألقاه في دمشق بعد قيام الوحدة كما ذكرنا سابقًا[3].

ومن جهة أخرى، شكلت القناعات السّياسيّة والتوجهات الأيديولوجية الدافع الأساس لرشيد كرامي في تأييده للوحدة[4]، كذلك دعا عبد الله اليافي إلى أن تشمل دولة الوحدة لبنان[5].

أما الشخصيات السّياسيّة الشيعية التقليدية، فلم تكن أقل تحمسًا للوحدة من مثيلاتها السنية والدرزية، فقد بعث رئيس المجلس النيابي آنذاك عادل عسيران، برقيتي تهنئة إلى الرئيسين المصري والسّوريّ[6].

لكن تعاطف القياديين السياسيين الشيعة مع المد النّاصري أتى مشابهًا للتعاطف الدرزي مع دولة الوحدة، حيث طمح بعض قياديي هاتين الطائفتين من وراء تأييدهم دولة الوحدة إلى إيجاد دعم سياسي لهم في الداخل اللّبنانيّ، والتخلص من حالة فقدان الوزن السياسي لهاتين الطائفتين في منظومة الحكم اللّبنانيّ، أكثر منه تحقيقًا لرغبات شعبية بالاندماج مع الداخل السّوريّ.

1 جريدة النهار، 6 شباط 1958، العدد (6800)، السنة (25).
2 نقلاً عن مجلة الدبور، 14 آذار 1958، العدد (1707)، السنة (36).
3 جريدة الأنباء، 8 شباط 1958، العدد (335)، السنة (6).
4 دعا رشيد كرامي إلى إقامة مهرجان شعبي في المسجد المنصوري في طرابلس احتفالاً بقيام الوحدة، وذلك بتاريخ 7 شباط 1958، لمزيد من التفاصيل، راجع: جريدة النهار، بتاريخ 5 شباط 1958، العدد (6799)، السنة (25).
5 علي محمد لاغا، مرجع سابق، ص137.
6 جريدة النهار، 5 شباط 1958، العدد (6799)، السنة (25).

4 – مواقف فعاليات المجتمع المدني

تفاعلت نقابات وهيئات المجتمع المدني مع حدث قيام الوحدة، فقد تباينت في مواقفها من هذا الإعلان، تبعًا لاستقلاليتها وتحررها من التأثيرات الحكومية وقيود اللعبة السّياسيّة اللّبنانيّة، بين موالاة ومعارضة.

فعلى سبيل المثال، لم يكن الاتحاد العمالي العام في لبنان بمنأى عن تأثيرات السّلطة السّياسيّة اللّبنانيّة، حيث تماشت مواقفه مع توجهات الحكومة اللّبنانيّة حينها، فلدى مبادرة لجنة الاتحادات العمالية في الإقليم السّوريّ إلى جمع تبرعات لتقديمها إلى لبنان، سارع الاتحاد العمالي في لبنان إلى إصدار بيان بتاريخ 25 أيار 1958 شجب فيه هذا الإجراء، واعتبره تدخلًا مشبوهًا في شؤون لبنان الداخلية[1].

وذلك يدل بوضوح على انصياع الاتحاد المذكور إلى توجهات الحكومة اللّبنانيّة وسياساتها العامة آنذاك.

وبالنسبة إلى هيئات المجتمع المدني، فقد سارعت إلى إعلان مواقفها من الوحدة، عبر بيانات حملت عناوين مختلفة «كلجنة الأمهات في لبنان» ، وهي جمعية ذات طابع اجتماعي وثقافي وليست ذات صفة طائفية أو حزبية، ولها فروع عدة في معظم المدن اللّبنانيّة، وكان مقرها الرئيسي في منطقة وطى المصيطبة ذات الأغلبية الإسلامية، فأصدرت بيانًا حمل تأييدًا وتهنئة بالوحدة[2]، وكذلك أرسل الأستاذ يوسف سالم، والحاج أنيس نجا باسم «جمعية تجار بيروت» برقية إلى الرئيسين ناصر وقوتلي، تضمنت تأييدًا وتهنئة بالوحدة، معبرين بصورة مباشرة عن توجهات الرأي العام الإسلامي– البيروتي المؤيد للوحدة.

أما مجلس نقابة الصحافة، فأصدر بيانًا بتاريخ 4 شباط 1958، لم يتضمن موقفًا واضحًا من الجمهورية العربيّة المتحدة، وإنما بقي ضمن إطار العموميات، التي نادت بالوحدة بين اللّبنانيّين والتمسك بروح الميثاق الوطني[3]، فتلك الضبابية في بيان نقابة الصحافة، أظهرت عدم قدرتها على تبني موقف واضح، يتضمن انتقادًا واضحًا للمعارضة، أو للحكم القائم على حد سواء، كذلك لم يشر ولو بكلمة واحدة إلى موقف

1 جريدة العمل، 26 أيار 1958، العدد (3715)، السنة (20).
2 جريدة النهار، 6 شباط 1958، العدد (6800)، السنة (25).
3 جريدة النهار، 5 شباط 1958، العدد (6799)، السنة (25).

واضح من قيام الوحدة، وسبب ذلك إما عائد إلى التركيبة السّياسيّة أو الطائفية للمجلس المذكور، وإما إلى الضغوطات السّياسيّة الحكومية اللّبنانيّة على نقابة الصحافة آنذاك.

5 – تفاعل المؤسّسات الدينية اللّبنانيّة والمرجعيات الروحية مع جمهورية الوحدة العربيّة

أدّت المرجعيات الروحية لدى الطوائف المسيحية والإسلامية اللّبنانيّة دورًا مهمًا في مراحل نشوء لبنان، وتكوينه الحديث والمعاصر، وعبرت في معظم الأحيان عن التوجهات السّياسيّة والأيدولوجية لرعاياها، فالبطريركية المارونية مثلًا، كانت بمثابة لسان حال معظم المسيحيين اللّبنانيّين، في مطالبتهم بإنشاء دولة لبنان الكبير، فعشية انتهاء الحرب العالمية الأولى، أدّت البطريركية المارونية دورًا مهمًّا في التّعبير عن هذه التوجهات لدى الدول العظمى في مؤتمر الصلح بباريس في العام 1919، ويرجع تصور البطريركيّة لقيام كيان جغرافيّ لبنانيّ مستقل، إلى منتصف القرن التاسع عشر.

فعلى سبيل المثال، رغب البطريرك بولس مسعد بأن تصل الحدود الجنوبية اللّبنانيّة، حتى شرقي عكا، واستمرت رؤية البطريركية المارونية تلك، بإنشاء كيان لبناني مستقل، حتى العقد الثّاني من القرن العشرين، حيث أخذت منذ ذلك الحين منحى أكثر فعالية مع البطريرك إلياس الحويك، الذي عبر أفضل تعبير عن التوجهات التقليدية للمسيحيين اللّبنانيّين، التواقين إلى العيش ضمن دولة، مستقلة تمامًا عن الداخلين العربيّ والإسلامي، وتأثيراتهما السّياسيّة والثقافية، فحمل الحويك تلك التوجهات إلى مؤتمر الصلح بباريس في العام 1919[1].

كذلك الحال في العام 1946، فقد وجه ممثل البطريرك الماروني في الولايات المتحدة الاشتراكيّ رسالة إلى الأمم المتحدة طالب فيها بجعل لبنان وطنًا قوميًا لمسيحييه[2].

1 عصام كمال خليفة، شخصيات بارزة في تاريخ لبنان المعاصر، لا دار نشر، بيروت، 1997، ص6.
جاء سفر البطريرك الحويك إلى المؤتمر المذكور كممثل لسكان منطقة جبل لبنان، وذلك بناء على قرار أصدره المجلس التمثيلي في جبل لبنان بتاريخ 6/6/1919 لكن هذا التكليف لم يلغ الحقيقة القائلة، بأن الحويك قام بتمثيل طائفته المارونية في مؤتمر الصلح، أكثر منه تمثيله لباقي سكان منطقة جبل لبنان، عبر تعبيره عن تطلعات الموارنة التقيدية في الاستقلال كما ذكرنا، وظهر ذلك جلياً في تأليف الوفد الذي ترأسه الحويك، حيث اقتصر على مطارنة موارنة باستثناء مطران واحد فقط للروم لكاثوليك.
للمزيد من التفاصيل راجع: مائير زامير، الكيان المسيحي اللبناني، مرجع سابق، ص99.

2 بتاريخ 5 آب 1947، اقترح البطريرك الماروني إغناطيوس مبارك على اللجنة الدولية المكلفة بدراسة الأوضاع في فلسطين، بجعل لبنان دولة يهيمن عليها المسيحيون، باعتبارها موطناً وملجأً للأقليات الدينية في المشرق العربي.
لمزيد من التفاصيل راجع: إيغور تيموفييف، كمال جنبلاط الرجل والأسطورة، مرجع سابق، ص135.

أما دار الفتوى، فكانت المؤسّسة الدينية الوحيدة النّاطقة باسم الطائفتين السنية والشيعية في لبنان حتى مطلع السبعيات، حين تأسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وحملت دار الفتوى التوجهات الأيديولوجية والتقليدية للإسلام السّني اللّبنانيّ عامة، فعارضت معارضة شديدة قيام دولة لبنان الكبير في العام 1920، وكانت من أشد المطالبين بتحقيق وحدة عربيّة أم إسلامية، يكون لبنان جزءًا منها[1].

المصادر والمراجع

- تيموفييف، كمال جنبلاط الرجل والأسطورة
- جريدة الجريدة
- جريدة العمل
- جريدة النهار
- جريدة الأنباء
- عبد الله فكري الخاني، جهاد شكري القوتلي، في سبيل الاستقلال، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003
- عبد الله قبرصي، عبد الله قبرصي يتذكر، الجزء الرابع، دار الفرات للنشر، بيروت، 2004
- علي محمد لاغا
- كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، الدار التقدمية للنشر، المختارة، 1978
- مجلة الدبور
- ناجي علوش، الثورة والجماهير
- عصام كمال خليفة، شخصيات بارزة في تاريخ لبنان المعاصر، لا دار نشر، بيروت
- مائير زامير، الكيان المسيحي اللّبنانيّ

1 زامير، مرجع سابق، ص95.

إعلان دولة لبنان الكبير

غزوان عبد شاهين[1]

إشراف الأستاذ الدكتور نافذ إبراهيم الأحمر مشرفًا رئيسًا [2]

الأستاذ الدكتور محمد علي القوزي مشرفًا مشاركًا [3]

تمهيد

إذا كان السّوريّون قد قرروا مواجهة أوروبا بإعلان استقلالهم، فإنّ أوروبا قررت بدورها مواجهتهم. وإذا كان الاستقلال السّوريّ قد أعلن (في 8 آذار/مارس سنة 1920)، وإذا كان مقرر هذا الاستقلال هو المؤتمر السّوريّ، فإن مؤتمرًا آخر كان يعقد بعد مضي شهر وبعض الشّهر على قرار المؤتمر السّوريّ، ألا وهو مؤتمر سان ريمو.

لقد اجتمع المؤتمر السّوريّ في دمشق معلنًا الاستقلال في 8 آذار/ مارس، وتاليًا اجتمع مؤتمر سان ريمو (في 19 نيسان/ أبريل1920) وكان موضوع هذا المؤتمر هو تقرير مصير البلاد العربيّة التي كانت تابعة لتركيا وتقرير مصير تركيا المنهزمه في الحرب.

أما تركيا فقد قيّدتها معاهدة سيفر Siver التي قضت بتمزيقها بين الدول والقضاء على استقلالها. وأما البلاد العربيّة فقد قرر المؤتمر في 20 نيسان/ أبريل وضعها تحت الانتداب؛ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسيّ، والعراق فلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الإنكليزي.

1 بحث أعد لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.

2 **أستاذ التّاريخ الحديث والمعاصر الجامعة اللبنانيّة.**

3 **أستاذ التّاريخ الحديث والمعاصر جامعة بيروت العربيّة.**

أولًا– ردود الفعل ومواقف المسلمين من الانتداب الفرنسيّ وظهور الحركات المسلحة (1919– 1926)

أ – موقف السّنّة من الانتداب (عكار والمناطق الحدودية أنموذجًا):

كان شعور العداء نحو فرنسا، في ذلك الحين، أقوى منه نحو بريطانيا، إذ كانت هذه الأخيرة تبيّن لرجالات العرب وزعمائهم أنها ساعدهم ونصيرهم القوي، ومؤيدتهم المخلصة ضدّ فرنسا الطامعة في ديارهم، فكان أن صدّقها العرب ولا سيما زعماؤهم السياسيون، فراحوا يعدّون العدة للقيام بثورة على الفرنسيّين، وكان أن اتصلوا بالدّنادشة[1] وتفاهموا معهم على ذلك. **(الدندشي، 1985، ص 86).**

وما كاد الجيش العربي بقيادة الأمير « فيصل بن الحسين» يدخل دمشق (في 2 تشرين الأول/أكتوبر عام 1918)، حتى بادرت وفود من الدّنادشة وضباطهم في الجيش التركي بالقدوم إلى دمشق فرسانًا ومشاةً لمبايعة الأمير فيصل، وتأييدًا للحركة العربيّة في الساحل السّوريّ والداخل. وقد تأكد ذلك تقديم إمكانيات العشيرة من سلاح ورجال ومال، لتحقيق استقلال البلاد العربيّة، وقد واكبه مئة وخمسون فارسًا على رأسهم:«عبد الله الكنج، مصطفى الأسعد، خالد رستم، حسن علي العبود، محمد بك المحمد، حسن إبراهيم». **(الدندشي، 1985، ص 59).**

لقد عُقد الاتفاق بين الأمير فيصل والدّنادشة بتل كلخ (مدينة سورية)، حيث اجتمع بزعماء الدّنادشة، الذين استقبلوه استقبالًا مسلحًا، وقد سمع فيصل من الدّنادشة عبارات التأييد للقضية العربيّة التي يُمثّلها، مُعلنين له استعدادهم للبذل والتضحية متى لزم الأمر. فسّر فيصل بحماستهم ووطنيتهم، وأطلعهم على ما يمكن أن يواجهه العرب من مصاعب وعقبات، مؤكدًا أن هذه المصاعب لا يمكن التغلب عليها بغير العمل الجدّي والاتحاد والنضال والتضحية، فأعادوا على مسامعه ما أعلنوه من استعدادهم الجدي لدعم القضية العربيّة دعمًا قويًا، وقد اتفق الطرفان على أن يكون الزعيم الفلسطيني سليم عبد الرحمن[2]،

1 يعود نسب الدنانداشة إلى يعرب بن قحطان، وقحطان من عرب العرباء، وعرب العرباء من اليمن،، ينظر دندنشي، حسن نمر (1959)، **الثورة السورية الأم الدنانداشة في العام 1919**، رسالة في العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية (1959) إشراف الدكتور أسد رستم، ص 17.

2 سليم الحاج إبراهيم الملقب بالزعيم من عائلة مشهورة في مدينة طولكرم ومدينة الطيبة (آل عبد القادر) ومن أقاربه أيضا عارف عبدالرزق القائد في ثورة 1936 . 1939 التحق بالجمعيات العربية في عهد الاتراك وهو ممثل منطقة بني صعب في المؤتمر الفلسطيني الرابع (1920)، السادس (1922)، والسابع (1928). ولد في الطيبة من أب عرف بثقافة العالية،

هو الشخص الذي سيكون صلة الوصل بينهم وبين الأمير فيصل لكي لا يشك الفرنسيّون بأي تحرك. **(الدندشي، 1985، ص 87)**.

وإلى جانب ثورة الدّنادشة قامت بعض الثّورات المسلحة في وجه الانتداب الفرنسيّ، مثل ثورة الشيخ صالح العلي في الجبال الساحلية، وثورة يوسف السعد، وثورة إبراهيم هنانو في ريف حلب، وثورة محمود الفاعور في سهل الحولة، وثورة جبل العرب وثورة دمشق والغوطتين، وقد كانت هذه الثّورات مترابطة زمنيًا ومكانيًا، فالثورة التي قادها المجاهدان عمر ونجيب البيطار كانت مرتبطة عضويًا بثورة الشيخ صالح العلي في الجبال الساحلية. **(الغصين، 1956، ص 113 – 114)**

ولم تقم ثورة حماه، وكذلك ثورة دمشق والغوطيين، إلا بالتنسيق مع قائد الثورة السّوريّة الكبرى في جبل العرب، (سلطان باشا الأطرش)، وكذلك فإن ثورة قرى وادي التيم في لبنان كانت متصلة بالثورة الأم في جبل العرب، كما كانت ثورة القلمون وجبل عكار متصلة بثورة حمص وحماه والمنطقه الوسطى **(موسى، 1966، ص 68)**

دعا الدّنادشة زعماء العشائر العربيّة في سوريا إلى اجتماع اتفق على عقده في حمص، نظرًا لبعدها عن عيون المستعمر وتحرياته، وذلك للبحث في أمر القيام بثورة ضد الفرنسيّين باعتبارهم سلطة احتلال، وقد تمَّ الاجتماع في حمص في منزل فندي السّعود، شيخ عشائر (الأحسنة)[1] الذين تربطهم بالدّنادشة صداقة قوية، وقد ضمّ هذا الاجتماع من الدّنادشة السّادة: الشيخ عبد الله الكنج، مصطفى الأسعد، محمد خالد الرستم وغيرهم. كما تمثّل ثوار سوريا في الآتية أسماؤهم (وصفي الأتاسي، وكان من حماة أحمد آغا البرازي، مع بعض آل العظم والكيلاني). وترأس عشائر البدو «الشيخ فندي» وعلي حمد من عشائر المتاولة[2] في الهرمل، ومن بعلبك بعض زعماء الحرافشة، وبعد التداول وتبادل الرأي اتخذ المؤتمرون المقررات التالية:

وكقاض شرعي، ورئيس بلدية طولكرم، وكزعيم وممثل لبني صعب في المؤتمر الفلسطيني (1922) للمزيد راجع موقع https://arbyy.com/104448123detail.html تاريخ الدخول 8/12/2021.

1 عشائر الأحسنة أو عشيرة الحسنة هي عشائر سكنت في سوريا ويعود أصلها إلى قبيلة عنزة أقدم القبائل العربية، التي تنتسب إلى عنزة بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معبد بن عدنان كما ذكر أحمد وصفي زكريا في كتابه: (عشائر الشام). وأضاف أن بني وائل هم بطن من ربيعة من العدنانية، ومن هنا جاءت تسميتهم ببني وائل. أواسط نجد وشمالي الحجاز. للمزيد راجع موقع https://syrmh.com/2019/10/25 تاريخ الدخول 8/12/2021.

2 هي عشائر شيعية سكنت في عدة مناطق في لبنان كجبل عامل وغيرها من المناطق الأخرى، للمزيد راجع http://www.bintjbeil-um.gov.lb تاريخ الدخول 8/12/2021.

- القيام يدًا واحدة بثورة ضدّ الفرنسيّين.
- تنطلق الشرارة الأولى للثورة من تل كلخ.
- يؤمّن الحمصيون للثوار السّلاح والغذاء.
- تكليف الدّنادشة بتوجيه دعوة إلى زعماء عكاريين (من آل المرعبي)، للوقوف على رأيهم، وقد عقد اجتماع، بعد الاتصال بالمراعبة في عكار، وذلك لتعيين بدء موعد الثورة **(الدندشي، 1985، ص 90-89)**. وبهذا الشكل يكون مسلمو لبنان قد اجمعوا على هذه الثورة.

اجتمع الدّنادشة والمراعبة في عكار بعدما عاد وفد الدّنادشة من اجتماع حمص،وأخذ الوفد في توجيه الدعوة إلى الزّعماء العكاريين وعلى رأسهم آل المرعبي، حسب الاتفاق الذي جرى في حمص، ولكيلا تتنبّه السلطات الفرنسيّة في تل كلخ[1]، تقرر تحديد موعد الاجتماع (الذي كان مقررًا في احتفال بإقامة عرس في مشتى حسن) فلما كان العرس، أو يوم الاجتماع، حضر وفد من عكار، على رأسه السادة: عبود بك عبد الرزاق المرعبي، وعلى الأسعد المرعبي وعبد الرزاق الياسين المرعبي، وغيرهم. غير أن نتيجة هذا الاجتماع لم تكن مرضية تمامًا، فقد كان من العكاريين متحمسين للثورة، وبخلاف ذلك كان هناك رافضون لها، ولا سيما المراعبة الذين أبدوا تحفظًا إلى أبعد حدود التحفظ، على أن الفريق الأول وعد بأن يشترك في الثورة حينما تنشب. **(الأسعد، 2018-2017، مقال)**

- **أسباب انطلاق شرارة الثورة:**

من أجل تبيان أسباب هذه الثورة، يقول حسن نمر دندنشي([2]) في كتابه «الثورة السّوريّة الأم الدّنادشة عام 1919»:

1 تقع المدينة على مسافة 45 كلم إلى الغرب من مدينة حمص، وتبعد 130 كلم إلى الشمال من العاصمة دمشق، وتتربع على سفح تل يشرف على الطريق الذي يصل حمص بمدينة طرابلس في شمال لبنان.
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions تاريخ الدخول 8/12/2021.

2 حسن نمر الدندشي: ولد عام 1929 في وادي خالد – قضاء عكار وهو صاحب فكرة تأسيس ندوة «إخوان القلم» الأدبية في طرابلس وشمالي لبنان عام 1952، نال الإجازة في العلوم السياسية والاقتصادية من الجامعة اللبنانية عام 1959، وانتخب عضوا في الهيئة الإدارية للمجلس الثقافي للبنان الشمالي في العام 1975، وكان مديرا للمجلس وأمينا للسر عدة سنوات. (نمر الدندشي، 1985)

«... عندماعندما أبرق فيصل إلى أخيه ونائبه في دمشق (زيد)، يخبره ما جرى له في باريس ولندن، ويدعوه إلى الاتصال بالدّنادشة للقيام بالثورة، أتى إلى قرية «الفتايا» السّيدان «سليم عبد الرحمن، والضابط هو (إسماعيل نامق) ومعهما حوالي أربعمائة بندقية مع ذخيرتها، وأربعة رشاشات، وأربعة صناديق مملوءة بالقنابل، منها ما هو ألماني الصنع، ومنها ما هو إنكليزي، وذلك ليصير توزيعها على الثّوار فيما بعد». **(الدندشي، 1985، ص 103).**

وقد وجه زعماء الدّنادشة رسالة لحاكم تل كلخ كان فحواها:

1- إنزال العلم الفرنسيّ في تل كلخ.

2- تشكيل حكومة وطنية من أهل البلاد في تل كلخ.

3- الاتفاق بشأن تصديق استقلال البلاد العربيّة وعدم تجزئتها.

وكان رد المستشار الفرنسيّ أنه مأمور بالمحافظة عليه، وأنه لن ينزل العلم الفرنسيّ حتى آخر نقطة دم ستسيل من آخر جندي، وأما بالنسبة إلى تشكيل الحكومة فلم يجب عليه، عندها قرر الثّوار طرده والدفاع عن البلاد. **(الدندشي، 1985، ص 103).**

وقد كان بدء الثورة قبل أوانها حسبما هو مقرر، فقبل أن ينتهي الإجتماع في مشتى حسن من بحث ما اجتمعوا لأجله، وقع حادث فرض نفسه على المؤتمرين معلنًا ابتداء الثورة. وأما كيف سارت الأمور وتطورت:

ففي العام 1919، وتحديدًا في 12 كانون الأول/ديسمبر تحركت عربة من قبل الثّوار تحتوي على السلاح من حمص...ولما صارت في منطقة العريضة [1]، نظر المسافرون أي الثّوار الثلاثة من العربة فإذا هم يرون المستشار الفرنسيّ وزوجه، ومعهما ضابطان وجنديان، يتنزهون على ضفة النهر الكبير الجنوبي في العريضة بعضهم في عربة مكشوفة، والأخرون خيالة. ولما كان لا بدّ من التقاء الطرفين، خشيَ رُكّاب العربة المسلحة من تعرض الجنود الفرنسيّين لهم وتفتيشهم العربة، فقرروا مباغتة الجنود الفرنسيّين ومبادرتهم، ففتحوا نيران بنادقهم عليهم، فقتلوا ضابطًا فرنسيًا وأصيب آخر في ساقه إصابة خطرة، وعادت العربة (الدندشية)

1 تقع بلدة العريضة في محافظة عكار، الشمال. ترتفع عن سطح البحر ٤ م. تبعد عن بيروت 115 كلم، وعن مركز المحافظة حلبا 22 كلم. للمزيد راجع موقع https://lub-anan.com تاريخ الدخول 14/11/2021.

بركابها سالمين. وكان أن طارد العربة قائد الدرك الفرنسيّ على رأس قوة، فلم يتمكن من اللحاق بها لأنها كانت قد دخلت المنطقة الشرقية التابعة للحكومة العربيّة. **(الأسعد، 218-2017 مقال).**

بناءً على ذلك بدأت الثورة يوم السبت (في 18 كانون الأول/ديسمبر 1919) بمناوشات خفيفة بين الثّوار والقوات الفرنسيّة في دار الحكومة في تل كلخ، وامتدت لمدة ستة أيام حتى 25/12/1919، حيث احتدمت المعارك في 20/12/1919، بوصول قوة فرنسية مؤلفة من خمس سيارات تقل (100 جندي)، مع قوة من المشاة (حوالي 100 جندي)، وخمس عربات رشاشة، واستطاع الجيش الفرنسيّ أن يتقدم، بعد تخلف آل مرعب (لتحفّظهم على الثورة)، ثم في 22/12/1919 تابعت القوات الفرنسيّة تقدمها، فاحتلت تل كلخ وقامت بأعمال الحرق وهدم البيوت، وفي 25/12/1919 هاجمت القوات الفرنسيّة قريتي مشتى حسن ومشتى حمود في عكار، ودارت معركة دامية قتل فيها عشرون جنديًا فرنسيًا، ولم تتمكن القوات الفرنسيّة من الدخول إليهما، إلّا بعد وصول تعزيزات كبيرة حيث أحرقت وضربت البلدتين بالمدفعية. **(الدندشي، 1985،ص 100،104)**

- **نتائج الثورة:**

تمخّضَت من هذه الثورة عدة نتائج، كان منها أهمها:

- إنتهاء الثورة بهزيمة الدّنادشة وهجرتهم إلى المنطقة الشرقية الواقعة تحت الحكم العربي التابع للأمير فيصل.
- عدم منح الأمان لرؤساء الثورة من قبل سلطات الانتداب الفرنسيّ، ومنهم من عكار: محمد خالد رستم، وحسن الإبراهيم من مشتى حسن.
- إعدام بعض زعماء الدّنادشة رميًا بالرصاص. ومنهم: أحمد الحسين الدندنشي ومحمود الإبراهيم **(الدندشي، 1985، ص 114).**

في الواقع شكلّت هذه الثورة حدثًا تاريخيًا، عبَّر عن ائتلاف المسلمين حول قضايا الانتماء، وسيادة منطق الوحدة العربيّة لدى هذه الفئات التي تبنّت فكرة القومية العربيّة برفضها أي استعمار أو احتلال أو انتداب. هذا إضافة إلى ثورة البيرة التي حصلت سنة

1920، وثورة أكروم التي تأثرت بالثورة السّوريّة الكبرى سنة 1926 **(رزق، 1998، ص 90)**، وثورة فنيدق سنة 1925- 1926، وكلها ثورات حدثت في عكار، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت السلطات الفرنسيّة من إحداث شرخ بين المسلمين السّنّة في المنطقة، وذلك عبر الوعود التي قدمتها للزعماء السّنّة في الوصول إلى التمثيل النيابي، والحفاظ على ثرواتهم التي جمعوها أيام السلطنة العثمانية.

ب – موقف المسلمين الشّيعة من الانتداب:

تفجّر النزاع المسلح بين الفرنسيّين والمسلمين الشّيعة في عدد من المناطق، وجاء ذلك تزامنًا مع عدد من الضباط السّوريّين بالثورة في جبل عامل **(قدري، 1956، ص209)**.

ونتيجه الممارسات الفرنسة، ومثل جميع الجهود السياسية التي بذلها رجال السياسة مع الفرنسيّين في لبنان، وخاصة جهود حكومه دمشق الفيصليّة، وبعد شعور هذه الحكومة بالخطر، عملت على تشجيع الثورة المسلحة في جبل عامل والمناطق البقاعية في بعلبك والهرمل وبقيه المناطق اللبنانية.

وردًّا على العمليات المسلحة ضد القوات الفرنسيّة، اتخذ الجنرال غورو إجراءات عسكريّه هادفة لقمع العمليّات المسلحة الشّيعيّة خاصة في جنوب لبنان **(قلعجي، دون تاريخ النشر، ص 386)** وتمّ تجنيد حمله فرنسية بدأت بالزحف على جبل عامل، واصطحبت معها الحاج إسماعيل خليل والحاج أحمد عرب كرهينتين، وقد رافق الحملة رشيد جنبلاط متصرف لواء صيدا، فتعرّض لها صادق حمزة وعشرات الرجال وأوقفوا تقدم الجيش المؤلف من أربعة آلاف جندي مدة سبع ساعات بما كان معهم من ذخائر. **(رضا، 1947، ص 199)** وعلى الأثر قامت الثّورات الشّيعيّة في جبل عامل وساحله والخيام والحولة والخالصة وكفركلا وعديسة والطيبة وحومين والنّبطيّة، وأغار الثّوار المسلمون على تحركات الجيش الفرنسيّ ومراكزه، وأخذوا يهاجمون القرى الموالية لفرنسا في كل الأماكن **(كوثراني، 1982، ص 330)**

أكدت ذلك مجلة الحوادث في مقالة ورد فيها: «جبل عامل عريق في الوطنية عراقته في العلم، فأوّل ثورة عربية على تركيا قامت في الجنوب، وأول ثورة لبنانية على فرنسا كانت في جبل عامل، وثمار أيّ مدينة عادلية هي المدينة الثورية الأولى في تاريخه؛

أهي النّبطيّة أم مرجعيون أم صور أم صيدا، فلكل مدينة من هذه المدائن تاريخها الوطني. **(الحوادث، 1978، العدد 1130)** لقد كان جبل عامل المنطقة الرئيسية التي اتخذ فيها النضال ضد الفرنسيّين شكل صراع محلي بين الشّيعة وبعض سكان القرى المسيحية، فقد تطوّع عدد من أبناء هذه القرى في المليشيات المختلفة، وحصل عدد آخر على أسلحة فرنسية بحجة حماية قراهم. وكانت الأعمال العسكريّة المناوئة للاحتلال وأعوانه فى جبل عامل قد اتخذت شكل مجموعات، نظّمها وأشرف على بعضها الضباط العرب وبرزت قيادات محلية: كأدهم خنجر، (الشقيف) وصادق حمزة (بنت جبيل) وتعرضت القوات الفرنسيّه إلى كمائن ناجحة في أماكن عديدة أوقعت فيها الخسائر. **(كوثراني، 1982، ص 327 – 328)** مما جعل هذه القوات الفرنسيّة تهاجم مراكز هؤلاء الثّوار.

هذا وقد شهد العام 1920 تزايدًا في الاتصالات الفرنسيّة برجالات جبل عامل، سواء باستدعائهم إلى بيروت أو صيدا، أم بزيارات يقوم بها القادة الفرنسيّون إلى منطقة جبل عامل، حيث كانوا يجتمعون إلى زعمائها، قاطعين الوعود لطلاب المناصب والمنافع. **(شعيب، 1987، ص 71)** وكانت السّلطات الفرنسيّه تهدف من وراء ذلك إلى تقريب فرنسا من قلوب الشّيعة في جبل عامل، وإبعادهم عن الحكومة العربيّة في سوريا، وخاصه بعد المؤتمر السّوريّ وتنصيب فيصل ملكًا على كامل سوريا المتحدة. **(رضا، ج 7، ص 734 – 735)** كل هذه الزّيارات كانت تجابه بالمقاطعة واللامبالاة، ومثال ذلك ما ينقل عن الشيخ أحمد رضا حول زيارة قام بها الجنرال الفرنسيّ غورو إلى النّبطيّة (في 25 شباط/فبراير 1920) إذ يقول: «ورد يوم الإثنين أمر من حاكم صيدا العسكري بأن تستعدّ النّبطيّة وما حولها لاستقبال الجنرال غورو يوم الأربعاء السّاعة التّاسعة صباحًا، فنشد مدير النّبطيّة نخلة الخوري الأمر وأبلغه إلى مختاري القرى بطريقه رسميّة... ولم يأتِ من القرى المجاورة أحد، حتى من النّبطيّة لم يحضر هذا الاستقبال سوى جماعة لا يزيد عددها على بضعة عشر رجلًا من الوجهاء. **(رضا، العرفان، ج5، ص 472)**

كما واجهت قوات الاحتلال صدمة عنيفه عندما جمعت زعماء عامليين على جسر الخردلي في آذار/ مارس 1920 وطلبت إليهم تأييد سياستها، وقد ردّ عليهم كامل الأسعد بالقول : « إنّ العامليين يرفضون هذا الطلب ولاسيما الاعتراض على ما قرره المؤتمر

السّوريّ من تنصيب الملك فيصل على سوريا لأنّه هاشمي وذلك أقصى تمنيات الشّيعة» فعرضوا عليه اللائحة التي يودّون توقيعها فردّ عليهم جازمًا: «إنّ الشعب العاملي لا يقبلها وأنا بصفتي رئيس هذه البلاد لا أستطيع أن أفعل ما لا يريدونه، ولا أهمية لرياستي حينئذ، لاسيما إذا كان فيه ما يخالف مبدأهم الديني» **(رضا،، ج7، ص 736)**

وعندما جوبه الفرنسيّون بالرفض في جبل عامل، لجأوا إلى سياسة جديدة بالضغط والإكراه والعنف، قابلها الثّوار بالهجمات المتتالية على الحاميات الفرنسيّة وعلى القرى المسيحية المؤيدة لهم، حيث هاجمت مجموعات مسلحة من عرب الفاعور وعرب الفضل (وغيرها) جديدة مرجعيون في 29 آذار/مارس1920)، كما هوجمت دير ميماس والقليعة، وفي الخربة «كان القتلى من الفريقين كثر وقيل إن خسارة العسكر (الجيش الفرنسيّ) كانت تفوق العشرين قتيلًا. وقال بعض القادمين إنّ أرض الخربة بدت ملطخة بالدم. **(رضا، 1960، مجلد 33، ص 736)** وامتدت الأحداث إلى القرى الفلسطينية الواقعة تحت السيطرة الصّهيونيّة، عندما هاجم عرب الحولة مزرعة صلحا، وشرعوا يفتشون عن العساكر الفرنسيّة، وقد دارت معارك عنيفة بين الثّوار والصّهاينة المسلحين فى صلحا عندما أراد اليهود الفتك بالمهاجمين، وعلى رأسهم كامل الحسين وصادق حمزة، ولحق الثّوار بالهاربين من اليهود إلى المطلة واحتلوها، وامتد القتال إلى الخالصة، وسقط فى صفوف الفريقين القتلى والجرحى، بعد أن استعملت العساكر الفرنسيّة (**الريحاني، 1958، ص54**) المدافع ضد المجموعات الثائرة، وانتشرت الشّائعات التى يروجها الانتداب الفرنسيّ وعملاؤه لشقّ الصف الشيعي وضرب المقاومة من الداخل، فقيل: إنّ كامل بك الأسعد تعهّد للفرنسيين بمطاردة العصابات وحفظ الأمن، وإنه استنجد بالعسكر الفرنسيّ لمّا هاجمت مجموعة صادق حمزة قرية جويا اللبنانية لمطارده المهاجمين، وكثرت الإشاعات حول تحرك كامل الأسعد وبعض الوجهاء الشّيعة لإرسال عرائض تؤيد السّياسة الفرنسيّة بإنشاء لبنان الكبير، وضمّ جبل عامل إلى لبنان، وتوكيل المطران عبدالله خوري بالدفاع أمام المؤتمر عن حقوق جبل عامل، مع المطالبة بضمّه إلى لبنان الكبير **(شعيب، 1984، ص 739)**،

وفي هذا السّياق، طالبت الأقضية بالإجماع ومنها البقاعيون، بالعودة إلى دمشق: ففي مدينة بعلبك مثلًا، كان هناك أكثر من أربعة آلاف مسلم مقابل ألف مسيحي – قبل

ضمها إلى لبنان- كما أنّه مقابل ألف ماروني وخمسة آلاف كاثوليكي وأرثوذكسي: كان هناك خمسة وعشرون ألف مسلم في قضاء البقاع، بينما الآن(أي بعد الانضمام الى مديرية الهرمل) فقد أضيف ألف مسلم من هذه المديرية، وثلاثة آلاف من مديرية شمسطار حيث لا يوجد أي مسيحي **(رزق، 1998، ص 107)**. وعليه يكون عدد المسلمين أكبر بكثير من أعداد المسيحيين، لذلك نجد تسويغًا واضحًا حول مطالب أهالي البقاع السّابقة بإعادة قضاء البقاع إلى سوريا الطّبيعيّة.

لقد أخذ الانتداب علمًا بمواقف الزّعماء المحليين الشّيعة، وبرغبتهم في الوصول إلى السلطة المركزية كائنة ما كانت هذه السلطة شرطا لمساندتها، فاستفاد الانتداب من تناقضاتهم، وتمكن من إخضاعهم واجتذابهم إلى سياسته، وكان توفيق هولو حيدر قد أقام علاقات وثيقة مع جبل الدروز، لتوسيع مجال الثورة، فتشكلت عصابات مسلحة من عشائر الهرمل الشّيعيّة، مثل عشيرة الجعافرة التي يتزعّمها زين مرعي جعفر، وعشيرة ناصر الدين. كما كان محمد علي يحفوفي، يقود من بعلبك القيادة العسكريّة لتلك الجماعات **(رزق، 1998، ص 107- 108)**

- **معارك وادي فيسان:**

أما آل حمادة في الهرمل، (الموالون لفرنسا) من الدّاخل، وكان أغلب أفراد هذه العائلة يؤيّدون سعد الله حمادة الذي اشترك في معارك وادي فيسان، (ضد زين جعفر، قائد الثورة في الهرمل)، وكذلك فإنّ عصابة زحلة، التي كان يقودها مخايل أبو طقة الموالي لفرنسا، اشتركت في معركة وادي فيسان ضد زين جعفر أيضًا. وأمّا الجعافرة فقد هاجموا قرية القبيات المارونية التي كان رجالها يساندون الفرنسيّين في معارك أكروم، وفي بعلبك، عبثا حاول أعيان آل حيدر إقناع توفيق هولو حيدر بتغيير موقفه المناوئ للانتداب الفرنسيّ **(رزق، 1998، ص 107- 108)**.

لقد كان موقف معظم المسلمين الشّيعة- كمثله من مواقف المسلمين السّنّة- فقد كان الزّعماء المحلّيون كافة منقسمين على أنفسهم بين مؤيد ومعارض للانتداب الفرنسيّ، وذلك ما أدى إلى نجاح السياسة الفرنسيّة في احتواء معظم الزعامات من خلال وعدها بمناصب سياسية لهم ودعمهم ماديًا ومعنويًا.

لقد كان الفرنسيّون يكافئون الذين وقفوا إلى جانبهم، فساندوهم في انتخاب أول مجلس تمثيلي عام 1922، كمثل تعيين فضل الفضل ممثلًا للبنان الجنوبي، ونجيب عسيران ممثلًا لمنطقة الزّهراني. وكانت أسرة الفضل تقع في مدار أسرة الأسعد، وكانت أسرة عسيران غير معروفة سياسيًا قبل سنة 1923، فيما يوسف الزين، شقيق حسين الزين الذي كان مواليًا لفرنسا، جرى تعيينه نائبًا **(رزق، 1998، ص 107- 108)**

وبالتالي بدأ الفرنسيّون بتنظيم الإدارة، فعينوا في مختلف المناصب موظفين اختاروهم من بين أولئك الذين كانوا يؤيدون الانتداب، أو بكلام آخر ساندت السياسة الفرنسيّة المؤيدين لها في وسط جبل عامل.

لقد عمدت فرنسا إلى إلغاء ميليشيات الطائفة الشّيعيّة. فضلًا عن دعمها عائلات الأعيان القديمة (الأسعد)، وإبراز عائلات جديدة مثل الزين، عسيران وسواها **(معلوف، 1973، ص 17)**.

وهكذا عرف الفرنسيّون كيف يستغلّون التناقضات والخصومات بين الزّعماء المحليين، الذين كانوا يسعون وراء تأييد شعبي، مع احتمال الوقوف إلى جانب الغالب، كائنًا من كان؛ لذا لم يتردد أعيان شيعة آخرون في تأييد الانتداب، إذ كانوا متعطشين لاحتلال المناصب الإدارية الرفيعة، المخصّصة للشخصيات القريبة من الانتداب. لهذه الأسباب الكثيرة، عمل الفرنسيّون على تفريق موقف الشّيعة بين الأعيان وعلماء الدين والمثقفين. ففي جبل عامل (مثلًا)، قام عبد الحسين شرف الدين وجماعات أدهم خنجر وصادق حمزة ومحمود البزي المسلحة، بدور فعال ضد الفرنسيّين، وكان هذا سبب الإحراج للزعماء التقليديين، إذ أفقدهم موقف الثّوار من طائفتهم ثقة الفرنسيّين. **(رزق، 1998، ص 110)**

ج – موقف الموحدين الدروز من الانتداب:

بالنسبة إلى الدروز، ينبغي التفريق بين موقف دروز وادي التيم ومواقف دروز جبل لبنان. فقد حافظ دروز جبل لبنان على موقف محايد أثناء الثورة السّوريّة، فيما كان دروز وادي التيم متضامنين مع إخوانهم في جبل الدروز، وكانوا يقاتلون إلى جانبهم. على الرغم من ذلك، لم يتمكن الفرنسيّون من استغلال التناقض بين الطائفة والعائلة

لدى الدروز، وذلك بالنظر للتلاحم العضوي بين هذين الكيانين: فالقيادة الدرزية الروحية خاضعة لقيادة السياسة، والعصبية الدرزية ظلت قائمة على تلاحم الأقلية، حيث شكلت العلاقات المقفلة والخوف من الخارج قوة هذه الطائفة. وكان هذا ما يفسر مساندة الفلاحين لتلك العائلات، وفشل الجنرال الفرنسيّ كاربييه "Carbillet" في محاولته «تحرير الفلاحين من عبودية العائلات الاقطاعية. **(رزق، 1998، ص 115)**

ومن ثمّ راهن الفرنسيّون على التناقضات القائمة بين العائلات؛ فراحوا يساندون بعضها ضد الأخرى. وعليه فقد جسد جوهر تلك الخصومات عند تمثيلهافي المجلس التمثيلي، إذ كان رشيد جنبلاط قد مثل الشوف في اللجنة الإدارية (عام 1920)، وكذلك في المجلس الإداري الأول بين عامي 1922 و.1925 أمّا في المجلس التمثيلي الثاني فقد جرى تمثيل دروز جبل لبنان بفؤاد أرسلان وجميل تلحوق **(معلوف، 1973، ص 12)**.

ولا بدّ في هذا السياق من التطرق إلى الثورة السّوريّة الكبرى (سنة 1925)، التي قادها الدروز بوجه الانتداب الفرنسيّ، بزعامة سلطان الأطرش، والتي امتدت لتشمل بعض المناطق الدرزية اللبنانية.

فلقد واجه الدروز بقيادة سلطان الأطرش الجيوش الفرنسيّة، إلا أنّ مواجهة دولة عظمى كفرنسا لم تكن شيئًا هينًا، حيث انتهى الأمر بفشل ثورة سنة 1922، وهرب سلطان الأطرش إلى شرقي الأردن. لكنه عاد الى سوريا بتاريخ 5 نيسان/أبريل سنة 1923م بعد قانون العفو الذي أصدرته السلطات الفرنسيّة عنه (في 4 نيسان/أبريل سنة 1923)، وكانت هذه الثورة – بالإضافة الى الانتفاضات التي شهدتها المناطق الجنوبية في سورية والمناطق الدرزية في لبنان حتى عام 1922 – مقدمة لاندلاع الثورة السّوريّة الكبرى عام **(lamaziere, 1936, p. 111)**1925.

لقد سبقت الثورة السّوريّة الكبرى ثورات وانتفاضات عديدة في سوريا ولبنان ضد الوجود الفرنسيّ، وقدر الجنرال ساراي (saray) الفرنسيّ عددها بـ 35 ثورة، وخسائر الفرنسيّين إزاءها بخمسة آلاف جندي فرنسي وذلك حتى سنة 1925 **(كويلنز، 1936، ص 59- 60)**.

أمّا عن أسباب قيام الثورة السّوريّة الكبرى سنة 1925 فمردها إلى الطريقة التي عامل بها الجنرال ساراي، خلال تمرسه بمنصب المفوض السامي في الشرق، وفدا من أبناء جبل الدروز مكونًا من بعض زعمائهم ومشايخهم قصده في بيروت للشكوى من سوء تصرف حاكم جبل الدروز الفرنسيّ الكبيتان كاربيه، (Carbillet) إذ طلبوا منه تطبيق الانتداب في مناطقهم وجبلهم وفق الشروط المتفق عليها بينهم وبين فرنسا والمصدّقة من روبي دي كه[1] بالنيابة عن المفوض السامي السابق الجنرال غورو في آذار/مارس 1921، فاستقبلهم بجفاء وعاملهم بخشونة، ورفض مطالبهم، وصرفهم مهددًا متوعدًا. **(هاشم، 1997، ص 245)**

وحاول الزّعماء الدروز إعادة الاتصال به لفتح الحوار من جديد، ولكن محاولاتهم اللاحقة لم تكن أوفر حظًا من محاولاتهم السابقة، فكان ذلك السبب المباشر في إشعال الثورة السّوريّة الكبرى في جبل الدروز عام 1925، ثم ما لبثت الثورة أن امتدت إلى العاصمة دمشق، وحمص، وحماه وسائر المناطق السّوريّة، وإلى بعض المناطق اللبنانية لاسيما وادي التيم وراشيا وبعض قرى جبل لبنان. وكانت هذه الثورة السبب المباشر لاستدعاء ساراي إلى باريس وإقالته من منصبه في 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1925، فكان آخر المفوضين الساميين الفرنسيّين العسكريين الذين تولوا السلطة في الشرق خلال هذه الحقبة. **(الخوري، دون تاريخ النشر، ج1، ص 126 – 129)**.

وبدأ الحكم العسكري الفرنسيّ المباشر لجبل الدروز مع النقيب غابرييل كاربييه (Gabriel Carbillet)، الذي حاول الإمساك المباشر بالسلطتين السياسية والعسكريّة في الجبل. ومن المرجح بأنّ تعسّفه كان المحرّض الأساسي للدروز من أجل الثورة عليه، إذ إنه أقدم على استخدام عبارات مهينة للشرف والكرامة ومدعاة للثورة والانتقام في المجتمع العشائري، كقوله: «أنا إمبراطور بلاد عجيبة. وليس الدروز سوى قطيع من الخنازير وسأعاملهم كالخنازير» **(حكيم، 1965، ص 238)**

ومع أنّ انحسار مشروع الوحدة السّوريّة، وتراجع بعض الوحدويين المسيحيين (كأمثال أيوب تابت وشكري غائم) عن مسارهم السياسي الوحدوي **(لويسي، 2015، ص 146)**، مضافًا إلى ذلك تراجع القادة الفرنسيّين الداعين إلى الفدرالية السّوريّة عن

1 روبير دي كه: صحافي ودبلوماسي فرنسي، يعد من الشخصيات التاريخية التي شاركت في ولادة الإنتداب الفرنسي على سوريا ولبنان في عشرينيات القرن الماضي.

توجهاتهم كالجنرال كاترو (Catroux) وغيره (Catroux, 1948 , pp. 230–231)، فإن ذلك شكل دلالة سياسية ذات مغزى حول أفول الطروحات الوحدوية الإسلامية، مع بروز فكرة إنشاء أو إقامة الدويلات في المنطقة – كدولة لبنان الكبير ودولة حلب وجبال العلويين وغيرها – كواقع مسلّم به، حيث شهدت الفترة الممتدة منذ انتهاء الحرب عام 1918 وحتى إعلان دولة لبنان الكبير في العام 1920، محاولات تقاربية بين العشائر الجنوبية الدرزية (في سوريا ولبنان) وفرنسا، لكن فرنسا لم تنجح بكسب ودّ هذه العشائر لعدّة أسباب، أهمها تضارب السياسات الفرنسيّة والبريطانية في المنطقة، حيث كانت العشائر الجنوبية أكثر طواعية لبريطانيا، التي كانت تقوم بدعم العشائر وتسليحها ضدّ الوجود الفرنسيّ في سوريا **(عامر، 2016–2017، ص 89)**. وهكذا تمخّض موقف الدروز من الانتداب الفرنسيّ.

إعلان دولة لبنان الكبير

بعد معركة ميسلون وإنهاء الحكم الفيصلي في دمشق، وتعيين الحكومة الفرنسيّة الجنرال غورو مفوضًا ساميًا وقائدًا للجيوش الفرنسيّة في الشرق، وصدور قرارات مؤتمر سان ريمو (في ربيع 1920)، كان من الطبيعي أن يتأثر لبنان بشكل مباشر بهذه التطورات، سيما وأن لبنان وسوريا خضعا خضوعًا تامًا للحكم الفرنسيّ، وكان من الطبيعي أيضًا البحث في مستقبل لبنان السياسي. **(سعيد، 1934، ص 272 – 276)**، ففي 24 آب/أغسطس من العام نفسه أرسل رئيس وزراء فرنسا ماليران رسالة إلى رئيس الوفد اللبناني إلى باريس المطران عبد الله الخوري تضمنت الكثير من المغالطات حول تحقيق «أماني اللبنايين العريقة في القدم بفضل تقرير انتداب الحكومة الفرنسيّة لسوريا». **(الخوري، 1983، ج 1، ص 284)**.

وأضاف ماليران بأنّ حكومة فيصل هي التي اضطرته إلى إعادة لبنان الكبير قائلًا في هذا الصدد: «...إن نظرت إلى المطالب التي ذكرتموني بها بخصوص ضم البقاع وهي مطالب قد تحققت، وإن الجنرال غورو أعلن في مدينة زحلة أنه قد ضم إلى لبنان جميع البلاد الواصلة إلى جبل الشيخ وحرمون» **(نوار، 1974، ص 547 – 548)**، ثم أشار ماليران إلى أن لبنان الكبير يجب أن يضم سهول عكار في شمال لبنان، وأن يمتد جنوبًا حتى حدود فلسطين، وأن ترتبط به مدينتا طرابلس وبيروت ارتباطًا تامًا.

وحول حدود لبنان الكبير والمدن الملحقة به، أشارت المذكرة السياسية المرسلة من الإدارة الفرنسيّة لعصبة الأمم (في 13آب/أغسطس 1920) إلى أن لبنان يطالب بالحدود التي اعترفت فرنسا له بها عام 1860، أمّا فيما يخصّ مدينة بيروت فهذه المدينة لا يمكن أن تكون إلا لبنانية، وإنّها العاصمة الفعلية للبنان كما كانت عليه من زمن الأمير فخر الدين والأمير يوسف الشهابي، وإنّ إلحاقها بلبنان هو الشرط الرئيسي لعودة الأغنياء اللبنانيين من الخارج، أمّا طرابلس فيجب أن تكون لبنانية للأسباب نفسها. **(كوثراني، 1982، ص 341 – 343)**. «ولا تستطيع الأغلبية المسلمة أن تعارض هذا الأمر لأنّه يتناول منطقة لبنانية، وعليها منطقيًا أن تتقيد بمصير هذه المنطقة». **(Rabbat,1973, PP: 347 – 348)**.

ومما جاء في المذكرة أيضًا أنّ فرنسا لا يمكنها أن تفرض (بيروت وطرابلس) اللبنانيتين الجديدتين دون أن تجازف بمكانتها المتميزة، سواء في لبنان أو في سوريا إذ «إن فصل طرابلس بيروت عن لبنان التي هي عاصمته يعني الحكم على هذا البلد بموت محتوم، ويجب أن يبقى لبنان معقل النفوذ الفرنسيّ في الشرق، وكلما كان قويًا وقابلًا للحياة رسخت فرنسا مكانتها في كامل سوريا». **(كوثراني، 1982، ص 334)**.

وفي 31 آب/أغسطس أعلن الجنرال غورو قيام دولة لبنان الكبير، وأصدر القرار رقم 318 بضم المدن التالية إلى جبل لبنان وهي: بيروت القديمة التي كانت تتألف من أقضية صيدا وصور ومرجعيون وطرابلس والأقضية الأربعة حاصبيا وراشيا وبعلبك والمعلّقة والبقاع **(Fisher,1942, P 492)**. وبالتالي ففي الأول من أيلول/سبتمبر تم الاحتفال رسميًا بالدولة الوليدة في قصر الصنوبر في بيروت، بحضور رجال الدين والسياسيين والأعيان وممثلي الطوائف لاسيما بطريرك الموارنة إلياس الحويك ، ومفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا؛ للإشارة بأنّ المسلمين والمسيحيين على السواء موافقون على صيغة لبنان الكبير في ظل السيطرة الفرنسيّة، وموافقون على فصل لبنان عن سوريا. **(ديب، 2010، ص 92)**

وللحقيقة فإنّ إعلان دولة لبنان الكبير أثار انقسامات حادة بين اللبنانيين: فسكان الساحل (المسلمون) رفضوا رفضًا قاطعًا إعلان غورو، لاسيما بعد شعورهم بالخوف من الانتداب الفرنسيّ وشكوكهم به. هذا على عكس الموارنة الذين أعلنوا تأييدهم لدولة لبنان

الكبير، بالرغم من تخوف البطريرك الماروني من هذه الصيغة الجديدة التي جعلت من المسلمين أكثرية سكانية، ممّا أدى برأيه إلى الاختلال بالتوازن الطائفي.

ويذكر المؤرخ محمد جميل بيهم بأنّ إعلان دولة لبنان الكبير كان مؤلمًا للوحدويين الذين لم ينحصر ألمهم فيما وقع من التجزئة، بل زاد على ذلك شعورهم بأنّ مخططًا خبيثًا يرمي إلى إضفاء صيغة محلية على هذا الكيان الجديد؛ الأمر الذي يساعد فرنسا على إقامة مركز إستراتيجي دائم لها في الشرق الأدنى **(بيهم، 1969، ص 23)**، أما فيليب حتّي وجورج أنطونيوس فقد انتقدا ذلك الإعلان، حيث اعتبر فيليب حتّي بأنّ لبنان كسب مرافىء ومساحات جديدة، ولكن هذا الكسب – في مساحة الأرض– كان يقابله عدم تجانس في السكان ونقص في التمازج والترابط. وذلك أن لبنان فقد التوازن الداخلي الذي كان ينعم به سابقًا، ولكن من الناحية الجغرافية والإقتصادية أصبح لبنان دولة تستطيع البقاء، أما الأكثرية المسيحية فهي تعدّ تلك الاكثرية الساحقة التي كانت تتمتع بمزايا خاصة من قبل **(حتي، 1959، ص 598)** وبدوره أكد أنطونيوس أنّ المسيحيين أصبحوا أقلية، وإن هذا الكيان هو كيان مفتعل، وأدان فرنسا لإعلانها لبنان الكبير. **(أنطونيوس، 1966، ص 494)**.

كما عدّ وليد فارس أنّ إعلان غورو أعطى الضوء الأخضر لتفجير أكبر مشكلات القرن العشرين ألا وهي «القضية اللبنانية»، لا لشيء إلا لأنّ غورو جمع داخل حدود واحدة مجموعتين قوميتين تصارعتا على مدى الأجيال منذ ثلاثة عشر قرنًا بشكل مباشر، ورأى فارس في هذا السياق حتمية تجدد صراع القومية العربيّة الإسلامية ضدّ القوى اللبنانية المسيحية. **(فارس، 1979، ص 213)**.

– ثانيًا : موقف المسلمين من إعلان لبنان الكبير 1920 – 1926:

كان قرار الجنرال غورو بإعلان دولة لبنان الكبير (في 31 آب/أغسطس 1920) قد أحدث تغييرًا في علاقة المسلمين بالدولة المنتدبة من النواحي السياسية والاجتماعية والدينية، إذ بدأت الهوّة تتسع بين المواطن المسلم والدولة المنتدبة عندما تعدّى الأمر الشؤون السياسية إلى الشؤون الدينية الإسلامية، وذلك بعد أن عيّن الجنرال غورو الشيخ شفيق الملك – من علماء طرابلس – مراقبًا عامًا والسيد جناردي مستشارًا.

استنادًا إلى القرار المذكور وجه مراقب الأوقاف إلى مفتي بيروت (الشيخ مصطفى نجا)، بوصفه أيضًا رئيسًا لجمعية المقاصد الخيرية، كتابًا يطلب فيه الاطلاع على أعمال ومستندات الجمعية محددًا فترة لتنفيذ القرار. وما إن علم المسلمون في بيروت بهذا القرار حتى قامت الاحتجاجات ضد هذا الأمر، مما دعا إلى تراجع سلطات الانتداب عنه. من جهة أخرى ظلّ المسلمون في هذه الفترة ينهجون منهجًا وحدويًا مؤكدين دون مواربة أن لبنان جزءٌ لا يتجزأ من العالم العربي **(حلاق، 2010،ص 108)**.

وفي 24 آذار/مارس أرسل داوود عمون – رئيس اللجنة الإدارية – إلى يوسف السودا (عضو الانتداب السّوريّ في القاهرة) رسالة أوضح فيها موقف المسلمين. وممّا قاله: « المسلمون جميعهم يطلبون الوحدة في المناطق السّوريّة، والمسيحيون في سوريا يطالبون بها أيضًا». **(الحبال، 1981، ص 14 – 17)**.

وفي 17 حزيران/يونيو 1921 أكد يوسف الحايك في رسالة من بيروت إلى يوسف السودا في القاهرة عمق الخلافات بين اللبنانيين حين قال: «عندما وصلت البلاد رأيت المسلمين ينادون بأنّ البلاد إسلامية ويجب أن تبقى إسلامية؛ بينما المسيحيون خرجوا في مواكب زياحات انتشروا فيها بالطرقات وكرسوا فيها البلاد للقلب الأقدس» **(السودا، 1967، ص 331)**. ويبدو أن المسلمين حاولوا في بعض الأحيان الاعتراف بلبنان الكبير بشرط إقامة العدل والمساواة بين مختلف اللبنانيين.

ونظرًا للمارسات الفرنسيّة التي شعر المسلمون من خلالها بأنّ هناك خططًا سياسية للقضاء على تطلعاتهم؛ فقد تكوّنت جمعية إسلامية سرّية هدفها القضاء على المسلمين الذين يتعاملون مع الفرنسيّين بصورة أو بأخرى، وكان من بين أعضاء هذه اللجنة: نور العرب، ديب العرب، عبد خالد. لقد اكتشفت السلطات الفرنسيّة هذه الجمعية واتهمت بتأسيسها والمشاركة فيها: سليم علي سلام، عمر الداعوق، صلاح بيهم، سليم الطيارة، محمد جميل بيهم، فضلًا عن بعض الشخصيات البيروتية، وذلك بعد أن نفذت هذه الجمعية حكم الإعدام في 7 نيسان/أبريل 1922 باغتيال أسعد بك خورشيد – مدير الداخلية في بيروت – وطلبت الجمعية من عبد خالد تنفيذ العملية، إلا أن الذي نفذها يومذاك ديب العرب، فاعتقلته سلطات الانتداب وأصدرت بحقه حكم الإعدام، كما اعتقلت سليم علي سلام وصلاح بيهم وسليم الطيارة وحسن القاضي، حيث سيق هؤلاء إلى سجن

القلعة في بيروت، ثم نفوا جميعًا إلى بلدة دوما في منطقة البترون.

بدا واضحًا إذًا أنّ الوجود الفرنسيّ في لبنان ارتكز على التعاطف المسيحي معه، وخاصة الماروني، وبالفعل فقد عمل الموارنة بجد في مختلف المحافل الدولية للحصول على الانتداب الفرنسيّ، وبالتالي مسايرة هذا الانتداب فيما يرمي إليه من إحداث كيان مستقل للبنان تقع على رأس السلطة فيه الطائفة المارونية التي تحظى بالحماية والوصاية الفرنسيّة. « بناء على ذلك أصبح الأول من أيلول/سبتمبر بنظر فئة من اللّبنانيين يومًا من الفخر والسلام، بل أصبح يدعى «يومًا من النصر». **(مرعب، 2002، صفحة 147).**

ولا بد من الإشارة إلى أن الموالين لفرنسا سواءً كانوا مسيحيين أو مسلمين كانوا قد طالبوا (فيما بعد) الفرنسيّين بتثبيت مسألة الكيان والحدود اللبنانية للدولة الحديثة، وبالتالي فقد آل هذا الأمر إلى ما كرّسه الدستور اللبناني الذي وضع في 23 أيار/مايو 1926، فثبّت في مادته الأولى وحدة البلاد، وحدودها كما رسمها الجنرال غورو عام 1920 **(Antoin ., 1996, p. 37)**

وكانت قد ظهرت بوادر المعارضة السياسية في لبنان، مع الجنرال ساراي سنة ١٩٢٥وقد تجلت بخجل نسبي في المجلس التمثيلي. ولتلبية مطالب التيار الجديد، أقدم الجنرال ساراي في 13 كانون الثاني/يناير سنة 1925 على حلّ المجلس التمثيلي. ولما جرت الانتخابات في تموز/يوليو سنة 1925، جلبت إلى المجلس عددًا من الممثلين الموالين للفرنسيين، بحيث تجدر الملاحظة بناء على ذلك أنّ الدستور اللبناني وضعه المجلس الموالي لفرنسا، دستور سنة 1926 هو دستور انتقائي لا تمثّل قواعده كلّ مكونات الشعب في الدولة. **(rabbath, 1973, p. 342)**

أما أعداء الانتداب، من مسلمي لبنان (ومسيحييه) –أنصار الملك فيصل القدامى– فقد جرى نفيهم، فراحوا يواصلون حلمهم بعروبة موحدة، إذ انتقل إلى القاهرة رجال مثل الشيخ رشيد رضا وأسعد داغر، وهناك واصلوا مع السّوريّين المبعدين كفاحهم ضدّ فرنسا. كما قام آخرون،(الأمير شكيب أرسلان ورياض الصلح)، بالتعاون الوثيق مع الحلبي إحسان الجابري، بتشكيل لجنة تنفيذية سورية – فلسطينية **(rabbath, 1973, pp. 410–492)** في جنيف.

كانت هذه اللجنة على صلة دائمة بمناضلي القاهرة وقوميي الكتلة الوطنية في سوريا، وهي لم تنثن يومًا عن معارضة الانتداب الفرنسيّ معارضة حازمة؛ تجسدت في احتجاجات كثيرة واعتراضات شديدة غالبًا ما كانت تُمطر بها، بلا كلل أو ملل، لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الأمم. وفي الغالب كانت نشاطاتها تشكّل إحراجا لفرنسا أمام العصبة في جنيف، ولم تنته فعاليات اللجنة المذكورة إلا سنة 1936، بعد عودة أعضائها الى سوريا ولبنان، في سياق الاتفاقية الفرنسيّة اللبنانية المعقودة آنذاك. **(رزق، 1998، صفحة 36)**

ونزولًا عند المطالب المحقة للوطنيين المسلمين السّوريّين واللبنانيين (والمسيحيين أيضًا)، وجدت فرنسا نفسها مضطرة لمنح لبنان دستورًا، لذا حمل السيد د.جوفنيل تعليمات جديدة، إذ كانت فرنسا مضطرة هذه المرة، تحت وطأة تلك المطالب، إلى وضع مخطط سياسي عام وجديد، فيه شيء من الوضوح، وكان مما جاء فيه: «إن حقوق سكان سوريا ولبنان سوف تحدد وفقا لمبادئ حريات الغرب، التي يقع على كاهلنا إدخالها في القوانيين والعادات الخاصة بالمشرق السّوريّ: حرية الوعي والضمير، الحرية الفردية، المساواة أمام المحاكم، وحقّ الملكية طبقًا لإعلان حقوق الإنسان» **(الجريدة الرسمية – محضر جلسة 16 تموز/ يوليو، 1925)**.

ولذلك لاقى إعلان دولة لبنان الكبير ارتياحًا لدى فئات واسعة من الشعب اللبناني، وخصوصًا من المسيحيين، فيما رفضته فئات أخرى، ونعني بذلك المسلمين. نصل مما سبق إلى أنّ ولادة لبنان الكبير كانت ولادة بذرة الخلاف بين اللبنانيين حول وجه لبنان الحضاري والسياسي، وحول سياسته الخارجية وحول سياسته الداخلية، وهو خلاف قد تعدى الأزمات والنزاعات إلى المواجهات الدموية، إذ كان من المؤسف أن تتفق الطوائف اللبنانية، فلا يطول أمد اتفاقها، وتختلف فتبقى عهودًا في خلافها. وفقًا لهذا السياق اعتبر الجنرال كاترو في مذكراته أنّ لبنان الكبير كان غلطة عندما كتب يقول: « إنّ الجنرال غورو ارتكب في سياسته اللبنانية – التي كانت أيضًا سياسة الحكومة الفرنسيّة – خطأ سيكولوجيًا خطرًا بخلقه لبنان الكبير المتميز بتوجيهاته المسيحية على حساب سوريا الإسلامية... إنّ غورو بتقديمه للطوائف المسيحية، وبإلحاقه الإجحاف بالطوائف الإسلامية، زاد في تدهور العلاقات العدائية التقليدية بين هذه الطوائف... إنّ الجنرال غورو كان يدرك نتائج هذه السياسة، ولكن التخوف من الشعور الوطني العربي

الإسلامي قاده مع الحكومة الفرنسيّة إلى محاولة جعل لبنان سورًا يحمي الوجود الفرنسيّ في الشرق (**George Catroux, 1949, p:56**)، لكن الأسباب تعود إلى السياسة الفرنسيّة في الشرق الأوسط ولم تكن غلطة غورو.

مطالب البطريرك عريضة

كان لبنان المسيحي شديد التمسك بانفصاليته وباستقلاله، وكانت مطالب المونسنيور عريضة، (بعد مؤتمر عقد في بكركي يوم شباط/فبراير 1936)، والمرفوعة إلى المفوض السامي، تدل على طبيعة النزاع في لبنان، إذ كان البطريرك عريضة قد أعلن في خمس نقاط، المطالب التي تعبّر تماما عن وجهة نظر الأغلبية العظمى من مسيحيي لبنان في تلك المرحلة، ومنها:

- استقلال لبنان التام.
- المحافظة على الكيان اللبناني في حدوده الحالية، من دون أي تعديل.
- حياده السياسي بحيث لا يحارب، ويكون بمعزل عن كلّ تدخل حربي.
- الاستقلال الفعلي للبنان، والاعتراف بسيادته الوطنية، من دون إلحاق الضرر بتوطيد «علاقاته الأخوية مع الشقيقة سوريا، لا سيما على صعيد التعاون الاقتصادي الاجتماعي». (جريدة الأحرار، 1926).
- المسائل الاقتصادية التي يجري درسها، وتقرّر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين، وتنفذ قرارتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا.

هذا وقد أوضح البطريرك أسباب مطالبه والحيثيات التي دعته لرفع هذه المطالب، ألا وهي الفروق القائمة بين لبنان والبلاد العربيّة من حيث التاريخ والعناصر والمستوى الإجتماعي، مبررًا ذلك بالقول:«إنّ لبنان لا يطالب بالاستقلال فقط وإنما يريد الاستقلال التام عن كلّ دولة عربية في سوريا». (**بيهم، ص 90**).

قائمة المصادر والمراجع

1. الاسعد الأسعد، سعاد: (2018–2017). **النهضة العربيّة الحديثة العروبيون في لبنان الشمالي (عكار نموذجًا).** مقال.
2. أنطونيوس، جورج: (1969). **تاريخ حركة العرب القومية.** بيروت: دار العلم للملايين.
3. بيهم، محمد جميل : (1946). **فلسطين أندلس الشرق 1917– 1945.** بيروت : مطبعة صادر ريحان.
4. بيهم، محمد جميل: (1957): **قوافل العروبة ومواكبها.** بيروت: منشورات دار المشرق.
5. بيهم، محمد جميل: (1977): **تأليف النزاعات السياسية بلبنان1945–1918.** بيروت: دون دار نشر.
6. بيهم، محمد جميل: (1950). قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج2، بيروت.
7. بيهم، محمد جميل: (1969). لبنان بين مشرق ومغرب، 1920 – 1969،.
8. الحبال، أحمد أمين: (1981). ما لا يعلمه المسلمون عن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، بيروت.
9. حتي، فيليب: (1959)، **لبنان في التاريخ، تعريب أنيس فريحة،** مراجعة تقلا زيادة، بيروت – نيويورك.
10. حتّي، فيليب: (دون تاريخ النشر). **تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر.** بيروت: دار الثقافة.
11. حتّي، فيليب: (2010). تاريخ لبنان المعاصر، 1952–1913، بيروت – لبنان، دار النهضة العربيّة.
12. حكيم، الحسن: (1965). **مذكراتي، صفحات من تاريخ سوريا الحديث 1925–1920** (المجلد ج2). بيروت: دار الكتاب الجديد.
13. الخوري، بشارة: (دون تاريخ). حقائق لبنانية، ج2، منشورات أوراق لبنانية.
14. الخوري: (1983). **حقائق لبنانية،**ج(3،2،1). بيروت: الدار اللبنانية للنشر الجامعي.
15. الدندشي، حسن نمر: (1985). **الدّنادشة الثورة السّوريّة الأم 1919.** طرابلس: دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر.
16. ديب، كمال: (2010). هذا الجسر العتيق، سقوط لبنان المسيحي (1920 – 2010)، دار النهار، بيروت،.
17. رزق، هدى: (1998). **لبنان بين الوحدة والإنفصال هزائم الإنتفاضات 1927–1919** (المجلد الطبعة الأولى). بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.

18. رضا، أحمد: مجلة العرفان، مجلد 33، جـ7، ص 734 – 735

19. رضا، أحمد: مجلة العرفان، مجلد 23، جـ5، ص 472.

20. الريحاني، أمين: (1958). فيصل الأول،، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر

21. سعيد، أمين: (1934)، الثورة العربيّة الكبرى، جـ2، القاهرة – مصر.

22. السودا، يوسف: (1987). في سبيل الاستقلال، دار النهار، بيروت لبنان،

23. السودا، يوسف: (1967). **من أجل الاستقلال**. بيروت: دار الطليعة

24. شعيب، علي: (1987). مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير، 1936، ط1، بيروت – لبنان،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

25. عامر، هماد: (2017–2016)، **الدروز في الدولة اللبنانية 1975–1920 بين المجتمع والسياسة والسلطة**. بيروت: الجامعة اللبنانية–المعهد العالي للدكتوراه.

26. الغصين، ثائر: (1956). مذكراتي عن الثورة العربيّة، دمشق،، ص 113 – 114.

27. فارس، وليد: (1979). التعددية في لبنان، الكسليك، لبنان.

28. قدري، أحمد: (1956). مذكراتي عن الثورة العربيّة، دمشق.

29. قلعجي، قدري: (دون تاريخ). جبل الفداء، قصة الثورة العربيّة الكبرى ونهضة العرب،، بيروت، دار الكاتب العربي.

30. كوثراني: (1980). بلاد الشام، قراءة في الوثائق، بيروت لبنان، دار العلم للملايين.

31. كوثراني، وجيه: (1978). الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي،1860 – 1929، ط2، بيروت، معهد الإنماء العربي.

32. كويلنز، بول: (1936). **سكوت سارايِ**. دمشق: مطبعة ابن زيدون.

33. لويسي، صليبا: (2015). **لبنان الكبير أم لبنان خطأ تاريخي؟** جبيل: دار ومكتبة بيبلون.

34. مجلة الحوادث: (1978)، لم يذكر اسم الكاتب، العدد 1130.

35. معلوف، جان: (1973). **الموسوعة الإنتخابية المصورة**. بيروت: منشورات بيروت.

36. موسى، سليمان: (1966). الثورة العربيّة الكبرى، وثائق وأسانيد، عمان.

37. نوار، عبد العزيز سليمان: (1974). وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث 1920–1517، بيروت، جامعة بيروت العربيّة.

التطوّرات العدديّة لقطاع التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان بين عامي 2014-1989

وليد رفيق ناصر [1]

أ.د.محمد علي القوزي مشرفًا رئيسًا

أ.د.خالد الجندي مشرفًا مشاركًا

الملخّص

شهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان بعد الحرب الأهليّة إلى العام 2014 تطوّرا مطردًا نتيجة تغيرات عديدة شهدها هذا القطاع. فأعداد الطّلاب زادة بشكل ملحوظ، بالمقارنة بين التّعليم المهنيّ الرّسميّ والخاص من جهة، والتّعليم الأكاديميّ من جهة أخرى. وهذه الزّيادة أدّت في طبيعة الحال إلى زيادة في عدد المدارس والمعاهد وأعداد الأساتذة، وإنّ التطوّرات الإداريّة التي حصلت خلال تلك المرحلة، والخطط التي قامت بها الدّولة اللّبنانيّة بالتّعاون مع الجهات المعنية، أدّت أيضًا إلى تطوير هذا القطاع من التّعليم.

لكن ظلّ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ يعاني من بعض المشاكل، منها القديمة المتجدّدة كقلة الكوادر االتّعليميّة المتخصّصة، ومنها مستجدة كتطوير المناهج الدّراسيّة لمواكبة التطوّرات الحاصلة في العالم.

الكلمات المفتاحية: التّعليم المهنيّ، التّعليم الرّسميّ، التّعليم الخاص، المعلّمون، لبنان.

Summary

Vocational and technical education in Lebanon after the civil war until 2014 witnessed steady development as a result of many changes witnessed in this sector. The number of students has increased significantly, compared between formal and private vocational education on the one hand, and academic education on the other hand. This increase naturally led to an increase in the number of schools and institutes and the number of

1- طالب دكتوراه في جامعة بيروت العربية في التاريخ الحديث والمعاصر. walidrnasser@gmail.com

professors, and the administrative developments that took place during that stage, and the plans undertaken by the Lebanese state in cooperation with the concerned authorities, also led to the development of this sector of education.

However, vocational and technical education continues to suffer from some problems, some of which are old and new, such as the lack of specialized educational personnel, and some are new, such as developing curricula to keep pace with developments taking place in the world.

مقدّمة الدّراسة

بات التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في القرن الواحد والعشرين، نتيجة لما يستند إليه من إحصائيّات ومعطيات وشواهد وحقائق، يشكّل أحد المظاهر الرّئيسة للعمليّة التّعليميّة في العالم، وتأثير ذلك على التّنمية المستدامة في المجتمعات الحديثة، خاصّة في ظلّ تنامي العديد من المشكلات الاجتماعيّة، وبروز معضلة استشراء ظاهرة البطالة في أوساط الخريجين الأكاديميّين، ومن هذا الواقع، فإنّنا نشهد تجارب حيّة وعمليّة تعكس أهميّة تطوير التّعليم المهنيّ والتّقنيّ.

«فالصّين استطاعت في السّنوات الأخيرة، من خلال المعاهد والجامعات المهنيّة، أن ترفد المجتمع الصّيني بكفاءات مدرّبة في المجالات كافة..

والهند نجحت هي الأخرى في جعل التّعليم المهنيّ والتّقنيّ يشكل أحد المحاور المهمّة في العمليّة التّعليميّة، وهي تقدّم تسهيلات جمّة للطّلبة لتشجيعهم على الالتحاق بالمؤسّسات التّعليميّة ذات الاختصاص في هذا المجال.

وقبل هذه البلدان سبقت ألمانيا الدّول الأخرى في إعطاء أولويّة خاصّة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، إدراكًا منها أنّ الاقتصاد الحقيقي القوي لا يقوم بمعزل عن الكفاءات المهنيّة والتّقنيّة..» **(الخطيب، 2012)، (كانتور،1420هـ، ص 26-13).**

بينما العالم العربيّ قد تأخّر نسبيًّا اهتمامه بهذا النّمط من التّعليم لأسباب ثقافيّة وتنمويّة، حيث كان التّعليم الأكاديميّ هو المفضّل للطّالب وولي الأمر. لكن بعد أن استشرت وتفاقمت ظاهرة المتعطّلين عن العمل من الخريجين الأكاديميّين، وضعت

بعض الدّول خططًا قريبة وبعيدة المدى للنّهوض بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ.

إذًا، يعدّ مجال التّعليم المهنيّ والتّقنيّ من المجالات الأساسيّة في تنمية المجتمعات الحديثة وتقدمها. ومن هنا كانت أهميّة اهتمام الدّول والحكومات بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، ووضع المعايير الأكاديميّة ذات الجودة للارتقاء بهذا القطاع التّعليميّ وتحسين مخرجاته.

ولمواجهة التّحديات والمنافسة في سوق العمل وتحسين المخرجات، فقد بُذل الكثير من الجهود في مجال تطوير أنظمة التّعليم التّقنيّ والتّدريب المهنيّ، فشملت السّياسات والأهداف والبنية المؤسّسية والبرامج وطرق وأساليب التّعليم والتّدريب وغيرها. إلا أنّه لا تزال معظم الدّول، ولا سيما العربيّة منها، تحتاج إلى المزيد من الجهد لتحسين برامجها للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وأن تكون مرتكزة على الكفاءة والموجهة للحصول على فرص العمل، والّتي تتناسب مع السّياق الاجتماعيّ- الاقتصادي، والتّنمية التّكنولوجيّة، إلى جانب تحسين نوعيّة مخرجات التّعليم التّقنيّ والتّدريب المهنيّ، والارتقاء بمستويات المهارة المهنيّة كي تواكب المستويات العالميّة، وتلبي احتياجات سوق العمل من المهن والتخصصات الجديدة، وتساهم في زيادة قابليّة التّشغيل لخريجي المعاهد والمدارس التّقنيّة ومراكز التّدريب المهنيّ، الأمر الّذي سوف ينعكس على خفض نسبة البطالة بين هذه الفئة، ويزيد من دورها في تلبية الاحتياجات المطلوبة في سوق العمل.

إشكالية الدّراسة

يعود تاريخ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان إلى العهد العثماني، وبطبيعة تطوّر المجتمع واحتياجاته وطرق عيشه ووسائلها، وتنامي المعارف وتطوّرها، تصبح الحاجة ملحّة لتطوير مناهج التّعليم بشكل عام، ومناهج التّعليم المهنيّ والتّقنيّ بشكل خاص، لأنّ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ هو القطاع التّعليميّ المرتبط بسوق العمل أكثر من أيّ قطاع تعليمي آخر، لذلك من المفترض أن تكون مناهج هذا القطاع تواكب متطلّبات السوق كمًّا ونوعًا ضمن سياسة تربويّة تضمن وجود برامج لاختصاصات حديثة، لتجذب إليها عددًا من التلاميذ بشكل يلائم متطلّبات هذا السّوق، ليتمّ تعليمهم بأساليب ووسائل تؤهّلهم ليكونوا أفرادًا فاعلين ومنسجمين مع البيئة التي سيعملون فيها مستقبلًا.

انطلاقًا من ذلك تتولد الإشكاليات التالية:

ما هي العوامل المؤثرة في نمو قطاع التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ والخاص في لبنان؟

ما هي نسبة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ على التّعليم الأكاديميّ العام؟

ما هي العوامل المؤثرة على الكادر التدريسي في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ؟

فرضيات الدّراسة

بما أنّ الفرضيات هي إجابات عن الأسئلة تتولد الفرضيات التالية:

هناك عدة عوامل تؤثر على التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان.

تتفاوت نسب التّعليم المهنيّ والتّقنيّ على التّعليم الرّسميّ وفقًا لعامل الزمن.

تعتبر المنفعة المادية المؤثر الأول للكادر التدريسي، فضلًا عن التفرغ للوظيفة.

منهجية الدّراسة

اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في عرض المعلومات وتحليلها، وكذلك المنهج الاحصائي من خلال إيراد نسب وجداول وأرقام من شأنها أن تبين التغيرات الحاصلة في أعداد ونسب طلاب التّعليم المهنيّ والتّقنيّ سواء في الرّسميّ أو الخاص وكذلك نسبة المعلّمين.

حدود الدّراسة (الزمانية والمكانيّة)

لا بدّ للبحث أن يراعي الزمان والمكان، من أجل تقديم المضمون والفائدة، وتقديم المعلومات في إطار زماني ومكاني محدّد.

- الحدود الزمانية: الفترة الممتدة بين عامي 2014-1989 كإطار تأريخي عام، وتشمل ما بعد اتفاق الطائف وبداية عهد الرئيس الياس الهراوي (1998-1989)، حيث تمّ إنشاء أوّل وزارة خاصة بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان، وتمتد الدّراسة إلى عهد الرئيس ميشال سليمان (2014-2008).
- الحدود المكانيّة: الجمهورية اللّبنانيّة.

مقدمة

مرّ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان منذ عهد الاستقلال وحتّى تاريخنا الحاضر بكثير من المراحل، بعضها كان تأسيسيًّا، وبعضها شهد ركودًا، وفي بعض المراحل حصل نوع من التقدّم والتطوير لهذا القطاع الحيوي المرتبط بشكل مباشر بحاجات المجتمع، والّذي يشكّل مدماكًا أساسيًّا في البنية الاقتصادية لأيّ مجتمع، والإفادة من موارده البشريّة بشكل جيّد ،بغية توجيهها ضمن مسارات وظيفيّة تخدم مصلحته، وذلك في إطار خطّة تربويّة شاملة.

تشهد التّجارب الواقعية بأنّه لا يمكن لأي دولة أو مجتمع أن يبنيا نفسيهما من دون ازدهار التّعليم المهنيّ والتّقنيّ؛ لهذا يعتبر نظام التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان بمثابة الرافد للاقتصاد الوطني والمحرك لعجلة التقدم والازدهار والتنمية. من هنا برزت دعوات كثيرة تؤكد على أهمية تفعيل دوره على المستويات والصعد كافة، لما يؤدي من خدمات مهمّة للمجتمع اللّبنانيّ بمختلف شرائحه، ويسهم في إعانة الطلبة الذين يعانون بعض المشاكل التعلمية، أو غير الراغبين في متابعة الدروس الأكاديميّة والنظرية، أو لمن أراد منهم أن يستعدّ مسبقًا لاختصاصه في التّعليم العالي بمتابعة الدروس حول هذا الاختصاص المعني منذ صفوف البكالوريا الفنيّة ليكون متمرّسًا به أكثر فأكثر. كما يساعد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ على تلبية احتياجات سوق العمل، إلى جانب الحدّ من هجرة اليد العاملة اللّبنانيّة لا سيما الشبّان والشابات منهم.

لهذا رأى وزير العمل اللّبنانيّ الأسبق سجعان قزّي أن: «التّعليم المهنيّ السلاح الأقوى لمواجهة البطالة في لبنان، وأنه لا يمكن لأيّ مجتمع أن يبني نفسه دون ازدهار هذا التّعليم»، ويضيف: «إننا بحاجة إلى إرساء ثقافة التّعليم المهنيّ التي نفتقدها في لبنان، والبدء في نشرها في القرى والبلدات والعائلات والمجتمع، وعدم الاكتفاء بالمدارس والمعاهد فقط» **(قزي، 2015)**.

نلقي فيما يلي الضوء على واقع هذا القطاع الذي يستوعب عشرات الآلاف من الطّلاب في مستويات واختصاصات مختلفة.

أولًا: التطوّرات العددية للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ

1 – أعداد الطّلاب والخرّيجين

بعد أن توقّفت الحرب الأهليّة في لبنان في العام1990 بدأ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ يشهد نموًّا متسارعًا من حيث عدد المدارس والمعاهد والتلاميذ، وخصوصًا في القطاع الرّسميّ. فقد ارتفع عدد تلامذة التّعليم المهنيّ في القطاع الرّسميّ من 7451 تلميذًا عام 1990إلى 18448 تلميذًا عام2000 ، ومن ثمّ إلى 33692 عام 2004/2005. وتُرجم ذلك في ارتفاع حصّة القطاع الرّسميّ في حقل التّعليم المهنيّ، ولكن مع استمرار تقدّم القطاع الخاص في هذا المجال. فقد ارتفعت حصة التّعليم الرّسميّ من نحو 18% عام 1991/1992 إلى 25% عام 1999/2000، ومن ثم إلى 34.8% عام 2004/2005. وفي العام الدّراسيّ 2004/2005، شكّل تلامذة مرحلة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ نحو 7.3% من إجمالي عدد الملتحقين بكافّة قطاعات ومراحل التّعليم الرّسميّ، مقابل نحو 4.5% عام 1999/2000 **(مجلس الإنماء والإعمار، 2006، ص 93).**

وفي سبيل الحديث عن التطوّر التّربويّ في لبنان بعد الحرب الأهلية، عزّزت الدّولة من اهتمامها الإداري بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، فتمّ تحويل المديرية إلى وزارة عام 1993 ثم «أطلقت عام 1997 ورشة إعادة النظر بالمناهج، وتهتم الوزارة بإعداد مناهج جديدة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وتطوير اختصاصاته في مرحلتي البكلوريا الفنيّة والامتياز الفني، وتم اعتمادها منذ مطلع عام 99/2000، علمًا أنّه قد تمّ اعتماد مناهج معدّلة للاختصاصات الصناعية في مطلع التسعينات» **(وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، 1997، ص 14).**

بالنسبة إلى هذا النوع من التّعليم، وهو التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، لم يعرف هذا النوع من التّعليم إقبالًا كبيرًا عليه في لبنان، فمنذ نشأة هذا التّعليم وحتى اليوم لم تتجاوز نسبة طلاب التّعليم المهنيّ والتّقنيّ 20% من مجموع التلاميذ الملتحقين بالتّعليم النّظاميّ الرّسميّ.

ففي سنة 1995/1996 بلغ عدد طلاب التّعليم المهنيّ 48064 في القطاعين الرّسميّ والخاص، بينما وصل في السّنة نفسها عدد التلاميذ في التّعليم العام ما قبل الجامعي في المرحلة المتوسطة والثانوية إلى 288335 تلميذًا، فتكون نسبة تلاميذ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ 14.28% من مجموع التلاميذ العام والتّقنيّ والمهنيّ.

ما بين العام الدّراسيّ 74/75 التي كان عدد تلاميذ التّعليم التّقنيّ والمهنيّ 25451 تلميذًا، إذا ما قيس هذا العدد بما وصل إليه سنة 95/96 تكون نسبة الزيادة 86% بين هاتين الفترتين.

ونجد أنّ ما يقارب 78% من تلاميذ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ منتسبون إلى القطاع الخاص، ونلمس تحسنًا ملحوظًا لمصلحة القطاع الرّسميّ، إذ إنّ نسبة من المجموع ارتفعت من 19.7% سنة 1974/1975 إلى 22% سنة 95/96، وعلى المستويين الرّسميّ والخاص، فإنّ كليهما يستقطبان الأغلبية الساحقة من تلاميذ البكلوريا الفنيّة والامتياز الفني.

أما بالنسبة إلى العنصر البشري للطلاب والمتخرجين فقد «بلغ عدد الطّلاب في التّعليم المهنيّ والرّسميّ للسنة الدّراسيّة 96/97، 13508 طالب في حين بلغ عدد الطّلاب في القطاع الخاص في نفس السّنة الدّراسيّة 42340 طالبًا» **(المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، 96/97، ص 58)**.

وقد توزع العدد الاجمالي للطلاب على الشهادات الرّسميّة الخمس، وهي الكفاءة المهنيّة والتّكميليّة المهنيّة والبكلوريا الفنيّة والامتياز الفني والإجازة االتّعليميّة، وذلك على الشكل التالي:**(المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، 96/97، ص 61)**

الشّهادة الرّسميّة	الكفاءة المهنيّة	التّكميليّة المهنيّة	البكلوريا الفنيّة	الامتياز الفني	الإجازة الفنيّة
عدد الطّلاب	140	878	9350	2546	594

وهذا الجدول يعني أنّ النسبة الأكبر من الطّلاب هي من حصة البكلوريا الفنيّة الموازية للتّعليم الثانوي، في حين أنّ الكفاءة المهنيّة تحتوي على الحصة الأقل، ربما لأن طبيعة الاختصاصات التي تقدمها (البكالوريا) هي أشبه بالتدريب منها بالتّعليم.

ولكن تجدر الاشارة هنا إلى «أن 62.66% فقط من مجمل الطّلاب 13508 هم الذين يتأهّلون للاشتراك في الامتحانات الرّسميّة التي تعدّها المديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، 37.34 % يتأهلون لنيل افادات خاصة فقط تمنح من قبل المدارس الخاصة، وتصدّق من المديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ»**(المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، 96/97، ص 64).**

لقد جاءت هذه السنوات ما بين 93 إلى 2014، بالعديد من الأمور وهي على سبيل تيسير الحال للطلاب، وتحديدًا تلك الإفادات الخاصة التي كانت تعطيها المعاهد، وهي أقرب إلى التدريب المسرّع منه إلى التّعليم المهنيّ، إذ يملك المتخرّج منه مهارة فنية في جملة من الاختصاصات التي لا يقلّ زمن بعضها عن ثلاثة أشهر، ولا يزيد عن السّنة في البعض الآخر، «وما تشير إليه الأرقام أنّ حوالي 27530 طالبًا فقط هم الذين يمكن مقارنتهم بطلاب القطاع الرّسميّ، لأنّ القطاع الرّسميّ لا يشمل على نظام الافادات الخاصة، وهذا ما يعدّل من الكفة الراجحة غالبًا لصالح القطاع الخاص، في عدد الطّلاب المنتسبين، لكي يجعل الفارق لا يزيد عن النصف تقريبًا لصالح القطاع الخاص أيضا»، أما على صعيد تطوّر هذه الاعداد فتشير الاحصاءات التّربويّة إلى ان «أعداد الطّلاب في هذا التّعليم قد ارتفعت في اجمالي القطاعين الرّسميّ والخاص من 22529 طالبًا للعام 94/95 إلى 50679 للعام الدّراسيّ 1998/1999 أي بمعدل زيادة إجمالي قدره 56.2 % على مدى السنوات الخمس». وإذا أردنا أن نوزّع هذه الزيادة على كلّ من القطاعين الرّسميّ والخاص، لوجدنا «أن معدل الزيادة في القطاع الرّسميّ قد تجاوز بأشواط الزيادة الحاصلة في القطاع الخاص، إذ بلغ المعدل في القطاع الرّسميّ 77.4% بينما بلغ في القطاع الخاص 47%» **(خوري، جريدة السفير، بتاريخ 21/6/1999، ص 12-11).**

ولذلك يمكن القول بأنّ قطاع التّعليم المهنيّ والتّقنيّ يلقى إقبالًا متزايدًا خلافًا للرأي السائد حول ضعف الإقبال واعتكاف الطّلاب عن دخول مضماره، وتدني حصته في المنظومة االتّعليميّة، ولقد تحققت هذه الزيادة بشكل خاص خارج نطاق بيروت الكبرى، أي في مناطق جبل لبنان البعيدة عن الساحل وفي محافظات البقاع والشمال والجنوب، وهذا من غير العلمي، إرجاع هذه الزيادة إلى افتتاح مدارس جديدة في برجا وحمانا (جبل

لبنان) وبعلبك وبدنايل وراشيا (البقاع) وجويا ومرجعيون والعباسية (الجنوب).

ولعل المسألة يمكن أن ترجع إلى ضعف الوضع الاقتصادي في لبنان عمومًا، الأمر الذي ينعكس انحصارًا في خيار التّعليم بهذا القطاع دون غيره، باعتبار أنّه قد يكون أقل كلفة من جهة، ومن الممكن أن يساعد في تأمين العمل بشكل أسرع من التّعليم العام من جهة ثانية، ولأنّ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ لا يزال يأتي في المرتبة الثانية بعد التّعليم العام.

2 – توزع الطّلاب بحسب المحافظات

يتوزع الطّلاب في القطاع الرّسميّ في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان على الشكل التالي:

ففي محافظة بيروت الإداريّة حوالي 11%، في محافظة جبل لبنان ما عدا ضواحي بيروت 10%، أما في جبل لبنان مع ضواحي بيروت 30%، وفي محافظة البقاع 22%، أما في محافظة لبنان الجنوبي فجاءت ما يقارب 18% وفي لبنان الشمالي 17% وهذا ما بيَّنه الجدول الإحصائي **(المركز التّربويّ، الإحصاءات لعام 1996/1997، ص 58).**

أما توزع مجموع الطّلاب جغرافيًا في القطاع الخاص فهو على الشكل التالي:

النبطية والجنوب 10%، البقاع 5 %، لبنان الشمالي 15 %، بيروت 25 % وجبل لبنان مع ضواحي بيروت 45 % وهذا ما يبينه الجدول **(المركز التّربويّ، الإحصاءات لعام 1996/1997، ص 64).**

ونلاحظ أن القطاع الخاص في بيروت وضواحيها يستوعب حوالي 65 % من مجمل عدد الطّلاب الذي يضمهم هذا القطاع، وهذه النسبة مرتفعة جدًا مقارنة بالمساحات الجغرافية المتبقية من لبنان، بالإضافة إلى أنّ القطاع الخاص يستحوذ على سائر المناطق بنسبة لا تزيد عن 35% والنسبة الأكبر في جبل لبنان والشمال. وهو أمر طبيعي بالنظر إلى الظروف التي كان يمرّ بها لبنان في مناطق الجنوب والبقاع الغربي على وجه الخصوص.

أما فيما خصّ المتخرجين في سنوات 1993 إلى 2014، فقد انعكست الزيادة في أعداد الطّلاب زيادة في أعداد المتخرجين من التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، فارتفع عددهم

حسب الشهادات الرّسميّة من 3179 في عام 1994 إلى 7915 في عام 1998، أي نسبة زيادة 128% وشملت هذه الزيادة كافة الشهادات، ولكن هذا لا يشمل الإفادات الخاصة.

لقد ارتفع عدد المتخرّجين في القطاعين الرّسميّ والخاص بين عامي 1995 و1999، أكثر من ثلاثين ألف طالب، يتوزعون على شهادات هذا التّعليم من خلال توزيع الشهادات والسنوات وعدد الخريجين والنسبة المئوية وفق الجدول الآتي: **(خوري، 1999، ص 11).**

الشّهادة	1994	1995	1996	1997	1998	الإجمالي	النسبة %
الكفاءة المهنيّة	173	224	310	30	539	1549	5.1
التّكميليّة المهنيّة	410	652	874	1046	1358	4340	14.4
البكالوريا الفنيّة	2532	3726	4503	3822	4664	19248	63.7
الامتياز الفني	566	763	1119	889	1213	4550	15
الإجازة الفنيّة	37	80	137	1522	141	547	1.8
المجموع	3719	5445	6943	6212	7915	30234	100

بالنّظر إلى الجدول أعلاه، وإذا أخذنا بعين الاعتبار الرقم الأعلى قبل عام 1997، وهو 4503 خريج في البكلوريا الفنيّة، فيمكننا أن نؤكّد أنّ هذه الشّهادة هي الأساس في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ. في حين تقف التّكميليّة المهنيّة موقفًا متأخرًا بالنّسبة إليها، حيث إنّ أقصى ما وصلت إليه من أعداد المتخرجين هو 539 متخرجًا، كما أقصى ما وصلت إليه أعداد المتخرجين في الإجازة الفنيّة هو 1522 متخرجًا سنة 1997، بينما انخفض العدد إلى 141 متخرجًا في سنة 1998.

وبالعودة إلى 4503 متخرجين، فإننا نلاحظ أن 889 فقط، هم الذين تابعوا دراستهم في المستوى الأعلى من البكلوريا الفنيّة أي الامتياز الفني، و141 فقط هم الذين يتابعون الدّراسة على مستوى الإجازة الفنيّة. ولكن نعود ونرى أنّ تطوّر المتابعين بالنسبة لخريجي البكلوريا الفنيّة بنسبة أعلى من السّنة التالية أي عام 1997، ويمكننا أن نقول إنّه من الممكن جدًا أنَّ المتابعة في الدّراسة تهدف إلى الحصول على الشّهادة تخوّل صاحبها الدّخول في حقل التّعليم، أو أن الذين تخرجوا من البكلوريا الفنيّة لم يجدوا فرص

عمل مناسبة، فعادوا إلى مقاعد الدّراسة.

هذا بالإضافة إلى خريجي الامتياز الفني للعام 1996 بلغ 1119 خريجًا، بينما تطوّر عدد المتابعين في الشّهادة اللاحقة (الإجازة الفنيّة) للعام التالي 1997 فبلغ 1522، «مما يعني أنه من الممكن جدًا أن بعض خريجي الامتياز الفني في العام 1995 والبالغ عددهم 763، والذين لم يتابعوا، قد شعروا لسبب أو لآخر بضرورة المتابعة لأنهم لم يجدوا فرص عمل فتابعوا دراستهم، وقد أظهرت الدراسات أن 28% من الذين تخرجوا من دورات التدريب المعجل التي تنظمها المؤسسة الوطنية للاستخدام، عادوا وانخرطوا في النّظام التّعليميّ التّربويّ (**نقولا شماس، التدريب المهنيّ المعجّل وسوق العمل، النهار في 14/10/1996**).

جدول تطوّر أعداد تلاميذ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ والخاص في لبنان (1974 – 2014)

(المركز التّربويّ، النشرة الإحصائية، الأعوام المذكورة في الجدول)

العام الدّراسيّ	القطاع الرّسميّ	القطاع الخاص	المجموع
1974–1975	5017	20434	25451
1980–1981	6975	24233	31208
1985–1986	8873	28586	37459
1994–1995	9739	35803	45776
1997–1998	16284	50056	66340
2004–2005	33692	63190	96882
2006–2007	37446	62285	99731
2009–2010	37317	58494	95811
2011–2012	36675	53106	89781
2012–2013	38020	52208	90228
2013–2014	39452	48811	88263
2014–2015	41982	44368	86250

هذا التّزايد العدديّ إن دلّ على شيء فهو يظهر بأنّ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، لم يعد يشكّل ملجأً للرّاسبين، بل أصبح يعكس أهمية هذا النوع من التّعليم لدى المجتمع، حيث

إن أكثر من 32% من مجموع عدد تلامذة لبنان يلتحقون بهذا القطاع، كما أنّ تنوع الاختصاصات وفتح المجال لمتابعة التّعليم العالي دفع بالعديد من تلامذة التّعليم العام للتّوجّه باكرًا إلى اختيار مسارهم المهنيّ، خصوصًا بعد إتمامهم المرحلة المتوسطة من التّعليم العام، وهذا الإقبال المتزايد على التّعليم المهنيّ والتّقنيّ يطول جميع المناطق اللّبنانيّة، حيث يتصاعد عدد تلامذة هذا النوع من التّعليم من سنة إلى أخرى، فبلغ في الشمال 13703 تلميذًا في العام الدّراسيّ 2009/2010، بعد أن كان 8591 تلميذًا في العام الدّراسيّ 2001/2002، وفي ضواحي بيروت بلغ عدد الملتحقين بهذا التّعليم 17088 تلميذًا في العام الدّراسيّ 2009/2010، بعد أن كان 12112 تلميذًا للعام الدّراسيّ 2001/2002.

1 - أعداد المدارس

أما بالنسبة لعدد المدارس المهنيّة الرّسميّة فقد ارتفع من 28 مدرسة عام 1990-1991، إلى 40 مدرسة عام 2000-1999، ومن ثمّ إلى 76مدرسة عام 2004-2005. وتندرج الزيادة الأخيرة في عدد المدارس المهنيّة الرّسميّة، ضمن إطار نتائج السياسة الحكوميّة المنفّذة عبر مجلس الإنماء والإعمار، وتحديدًا عبر خطّة التنمية الخمسية التي وضعت أواخر التسعينيات. وقد اشتملت الخطّة على إنشاء 130 مدرسة مهنية و23 مدرسة مهنيّة وتقنيّة، و11 معهدًا فنيًا عاليًا **(مجلس الإنماء والإعمار، 2004، ص 33)**. وكان من المتوقّع أن تستوعب هذه المدارس والمعاهد ما يقارب 28000تلميذًا جديدًا. هذا فضلًا عن أنّ وزارة التّربيّة قد باشرت، منذ العام 1999، بتأسيس وتجهيز 31 مدرسة جديدة بفضل تمويل حصلت عليه من البنك الدولي والبنك الإسلامي للتنمية، والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعيّة، وصندوق الدول المصدّرة للنفط، إضافة إلى التمويل الصادر عن الحكومة. وفي الفترة الممتدة بين عامي 1992 و2003، استثمر في التّعليم المهنيّ ما يقارب 62 مليون دولار أميركي، فضلًا عن إعداد عقود بناء وتجهيز بقيمة 59 مليون دولار أمريكي **(مجلس الإنماء والإعمار، 2004، ص 39-37)**.

أمّا ما عكسه سوق العمل حينها ظهر عبر الدّراسة الّتي أُعدّت بتمويل من البنك الدّولي لصالح وزارة التّربيّة والتّعليم العالي، شملت سبعة قطاعات صناعية (الطباعة، الصّناعات الغذائية، الألبسة، النسيج، الأدوية، البلاستيك، والكهرباء)، حيث تمّ استطلاع رأي المسؤولين فيها عن مستوى متخرّجي التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، فأجمع أصحاب العمل على أنّ التّعليم المهنيّ والتّقنيّ لا يغطّي حاجاتهم كليًا، كما أنهم أعربوا عن وجود

نقص ملحوظ في أعداد العمّال المهرة. وكانت الشكاوى عديدة ومازالت حتى الآن، لأنّ متخرّجي التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، لاسيما في الاختصاصات الصناعيّة (كهرباء، الكترونيك، ميكانيك) لا تتلاءم و كفاءاتهم واحتياجات سوق العمل، فمن جهة هناك نقص في تجهيزات التدريب، ومن جهة أخرى فإنّ أسس التكنولوجيا الحديثة المستخدمة في خطوط الإنتاج والصيانة في المصانع لم تدخل إلى مناهج التّعليم، كما أن التّعليم المهنيّ والتّقنيّ لا يغطي بعض القطاعات الصناعية الأساسيّة في البلد ،مثل الطباعة والصناعات الغذائية وصناعة الألبسة والبلاستيك **(نقاش، المجلة التّربويّة، 2003، ص 37).**

جدول التطوّر التاريخي لأعداد مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ والخاص في لبنان (2014-1974)

(المركز التّربويّ، النشرة الإحصائية، الأعوام المذكورة في الجدول).

العام الدّراسيّ	مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ		المجموع
	الرّسميّ	الخاص	
1974-1975	17	134	151
1977-1978	17	130	147
1979-1980	17	113	130
1980-1981	18	139	157
1982-1983	22	162	184
1991-1992	28	210	238
1992-1993	31	214	245
1994-1995	31	245	276
1995-1996	29	278	307
1997-1998	34	319	353
2004-2005	76	365	441
2007-2008	98	365	463
2011-2012	117	306	423
2013-2014	123	314	437
2014-2015	123	247	370

نلاحظ في الجدول أعلاه، أن وتيرة تطوّر أعداد مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الخاص، كانت أسرع من وتيرة تطوّر التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ، الّذي شهد تقلبات في أعداد مدارسه ومعاهده بأقل وتيرة من مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الخاص.

ويظهر الجدول وتيرة تطوّر مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الخاص، بالشكل شبه التصاعدي بين العام 1974/1975 والعام 2007/2008، الذي سجل أعلى عدد لهذه المدارس والمعاهد، ومن اللافت التراجع في هذه الأعداد بين العام 2007/2008 والعام 2014/2015، الذي بلغت نسبة 25% تقريبًا، بينما في الفترة نفسها شهد التّعليم الرّسميّ تقدمًا في عدد مدارسه ومعاهده بنسبة 20% تقريبًا.

أما سبب التقلبات الحادة في أعداد مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الخاص، فتعود برأينا للسبب الآتي، إنّ هذه المدارس والمعاهد ذات طابع تجاري، وتبتغي الربح وترتبط بشكل أساسي بالعرض والطلب، لذلك هناك بعض المعاهد المهنيّة الخاصة الصغيرة المنتشرة على جميع الأراضي اللّبنانيّة (الداخلة في إحصاءات المركز التّربويّ للبحوث والإنماء)، تضطر لسبب قلة عدد تلامذتها أن تلحقهم بمعاهد أخرى، أو تعتذر عن فتح أبوابها بسبب انخفاض نسبة التسجيل في بعض السنوات الدّراسيّة.

ولكن هذه المشكلة لا يعاني منها القطاع الرّسميّ، حيث لا تعتبر معاهده ومدارسه تجارية، ومعايير فتح المدارس والمعاهد خاضعة لدراسات والإحصاءات التي تحدد حاجات المناطق لهذه المدارس والمعاهد، والتي تجريها المديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ بالتعاون مع مجلس الانماء والاعمار، وهذا هو سبب ارتفاع أعداد مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ الرّسميّ.

2 – العنصر التّعليميّ في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ

يعدّ العنصر التّعليميّ أو أساتذة التّعليم العنصر الرئيسي، والجزء الأهم بالنسبة إلى الخطة والحركة التّربويّة التي تهدف إلى تطوير قطاع التّعليم، وذلك باعتبار أن الأستاذ هو الواسطة في إيصال المعلومات إلى الطّلاب، ولذلك فإن عنصر شخصيته يدخل كعنصر فعّال ومؤثّر في العملية التعلمية.

ويكتسب المعلّم في القطاع المهنيّ والتّقنيّ أهمية خاصة، وذلك لأن المعلّم هو الذي يسهم في وضع المادة التي يعطيها لطلابه، هذا بالإضافة إلى أنّ طبيعة مواد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ تقتضي في كثير منها إلى احتكاك مباشر ومستمر من قبل المعلّم، بكل ما يستجد من معطيات علمية قد تتطلب تعديلًا أو حذفًا لمعطيات، لم تعد علمية بالنظر إلى تطوّر العلم، ومن هنا لا بدّ لنا من أن نبيّن الواقع البشري للمجموعة االتّعليميّة لمحاولة المقارنة والقياس حتى يبقى عائق أمام اكتمال العملية التعلمية.

جدول تطوّر عديد الهيئة االتّعليميّة في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان (2014–1974)

(المركز التّربويّ، النشرة الإحصائية، الأعوام المذكورة في الجدول).

العام الدّراسيّ	القطاع الرّسميّ	القطاع الخاص	المجموع
1974–1975	1147	945	2092
1981–1982	1430	2133	3563
1988–1989	1468	2398	3866
1993–1994	1630	4035	5665
1995–1996	2025	4957	6982
2001–2002	5143	6943	12086
2003–2004	8532	7660	16192
2006–2007	9610	7664	17274
2009–2010	12502	6699	19201
2011–2012	13445	6687	20132
2013–2014	15273	6455	21728

إنّه من الطبيعي أن ينعكس الازدياد في عديد المنتسبين للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ ازديادًا في عديد المعلّمين في هذا القطاع. إنّ معايير اختيار المعلّمين في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الخاص تختلف عن تلك المعتمدة في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ، ففي التّعليم الخاص هناك شريحتان من التّعليم:

- المعلّمون «**المتفرغون**» أي الداخلون في ملاك المدرسة أو المعهد المهنيّ والتّقنيّ، وهم ينتسبون لصندوق التعويضات في المدارس الخاصة **(مجلس النواب، قانون 27/3/1951)**، وبذلك يحكم العلاقة بينهم «قانون تنظيم الهيئة االتّعليميّة في

المعاهد الخاصة 1956 وتعديلاته» **(مجلس النواب، قانون 15/6/ 1956 وتعديلاته حتى 15 شباط 2005)** الذي يحدد النصاب الأسبوعي للحصص االتّعليميّة للمعلم، ودرجته في سلّم الرتب والرواتب، وذلك بناءً على مؤهلاته العلمية وعدد سنوات خبرته.

- المعلّمون «**المتعاقدون**» بعقود خاصة، وفي هذه الحالة يكون العقد هو الذي ينظّم العلاقة بين المؤسسة االتّعليميّة المهنيّة والمعلّم المتعاقد، لجهة عدد الحصص االتّعليميّة، والبدل المالي العائد لها، وطريقة التسديد.

كذلك في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ توجد شريحتان، المتفرغون والمتعاقدون، ولكن شروط التعيين والتعاقد تختلف عن التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الخاص:

- المعلّمون الداخلون في ملاك المديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وهم إما من متخرجي المعهد الفني التّربويّ، وإما من الناجحين في مباريات يدعو إليها «مجلس الخدمة المدنية» **(مجلس الوزراء، مرسوم رقم 55/12 تاريخ 7 كانون الثاني 1955)**، وهم يخضعون للنظام الداخلي للمديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وينتسبون لتعاونية موظفي الدّولة. **(مجلس الوزراء، مرسوم رقم 14273 تاريخ 29 تشرين أول 1963)**.

- المعلّمون المتعاقدون مع المديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، ويكون التعاقد وفق حاجات تحددها مدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وترفع طلبها بهذه الحاجات إلى المدير العام للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ الذي يوقّع على العقود الموافق عليهم من المعلّمين المتقدمين بطلباتهم للمديرية، أو لمدارس ومعاهد التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ.

لقد بلغ عديد المتعاقدين في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في العام الدّراسيّ 2004/2005، 7372 أستاذًا، بينما كان عديد الأساتذة الداخلين في ملاك المديرية العامة للتّعليم المهنيّ 794 **(إحصائيات غير منشورة للمديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ)**، أي أن نسبة المتعاقدين تخطّت 90%.

وفي العام الدّراسيّ 2006/2007، بلغ عدد أفراد الهيئة الإداريّة واالتّعليميّة في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ 9600 معلمًا وإداريًا، حوالي 80% منهم متعاقدون بالساعة.

إنّ توسع فرص التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وعدم القدرة على التوظيف في الملاك، لا يبرران التضخم الحاصل في أعداد المتعاقدين، حيث إن نسبة عالية منهم لا تدرّس أكثر من أربع ساعات أسبوعيًا. وإنّ معظم المتعاقدين في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ هم من بين متخرجي الجامعات، ومتخرجي التّعليم المهنيّ والتّقنيّ العالي، وهم بشكل عام غير معدين لهذا النوع من التّعليم، وقليلًا ما يتمّ التعاقد مع أهل الخبرة من سوق العمل **(وزارة التّربيّة والتّعليم العالي، 2007، ص 28).**

لقد أدّى عدم وضع سياسة رشيدة ومسؤولة للتعاقد وللتعيين في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ وتنفيذها إلى سلبيات كبيرة، خفّضت من كفايته الداخلية والخارجية، وأدّت إلى تفاوت في المهارات المكتسبة من مدرسة إلى أخرى، وأحيانًا من شعبة إلى أخرى **(وزارة التّربيّة والتّعليم العالي، 2007، ص 29).**

من هنا يمكن القول، إنه لا بدّ من إعادة التخطيط في هيكلة الكادر البشري في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، حيث يمكن أن ندعم الكادر البشري في الشهادات الأكثر إقبالًا بالكادر التّعليميّ الأعلى اختصاصًا، نظرًا لما يكتسبه المعلّم في القطاع المهنيّ من دور أساسي.

ثانيًا: أهم إنجازات المرحلة (1989-2014)

1 - الهيكليّة الجديدة

بعد خروج لبنان من الحرب الأهليّة، وبدء ورشة الإعمار لإعادة بناء ما دمّرته الحرب، كان لا بدّ من إطلاق ورشة لإعادة بناء النّظام التّربويّ في لبنان الّذي تأثّر أيضًا، وأصابه الاهتراء بعد إهماله طيلة سنوات الحرب تلك. فالثورة العلميّة والتكنولوجيّة التي حصلت في العالم في سنوات انشغال اللّبنانيّين بالأحداث الأمنيّة أحدثت تغيّرًا كبيرًا في عالم المعرفة، وأجبرت القيّمين على الشأن التّربويّ حول العالم على إعادة النظر في بنية أنظمتهم التّربويّة، وكذلك الطرائق الحديثة للتّعليم ووسائلها التكنولوجيّة الجديدة والمتنوّعة.

لذلك قامت الدّولة اللّبنانيّة بتعزيز اهتمامها بالقطاع التّعليميّ، وتحديدًا التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، حيث قامت بتحويل المديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ إلى وزارة مستقلّة بموجب المرسوم رقم 211 تاريخ 2/4/1993، حيث اعتمدت الوزارة المذكورة نظامًا جديدًا للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان، عرف باسم «النّظام المزدوج»، ويهدف إلى مواكبة الطّلاب المهنيّين لسوق العمل، وهو النّظام الذي تتوزع مهمة القيام به على جهتين: المؤسسة المعنية والمدرسة المتخصصة **(الوكالة الألمانية للتعاون الفني، 1996، ص 5)**

ثمّ ألغيت الوزارة حيث جرى تنظيم جديد للمديرية العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ بموجب المرسوم رقم 247 تاريخ 7/8/2000. وهذه الوزارة وقبل إلغائها وتحويلها إلى مديريّة، كانت قد أطلقت ورشة في إعادة النّظر بالمناهج عبر وضعها خطّة لإعداد مناهج جديدة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وتطوير اختصاصاته وتحديدًا في مرحلتي البكالوريا الفنيّة والامتياز الفني، وتهدف هذه الخطة إلى تحقيق الأهداف التي تسعى الدّولة لبلوغها لإرساء نظام حديث للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، يلبي متطلبات سوق العمل في قطاعاته المختلفة، خطة استراتيجيّة عامة أكثر منها برنامجًا مرحليًا دقيقًا. يتم تنفيذها على ثلاث مراحل، تمتد كلّ منها على خمس سنوات، وتنتهي المرحلة الأولى سنة 2002، والثانية 2007، والثالثة 2012، وذلك بنسبة 40% في المرحلة الأولى، و30% في المرحلة الثانية والثالثة، وهذه الخطة للمناهج الجديدة تمّ اعتمادها في العام الدّراسيّ 1999/2000 مع اعتماد مناهج للاختصاصات الصناعيّة في أوّل أيّام وضع الخطّة الجديدة.

إنّ الاهتمام الكبير بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وإيمانًا من الدّولة بالدّور الذي يقوم به هذا القطاع، وبسبب شعور أهل الحكم بأهميته وفاعليته، وبعد تحويل مديرية التّعليم المهنيّ إلى وزارة كما أسلفنا، ثمّ تحويلها فيما بعد ولأسباب سياسية إلى مديرية عامة، وإلحاقها بوزارة التّربيّة والتّعليم العالي، وبعد أن وضعت خططًا لها، جاءت هيكليتها مواكبة لدراسة الخطة الجديدة والتي ستستمر إلى العام الدّراسيّ 2012/2013 **(وزارة التّعليم المهنيّ، 1997، ص 35)**.

وبتاريخ 25/10/1995، أقرّ مجلس الوزراء «الهيكليّة الجديدة للتّعليم في لبنان» الّتي أعدّها المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، وشاركت في إعدادها– إلى جانب العديد من الخبراء المحلّيّين والدّوليّين– ووزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، لا سيّما فيما يتعلّق بالأجزاء المتعلّقة باهتمامات الوزارة والمهام المنوطة بها. أما «الهيكليّة الجديدة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ» الّتي وضعت في إطار «الهيكليّة الجديدة للتّعليم في لبنان» فقد أقرّها مجلس الوزراء بتاريخ16/8/2000 .

إنّ من أبرز ما تضمّنته هذه المرحلة، من التطوّرات الإداريّة في التّعليم بشكل عام، والتّعليم المهنيّ والتّقنيّ بشكل خاص، هو تطبيق الهيكليّة الجديدة (المناهج الجديدة) في التّعليم في لبنان، والتي ابتدأ العمل بها في عام 1999/2000، وهي الهيكليّة التي وضعها المركز التّربويّ للبحوث والإنماء في سبيل نهوض البلد من ناحية التّعليم والخريجين، والتي ستؤتي ثمارها في الأعوام الدّراسيّة اللاحقة، والتي ننظر إليها في حلول الأعوام التي تلتها حتى عام 2014 وما تلاها.

وفي إطلالة سريعة على ماهية الهيكليّة الجديدة للتّعليم نجد أنّ هناك ما يعرف أسباب نشوئها، المشاكل التي يعاني منها القطاع التّربويّ بشكل عام، والمتغيرات السريعة خلال السنوات الأخيرة التي سبقت إطلاق الهيكليّة الجديدة، وما حملته من تحدّيات وظروف وتطوّرات تتعلق بأكثر من قطاع وتحديدًا القطاع التّربويّ، ولذلك جاءت الهيكليّة الجديدة على سبيل خطة للنهوض التّربويّ، حيث أرادت أن تعيد بناء هذا القطاع وتطويره في لبنان، حتى تكتمل الصلة بسوق العمل والإنتاج والتقدم المهنيّ وغيره.

أما **الأهداف** فكانت كثيرة تلخص في ما يلي:

- السّعي إلى تحقيق توازن بين التّعليم الأكاديميّ والتّعليم المهنيّ لتوثيق الصلة مع التّعليم العالي.
- السّعي إلى إنشاء ملاءمة وتكامل بين التّربيّة والتّعليم من جهة، وحاجات المجتمع وسوق العمل اللّبنانيّ من جهة ثانية.
- النهوض بمستويات التّعليم والتأهيل في المراحل االتّعليميّة ما قبل الجامعية.
- مواكبة التقدم العلمي والتطوّر التكنولوجي، وتعزيز التفاعل مع الثقافات العالمية.

وبهدف تطوير التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان، «وضعت الوزارة أي وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ عام 1997 الخطة الخمسية لتطوير التّعليم المهنيّ، وهي خطة تمتد على مدى 15 سنة من عام 1997 إلى 2012» **(وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، 1997، ص 35)**.

وتهدف هذه الخطة إلى تحقيق الأهداف الخاصة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، مواكبة لخطة وزارة التّربيّة في الهيكليّة الجديدة للمناهج، حيث «تسعى الدّولة لإرساء نظام حديث للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ يلبي متطلبات سوق العمل في قطاعاته المختلفة» **(وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، 1997، ص35)**.

وهذه الخطة هي خطة عامة أكثر منها برنامجًا محليًا دقيقًا، يتم تنفيذه على ثلاث مراحل كل مرحلة خمس سنوات. أما **أهداف الخطة:**

- تلبية الطلب الاجتماعيّ على التّعليم، وذلك من خلال توسيع قدرة الوزارة الاستيعابية لمزيد من الطّلاب، عبر إنشاء معاهد ومدارس فنية في غالبية المناطق التي لا يغطيها هذا القطاع.
- تلبية احتياجات سوق العمل، عبر توفير اليد العاملة الماهرة والفنيّة التي يحتاج إليها سوق العمل كمًا ونوعًا.
- تحديث النّظام التّعليميّ، وذلك بإرساء نظام تعليمي مهني وتقني مفتوح على المستقبل، بتفرّع مناهجه وطرائقه االتّعليميّة، وحداثة تجهيزاته ووسائله.
- تفعيل دور الوزارة، وذلك بملء الشواغر في ملاك الوزارة بعناصر ذات كفاءة، عبر إخضاعها لدورات تدريبية على المهام وإعادة النظر في هيكليتها الحالية.

ولتحقيق هذه الأهداف، وفي السنوات الخمس الأولى للخطة كان لا بدّ من:

- إنشاء وحدة تخطيط في الوزارة تتولّى متابعة تنفيذ الخطة الخمسيّة.
- تعميم مكننة الأعمال الإداريّة والماليّة على الوزارة.
- وضع أنظمة داخلية جديدة للمعاهد والمدارس بحيث تعطى إدارتها صلاحيات أفضل.

- إعداد إداريي المدارس من مدراء ورؤساء دروس نظرية وتطبيقية.
- تنظيم حملة إعلانية حول دور الوزارة.
- تنظيم سبل التعامل مع القطاعات الأخرى.

فقد جاءت هذه الخطط الخمسية من وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ مواكبة لما طرحته الوزارة في الهيكليّة الجديدة للمناهج في التّعليم العام والتّعليم المهنيّ والتّقنيّ؛ وكما ذكرنا سابقًا، لم يبدأ العمل بالهيكليّة الجديدة للمناهج حتى العام الدّراسيّ 1999/2000، في حين أن خطة النهوض في وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ بدأت منذ 1997، وعليه فإنّ الصيغة المنشورة من الهيكليّة الجديدة، هي «الصيغة الرابعة التي تم الاتفاق عليها، وقد أقرت في جلسة عقدت في مكتب وزير التّربيّة الوطنية والشباب والرياضة بتاريخ 5/10/1995، بحضور وزيري الثقافة والتّعليم العالي ووزير التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وبمشاركة الفئة الأولى من المعنيين بشؤون التّربيّة والتّعليم «**(المركز التّربويّ للبحوث والانماء، 1995، ص 2).**

الهيكليّة الجديدة بدأت بالتنفيذ عام 1999/2000 وحتى يومنا هذا، مما يعني أنها ضمن الفترة التي نتكلم عنها، وعليه فما هي **الهيكليّة الجديدة.**

المقصود **بالهيكليّة الجديدة** للتّعليم «الإطار العام الذي يحدد مسارات التّعليم وأنواعه وفروعه، وعلاقة التّعليم العام الأكاديميّ بالتّعليم المهنيّ، وصلة التّعليم ما قبل الجامعي بالتّعليم العالي، وارتباط التّعليم على اختلاف أنواعه ودرجاته بسوق العمل والإنتاج، وحاجات المجتمع اللّبنانيّ وتطلعاته المستقبلية، وهو التمهيد لوضع مشاريع لمناهج جديدة مترابطة ومتكاملة لجميع أنواع التّعليم وفروعه ودرجاته» **(المركز التّربويّ للبحوث والانماء، 1995، ص 2)**.أما ما يهمنا نحن، فهو ما يتعلق بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، دون الفروع الأخرى إلى مدى ارتباطه بالمناهج الأخرى. ما يتعلق بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ تشدد الهيكليّة على ما يلي:

- «ألّا يتحوّل التّلميذ اللّبنانيّ إلى التّعليم المهنيّ النّظاميّ وغير النّظاميّ قبل سن الثانية عشرة.
- تحرص الهيكليّة على ربط التّعليم الأكاديميّ بالتّعليم المهنيّ والتّقنيّ بصورة عضوية،

وعلى تعزيز هذا التّعليم حيث يستطيع الطالب تصحيح مساره التّعليميّ للانتقال من إحدى نوعي التّعليم إلى الآخر».

- تطمح الهيكليّة إلى تفعيل دور المؤسسة الوطنيّة للاستخدام في مجال استجابة التّعليم والتأهيل لحاجات سوق العمل، ولا سيما في نطاق التّعليم المهنيّ والتّقنيّ غير النّظاميّ.

أما فيما يخص التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، نلاحظ وجود بنية للتّعليم الأساسي والتي ذكرت في الهيكليّة الجديدة، وهي التي تتمثل بالمرحلتين الابتدائية والمتوسطة (التّعليم الأساسي)، هذه البيئة هي اللبنة الأولى في مرتكزات التّعليم العام والتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وهو ما يتعلق بالتّعليم النّظاميّ.

ولقد لحظت الهيكليّة الجديدة أن التّعليم غير النّظاميّ يسلك مسارًا تدريبيًا على المهن الموجودة في سوق العمل، وذلك للمتعلّمين الذين أنهوا المرحلة الابتدائية ويرغبون باكتساب مهنة في وقت مبكر **(المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، 1995، ص 28)**.

هناك العديد من الأمور الإيجابية التي ظهرت وفق الهيكليّة الجديدة، حيث برزت موضوعات عديدة أبرزها:

- التفريغ، «يضفي مرونة وتفاعلًا أكثر بين التّعليم العام والتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، عبر إقامة الجسور والروابط المشتركة، كما أنه يسمح بالتحرك بين الاتجاهين بسهولة أكثر على امتداد السلم التّعليميّ، بدءًا من نهاية المرحلة المتوسطة وانتهاءً بالتّعليم العالي.

- تفسح الهيكليّة الجديدة للتّعليم المجال أمام التّعليم المهنيّ والتّقنيّ لتفريع التّعليم والتدريب خلال المرحلة الثانوية التّقنيّة، والتي تعتبر البداية الرّسميّة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ النّظاميّ عبر ثلاثة مجالات:

  - صناعة
  - زراعة
  - تجارة وخدمات.

بالإضافة إلى الاهتمام بقطاع الزراعة حيث لحظ في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، كفرع اختصاص إلى جانب الاختصاصات الأخرى.

2 – المديريّة العامة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ

تعود المرجعيّة الفنيّة والإداريّة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ الرّسميّ في لبنان إلى المديريّة العامّة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، التابعة لوزارة التّربيّة والتّعليم العالي، أمّا التّعليم المهنيّ والتّقنيّ الخاص فيتبع لها في الترخيص، والمناهج االتّعليميّة، وإجراء الامتحانات الرّسميّة فقط. والهيكليّة الحاليّة للمديرية الّتي أقرّت بموجب المرسوم رقم 8349، جاءت على الشكل التالي: (مجلس الوزراء، تاريخ 2/5/1996)

أصبحت المديريّة العامّة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ خمس مصالح إضافة إلى دائرة المعلوماتيّة والإحصاء، والدوائر التّربويّة في المحافظات. أمّا مهام هذه المصالح والدوائر فهي كالآتي: (قبيسي، 2012، ص 233–229)

أ – مصلحة الإدارة والتنفيذ:

وتتألّف من: الدائرة الإداريّة، دائرة شؤون الموظّفين، دائرة القضايا، دائرة اللّوازم، دائرة العلاقات العامّة والمنشورات.

وتهتم هذه المصلحة بـ:

- الأعمال القلميّة، شؤون التحرير والترجمة، سجل الشكاوى، شؤون المحافظات.
- إعداد المعاملات للموظّفين، الشؤون الذّاتيّة، ملاحقة قضايا موظّفي الوزارة ومستخدميها لدى تعاونيّة موظّفي الدّولة وصندوق الضمان.
- إعداد مشاريع القوانين والمراسيم والاتفاقيات، إعداد معاملات الاستملاك اللّازمة للمؤسّسات االتّعليميّة ومراكز التأهيل، التنسيق بين أجهزة الرقابة الإداريّة والقضائيّة والوزارة.
- إعداد صفقات اللّوازم، إدارة المستودعات المركزيّة.
- شؤون الإعلام والإعلانات، شؤون الاشتراكات في المجلات والصحف، إصدار نشرات دوريّة عن شؤون التعلّم والتدريب، الاهتمام بشؤون التلاميذ المتخرّجين وتأمين

الارتباط معهم، وتسهيل إيجاد عمل لهم بالتعاون مع إدارات المعاهد والمدارس الفنيّة الرّسميّة، وتنظيم محاضرات وندوات تهدف إلى إرشاد التلاميذ وتوجيههم نحو الحقول والاختصاصات الّتي تناسبهم.

ب – **المصلحة الفنيّة:**

وتتألّف من: دائرة الدراسات والبحث والتطوير، دائرة التعاون التّقنيّ، دائرة التجهيز والصيانة، دائرة المناهج وتقنيّات التّعليم

وتهتمّ هذه المصلحة بـ:

- الدّراسات الّتي تساهم في تحديد أهداف التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في مختلف المراحل.
- تحرّي حاجات البلاد إلى فنّيين من الناحيتين العدديّة والنوعيّة، تحديد حاجات القطاعين الرّسميّ والخاص لأساتذة ومدرّبين في مختلف الاختصاصات الفنيّة والمهنيّة.
- اقتراح إنشاء معاهد ومدارس فنيّة ومراكز تدريب رسميّة في مختلف المحافظات، دراسة مشاريع عقود التدريس بالسّاعة في معاهد ومدارس التّعليم المهنيّ والتّقنيّ ومراكز التدريب من الناحية الفنيّة.
- تأمين الارتباط بين الوزارة ومختلف الإدارات الرّسميّة والمؤسّسات الخاصّة والمراجع الّتي لها علاقة بالتّعليم المهنيّ، شؤون العلاقات مع الأمم المتّحدة والمنظّمات.
- وضع الدراسات الفنيّة المتعلّقة بالأبنية المدرسيّة، والدراسات لتحديد المفروشات والتجهيزات، متابعة شؤون الأبنية وصيانتها بشكل عام.
- اقتراح تشكيل لجان عمل المناهج ،ووضع مشاريع مناهج التّعليم ومتابعة تقويمها ووضع مواصفات الكتب والوسائل االتّعليميّة وطرائق التدريس، وضع الاختبارات والأسئلة لجميع الاختصاصات وجعلها في تصرّف لجان الامتحانات الرّسميّة.

ج – **مصلحة المحاسبة والتدقيق:**

وتتألّف من: دائرة المحاسبة، دائرة التدقيق.

وتهتم هذه المصلحة بـ :

- إعداد مشروع الموازنة وتنظيم جداول الرواتب والمساعدات وجميع المعاملات الّتي لها علاقة بالموازنة.
- تدقيق حسابات المشاريع والإشراف على حسابات صناديق المعاهد والمدارس ومراكز التدريب من الناحية الماليّة، مراقبة محاسبة الموارد، إعداد قطع حساب الموازنة.

د – **مصلحة التأهيل المهنيّ:**

وتتألّف من: دائرة برامج التدريب المهنيّ، دائرة مستويات التدريب

وتهتم هذه المصلحة بـ:

- وضع برامج للتدريب المهنيّ ومتابعة تنفيذها، والعمل على إعداد الكتب ووسائل التدريب في مجال التدريب المهنيّ.
- توجيه المدرّبين وإرشادهم وتقويم أدائهم، ودراسة متطلّبات المراكز التدريبيّة.
- وضع تقارير دوريّة عن نشاط المدرّبين واحتياجاتهم التدريبيّة.
- تصميم الاختبارات المهنيّة والإشراف على تنفيذها، ومنح الشهادات والوثائق.

هـ – **مصلحة المراقبة والامتحانات:**

وتتألّف من: دائرة المراقبة التّربويّة والإرشاد، دائرة الامتحانات، أمانة سرّ لجنة المعادلات.

وتهتم هذه المصلحة بـ:

- الإشراف على انتظام التّعليم ووضع تقارير سنويّة.
- توجيه أفراد الهيئة االتّعليميّة وإرشادها.
- درس طلبات الترخيص للتّعليم الخاص ضمن الشروط اللّازمة والمراقبة على تنفيذ المناهج، وتنظيم معاملات الامتحانات الرّسميّة.
- إعداد الشهادات وتسليمها إلى أصحاب العلاقة، مراقبة الامتحانات السنويّة في

المعاهد والمدارس، متابعة شؤون المعادلات.

و – **دائرة المعلوماتيّة والإحصاء**

ترتبط هذه الدائرة مباشرة بالمدير العام للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وتتولّى إعداد أنظمة معلوماتيّة وتصميمها وتنفيذها لمكننة جميع الوحدات، وإقامة شبكة اتصالات معلوماتيّة بينها، وإعداد البيانات الإحصائيّة الدوريّة عن نشاط التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وجميع ما يلزم من إحصاءات ومعلومات لمختلف الوحدات.

ز – **الدوائر التّربويّة في المحافظات**

تتوزّع الدوائر التّربويّة في المحافظات باستثناء بيروت، وتعمل تحت إشراف المحافظ، ودورها تمثيل مختلف الوحدات المختصّة في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، وتأمين الارتباط بين الإدارة المركزيّة وإدارات المعاهد والمدارس الفنيّة ومراكز التدريب، استقبال طلبات فتح المعاهد ومراكز التدريب، تسلّم البيانات المدرسيّة على أنواعها، تسلّم جميع المعاملات القلميّة وإجراء التبليغات العائدة لها، تسلّم طلبات الترشيح للامتحانات الرّسميّة، بالإضافة إلى سائر المهام الّتي تفوّضها بها الإدارة المركزيّة وفقًا للقوانين والأنظمة النّافذة.

بالرّغم من أنّ مسؤوليّة إعداد المناهج التّعليميّة وتطويرها في المديريّة العامّة للتّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان مناطة بالمصلحة الفنيّة، كما قرأنا في العرض السابق، إلّا أنّنا نلاحظ أيضًا أنّ لغالبيّة المصالح والدوائر الأخرى دورًا أساسيًّا في ذلك، فمصلحة الإدارة والتنفيذ مثلًا عليها إعداد مشاريع القوانين والمراسيم الّتي يحتاجها المسار القانوني للمناهج، كما عليها إعداد الصفقات الّتي تحتاج المديرية إبرامها في حال شراء تجهيزات للمناهج المستحدثة.

كما أنّ لمصلحة المحاسبة والتدقيق دورها في ما خصّ الموازنات المتعلّقة بالمناهج، ولمصلحة التّأهيل المهنيّ دور في وضع برامج تأهيل المعلّمين وتدريبهم على المناهج الجديدة، وكذلك إعداد الكتب اللّازمة وتحضير الوسائل التّعليميّة الّتي تتطلّبها المناهج الجديدة.

وعليه نعتقد بأنّ عمليّة إنتاج مناهج تعليميّة جيّدة تتطلّب تنسيقا وتعاونا بين مختلف المصالح والدوائر، وأي خلل في عمل أحدها سيؤثّر على نوعيّة المناهج الّتي تصدر.

خاتمة

نجد مما تقدم، أنّ وعي أهمّية تطوير التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان، فضلًا عن وضع مشاريع لتطويره، هو نقطة منهجية مهمة في الطّريق إلى النهوض بهذا القطاع التّربويّ المهم، بالنظر إلى ما يرافقه من تحديّات عالمية على مستوى التطوّر السّريع في التكنولوجيا، والتي تتطلب منه القيام بسدّ الحاجات المفروضة في هذا المجال.

وبالإضافة إلى ذلك تهدف مشاريع التطوير، والتي انطلقت مع الخطط الخمسية في وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، إلى تحقيق الملائمة والتكامل بين التّربيّة والتّعليم من جهة، وبين حاجات المجتمع وسوق العمل اللّبنانيّ والعربي من جهة ثانية، إضافة إلى تحقيق التوازن بين التّعليم المهنيّ والتّقنيّ والتّعليم العام، نظرًا إلى الهوة الشاسعة في الذهنية االتّعليميّة السائدة لصالح التّعليم العام على حساب التّعليم المهنيّ والتّقنيّ.

أما جهات التخطيط، فتلاحظ الواقع الراهن لسوق العمالة لجهة احتياجه إلى التدريب العلمي التكنولوجي، وذلك من خلال وضع التّعليم غير النّظاميّ الذي يسمح لليد العاملة الفعلية من الاستفادة من التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، بطريقة مرنة تؤمن استمرارية الانخراط في سوق العمل والتّعليم في خط موازٍ.

لائحة المصادر والمراجع

1. كانتور، ليونارد. (1420هـ). **أهمية التّعليم الفني في الدول المتقدمة**. ترجمة محمد بن شحات الخطيب (معربًا). مجلة التدريب والتّقنيّة، العدد (1). http://www.altadreeb.net.
2. قزي، سجعان. (2015). **التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في خدمة المجتمع اللّبنانيّ**، لبنان: معهد الحكمة الفني العالي: http://newspaper.annahar.com/article/237530.
3. الجمهوريّة اللّبنانيّة، مجلس الوزراء، مجلس الإنماء والإعمار، **البرنامج التنموي آفاق 2006-2009**، بيروت، 2006.
4. الجمهوريّة اللّبنانيّة، مجلس الوزراء، مجلس الإنماء والإعمار، **تقرير حول تقدم الأعمال**، بيروت، تموز 2004.
5. الجمهوريّة اللّبنانيّة، وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، **الخطة الخمسية لتطوير التّعليم المهنيّ والتّقنيّ 1998-2002**، بيروت، 1997.
6. وزارة التّعليم المهنيّ والتّقنيّ، **بانوراما التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان**، بيروت، 1997.

7. الجمهورية اللّبنانيّة، وزارة التّربيّة الوطنية والشباب والرياضة، المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، **النشرة الإحصاءات لعام الدّراسيّ 1996/1997.**

8. جريدة السفير، **القفزات الكمية لا تغني عن تقديم الحلول الفعلية للمعضلة المزمنة: التّعليم المهنيّ والتّقنيّ أمام تحديات السوق والحداثة العاصفة**، دراسة أعدّها **إيلي خوري** من مؤسسة التنمية والثقافة والتكنولوجيا تحت عنوان «**التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في مواجهة التحديات**»، جريدة السفير، بتاريخ 21/6/1999، ص 11.

9. نقولا شماس، التدريب المهنيّ المعجّل وسوق العمل، جريدة النهار في 14/10/ 1996.

10. المركز التّربويّ للبحوث والإنماء. **المقارنات الإحصائية لمسار التطوّر التّربويّ خلال 20سنة**، بيروت، 1995.

11. نقّاش، (نبيل). **مسيرة تطوير المناهج في التّعليم المهنيّ والتّقنيّ**، المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، المجلّة التّربويّة، العدد 28، كانون أول 2003.

12. الجمهورية اللّبنانيّة، مجلس الوزراء، **مرسوم رقم 55/12**، بيروت 7/1/1955

13. الجمهورية اللّبنانيّة، مجلس الوزراء، **مرسوم رقم 14273**، بيروت، 29/10/1963

14. الجمهورية اللّبنانيّة، مجلس النواب، **قانون صندوق التعويضات لأفراد الهيئة االتّعليميّة في المدارس الخاصة**، بيروت، 27/3/1951.

15. الجمهورية اللّبنانيّة، مجلس النواب، **قانون تنظيم الهيئة االتّعليميّة في المعاهد الخاصة، بيروت، 15/6/1956**

16. الجمهورية اللّبنانيّة، مجلس النواب، **قانون تنظيم الهيئة االتّعليميّة في المعاهد الخاصة**، بيروت، 15/6/2005.

17. وزارة التّربيّة والتّعليم العالي، مشروع الإنماء والإعمار، **الاستراتيجية الوطنية للتربية والتّعليم في لبنان، وثيقة الرؤية**، إعداد الهيئة اللّبنانيّة للعلوم التّربويّة ولجنة الاستراتيجية الوطنية للتربية والتّعليم في لبنان، بيروت، 2007.

18. المركز التّربويّ للبحوث والإنماء، **الهيكليّة الجديدة للتّعليم في لبنان**، بيروت،1995

19. الوكالة الوطنية للتعاون الفني، **تنفيذ برامج التدريب المزدوج**، رسالة إلى وزير التّعليم المهنيّ والتّقنيّ في لبنان، بيروت، 1996

20. الجهوريّة اللّبنانيّة، مجلس الوزراء، مرسوم رقم 8349، **تنظيم مديرية التّعليم المهنيّ والتّقنيّ**، بيروت، تاريخ 2/5/1996

21. قبيسي، حسان. (2012)، **النّظام التّعليميّ في لبنان**، دار الكتاب العزيز، بيروت، 2012

الصّوم الشّرعيّ والإضراب عن الطّعام

عبير فارس صلاح

المقدّمة

يعدّ الصّوم أحد أركان الإسلام، وقد فرضه الله على عباده كونه أعظم أركان الدّين، بل وهو كما ذكر السّلف أوثق قوانين الشّرع المتين، فهو مدرسة لتربية النّفس وكبح جماحها عن الشّهواتت والملذّات من أمور الدنيا، سواء كان منعًا للأكل والشّرب، أو النكاح ومختلف المفسدات.

قد جاء الصّوم مرتبطًا بالإيمان، حيث خاطب الله تعالى عباده المؤمنين وخصّهم بالخطاب عندما كتب وفرض عليهم ذلك في قوله عزّ وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصّيام كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. **بل وقد ارتبط الصيام بتقوى النفس في قوله تعالى** ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وقد جاء في صحيح البخاري أنّ النبي ﷺ كان بارزًا يومًا للنّاس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، قال وما الإسلام ؟

قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الذّكاة المفروضة، وتصوم رمضان.[2]

وكثيرًا ما نقرأ ونسمع عن قصص كثيرة تروي لنا قصص إضراب أسرى ومساجين في عدّة أماكن من العالم، وعلى وجه الخصوص ما يحدث في سجون الاحتلال الإسرائيلي من قبل الأسرى الفلسطينيين من أجل هذا أحببت أن أبحث هذه المسألة لمعرفة الحكم الشّرعيّ فيها، وأن يكون هذا البحث بعنوان: الصّوم الشّرعيّ والإضراب عن الطّعام.

وللموضوع أهميّة، بأنّ هناك من العلماء من يرى أن المضرِب عن الطّعام إن مات بسبب إضرابه، فلا يصلّى عليه، وهو خالد في النّار، فأردّت بحث هذه المسألة ليتّضح الحكم الشّرعيّ فيها، وبيان الراجح من الأقوال.

---

1 سورة البقرة/183.

2 البخاري، محمّد بن اسماعيل (– 256هـ/ 870 م)، صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلميّة، (1412هـ/ 1992م)، كتاب الإيمان (2)، باب سؤال جبريل النبي (38)، حديث (50)، 1، 22.

أمّا من ناحية الأهداف للدّراسة، إذ يتمحور ويتعلّق ببيان الأحكام الشّرعيّة للناس وتفقيههم في دين الله عزّوجل، وقد تتبّعت المسائل المُراد دراستها في مظانها من كتب الفقه والأصول.

أ - مشكلة الدراسة

في حديث رواه النسائي ﷺ عن أبي أمامة ﷺ، قلت: يا رسول مُرني بعملٍ ينفعني، قال: عليك بالصّوم فإنّه لا عدل له[1].

ولا يزال العلم يكتشف أهمّية وضرورة الإمساك عن الطّعام لفترة كعمليّة إراحة للجسد تمكّنه من إعادة بناء توازنه من جديد، وهي مدّة لا يجب أن تتجاوز 20 ساعة في اليوم وإلّا صارت ضارّة ولمدّة أربعة أسابيع حسب بعض الدّراسات، حيث توصّل الباحثون في التّغذية عند دراستهم للإضراب عن الطّعام، عددًا من المضاعفات الخطيرة من جراء الوصال في الصّيام لأكثر من واحد وثلاثين يومًا. هذا من الناحية العلميّة أمّا من الناحية الفقهيّة فالسّؤال يطرح نفسه هنا: هل ما يقوم به بعض الأسرى من الإضراب عن الطّعام مباح شرعًا؟

ب - الفرضيّات

إنطلاقًا من الإشكاليّة الرئيسيّة سنضع الفرضيّة الرئيسيّة كالتالي :

الإضراب عن الطّعام لبعض الأسرى بحيث لا يفضي إلى الموت، مظنّةً منه في تقليص مدّة حبسه وإظهار ظلمه وتعسّفه أمام الرأي العام، لأنّ غاية ما فيه إمتناعه عن مباح لا يتضرر بتركه وله أن ينويه صومًا ليستفيد من الإضراب أجر الصّوم.

_ الدراسات السابقة في الموضوع :

هي كثيرة نذكر منها:

1 - الإضراب عن الطّعام وتسليح الجسد: فلسطين وتجارب: دراسة أجرتها الباحثة أشجان عجّور حيث ناقشت تجربة الإضراب عن الطّعام كشكل من المقاومة والإحتجاج السياسي اللذين حدثا في التاريخ المعاصر في عدّة أجزاء من العالم، والتي

1 أبو أمامة الباهلي، صُدّي بن عجلان (86هـ/ 705م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي، (1413هـ/1993م)، [**22145/13**]، 1، (5)، 314.

يقوم الأسرى من خلالها بتحويل الجسد، عبر رفض الطّعام، إلى سلاح يُستخدم في مقاومة منظومة السجن وبُنيتها العنيفة. بينما قامت دراستنا الحالية في دراسة مقارنة بين الصّيام الواجب والإضراب عن الطّعام والتداعيّات السلبية التي تُشأ على جسد المُضرب التي قد تؤدي بحياته وبالتالي يؤثم عليه شرعًا[1].

2 – حكم الإضراب عن الطّعام وآثاره الفقهيّة: دراسة في الفقه الإسلامي: **دراسة أجرها الباحث ياسر عبد العظيم، حيث يشرح معنى الإضراب عن** الطّعام حرفيًا وتقنيًا ويقدم منظورًا شاملًا حول هذه القضية. كما يعرض آراء العلماء القدماء والمعاصرين، ويقارن آراءهم، ويحدد الرأي الراجح منهم. ويخلص إلى أن أي مظاهرة قد تؤدي إلى العنف وسفك الدماء محرمة ومرفوضة بشدة في الشريعة الإسلامية. كما أن أي إضراب عن الطّعام قد يؤدي إلى الوفاة محظور بشدة. ويستحسن التحلي بالصبر والهدوء والدعاء بتحسن الأحوال. وهي دراسة مشابهة لدراستنا الحالية مع فارق بسيط، حيث استخدم الباحث حكم الإضراب عن الطّعام في الفقه، بينما دراستنا تقوم بدراسة مقارنة بين الصّيام الشّرعيّ والإضراب عن الطّعام[2].

ج _ المنهج المتّبع في الدراسة

نظرا لطبيعة هذه الدراسة فإنه يناسبها المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي المقارن، حيث قمنا بوصف الإضراب وتحليله ومقارنته بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، و المنهج الاستقرائي الذي من خلاله استقرأنا وتتبعنا الآيات الخاصة بالموضوع.

ح _ خطّة البحث

يتألّف البحث من مقدّمة ومبحثين وخاتمة.

يتناول الفصل الأوّل وهو بعنوان «الصّوم الشّرعيّ» **الذي تألّف من مبحثين.**

المبحث الأوّل تحت عنوان «تعريف الصّيام وفضائله وحكمته»، حيث عرّفنا الصّوم

---

1 أشجان عجّور، « الإضراب عن الطعّام وتسليح الجسد : فلسطين وتجارب»، مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، **60(133/ 2023)، 169_ 185.**

2 ياسر السيّد محمد عبد العظيم، " حكم الإضراب عن الطعّام وآثاره الفقهيّة : دراسة في الفقه الإسلامي" ، مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي، 15(49/ 2013) ، 169_268.

لغةً واصطلاحًا، وذكرنا فضائل الصّيام والحكمة من تشريعه.

أمّا المبحث الثاني تحت عنوان «تداعيّات الصّوم على الأفراد»، إذ تطرّقنا لآداب الصّوم وآثاره في حياة الأفراد والمجتمع.

أمّا الفصل الثاني بعنوان «الإضراب عن الطّعام» **وقد تألّف من مباحث ثلاث.**

المبحث الأوّل بعنوان: تمهيد في تعريف الإضراب عن الطّعام **حيث عرّفنا الإضراب عن** الطّعام لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني بعنوان «الهدف من الإضراب عن الطّعام آليّته وآثاره الجسديّة».

أمّا المبحث الثالث بعنوان «حكم الإضراب عن الطّعام» **حيث عرضنا فيه أقوال اختلف فيها العلماء في حكم الإضراب عن** الطّعام.

وفي الخاتمة عرضنا لأبرز النتائج التي توصّل إليها البحث.

الفصل الأوّل : الصّوم الشّرعيّ

المبحث الأوّل : تعريف الصّيام وفضائله وحكمته

1_ تعريف الصّوم لغةً واصطلاحًا

الصّوم في اللّغة[1]، مصدر صامَ يصومُ صومًا وصيامًا، ومعناه الإمساك مُطلقًا عن الطّعام والشّراب والكلام والنكاح والسّير، ولذلك قيل للفرس المُمسك عن السّير أو العلف، صائم. وقال الشاعر: خيلٌ صيامٌ وأخرى غير صائمة[2]. وقال الله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾[3].

وفي الإصطلاح[4]، هو ترك الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى الغروب بنيّةٍ من أهله، وقيل : إمساك عن شهوتيّ البطن والفرج بنيّة من الفجر للغروب[5]، وقيل:

1 أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1421هـ/2001م، 12/ 182.
2 صفوان عدنان الداودي، المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار القلم، 1412هـ/ 1992م، 23/500.
3 سورة مريم/ 26.
4 أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي، (_ 710هـ/ 1560م)، كنز الدقائق، بيروت، دار البشائر، دار السراج، 1435هـ/2014، (1_2)، ص 219.
5 أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن محمد عليش المالكي، (_1299هـ/1879م)، منح الجليل شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر 1409هـ/1989م، 2/108.

هو إمساك عن المفطر على وجه مخصوص[1]، وقيل : هو إمساك بنيّة عن أشياء مخصوصة في زمن معيّن من شخص مخصوص[2]. **وهذه التعريفات كلّها على اختلاف ألفاظها متقاربة في المعنى.**

2- فضائل الصّيام

للصّيام فضائل كثيرة شهدت بها نصوص الوحيين منها :

أ- أنَّ اللهَ تبارك وتعالى أضافَه إلى نفسه فيقول في الحديث القدسي: إلاّ الصّوم، فإنّه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعّمه من أجلي، للصّائم فرحتان : فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك[3].

ب- تجتمِعُ في الصّوم أنواعُ الصَّبرِ الثَّلاثة.

ت- الصّيام يشفع لصاحبه يوم القيامة[4].

ج - الصّوم مِنَ الأعمالِ التي وعَدَ الله تعالى فاعِلَها بالمغفرةِ والأجرِ العَظيمِ.
ح-الصّيام كفَّارةٌ للذُّنُوبِ، لحديث حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفّرها الصلاة، والصّوم، والصّدقة، والأمر، والنّهي، وفي لفظ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[5].

خ- من صام يومًا في سبيل الله، بعّد الله وجهه عن النّار سبعين خريفًا[6].

هـ- الإكثارُ مِنَ الصّوم سببٌ لدُخُولِ الجَنَّةِ.

---

1 شمس الدين الخطيب الشربيني، (-977هـ/ 1557م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1415هـ/1994م، 2/140.

2 منصور بن يونس البهوتي، (-1051هـ/1641م)، الروض المربع شرح زاد المستنقع، الرياض، دار المؤيّد1417هـ/1996م، **(1_7)،225/735.**

3 مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري، **(-261هـ/875م)**، صحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلميّة، (1418هـ/ 1998م)، كتاب الصّيام (13)، باب فضل الصّيام (30)، حديث (1151)، 2، 806.

4 أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني، **(-241هـ/ 877م)**، مسند الإمام أحمد، بيروت، المكتب الإسلامي، (1413هـ/ 1993م)، **]6623/150[**، 1، (2)،232.

5 البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصّلاة(9)، باب الصّلاة كفّارة (4)، حديث (525)، 1، (1)، (1)، 166.

6 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجاد والسّير (56)، باب فضل الصّوم في سبيل الله (36)، حديث (2840)، 1، (39)، (3)، 289.

3- الحكمة من تشريع الصّيام :

لَمَّا كانت مصالِحُ الصّوم مشهودةً بالعُقُولِ السَّليمةِ، والفِطَرِ المستقيمةِ، شَرَعَه اللهُ سبحانه وتعالى لعبادِه، رحمةً بهم، وإحسانًا إليهم، وحِمْيَةً لهم وجُنَّةً، فالصّيام له حِكَمٌ عظيمةٌ وفوائدُ جليلةٌ؛ ومنها: الصّوم يُطَهِّرُ البَدَنَ من الأخلاطِ الرَّديئةِ، ويُكسِبُه صحةً وقوةً.

المبحث الثاني : تداعيات الصّوم على الأفراد

1- آداب الصّوم : للصوم آداب كثيرة منها

حفظ الجوارح وصيانتها عن كلّ ما من شأنه أن يخدش الصّيام أو يقلّل من ثوابه، فالعين تصوم وتمتنع عن النظر إلى ما حرّم الله تعالى، والبطن يصوم ويمتنع عن أكل الحرام، والفرج يصوم ويمتنع عن ارتكاب ما حرم الله تعالى، والقلب يصوم عن شواغل الحياة وينصرّف إلى الطاعة والعيادة وتحويل العادة إلى عبادة في حركة وسكنة يقوم بها[1]، استخدام السواك، تعجيل الفطر وتأخير السحور، الحرص على الدعاء عند الفطر.

2- آثار الصّوم في حياة الفرد والمجتمع

للصيام من الأحكام العظيمة التي شرّعها الله تعالى للأمّة الإسلاميّة، لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيّتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، لأنّ فيه تضييق لمسالك الشيطان، كما أنّه من العبادات الرامية إلى صلاح حال الأفراد، إذ منها يتكوّن المجتمع[2].

وللصوم آثار إيجابيّة كثيرة في حياة الفرد والمجتمع منها

الصّوم يعلّم الصبر وقوّة التحمّل وكبح جماح النفس والتحكّم في نزوتها. وبالجملة فالصّوم مدرسة أخلاقيّة يتعلّم فيها المسلم الصبر والإحتمال بترك الطّعام والشراب وقوّة الإرادة قوّة للصوم بما فيه من ضبط الشّهوات وكبح جماح النفس من تعلّقها بتلك الشهوات، والرّحمة من آثار الصّوم من خلال الشّعور بما يعانيه الفقراء والمحرومون،

1 أبو حامد الغزالي (– 1416هـ/1996م)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، 450هـ/ 1059م، 1، **234**.
2 ابن كثير، الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي، (_ 774/ 1354م)، تفسير القرآن العظيم، حكمت بن بشير ياسين و سامي بن محمد السلامة، بصرى، دار ابن حزم، 1429هـ/ 2009م، 497/2061 صفحة.

وغير ذلك كثير.

الفصل الثاني : الإضراب عن الطّعام

المبحث الأوّل : تمهيد في تعريف الإضراب عن الطّعام في اللّغة والاصطلاح

1 – تعريف الإضراب عن الطّعام في اللّغة والإصطلاح

الإضراب في اللّغة مصدر أضرب، ويأتي في اللّغة بعدّة معان منها:

- الكف عن الشيء أو الإعراض : يُقال أضربت عن الشيء : كففت وأعرضت، وضرب عنه الذكر وأضرب عنه: صرفه وأضرب عنه أي أعرض[1]، قال تعالى ﴿فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾[2] أي نهملكم ونترككم[3].

أضرب عنه إضرابًا: **إذا كفّ وأضرب فلان عن الأمر، فهو مضرب، إذا كف، وأنشد الليث، أصبحت على طلب المعيشة مضرباً... لما وثقت بأنّ مالك مالي**[4].

- السّكون: فتقول رأيت حيّة مضربًا إذا كانت ساكنة لا تتحرّك[5].
- الإقامة: وفي تاج الروس أضرب الرجل في البيت : أقام ، وأضرب عن كذا، أي كفّ عنه وتركه.

الإضراب عن الطّعام في الاصطلاح

عرّفه سعود العتيبي بأنه: امتناع شخص أو جماعة عن العمل أو الطّعام تحقيقا لمطالب أو شروط يعلنون عنها للمسؤولين رسميين أو غير رسميين[6]. **وعرّفه الدكتور محمد رواس قلعه جي بأنّه: التوقف عن العمل احتجاجًا** أو مطالبة بأمر.[7] ويؤخذ

---

1 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، (_711هـ،/1311م)، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1436هـ/ 2016، 5006 صفحة.

2 سورة الزخرف/5.

3 أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (_310هـ،/923م)، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، حقّقه عبدالله بن عبد المحسن التركي، الجيزة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1420هـ،/2001م، 20/549.

4 المناوي، علي بن زين العابدين الحدادي، (_1031هـ/1611م)، التوقيف على مهمات التعاريف،حقّقه محمد رضوان الداية، القاهرة، عالم الكتب، 1410هـ/1990م، 71/393.

5 ابن منظور، لسان العرب، ص543.

6 العتيبي، سعود بن عبد العال البارودي ، الموسوعة الجنائيّة الإسلاميّة المقارنة بالأنظمة السعوديّة، الرياض، جامع الكتب الإسلاميّة، ط2، 1427هـ،/2007م.

7 العوايشة، حسين بن عودة، الموسوعة الفقهيّة الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، بيروت، دار ابن حزم، 1423هـ/2002م، (1_2)، ص72.

على هذا التعريف أنه قصر الإضراب على أحد أنواعه، وهو الإمتناع عن العمل، مع أن الإضراب أشمل من ذلك.

المبحث الثاني : الهدف من الإضراب عن الطّعام، آليّته، وآثاره الجسديّة

1 - أهداف الإضراب عن الطّعام

بعدما يُصبح الكلام صراخًا في فضاء، لا يسمعه الطرف المُقابل، يقرّر أن يؤلّف كتابًا في الثبات على المبدأ، وطلبًا للعدالة الغائبة، ويرسل رسالةً للجميع أنّ روحه لا تُقهر، فيُضرب عن الطّعام. كما في السجناء، فالإضراب عن الطّعام احتجاج مشروع، يلجأون له السّجناء والمعتقلون عند استنفاد الوسائل الأخرى. غالبًا ما يكون هدفه[1]:

- لفت النّظر إلى قضية أكبر من شخص المُضرب. كانتهاكات حقوقية ضخمة أو التّعذيب في السّجن.
- الضّغط على السّلطة التي تحتجزهم أن تمنحهم حريتهم أو تنفذ مطالبهم بخصوص المعاملة الآدمية.
- تحسين ظروف الاحتجاز أو تقديمهم لمحاكمات عادلة.

2 - آليّة الإضراب عن الطّعام

- البعض يرفض الطّعام كلّه، والبعض يُضرب عن أنواع محددة.
- يختار آخرون الاعتماد على المُكملات الغذائية والفيتامينات، بالطبع يوجد الماء كعنصر أساسي في الأنواع السابقة. لكن قد تضطر الظروف القاسية بعض المُضربين إلى اختيار الامتناع عن المياه كذلك.
- حين تتدهور حالتهم الصحية قد يختار بعضهم الحقن بالمحاليل الوريدية للإبقاء على حياته، بينما قد يرفضها البعض.
- في سبيل تنفيذ مطالبهم، يرون مشروعيّة الإضراب إلى حد الترحيب بالموت في سبيل تحقيقها[2].

---

1 أبو العينين، محمّد، « الإضراب عن الطعّام : تاريخ سياسي موجز»، **في إضاءات، www.ida2at.com**

2 أبو العينين، محمّد، « الإضراب عن الطعّام : تاريخ سياسي موجز»، **في إضاءات، www.ida2at.com**

3-الآثار الجسديّة[1]:

بعد مضي بضعة ساعات من دون تناول أي نوع من الأطعمة، يبدأ الجسم بإحراق الكثير من إمداداته المتاحة من الجليكوجين، وهو أحد أهم مصادر الطاقة المخزنة التي يستطيع الجسم الوصول لها بسهولة، والتي توجد في معظمها في الكبد والعضلات.

المبحث الثالث : حكم الإضراب عن الطّعام

اختلف العلماء في حكم الإضراب عن الطّعام إلى أقوال، ما بين تحريم مطلق، وإباحة مطلقة، وتوسط بين القولين:

القول الأول: يرى جمع من أهل العلم إلى تحريم الإضراب عن الطّعام مطلقًا، وأن فاعله يأثم. ومن مات بهذا الإضراب يكون منتحرا، والانتحار من كبائر الذنوب، فإن استحله كان كافرا، لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين[2]. أدلّة هذا القول: **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [3] **وما رواه الشيخان عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**إيّاكم والوصال**» **قالوا** يا رسول الله إنّك تواصل. قال: «إنّي لست كأحد منكم، إنّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني»[4]. **والوصال معناه متابعة** الصّيام إلى وقت السحر أو أكثر من ذلك دون طعام أو شراب.

القول الثاني: ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بجواز ذلك مطلقا، ولو أدّى ذلك إلى الوفاة.

وممن ذهب إلى هذا القول: مفتي القدس والديار الفلسطينية الشيخ محمد حسين، والدكتور سالم سلامة رئيس رابطة علماء فلسطين، والشيخ تيسير التميمي قاضي قضاة فلسطين[5]،والدكتور مروان أبو الراس نائب رئيس رابطة علماء فلسطين، والدكتور إبراهيم زيد الكيلاني عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية[6]. **قال مفتي القدس والديار**

---

1 نون بوست، ماذا يحدث للجسم حين الإضراب عن الطعام؟ **www.noonpost.com**

2 فتاوى دار الإفتاء المصريّة، 10/149

3 سورة البقرة/**173**.

4 البخاري، صحيح البخاري، (_256/ 836م)، كتاب الصوم (30)، باب التنكيل لمن أكثر الوصال (49)، حديث (1966)، 1، **606**.

5 مركز الفتوى على موقع «إسلام ويب» **http: //fatwa.islamweb.net**

6 شبكة فلسطين للحوار، « الحوار الشرعي»، **https: // www.paldf.net**

الفلسطينية الشيخ محمد حسين: إن هذا الإضراب هو ضمن الوسائل المشروعة التي يتخذها الأسرى لنيل مطالبهم التي تضمن لهم أبسط الحقوق الإنسانية. واستدلّوا بما يأتي : أن الإضراب عن الطّعام يؤدي إلى إغاظة العدو، وأن كل ما يغيظ الكفار فهو ممدوح شرعا، كما قال تعالى في مدح الصحابة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. وعن سعيد بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم لستم في ذلك مثلى إني أبيت ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد[2].

القول الثالث: ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بالتفصيل، ووضعوا شروطًا لجواز الإضراب. فإذا اختلت هذه الشروط حرّم الإضراب عن الطّعام .وممن ذهب إلى هذا القول: الشيخ ابن باز[3]، والشيخ ابن عثيمين[4]، والشيخ صالح الفوزان، والدكتور وهبة الزحيلي[5]، والدكتور عبد الكريم الخضير[6]، والشيخ عكرمة صبري رئيس الهيئة الإسلامية العليا بفلسطين[7].

أدلة هذا القول: استدل أصحاب هذا القول بما استدل به أصحاب القول الأول : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[8].

---

1 سورة الفتح /**29**.

2 الترمذي، الحافظ ابي عيسى محمّد بن عيسى الترمذي، (-279هـ/ 892م)، الجامع الكبير، بيروت، دار الغرب الإسلامي، أبواب الديّات، كتاب السنن، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد (22)، حديث (1421)، 1، (3)، 85.

3 عبد العزيز بن عبدالله بن باز (-1420هـ/1999م)، قاض وفقيه سعودي، شغل منصب مفتي في المملكة العربية السعوديّة من سنة 1413هـ/1992م) لحدّ وفاته.

4 محمد بن صالح بن سليمان العثيمين الوهيبي التميمي(-1421هـ/2001م)، عالم فقيه ومفسّر، إمام وخطيب وأستاذ جامعي.

5 وهبة بن مصطفى الزحيلي (-1436هـ/2015م)، أحد أبرز علماء السنّة والجماعة من سوريا، عضو المجامع الفقهيّة بصفة خبير في مكة وجدّة والهند وأميركا والسودان.

6 عبد الكريم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد الخضير، عضو هيئة كبار العلماء سابقاً واللجنة الدائمة للبحوث والفتوى في المملكة العربية السعودية.

7 عكرمة سعيد عبدالله صبري، خطيب المسجد الأقصى، ورئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس، ومفتي القدس والديار الفلسطينية سابقاً.

8 سورة النساء/29

وعن أبي هريرة ﷺ ، قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصّوم. **فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: وأيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**[1]، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يومًا، ثم يومًا، ثم رأوا الهلال، فقال لو تأخر لزدتكم، كالتّنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا .

وفي الخاتمة، وبعد الانتهاء من هذا البحث أحمد الله تعالى على أن أعانني على ختامه، أوصي إخواني المسلمين ممن ابتلي بالوقوع في أسر الأعداء، ولبث في سجونهم أن يتحلوا بالصبر ورجاء ما عند الله تعالى، وعدم الإسراع في إظهار التبرم والسخط، وليكن لهم في الأنبياء أسوة حسنة، فهذا يوسف عليه السلام لبث في السجن بضع سنين، ولم ينقل عنه انه امتنع عن الأكل والشرب.

وجه الدلالة: صيام الوصال فعله الصحابة لغرض الاقتداء برسول الله فامتنعوا عن الطعام والشراب لغرض مشروع وقد فعله رسول الله معهم فيمكن قياس مشروعية الإضراب عن الطعام للمطالبة بالحقوق الإنسانية على الوصال في الصّوم بجامع الامتناع عن الطعام.

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم (30)، باب التنكيل لمن أكثر الوصال (49)، حديث (1966)، 1، (1)، 606.

الخاتمة

يمكن تلخيص نتائج البحث فيما يلي:

أوّلًا: الصّوم هو ترك الأكل والشّرب والجماع من الصّبح إلى الغروب بنيّةٍ من أهله، وقيل: إمساك عن شهوتيّ البطن والفرج بنيّة من الفجر للغروب. إنَّ الصّوم وسيلةٌ لتحقيقِ تقوى الله عزَّ وجَلَّ.

ثانيًا: إشعارُ الصَّائِمِ بنعمةِ الله تعالى عليه، وتربيةُ النَّفسِ على الإرادةِ، وقوَّةِ التحَمُّلِ.

ثالثًا: إنّ الإضراب في اللّغة يطلق على عدة معانٍ؛ منها الإعراض والصّرف عن الشّيء والتّرك والكف والمقام في البيت.

رابعًا: إنّ الإضراب يشمل عدة أشياء؛ فقد يكون امتناعًا عن الأكل والشرب، أو عن الدواء، أو عن العمل.

خامسًا: إنّ المضرب يهدف من إضرابه للتوصل إلى حق يعتقده، كأن يخفف عنه من سجنه، أو تحقق له بعض مطالبه.

سادسًا: إنّ الإسلام جاء بحفظ النّفس ونهى عن إيذائها وفعل كل ما يضرها.

سابعًا: إنّ العلماء اختلفوا في حكم إضراب الأسير في حبسه عن الطعام؛ ما بين محرم مطلقًا، ومبيح ولو أدّى فعله إلى الهلاك، ومتوسط في الحكم؛ حيث رأى صحته ما لم يؤدِ إلى هلاك النفس.

ثامنًا: ترجح لدي من خلال البحث أن قول القائلين بإباحة إضراب الأسير عن الطعام مالم يؤدِ إلى هلاكه؛ لما فيه من جمع بين الأدلة، ومراعاة حفظ النفس الذي جاء الإسلام بالتأكيد عليها.

تاسعًا: أن هناك من العلماء من يرى أن المضرب عن الطعام قاتل لنفسه، ورتبوا على ذلك أمورًا؛ منها: أن من مات بسبب ذلك فلا يصلى عليه، وقالوا بخلوده في نار جهنّم.

عاشرًا: تبين لدي أن من مات بسبب الإضراب عن الطعام أنه يصلى عليه إن مات بسبب ذلك الإضراب؛ لأنّه لم يخرج عن دائرة الإسلام بسبب فعله ذلك، وكذلك عدم الخلود في نار جهنّم؛ وأنه تحت مشيئة الله تعالى.

إحدى عشر: إنّه ليس في الإضراب عن الطّعام إغاضة للعدو؛ بل كل ما فيه أنّ المسلم يؤذّي نفسه ويضعف بدنه مما قد يؤدّي إلى ضعفه عن العبادة.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد عاشور التونسي، (_393هـ/973م)، التحرير والتنوير، تونس، دار التونسية للنشر، ط2، 1368هـ/1948م.

الأفندي، سعيد بن أحمد، (_1433هـ/2012)، أخلاق المهنة أصالة إسلاميّة ورؤية عصريّة، جدّة، دار حافظ للنشر والتوزيع، ط3، 1431هـ/2010م.

ابن كثير، الدمشقي عماد الدين ابي الفداء اسماعيل القرشي، (_ 774/ 1354م)، تفسير القرآن العظيم، حكمت بن بشير ياسين و سامي بن محمد السلامة، بصرى، دار ابن حزم، 1429هـ/ 2009م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، (_711هـ،/1311م)، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1436هـ/ 2016م.

البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، (_256/ **870**م)، صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلميّة، 8، 4، **1412هـ/1992م**.

أبو البركات، عبدالله بن أحمد النسفي، (_710هـ/ 1560م)، كنز الدقائق، بيروت، دار البشائر، دار السراج، 1435هـ/2014.

البهوتي، منصور بن يونس، (_1051هـ/1641م)، الروض المربع شرح زاد المستنقع، الرياض، دار المؤيّد، **1417هـ/1996م**.

الترمذي، الحافظ ابن عيسى محمد بن عيسى، (–279هـ/ 892م)، الجامع الكبير، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1417هـ/1996م**.

الشربيني، شمس الدين الخطيب، (_977هـ/ 1557م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1415هـ/1994م.

10_ الشيباني، أحمد بن حنبل، (–241هـ/877م)، مسند الإمام حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي، (1413هـ/1993م).

11_ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (_310هـ،/923م)، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، حقّقه عبدالله بن عبد المحسن التركي، الجيزة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1420هـ،/2001م.

12_ الغزالي، أبو حامد (_1416هـ/1996م)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، 450هـ/ 1059م.

13_ المالكي، أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن محمد عليش، (_1299هـ/1879م)، منح الجليل شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر1409هـ/1989م.

14_ المناوي، علي بن زين العابدين الحدادي، (_1031هـ/1611م)، التوقيف على مهمات التعاريف، حقّقه محمد رضوان الداية، القاهرة، عالم الكتب، 1410هـ/1990م.

ب _ المراجع

الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1421هـ/2001م، 12/ 182

الداودي، صفوان عدنان، المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار القلم، 1412هـ/ 1992م، 23/500.

عبد العظيم، ياسر السيّد محمد ، " حكم الإضراب عن الطعّام وآثاره الفقهيّة : دراسة في الفقه الإسلامي" مركز صالح عبدالله كامل للإقتصاد الإسلامي، 1(49/ 2013)، 169_268.

أبو غدة، حسن، إضراب الأسير عن الطعّام : رؤسة فقهيّة، الأمن والحياة، 24(229/1978م)، ص51.

ثانيًا: الدوريات

عجّور، أشجان، الإضراب عن الطعّام وتسليح الجسد : فلسطين وتجارب"، مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، **60(133/ 2023)، 169_ 185**.

ثالثًا: دوائر الموسوعات

العتيبي، سعود بن عبد العال البارودي، الموسوعة الجنائيّة الإسلاميّة المقارنة بالأنظمة السعوديّة، الرياض، جامع الكتب الإسلاميّة، ط2، 1427هـ،/2007م.

العوايشة، حسين بن عودة، الموسوعة الفقهيّة الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، بيروت، دار ابن حزم، 1423هـ/2002م، (1_2)، ص72.

رابعًا: المصادر الإلكترونيّة

أبو العينين، محمّد، « الإضراب عن الطعّام: تاريخ سياسي موجز»، في إضاءات،

www.ida2at.com

نون بوست، ماذا يحدث للجسم حين الإضراب عن الطعام؟،

www.noonpost.com

من الجامع لتراث الشيخ الألباني،» حكم الإضراب عن الطعّام **"روح الإسلام،**

www.islamspirit.com

مركز الفتوى على موقع «إسلام ويب»

http: //fatwa.islamweb.net

شبكة فلسطين للحوار، « الحوار الشرعي»،

https: // www.paldf.net

مدى تأثير برنامج علاجيّ تربويّ في رفع مستوى تقدير الذّات لدى مجموعة من المراهقات

كاتيا بركات

أولا: أهمية الموضوع

تكمن أهميّة هذا البحث في مساعدة المراهقات اللاجئات على تحسين تقدير الذّات لديهنّ، وعلى تخطّي الكثير من الأزمات النفسيّة والاجتماعيّة، فتقدير المراهقات لذواتهنّ يرتبط كثيرًا بصورة الجسد عندهنّ وبنظرة الناس إليهنّ، وبسبب الظروف القاهرة التي أحدثتها الحرب فإنّ المراهقات بحاجة ماسّة إلى برامج نفسيّة تربويّة تهدف إلى رفع تقدير الذّات لديهنّ وقبول الآخر، وذلك من أجل تحسين صحتّهنّ النفسيّة وتحقيق تكيّف أفضل. إنّ نتائج الحرب كانت ثقيلة ومؤلمة لبعضهنّ (خسارة أحد أفراد العائلة، تدمير المنازل...)، كلّ ذلك ترك آثارًا سلبيّة لدى الفتيات على الصّعيد النفسيّ.

ثانيا: الوضع الرّاهن وطرح الإشكاليّة

تركّز دراستنا كما ذكرنا على «تقدير الذّات» وما له من انعكاسات على سلوك الفرد الاجتماعيّ وبناء شخصيّته. إنّ تدنّي تقدير الذّات يؤدّي في كثير من الأحيان إلى الاكتئاب والانطواء والكذب، كآليات دفاعيّة يستعملها ذوو تقدير الذّات المنخفض لستر القصور أو عدم الأمان الذي يشعرون به (زبيدة، 2006، ص 40). وعلى الصّعيد الشّخصيّ فقد لاحظت من خلال عملي مع مراهقات انعكاس تدني تقدير الذّات على أدائهنّ وإنجازهن وتعاملهن مع الآخرين.

ونظرًا لأنّ دراستنا ستشمل مراهقات من جنسيات عربيّة مختلفة لاجئات في مدينة اسطنبول التّركيّة، فقد بدأنا البحث عن واقع «تقدير الذّات» بين المراهقات في العالم العربيّ وفي تركيا وهذه بعض الأبحاث التي استطعنا الوصول إليها، نعرض هنا بعض نتائجها لنضيء على الإشكاليّة.

بيّنت دراسة أجرتها الباحثتان «سيفوان لميّة» و «عزيز وسام» (2015) على 60

طالبًا راسبًا في شهادة التّعليم المتوسط، في أربع متوسّطات في الجزائر، أن 23.33 % من الطّلاب لديهم تقدير للذّات منخفض و50% منهم لديهم تقدير متوسط.

كما أجرت منال الصّمادي وزميلتها لبنى السّعود (2018) دراسة على 131 طالبة في كلية الأميرة عالية الجامعية في الأردن، أظهرت انخفاضًا في تقدير الذّات عند الطّالبات كما أظهرت الدّراسة علاقة ارتباطيّة بين مستوى تقدير الذّات ومستوى المسؤوليّة الاجتماعيّة.

وقد جرت دراسة على 40 تلميذا وتلميذة في الصّف الأول الثّانوي بعنوان «علاقة تقدير الذّات عند المراهق بمشكلاته وحاجاته الإرشاديّة»، وقد أظهرت وجود علاقة ارتباطيّة عكسيّة بين تقدير الذّات ومشكلتي الأمن والاستقلال عند الذّكور، وعلاقة ارتباطيّة موجبة بين تقدير الذّات ومشكلات الأمن والاستقلال والإنجاز (زبيدة، 2006، ص117).

وفي دراسة أجراها مجذوب قمر (2015) على 277 طالبًا وطالبة من 5 كليّات في جامعة دنقلا في السّودان، بيّنت النّتائج أنّ هناك علاقة دالّة إحصائيًّا بين جميع أبعاد تقدير الذّات والسّلوك العدوانيّ، ويعود ذلك إلى طبيعة الارتباط بجماعة الرّفاق والجامعة، وعندما يتعرّض للإحباط من قبل الرّفاق تصدر منه سلوكيّات عدوانيّة توكيدًا لذاته (قمر، 2015، ص 117). وقد أظهرت النّتائج نفسها دراسة أخرى أجريت العام 2013 وتمّ تطبيقها من قبل الباحث شايع مجلي على 240 طالبًا من الصف الثّامن من مدارس صعدة الحكومية في اليمن، حيث تبيّن وجود علاقة ارتباطيّة دالّة إحصائيًّا من النّوع السّالب بين تقدير الذّات والعدوان، أي أنّه كلما ارتفع تقدير الذّات كلما انخفض السّلوك العدواني (مجلي، 2013، ص 95).

إنّ النّتائج المذكورة أظهرت مدى تدنّي مستوى تقدير الذّات، وهذا ما دفعنا إلى البحث عمّا يساعد المراهقات على رفع مستوى تقدير الذّات لديهنّ. ونشير هنا إلى أنّ بحثنا تزامن مع انتشار وباء كورونا لمدّة ثلاث سنوات. وهذا الواقع قد فرض علينا أن ندرس مجموعتين من التّلميذات: المجموعة الحضوريّة والمجموعة الافتراضيّة.

من هنا بدأ البحث عن البرامج الإرشاديّة التّدريبيّة من أجل تحسين مستوى تقدير

الذّات، لذا من المفيد هنا أن نذكر بعض البرامج التي صبّت في هذا الهدف.

قامت فضيلة عروج العام (2016) بدراسة فعالية برنامج تدريبي في رفع مستوى تقدير الذّات، لدى عينة من المراهقين شملت 12 طالبًا وطالبة في ثانوية الضلعة في الجزائر، يرتكز على نظرية أليس (Albert Ellis)[1] في العلاج العقليّ الانفعالي، ويدمج بين تقنيّات العلاج المعرفي وتقنيّات العلاج السّلوكي، ويهدف إلى تغيير نمط التفكير غير المنطقي وغير الواعي عند الطّلاب وتدريبهم على التفكير بعقلانيّة، من أجل تعديل الأفكار السّلبيّة واللامنطقيّة لديهم وتصحيح التّصوّرات الخاطئة نحو ذاتهم والعالم والمستقبل (عروج، 2016، ص 79). وقد أظهر البرنامج فعاليته في رفع تقدير الذّات عند الطّلاب.

كما قامت أميمة جدوع وزملاؤها (2019) بدراسة فعالية برنامج إرشاد جمعي يستند إلى الدّراما في تحسين تقدير الذّات، وخفض القلق الاجتماعيّ لدى 30 طالبة من طالبات الصف الثّامن والتّاسع والعاشر في مدرسة كفر جايز في إربد الأردنيّة. وقد قام البرنامج على دمج عدد من المبادئ والتّطبيقات الإرشاديّة والتّدريبيّة الجماعيّة، مع المفاهيم والفرضيّات التي تقوم عليها الدراما منها التّمثيل الذي يجعل الطالبات يعبّرن عن حالة الوعي من خلال أداء أدوار مختلفة تعزّز مهارات التواصل الاجتماعيّ، والارتجال الذي ينقل الطالبة إلى اللّعب الإسقاطي بحيث يظهر مقاربًا للواقع (جدوع، 2020، 92). وقد تبيّنت فعالية البرنامج حيث كانت النّتائج دالّة إحصائيًّا لصالح المجموعة التّجريبيّة كما استمر التّحسّن في القياس التّتبعي.

ومؤخّرًا أجرت نائلة كيلاني (2023) دراسة فعالية برنامج إرشاد جمعي في خفض الاكتئاب وتحسين تقدير الذّات عند 30 طالبة سورية من الصّفين السّابع والثّامن في مخيم الزعتري في الأردن. يستند البرنامج على مفاهيم العلاج المعرفيّ السّلوكيّ والبرامج الإرشاديّة الخاصة بالأطفال والمراهقين اللاجئين والمتعرّضين لأحداث مأساويّة وتغييرات أساسيّة في بيئاتهم الأسريّة والمجتمعيّة. وقد تضمّن البرنامج 12 جلسة إرشاديّة مدة كل منها 90 دقيقة وتتضمن مجموعة من الأساليب والتّمارين والأنشطة الخاصة التي تستند

1 إليس (1913– 2007): من روّاد نظرية العلاج العقلاني الانفعالي التي طوّرها عام 1955، والتي تفترض أنّ الاضطرابات النفسيّة لا تتولّد عن الخبرات والحوادث التي يمرّ بها النّاس، بل تولّدها أفكارنا. المرجع https://rb.gy/rdp9b استُرجع في 31 تشرين الأول 2023.

إلى فنيّات الإرشاد العقلانيّ الانفعاليّ السّلوكي (كيلاني، 136،2023). وقد تبيّنت فعالية وكفاءة البرنامج في خفض الاكتئاب وتحسين تقدير الذّات عند الطّالبات.

كما أجرت نوال الشبانه (2023) دراسة أثر برنامج معرفيّ سلوكيّ، لتنمية تقدير الذّات لدى 20 فتاة من دار الرعاية الاجتماعيّة في الرّياض في المملكة العربيّة السّعوديّة، تتراوح أعمارهنّ بين 18 و28 سنة. يقوم البرنامج على الكشف عن الأفكار التّلقائيّة وتغيير الأفكار الخاطئة وتفنيد الأفكار اللّاعقلانيّة وغيرها من المهارات. وقد أظهرت النّتائج ارتفاع تقدير الذّات عند المجموعة التّجريبيّة (الشبانه، 2023، 424).

وأجرى عادل البنّا وزملاؤه (2023) دراسة فعالية برنامج تدريبي في تحسين تقدير الذّات والتّوافق النفسيّ والاجتماعيّ لدى 10 من الطّلاب المكفوفين بالمرحلة الثّانويّة، من مدرسة النور بنين إدارة شرق التّعليميّة زيزينيا في مصر. ويرتكز البرنامج على النظرية السّلوكيّة المعرفيّة ومهارات السّلوك التوّكيدي، حيث يقوم على تعديل السّلوك من خلال تعديل الأفكار الخاطئة، وعلى عدد من الفنيّات المعرفيّة والسّلوكيّة التي تمكنّهم من مواجهة مواقف الحياة التي يتعرضون لها بصورة توكيديّة (البنّا، 2023، 69). وقد أثبتت النّتائج فعالية البرنامج المُعتمد.

بعد هذا العرض لما توّصلنا إليه في دراستنا من أبحاث، لاحظنا أنّ البرامج العربيّة التي عملت على تحسين تقدير الذّات ما تزال نمطيّة ومحدودة الآفاق. أماّ البرنامج القائم على العلاج العقليّ الانفعاليّ العاطفيّ فقد استفدنا منه من حيث تصويب الأفكار والمشاعر.

وأمّا الدّراسات التي تبحث في فعالية تحسين تقدير الذّات في العالم الافتراضي، فهي غير متوافرة حاليًّا في الدّراسات العربيّة والغربيّة بحسب اطّلاعنا. وفي هذه الحالة مع تعذّر طرح الرّأي الذي يدعم فعالية تحسين القيم عبر البرامج الافتراضيّة والرّأي الآخر الذي يقابله، نجد أنّ بحثنا هذا قد يكشف لنا بعض الأجوبة عن هذه الأسئلة ويسهم في تطوير البرامج الافتراضيّة إن ثبتت فعاليتها.

من هنا استندنا في بحثنا إلى ما تمّ إعداده من برامج تحسين تقدير الذّات عند المراهقات، وغياب البرامج الافتراضيّة التي تناولت هذا الموضوع، لإعداد برنامج تدريبي

يقوم على بعض مبادئ البرامج المعرفيّة السّلوكيّة، بهدف تصويب الأفكار وتعلّم الرّدود المنطقيّة من أجل تعزيز تقدير الذّات. والسؤال الرّئيس الذي نطرحه هنا حول الإشكاليّة هو:

إلى أيّ مدى يستطيع برنامجنا أن يرفع مستوى تقدير الذّات عند مجموعتين من المراهقات الأولى حضوريّة والثانية افتراضيّة؟

ثالثًا: تساؤلات البحث

الأسئلة التي دفعتنا الإشكاليّة إلى طرحها هي الآتي:

1 – ما مدى تأثير البرنامج المعتمد في رفع تقدير الذّات لدى كل من المجموعة الحضوريّة والمجموعة الافتراضيّة؟

2 – هل هناك فروق في مستوى تقدير الذّات بين أفراد المجموعتين الحضوريّة الافتراضيّة تُعزى للبرنامج المعتمد؟

رابعا: فرضيّات الدّراسة

تتلخّص فرضيّات هذا البحث في الآتي:

الفرضية الرّئيسة:

قد يكون هناك تأثير للبرنامج المقترح في تحسين تقدير الذّات لدى المراهقات.

والفرضيات الفرعيّة:

1 – **هناك** علاقة بين البرنامج المعتمد ورفع مستوى تقدير الذّات لدى كل من المجموعتين الحضوريّة والافتراضيّة.

2 – توجد فروق دالة في مستوى تقدير الذّات بين أفراد المجموعتين تعزى إلى البرنامج المعتمد.

خامسًا: منهج الدّراسة

لقد اعتمدنا في هذا البحث المنهج المقارِن (comparative design) الذي يقوم على مقارنة النّتائج بين مجموعتين واحدة حضوريّة وأخرى افتراضيّة، ولم نطرح هنا

المنهج شبه التّجريبيّ لأنّ المجموعة الضّابطة غير موجودة. لهذا السّبب اكتفينا بالمنهج المقارن المناسب حيث سنقوم بتطبيق برنامج علاجيّ تربويّ يضم 8 حصص مع تطبيقات وأنشطة متنوّعة، على مجموعتين من الطّالبات تضم كل مجموعة حوالي 20 مراهقة. سيتم العمل مع المجموعة الافتراضيّة عن بعد عبر استخدام تطبيقات التواصل الاجتماعيّ كبرنامج زومzoom وتلغرام Telegram، أما المجموعة الحضوريّة فسيتمّ تطبيق البرنامج معهنّ بشكل مباشر، وذلك خلال فصل دراسيّ يمتد على أربعة شهور. أمّا تقييم فعّالية البرنامج فستتمّ من خلال تقييم قبليّ وبعديّ باستخدام استمارة روزنبرغ لتقدير الذّات استبانة تقييم الأنشطة التي يتضمنها البرنامج.

سادسًا: مصطلحات الدّراسة

- برنامج علاجيّ تربويّ: برنامج من تصميم الباحثة يستند إلى نظريّة العلاج المعرفيّ السّلوكيّ، يتضمّن مفاهيم وعناوين وأنشطة نأمل في أن ترفع مستوى تقدير الذّات عند المراهقات المستهدفات.

- تقدير الذّات: ويقصد به «تقويم المرء لنظرته إلى نفسه وما فيها من اتّجاهات إيجابيّة أو سلبيّة نحوها (قبول، رفض) فضلًا عن اعتقاده بأنّه قادر ومهم وناجح وذو قيمة» (يعقوب، كنعان، 2016، ص 87)

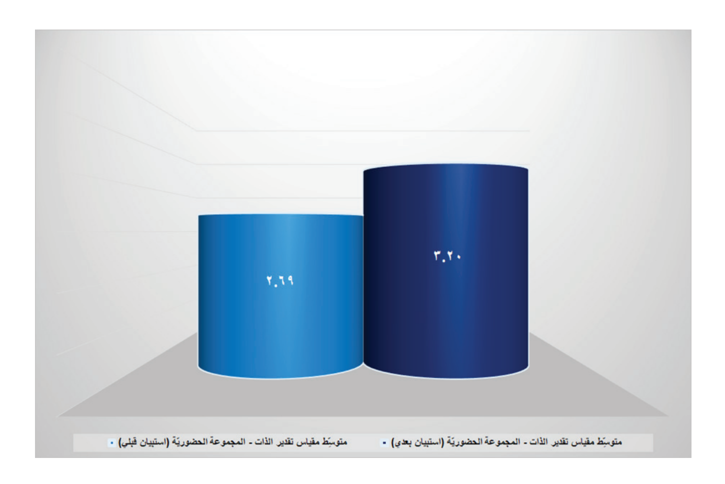
سابعًا: نتائج الدّراسة

1 - فيما يتعلّق بالفرضيّة الأولى «هناك علاقة بين البرنامج المعتمد ورفع مستوى تقدير الذّات لدى كل من المجموعتين الحضوريّة والافتراضيّة».

المجموعة الحضوريّة

رسم بياني 1: المقارنة بين متوسِّط إجابات تلميذات المجموعة الحضوريّة

حول تقدير الذّات في كلٍّ من الاستبيان القبليّ والاستبيان البعديّ



يظهر جليًّا أن متوسِّط إجابات التّلميذات في الاستبيان البعدي (M=3.20) كان أكبر بنسبة 19% من متوسِّط إجاباتهنّ في الاستبيان القبلي (M=2.69) وهذا يشير إلى فعاليّة البرنامج في تحسين تقدير الذّات لدى التلميذات. ولتبيان ما إذا كانت هذه الفروقات ذات دلالة إحصائيّة عمدنا إلى إجراء اختبار (ت) للعيّنات المترابطة Paired Sample t-test وجاءت النّتائج كالتالي:

جدول 1: نتائج اختبار (ت) للعيّنات المترابطة الخاصّ بمقياس تقدير الذّات في المجموعة الحضوريّة

المتغيِّر التابع	القياس	العدد	المتوسِّط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
تقدير الذّات	استبيان قبلي	19	2.96	0.547	60927-	18	<.001
	استبيان بعدي	19	3.20	0.474			

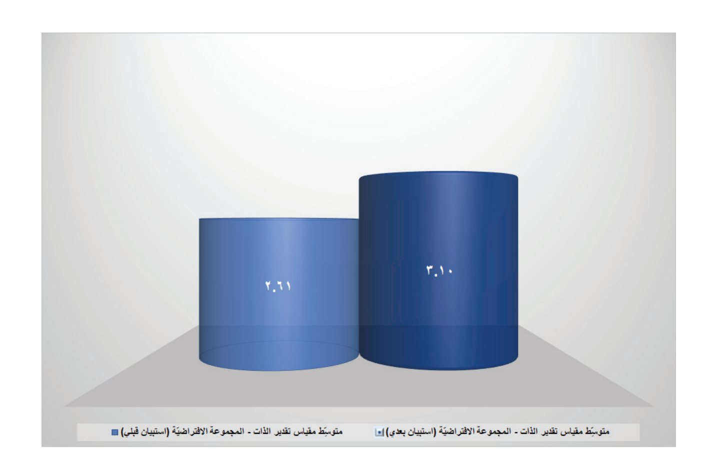
يتّضح من الجدول أعلاه وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى دلالة (<0.001) بين متوسِّط درجات تقدير الذّات قبل وبعد البرنامج العلاجيّ التربويّ لصالح التطبيق

البعد (6.927-= (18) p،t >.001)، مما يؤكِّد فعاليّة البرنامج العلاجيّ التربويّ في تحسين تقدير الذّات لدى أفراد المجموعة الحضوريّة.

المجموعة الافتراضيّة

رسم بياني 2: المقارنة بين متوسِّط إجابات تلميذات المجموعة الافتراضيّة

حول تقدير الذّات في كلٍّ من الاستبيان القبلي والاستبيان البعدي



يظهر جليًّا أن متوسِّط تقدير الذّات لدى التّلميذات في الاستبيان البعدي (M=3.10) كان أكبر بنسبة 18.8% من متوسِّط تقدير الذّات في الاستبيان القبلي (M=2.61) ولتبيان ما إذا كانت هذه الفروقات ذات دلالة إحصائيّة عمدنا إلى إجراء اختبار (ت) للعيّنات المترابطة Paired Sample t-test وجاءت النّتائج كالتالي:

جدول:2 نتائج اختبار (ت) للعيّنات المترابطة الخاصّ بمقياس تقدير الذّات في المجموعة الافتراضيّة

المتغيِّر التابع	القياس	العدد	المتوسِّط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
تقدير الذّات	استبيان قبلي	20	2.60	0.500	-5.716	19	<.001
	استبيان بعدي	20	3.10	0.355			

يتّضح من الجدول أعلاه وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى دلالة (>0.001) بين متوسِّط درجات تقدير الذّات قبل وبعد البرنامج العلاجيّ التربويّ لصالح التطبيق

البعدي(5.716-= (19) t، p >.001). مما يؤكّد فعاليّة البرنامج العلاجيّ التربويّ في تحسين تقدير الذّات لدى أفراد المجموعة الافتراضيّة.

1 - **فيما يتعلّق بالفرضّية الثّانية**» توجد فروق دالة في مستوى تقدير الذّات بين أفراد المجموعتين تعزى إلى البرنامج المعتمد».

كثيرا ما يُثار الجدل حول جدوى التعليم عن بعد وفعاليته ومدى تأثيره، وقد أولينا اهتمامنا هنا لدراسة أثر برنامج لتقدير الذّات على مجموعة افتراضيّة. لذلك طرحنا في هذه الفرضية وجود فروق ذات دلالة في مستوى تقدير الذّات بين أفراد المجموعتين، وقد أظهرت النّتائج أن تلميذات المجموعة الحضوريّة (M=3.20) قد استفدن من البرنامج العلاجيّ التربويّ أكثر من زملائهنّ في المجموعة الافتراضيّة (M=3.10) في عمليّة تحسين مستوى تقدير الذّات بنسبة 3.2% كما هو موضح في الرسم البياني التالي:

رسم بياني 3: المقارنة في تقدير الذّات لدى تلميذات المجموعة الحضوريّة والمجموعة الافتراضيّة بعد متابعة البرنامج العلاجيّ التربويّ



إلا أن اختبار العيّنات المترابطة (ت) جاءت (0.748) بقيمة احتماليّة 0.459أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، وبالتالي لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائيّة، كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول:3 نتائج اختبار (ت) لعيّنتَين مستقلّتَين الخاصّ بمقياس تقدير الذّات في المجموعتَين الحضوريّة والافتراضيّة بعد متابعة البرنامج العلاجيّ التربويّ

القياس	المتوسّط	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الاحتماليّة	الدلالة الإحصائيّة
المجموعة الحضوريّة	3.20	0.474	0.748	0.459	غير دال
المجموعة الافتراضيّة	3.10	0.355			

حيث أظهرت النّتائج أن تقييم تلميذات المجموعة الحضوريّة للأنشطة العلاجيّة (M=3.20, SD=.474)كان أكبر بنسبة 3.2% من تقييم تلميذات المجموعة الافتراضيّة (M=3.10, SD=.355)، إلّا أن هذه النسبة ضئيلة ويمكن تجاهلها وجاءت نتائج اختبار (ت) (0.748) بقيمة احتماليّة 0.459أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، وتاليًا لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائيّة.

وهذا يجعلنا ندحض هذه الفرضيّة، ويمكن تفسير ذلك بأن برنامج تقدير الذّات الذي أعددناه يعتمد بشكل أساسي على تعديل الأفكار والمفاهيم حول النفس وتقديرها، ممّا لا يجعل لعامل الحضور المباشر او عن بعد تأثيرًا بالغًا في الاستجابة للبرنامج وتحسين تقدير الذّات، خاصة أن النشاطات المعتمدة تناسب المجموعتين، كما أن تقدير الذّات هو عملية تفاعلية ذاتية تتأثر إلى حد ما بوجود الآخرين مما يجعلها تتأثر بعامل الحضور الجسدي. وقد يكون هناك فروق طفيفة لم تتمكن الأساليب الإحصائية من رصدها.

ثامنا: الخاتمة

في ظل الحروب والأزمات التي يمر بها العالم نشأت مشكلات جديدة كالتّهجير والغربة عن الأوطان، والتي ولّدت أيضًا مشاكل نفسية واجتماعيّة من أهمها ضعف تقدير الذّات النّاتج عن الشّعور بالنّقص والتهميش الحاصل، خصوصًا عند المراهقات المعرّضات للشّعور بالضّيق والقلق وعدم الطّمأنينة وصعوبة التّكيف.

هذا الواقع المعقّد دفعنا إلى مساندة المراهقات اللواتي يتعرضن للضغوط النفسيّة، والماديّة والاجتماعيّة المستمرة عليهنّ. من هنا توضّحت أمامنا الإشكالية وكذلك الحلول

الممكنة لها من خلال إعداد برنامج علاجيّ تربويّ يركز على رفع مستوى تقدير الذّات لما له من تأثير في اكتساب النضج الانفعاليّ أو الصّحة النّفسيّة. وهنا نطرح الأسئلة الآتية:

ما أهم ما توصل إليه بحثنا؟ وما هي الفائدة التّربويّة التي قدمها؟ وما الجديد الذي أتى به؟ وما هي الآفاق المستقبلية التي يفتحها؟

أولا: أهم ما توصل إليه البحث

أهم النّتائج التي توصل لها بحثنا هي كالتالي:

- أظهر البرنامج العلاجيّ التربويّ فعالية جيدة لدى أفراد المجموعتين الحضوريّة والافتراضيّة، في رفع مستوى تقدير الذّات.
- التأثير الإيجابيّ للبرنامج حتى في المجموعة الافتراضيّة، وهذه النّتيجة مهمة بحدّ ذاتها لأنّها تفتح باب الأبحاث في موضوع التعلم والتدريب في العالم الافتراضي.
- اكتساب التّلميذات الشّعور بقيمة الذّات، والاستعداد للتّعاون والعمل الجماعي.
- اكتساب التلميذات مهارة حلّ بعض المشكلات النّفسيّة والاجتماعيّة (احترام الذّات والآخرين). مع الإشارة إلى أنّ البرنامج المعتمد قد استغرق تطبيقه خمسة أشهر متواصلة. وهذه المدة الطّويلة ساعدت التلميذات على التّقدّم والتّطور والتّكيف الاجتماعيّ.

ثانيا: الفائدة التربويّة

لقد تحقّقت فوائد تربويّة كثيرة على صعيد التّلميذات أنفسهنّ، وعلى الصّعيد التربويّ العام، ويمكن تلخيصها بالآتي:

- على الصّعيد الأكاديميّ ارتفع مستوى الرّغبة في التّعلّم والتّحصيل لدى التلميذات بعد أن تحسن لديهن تقدير الذّات وكذلك مهارة حل المسائل.
- تحقيق مساحة من الانفتاح الفكريّ بين التّلميذات من خلال التّقييم الإيجابيّ لكل فتاة من جانب زميلاتها. ها العمل كسر الحواجز النّفسيّة بينهن وفتح باب الصّداقة والتّعبير عن الذّات.

- تطبيق برامج علاجيّة تربويّة في المدارس ولكن بشكل أوسع وأشمل من برنامجنا، لأنّ المراهقين من كلا الجنسين بحاجة ماسة إلى هذه البرامج من أجل تحقيق تكيف أفضل مع الذّات والآخر.

ثالثا: الجديد الذي جاء به البحث

قدّم هذا البحث برنامجًا علاجيّا تربويّا لتحسين تقدير الذّات عند عدد من المراهقات المهجرات العربيّات (تركيا)، وهو يتميز عن باقي البرامج التي اطّلعنا عليها بتنوّع الأساليب والأنشطة ومدة التطبيق الطويلة.

الجديد الذي جاء به هذا البحث ليس فقط البرنامج التربويّ، بل المقارنة بين مجموعتين حضوريّة وافتراضيّة. ولم نجد بحسب ما اطلعنا من دراسات أي بحث يشبه بحثنا فضلا عن دراسة المراهقات العربيّات اللواتي لجأن إلى تركيا.

يمكن القول وبكل تواضع بأنّ برنامجنا قد أحدث فرقًا واضحا لدى المراهقات، من حيث النّظرة الإيجابيّة إلى الذّات، بعد أن كانت هذه النّظرة سلبيّة. كذلك الأمر بالنسبة إلى تدفق النّشاط، فالكثير ينظرون إلى تلك الفتيات على أنّه محكوم عليهنّ بالفشل لانخفاض الرّغبة في التّعلّم والتّحصيل.

رابعا: آفاق البحث المستقبليّة

لقد فتح بحثنا آفاقًا لأبحاث مستقبليّة يمكن أن تسهم في حلّ بعض مشكلات الصّحة النّفسيّة عند المراهقين، ومنها تقدير الذّات المتدني. ومن الأبحاث المقترحة نذكر ما يلي:

- إعداد برامج علاجيّة تربويّة أخرى أو مماثلة لرفع تقدير الذّات عند المراهقين، وبخاصة في مجتمعاتنا التي تنتشر فيها المشكلات النفسيّة.

- إجراء أبحاث مماثلة مع إضافة قيم أخرى على مجموعات حضوريّة وافتراضيّة، للتحقق ومن صحة النّتائج التي توصلنا إليها.

- إعداد برنامج علاجيّ تربويّ لبناء تقدير الذّات عند المهجرين وغير المهجرين، (بخاصة عند المراهقين).

وأخيرًا نرجو أن يكون بحثنا قد حقّق الأهداف المرجوّة، وأدّى إلى إحداث تغيير في اتّجاهات المراهقات نحو أنفسهنّ ونحو الآخرين. ونأمل أن يسهم هذا البحث في تشجيع الباحثين على اعتماد البرامج العلاجيّة التربويّة لكي تشمل فئات المجتمع مختلفة. لقد حقّق البرنامج أهدافه التربويّة والنفسيّة، وكانت الفتيات تسألن دائما متى نعود إلى تطبيق برماج مماثلة.

لائحة المصادر والمراجع

1 – البنّا، عادل. السّباعي، شيماء. وآخرون. (2023). فاعلية برنامج تدريبي في تحسين تقدير الذّات والتوافق النفسيّ الاجتماعيّ لدى الطّلاب المكفوفين في المرحلة الثانوية [النسخة الإلكترونية]. **مجلّة جامعة مطروح للعلوم التربويّة والنفسيّة 3** (5)،54 – 90. استرجع في تاريخ 4 تشرين الثاني 2023 من

https://rb.gy/73ybw

2 – جدوع، أميمة. طشطوش، رامي. (2020). فاعلية برنامج إرشادي جمعي يستند إلى الدراما في تقدير الذّات والقلق الاجتماعيّ لدى المراهقات [النسخة الإلكترونية]. **المجلّة الأردنيّة في العلوم التربويّة 16** (1)،102–83. استُرجع في تاريخ 16 أيلول 2023 من

https//:rb.gy/ttg0i.

3 – زبيدة، أمزيان. (2006). **علاقة تقدير الذّات للمراهق بمشكلاته وحاجاته الإرشاديّة: دراسة مقارنة في ضوء متغيّر الجنس** (رسالة ماجستير غير منشورة). الجزائر: جامعة الحاج لخضر– باتنة–: كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم علم النفس. استرجع في 20 تشرين أول 2020 من

https//:shorturl.at/hzKP8

4 – السعود، لبنى. الصّمادي، منال. (2018). تقدير الذّات وعلاقته بالمسؤوليّة الاجتماعيّة لدى عيّنة من طالبات كليّة الأميرة عالية الجامعيّة [النسخة الإلكترونيّة]. **مجلة كليّة التربية – جامعة عين شمس.2** (42). 247 – 290. استُرجع في تاريخ 16 أيلول 2023 من

https//:rb.gy/hfg8s

5 – الشبانه، نوال. (2023). أثر برنامج معرفي سلوكي لتنمية تقدير الذّات لدى فتيات الرعاية الاجتماعيّة [النسخة الإلكترونية]. **المجلّة العربيّة للنشر العلمي 6** (60)،423– 448. استُرجع

في تاريخ 4 تشرين الثاني 2023 من

https//:rb.gy7/nu4f

6 – عروج، فضيلة. (2016). **فعالية برنامج تدريبي في رفع مستوى تقدير الذّات لدى المراهق** (رسالة ماجستير منشورة). الجزائر. جامعة العربيّ بن مهيدي أم البواقي: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة. استُرجعت في 13 شباط 2024 من

https//:rb.gy/ccyllb.

7 – قمر، مجذوب. (2015). **تقدير الذّات وعلاقته بالسّلوك العدواني وقلق المستقبل وبعض التغيّرات الديمغرافيّة** (أطروحة دكتوراه غير منشورة). السودان. جامعة دنقلا: كلية التربية، قسم علم النفس. استُرجع في 16 أيلول 2023 من

https//:rb.gy/xovlc

8 – كيلاني، نائلة. (2023). أثر فعالية برنامج إرشاد جمعي في خفض الاكتئاب وتحسين تقدير الذّات لدى عيّنة من الطالبات السّوريّات في مخيّم الزّعتري [النسخة الإلكترونية]. **مجلّة العلوم التربويّة والنفسيّة 7**(26). 127 –147. استُرجع في 10 تشرين الثاني 2023 من

https://rb.gy/9c9ea

9 – مجلي، شايع. (2013). تقدير الذّات وعلاقته بالسلوك العدواني لدى طلبة الصف الثّامن من مرحلة التعليم الأساسي في مدينة صعدة [النسخة الإلكترونية]. **مجلّة جامعة دمشق 29** (1). 59 –104. استُرجع في تاريخ 16 أيلول 2023 من

https://rb.gy/2mifr

الطّعام عند اللّبنانيين من خلال أمثالهم
(الحبوب نموذجًا)

بقلم مريم علي عدرة

مقدمة

الطّعام، في اللّغة، مَصْدَر «طَعَمَ»، وطَعَمَ فلانٌ: أكَلَ، وذاقَ. وهو «كلُّ ما يؤكَل، وبهِ قِوامُ البَدَن، وكلُّ ما يُتَّخَذ منه القوت من الحنطة والشّعير والثّمَر»[1].

والأطعمة كثيرة، وهي تُتَّخَذ من الحبوب، والإنتاج الحيوانيّ (لحم، بيض، عسل، لبن،...) والخُضَر، والفواكه، والنّباتات المختلفة.

وليس للطّعام أهمّيّة غذائيّة وحسب، فبالإضافة إلى كونها «قوام البَدَن»، لها فوائد صحّيّة في الوقاية من الأمراض وعلاجها، وقد كثرت الكتب في العصر الحديث بعنوان: «الغذاء لا الدّواء»، و«الغذاء محلّ الدّواء»، و«التّداوي بالطّعام»، ونحو ذلك.

ونظرًا إلى هذه الأهمّيّة، تناولتُ الفواكه في بحث لي، واليوم سأتناول الحبوب، على أن أفرد لباقي أنواع الأطعمة أبحاثًا خاصّة.

والحبوب اللّبنانيّة كثيرة ومتنوّعة، نظرًا إلى خصوبة أرض لبنان، واعتدال مناخه، واختلاف تضاريسه المتدرّجة من ساحل البحر حتّى الجبال العالية بارتفاع ثلاثة آلاف متر. وقد عرف اللّبنانيون منها، وبالتّرتيب الألفبائيّ: الأرزّ، البرغل، التّرمس، الحِمّص، الذُّرة، الشّعير، العدس،

الفاصوليا، الفول، القمح.

وإلى أهمّيّة الحبوب الغذائيّة، تبرز أهمّيّة الأمثال الاجتماعيّة والحضاريّة، فلا شيء أقدر على كشف هويّة المجتمع الثّقافيّة والحضاريّة والتّربويّة والنّفسيّة من الأمثال، فهي مرآة صادقة تنعكس عليها ثقافة الشّعب في حضارته وقِيَمه الخلقيّة، وعاداته، وتقاليده، وحِكْمته، وتجاربه. وهي أيضًا جزء من تاريخه.

1 المعجم الوسيط، مادّة (طعم).

وقد أدرك العربُ قديمًا أهمّيّة الأمثال، منذ عهدهم بالكتابة، فجمعوها، ودوّنوها في كُتُب أُفردت بكاملها لها، شارحينها، وموردين قصصها ومضارِبها[1]، وكذلك فعل الكُتّاب المعاصرون الّذين اهتمّوا بأمثال أوطانهم الشّعبيّة[2].

وكُتُب الأمثال اللّبنانيّة كثيرة[3]، وسأركّز في بحثي هذا على ما أظنّه أهمّها، وهو:

- كتاب المونسينيور ميشال فغالي: **Proverbes et dictons Syro-Libanais**، وسأرمز إليه في حواشي البحث بـ«فغالي».

- كتاب الدّكتور أنيس فريحة: **A dictionary of a modern lebanese proverbs**، وسأرمز إليه في حواشي البحث بـ«فريحة».

- أطروحة عبد الرّزاق رحم «**الأمثال العامّيّة وأثرها في المجتمع**»، وسأرمز إليه بـ«رحم».

- كتاب فردينان أبيلا: **Proverbes populaires du Liban Sud : Saïda et ses environs**، وسأرمز إليه بـ«أبيلا».

- كتاب الدّكتور زاهي ناضر: «**الثّقافة الصّحّية والغذائيّة وآدابها في الأمثال الشّعبيّة**»، وسأرمز إليه بـ«ناضر».

- **رسالة حسن الحرّ: الأمثال الشّعبيّة الجنوبيّة من خلال بلدة جباع**، وسأرمز إليه بـ«الحرّ».

1 - الأَرُزّ

«جنس نبات عشبيّ مائيّ من فصيلة النّجيليّات. يُزْرع في معظم البلاد الحارّة والمعتدِلة. جذوره سطحيّة، سوقه قائمة أسْطوانيّة فارغة. ازهراره عُنْقوديّ. حَبَّته مُسْتطيلة يابسة مأكولة، وغنيّة بالمواد النّشويّة، وهي الغذاء الأساسيّ لحوالي نصف سكّان العالم»[4]

وهو في لغة اللّبنانيّين «الرزّ»، ورمز للخصب والنّماء والحياة، والفخر ، والفرح؛ ولذلك

---

1 انظر: أسماء كتب الأمثال العربيّة ومصنّفيها في موسوعة أمثال العرب للدّكتور إميل بديع يعقوب 195-1/71.
2 انظر: أسماء بعض كتب الأمثال الشّعبيّة العربيّة في موسوعة الأمثال اللّبنانية للدّكتور إميل بديع يعقوب 36-1/34.
3 انظر: المرجع نفسه 43-1/37.
4 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 540.

يرشّونه على العروسين، وعلى زائر كريم يحتفلون بمجيئه[1].

يُسْتخدم في الكثير من المأكوت، وأكثر ما يُسْتعمل مع اللّحم، فيُحشى بهما ورق العنب، وورق السّلق، وضِلع الحيوان المذبوح، ومِعاه، والدّجاج وغيره . ويقولون مُشيرين إلى فرح الأولاد بهما: «**إحِمْ إحِمْ: رِزّ بلحم**»[2].

ويُسْتعمل مع الحليب طعامًا للمرضى؛ ولذلك قالوا في الدّعاء على الآخر: «**ريت الرّز والحليب بدارك**»[3]. وكانوا أكثر ما يستلذّون به عندما يكون باردًا، قالوا: «**الرّز بحليب: كُلّ ما بَرَدَ بطيب**»[4].

وكان الرّز، في أوّل قدومه إلى لبنان، غالي الثَّمن، لا يأكله إلّا الأغنياء؛ أمّا الفقراء فكانوا يأكلون البرغل؛ ولذلك قالوا: «**العزّ للرِّزّ، والبرغل شَنَقْ حالو**»[5]، و«**العِزّ لطبيخ الرِز، والبهدلَه عَ السّميد**»[6].

وخبرتهم في الطّعام علَّمتهم أنَّ طبخ الرّزّ على نار هادئة يُطيِّب أكله؛ أمّا البرغل، إذا طُبِخ على نار هادئة، فإنَّه يُفَشْفِش» (يُخرج ما في داخله)، فلا يعود صالحًا إلّا طعامًا للدّجاج؛ ولذلك

قالوا: «**الرّزّ إذا تهدّا، للملوك بيتودّا؛ والبرغل إذا تهدّا، للدّجاج بيِتْودّا**»[7].

2 – البرغل

هو جَريش القمح المسلوق خَشِنًا وناعمًا، يدخل في تحضير الكثير من الأطعمة، وخاصّةً الكبّة، وهو غذاء مُقوٍّ ومُنشِّط، قالوا: «**البرغل مَسامير الرّكَب**»[8].

3 – التُّرمُس

«جنس نبات زِراعيّ حَوْليّ من فصيلة القرنيّات. ساقُه قويّة مستقيمة، أوراقه مُرَكَّبة. أزهارُه إلى الزُّرقة الورديّة. قُرونه عريضة كثيفة تحتوي على حبّات مُرّة الطّعم. تُؤْكل

1 العادات والتّقاليد الشّعبيّة اللّبنانيّة، ص 98.
2 ناضر، ص 502.
3 رحم 2630؛ يعقوب 3687؛ ناضر، ص 322.
4 فريحة 1779؛ يعقوب 3615؛ ناصر، ص 509.
5 فغالي 1097؛ فريحة 2366؛ أبيلا 1450؛ يعقوب 4750؛ ناصر، ص 322.
6 ناضر، ص 496.
7 المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.
8 يعقوب 1776.

بعد نقْعها بالماء بَعْض الوقت. وقد يُزْرَع عَلَفًا للمواشي. يصْقُل مسحوقُ حَبِّه البشرة، ويُليِّنها. يونانيّة»[1].

وفي المجتمع اللّبناني يدّعي بائعو التّرمس أن ترمسهم حلو لذيذ الطّعم، فينادون: «**تِرمِس يا حلو**»، فقال اللّبنانيّون لمن يستطيع خِداع الصّغار لا الكبار:»**تِرْمِس يا حلو: ضِحِك عَ ولاد الزّغار**»[2]، وقالوا : «**التّرْمِس أحلى من اللّوز: كِلّو ضِحِك عَ ولاد الزّغار**»[3]، و«**يا تِرْمِس أحلى من اللّوز**»[4].

4 – الحِمّص

«جنس نبات زِراعيّ حَوْليّ من فصيلة القطانيّات الفراشيّة. تكثر زراعته في البلدان المتوسِّطيّة، ولا سيَّما في إيطاليا، والشَّرق الأوسط. ويُزْرَع لِحَبِّهِ المأكول نيئًا أو مطبوخًا. أزهاره صغيرة، وثماره قرون بَيْضيّة الشّكْل تغلِّف جبّة أو حبّتين. بَذْره يتمّ بين منتَصَف الشّتاء وأواخره. وهو غنيّ بالموادّ الغذائيّة، وأخصّها الدّهنيّة الّتي تقود إلى السِّمَن. يُسْتفاد من تبنه عَلَفًا للأبقار والأغنام. آراميّة»[5].

يأكله اللّبنانيّون أخَضَر، وجافًّا مطحونًا، وفي العديد من المأكولات، وهو «نافع، مُلَيِّن، مُدِرّ، جيِّد الغذاء، مُقَوٍّ، ومُنَشِّط للجسم، وله دور فعّال في تنشيط القدرة الجنسيّة، ويزيد من الطّاقة والرّغبة في العشرة الزّوجية»[6].

وهو أحد العناصر الأساسيّة للمونة، قالوا: «**بأيلول (أو بشهر أيلول)، دَبِّر المَكْيول للعدس والحمّص والفول**»[7].

وفي أهمّيّته الغذائيّة، يرى اللّبنانيّون أنَّه يُعادل اللّحم، قالوا: «**إذا كلّ ما كان عندك لحم ضاني، عليك بالمحمْصاني**»[8] أو «**إذا فاتك الضاني، عليك بالحمّصاني**»[9]، وقالوا في

1 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 1047.
2 فغالي 2070؛ فريحة 1165؛ ناصر 1834؛ يعقوب 2461.
3 الحرّ 270؛ يعقوب 5259.
4 أبيلا 431؛ يعقوب 8041.
5 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 326.
6 الغذاء محلّ الدّواء، ص 76.
7 فريحة 796؛ يعقوب 1609؛ وأمثال الأقدمين في جبّة المقدّمين، ص 229.
8 يعقوب 391.
9 ناضر، ص 321.

فاعليّته الجنسيّة: «**الحمّص والزّبيب يرضي الحبيب**»[1]. ومن أمثالهم في تفضيل القليل التّافه مقرونًا بالحريّة على النّفيس مقرونًا بالعبوديّة: «**حمّصة في حرّيّة، ولا وليمة في عبوديّة**»[2].

5- الذُّرة

«الذّرة نبات عُشبيّ حَوْليّ، زِراعته مُنْتَشِرة في جميع أصقاع العالم، وأنواعه عديدة. ساقه ليفيّة منتصبة. أوراقه أسنانيّة الشّكْل. ثماره حبوب مستديرة. إنتاجه وافر المحصول. عديد الفوائد الاقتصاديّة»[3].

وينطق اللّبنانيّون بكلمة «الذُّرة»، مستبدلين الذّال بالدّال «الدّرة». وهي تؤكل مشويّة أو مسلوقة، ويطحنها بعضهم لصناعة الخبز. وهي تدخل فى إعداد السّلطات ، وبعض المأكولات والحلويات. والذّرة مُغذِّية، مُسَمِّنة، تُنشِّط الجسم، وتُساعد على بناء الخلايا والتّخلّص من مشاكل الهضم والإمساك، كما أنَّها تضبط ضغط الدّم، وتحمي القلب[4].

وخبز الذّرة أقلّ جودة من خبز القمح. وكان لا يأكله إلّا الفقراء، أو في الأزمات المعيشيّة؛ ولذلك قيل: «**متل خبز الدّرة: مأكول مذموم**»[5]، و«**شو جاب الثّريّا للثّرى، وشو جاب خُبْز القمح لخبز الدَّرة؟**»[6].

6- الشّعير

«الشَّعير جنس نبات زِراعيّ عشبيّ حَبّي سنويّ، من فصيلة التّجيليّات. يُزْرَع في جميع البلدان المعتدلة المناخ. يُقَدَّم علفًا للدّواب، ويمكن تحويله إلى دقيق، لكنَّ الخبز المصنوع منه غيرُ جيِّد . يُسْتعمل في صِناعة الجعة»[7].

يقرن اللّبنانيون الشَّعير بالقمح في ثنائيّة ضِدّيّة ، معتبرينه رمزًا للخيبة والشّؤم، في حين يرمز القمح عندهم إلى النّجاح والتّوفيق والخير. فيقولون لمن يأتي بخبر جديد: «**قمْحة**

1 المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
2 المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
3 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 508.
4 ناضر، ص 322-321.
5 المرجع نفسه، ص 486.
6 المرجع نفسه، الصّفحة نفسها: شو جاب: شتّان بينَ...
7 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة ، ص 774.

، **ولّا شعيرة»**[1] . وقالوا في تفضيل مقتنيات الإنسان على مقتنيات غيره، وإن كانت هذه أفضل من تلك: «**شعيرنا ولا قَمْح غيرنا**»[2].

والشَّعير علف الحيوانات الأليفة. وكان بعض الفقراء يأكلون خبزه، وهو غير صحّيّ. قالوا: «**خبز شعير، وموِيّة بير، والعافية مْنَيْن بِتْصير**»[3]، و«**خبز شعير بلا مُنْخُل، والعافية منين بتِدْخُل؟**»[4]، و«**جازة الكبير، ورعاية الحمير، وخبز الشّعير بَلا منفعة**»[5]. وقالوا فيمن يُحْسِن ويُذَمّ: «**متل خبز الشّعير: مأكول مَذموم**»[6].

وكان الفقراء يأكلونه مع الزّيتون، وهو طعام الفقراء أيضًا؛ ولذلك قيل: «**خبز الشَّعير مهلِك للزّيتون**»[7]

7- العَدَس

العَدَس جنس نبات حَوْليّ زِراعيّ من فصيلة القرنيّات الفراشيّة. ضروبه عديدة. جميعها صغيرة القَدّ، جذورها سطحيّة، أوراقها مركَّبة ريشيّة، أزهارها بيضاء اللّون، ثمارها قرون صغيرة مُفَلْطَحة، مالِسة البَشرة. وهو مشهور بغزارة موادّه الغِذائيّة. تصلح سيقانه للماشية»[8].

يدخل في إعداد عدد من المأكولات، وخاصّةً «المجدّرة»، ويُعَدّ غذاء القوّة والحَيَويّة والنّشاط، ويُعْتَمَد، بفضل غناه بالحديد، لمكافحة فقر الدّم. وهو يُفيد في مقاومة التَّعب والإرهاق، والشّعور بالضّعف[9]. وكانوا يمنعون المصاب بالجُذام[10] مِنْ أَكْله؛ ولذلك قالوا فيمن ما عاد ينفعه الحذر والوقاية: «**قالوا للمجذّمين: لا تاكلوا عدس. قالوا: الّي جرى ما بقى يجري**»[11].

---

1 يعقوب 8593؛ ناضر، ص 486.
2 فريحة 2031؛ يعقوب 4071؛ ناضر، ص 486.
3 فغالي 1044؛ فريحة 1151؛ يعقوب 3116؛ ناضر، ص 485.
4 فريحة 151؛ يعقوب 3115.
5 أمثال الأقدمين في جبّة المقدّمين، ص 144.
6 فريحة 3511؛ يعقوب 6828.. وأصله المثل العربيّ: «الشّعير (أو خبز الشّعير) يُؤكَلْ ويُذَمّ» (جمهرة الأمثال 2/425؛ ومجمع الأمثال 1/365؛ والمستقصى 1/327).
7 فغالي 1043.
8 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة ، ص 954.
9 ناضر ، ص 326.
10 الجُذام: داء كالبَرَص يُسَبِّب تساقط اللّحم والأعضاء (المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (جذم).
11 فغالي 2305؛ ناضر، ص 327.

وهو عنصر أساسيّ من مونة اللّبنانيّ. قالوا : «**بأيلول دبّر المكْيول للعَدَس، والحمّص، والفول**»[1].

وأشار اللّبنانيّون إلى أهمّيّته الغذائيّة بقولهم في «المجدّرة» الّتي يدخل العَدَس في إعدادها: «**المجدّرة مسامير الرّكب**»[2]. وتزداد قيمة المجدّرة الغذائيّة إذا أُكلت مع اللّبن؛ ولذلك قالوا: «**مجدّرة ولبن: عافية بالبدن**»[3].

8- الفاصوليا

«الفاصولية أو الفاصوليا جنس نبات حَوْليّ من فصيلة القرنيّات الفراشيّة. أنواعه عديدة، تشمل جميع المناطق الحارّة والمعتدلة. سوقه مُلْتفّة عارِشة، وبزوره مستطيلة الشّكل، ثُنائيّة الفِلْقة، عديدة الألوان، غنيّة بالمواد الغذائيّة، تُطْبَخ رَطبة ويابسة. يُزْرع لِجَني ثِماره الخضراء القرنيّة، أو لاستثمار حبوبه الجافّة. والكلمة يونانيّة»[4].

تعدّ الفاصوليا عنصرًا أساسيًّا من مؤونة اللّبنانيّين لِفصل الشّتاء، وتدخل في تحضير بعض الأطعمة. وهي تزيد النّشاط في الجسم وصحّته وعافيته، وتفيد مرضى القلب، وأصحاب الضّغط المرتفع، وفي تنظيف الدّم، وتجديد خلاياه[5].

قال اللّبنانيّون في فائدتها الغذائيّة : «**البيت الّي ما فيه حبّة فاصوليا ما فيه عافية**»[6].

9- الفول

«الفول جنس نبات حَوْليّ من فصيلة القرنيّات الفراشيّة. أنواعه عديدة. غليظ الجذور.

ساقه منتصبة محزوزة عارِمة الفروع. أزهاره كبيرة القدّ، بَيْضاء اللّون أو حمراء تعلوها رُقْشة سوداء. ثماره قرون مُفَلْطَحة مُسْتطيلة، تُغَلِّف حبوبًا صالحة للأكل نيئة ومطبوخة. تُعْتَبَر من أغنى المآكل الزِّراعيّة»[7].

---

1 فريحة 796؛ يعقوب 1609؛ أمثال الأقدمين في جبّة المقدّمين، ص 229؛ ناضر، ص 327.
2 رحم 1200؛ يعقوب 7051؛ ناضر، ص 326، 497.
3 ناضر، ص 498.
4 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة ، ص 1097.
5 الغذاء محلّ الدّواء، ص 652.
6 ناضر، ص 327.
7 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 115.

يُعَدّ الفول عند اللّبنانيّين، بسبب غناه بالحديد، البديل عن اللّحم. وهو مفيد للمصابين بفقر الدّم، ويُسْهِم في بناء خلايا الجسم، ومدِّه بالنّشاط، ويقوّي الطّاقة الجسميّة عند الرّجال، ويزيد من شهوة الجِماع[1].

والفول من الحبوب الّتي تدخل في مؤونة اللّبنانيّ. قالوا : «**بأيلول (أو بشهر أيلول)، دبّر المَكْيول للعَدَس، والحمّص، والفول**»[2].

أشهر أطباقه طبق الفول المدمَّس المتبَّل بالثّوم والحامض والزّيت والبقدونس، وهو يؤكل عند الصَّباح، فيُقيت المرء طوال النّهار، كما يدخل في إعداد بعض الأطعمة كالفلافل والطّعميّة.

قالوا في فائدته الغذائيّة: «**الفول بِرَبّي العجول**»[3]. وهو طعام الفقراء، قالوا في الدّعاء الفارغ: «**رحنا الدار، وشفنا الحال: الغدا خِبّيزة، والعشا فول حارّ**»[4]. وقالوا في الشّيء يعود إلى أصله: «**أكل فولو، ورِجِع لأصولو**»[5]، وهو يعبِّر عن رأي الطّبقة العليا في الطّبقة الدّنيا، وحتميّة عودتها إلى أصلها، مهما يعلو شأنها.

10- القمح

«القمح من جنس نبات حَوْليّ زِراعيّ من فصيلة النّجيليّات. سوقه أسطوانيّة فارغة، تنتهي بسنابل فيها ثمار يابسة لا منفرِجة، تُشكِّل الغِذاء المُفَضَّل عند الإنسان. والكلمة آراميّة»[6].

والقمح أهمّ الحبوب، عند اللّبنانيّين، من النّاحيتين: الغذائيّة والاستهلاكيّة، فمنه خبزهم اليوميّ. ومن أبرز مشتقّاته البرغل الّذي يدخل في تحضير العديد من المآكل وأصناف الطّعام. وهو، عندهم، يُنْبت اللّحم، ويشدّ العظم، ويرقِّق البشرة، ويزيد في القوّة الجنسيّة»[7].

ويُعدّ رمزًا للخير، والتّفاؤل، والتّوفيق، في حين يُعدّ الشّعير رمزًا للخَيْبة والفشل والشّرّ،

---

1 ناضر، ص 328.

2 فريحة 796؛ يعقوب 1609؛ وإنسانيّات الأمثال الشّعبيّة اللّبنانيّة، الرقمان: 1215، 1379؛ وأمثال الأقدمين في جبّة المقدّمين، ص 229.

3 ناضر، ص 328.

4 ناضر، ص 327.

5 فغالي 7؛ فريحة 301؛ أبيلا 368؛ يعقوب 679.

6 المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة ، ص 1183.

7 ناضر، ص 320.

فيقولون لِمَنْ ينتظرون منه خبرًا جديدًا: «**قمحة ولّا شعيرة**»[1]. وقالوا في تفضيل مقتنيات الإنسان على مقتنيات غيره، وإن كانت هذه أفضل بكثير من تلك: «**شعيرنا ولا قمح غيرنا**»[2].

كما قرنوه بالزُّؤان في ثنائيّة ضدّية جاعلينه فيها رمزًا للأصلح والأنسب والأفضل، فهو لعافيتهم، والزُّؤان لماشيتهم: «**القمع للعافية، والزِّوان للماشية**»[3]، وقالوا، عند رؤيتهم العظيم يُسْتَبْدل بدونه: «**ألله يلْعن هالزمان الّي بَدّل القمح بالزّوان**»[4]؛ وفي تفضيل الزّواج ببنت البلد على البنت من خارجه: «**زوان بلدك، ولا القمح الصّليبي**»[5]، و«**تجوَّزْنا وجِبْناها غريبة، زوان بلدنا ولا القمح الصّليبي**»[6].

والقمح من أهمّ عناصر مونة اللّبنانيّ، لا يُشركه في هذه الأهمّيّة سوى الزّيت. قالوا: «**إذا**

(أو إنْ) حِضر القمح والزّيت، تسَوْكرت مونة البيت»[7]، و«**قمح وزيت مونة البيت**»[8].

وقالوا في فائدته الغذائيّة: «**خبْز وزيت، وناطح الحيط**»[9]. وقالوا للنّاشئ كي يصبح يافعًا، وفي ضرورة الصّبر طويلًا، مشيرين إلى أهمّيّة الخبز الغذائيّة: «**يا ما بَدّك فَتّ خبز**»[10].

---

1 يعقوب 8593.
2 فريحة 2031؛ يعقوب 4071.
3 ناضر، 320.
4 رحم 1124؛ يعقوب 784.
5 فغالي 1970؛ فريحة 1856؛ الحرّ 286؛ أبيلا 194؛ يعقوب 3744.
6 يعقوب 2436.
7 فريحة 645؛ يعقوب 1295.
8 المعاني الغنيّة في الأمثال الشّعبيّة، ص 95.
9 يعقوب 3123؛ ناضر، ص 320.
10 فغالي 538؛ فريحة 4218؛ ناضر، ص 320.

خاتمة

كثُرت حبوب اللّبنانيّين، نظرًا إلى اعتدال مناخ وطنهم، وتنوّع فصوله، وخصب تربة أرضهم، وكثرة مياهها، وتدرّج تضاريسها من سهول ساحليّة تعانق شاطئ البحر الأبيض المتوسّط في امتداد 220 كلم، إلى جبال عالية تلامس الثّلاثة آلاف مترًا ارتفاعًا، إلى ما بعد هذه الجبال، أعني سهل البقاع الخصب الغنيّ بمزروعاته، والّذي كان يشكّل قديمًا أهراءات الشّرق الأوسط.

وكان من الطّبيعيّ أن تظهر مزروعاتهم في أمثالهم، نظرًا إلى أهمّيّتها الغذائيّة والصّحّية من ناحية، وإلى طول تجربتهم معها، وخبرتهم فيها من ناحية ثانية.

وقد كشف هذا البحث أهمّيّة معظم الحبوب الّتي يأكلها اللّبنانيّون، وما يتعلّق بها من أمثال تتعلّق بقيمتها الغذائيّة. وكان من الطّبيعيّ أن يغفل هذا البحث الحبوب الّتي لم تظهر في الأمثال، كما أَغْفَل الأمثال الّتي تتعَلَّق بالحبوب، ولكن ليس من ناحيتها الغذائيّة، بل مـن ناحية شكلها، أو أوقات زراعتها، أو جَنْيها، أو غير ذلك من أمور زِراعيّة تتعلّق بها.

وللأمثال المتعلّقة بالحبوب من النّاحية الغذائيّة أهمّيّة في كشف ناحية من نواحي الثّقافة الصّحّية للّبنانيّين فيما يتعلّق بالطّعام عمومًا، وبالحبوب خصوصًا، وفي إظهار خبرة اللّبنانيّين الغذائيّة، واستغلال هذه الخبرة في أمورهم الصّحّية.

صحيح أنّ العلم كَشَفَ اليوم، بفعل المختبرات الحديثة، والتّطوّر التّقنيّ في التّحليل الكيميائيّ وغيره، الكثير الكثير من مركّبات الحبوب، وخصائصها الغذائيّة، وكيفيّة تناولها كمّيّةً، وأوقاتًا في كلٍّ من حالتي الصّحّة والمرض، لكنّ خبرة اللّبنانيّين الغذائيّة بقيت مفيدة في مجال التّغذية، وهي الأكثر انتشارًا بينهم من نتائج المختبرات الغذائيّة، فهي، بالتّالي، الأهمّ عندهم من هذه النّتائج.

المصادر والمراجع

-**أبيلا** = Proverbes populaires du Liban Sud : Saïda et ses environs –

-**الأعمال الكاملة لمؤلّفات سلام الرّاسي**، دار نوفل، بيروت، ط2، 2000م.

-**أمثال الأقدمين في جبّة المقدّمين**، أنطوان جبرايل طوق، بشاريا للنّشر، زوق مكايل، لبنان، ط1، 1992م.

-**الأمثال الشّعبيّة الجنوبيّة من خلال بلدة جباع**، حسن الحر، رسالة أُعِدَّت لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الجامعة اللّبنانيّة، الفرع الأوّل، بيروت، 1987م.

-**الأمثال العاميّة اللّبنانيّة وأثرها في المجتمع**، عبد الرّزاق رحم، أطروحة أُعِدّت لنيل شهادة الدّكتوراه (الحلقة الثّالثة) في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 1982م.

-**إنسانيّات الأمثال الشّعبيّة**، زاهي ناضر، أطروحة أُعِدّت لنيل شهادة الدّكتوراه في الفلسفة، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 1985م.

-**الثّقافة الصّحّية والغذائيّة وآدابها في الأمثال الشّعبيّة**، الدّكتور زاهي ناضر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2019م.

-**جمهرة الأمثال**، العسكري (الحسن بن عبد الله)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م.

-**الحرّ**= الأمثال العاميّة اللّبنانيّة وأثرها في المجتمع.

-**حكي قرايا وحكي سرايا**، سلام الرّاسي، مؤسّسة نوفل، بيروت، ط4، 1982م.

-**الحياة الاقتصاديّة عند اللّبنانيّين من خلال أمثالهم**، هدى محمّد نعمان، أطروحة أُعِدَّتْ لنيل شهادة الدّكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 2020م.

-**رحم** = الأمثال الشّعبيّة الجنوبيّة من خلال بلدة جباع.

-**سنن ابن ماجه**، ابن ماجه (محمّد بن يزيد)، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، لاط، لات.

-**الطبّ الشّعبيّ اللّبناني**، وديع جبر، جروس برس، طرابلس، طبعة جديدة، 2005م.

-**العادات والتّقاليد اللّبنانية**، لحد خاطر، دار لحد خاطر، بيروت، 1977م.

-**الغذاء محلّ الدّواء**، محسن عقيل، دار المحبّة البيضاء، بيروت، ط1، 1998م.

-**فريحة** = A dictionary of a modern Lebanese proverbs -

-**مأكولاتك في شهر العسل**، رضا علي رضا، دار الرضا، بيروت، ط1، 1996م.

-**مجمع الأمثال**، الميداني (أحمد بن محمّد)، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، دار القلم، بيروت، لاط، لات.

-**المستقصى في أمثال العرب**، الزّمخشريّ (محمود بن عمر)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987م.

-**المعاني الغنيّة في الأمثال الشّعبيّة**، فارس يوسف، مكتبة ومطبعة حرمون (حاصبيا-لبنان)، ط1، 2013م.

-**المعجم الوسيط**، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، ط5، 2021م.

-**المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة**، أنطوان نعمة وغيره، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000م.

-**موسوعة أمثال العرب**، الدّكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

-**موسوعة الأمثال اللّبنانيّة**، الدّكتور إميل بديع يعقوب، دار جرّوس برس، طرابلس (لبنان)، ط2، 1993م.

-**ناضر** = إنسانيّات الأمثال الشّعبيّة.

-**يعقوب** = موسوعة الأمثال اللّبنانيّة.

-Abela, Ferdinand-Joseph: **Proverbes populaires du Liban sud, Saïda et ses environs**, Paris, Maisonneuve et Larose, 1981.

-Feghali, Michel: **Proverbes et dictons Syro-libanais**, Paris, institut d'éthnologie, 1938.

-Fregha, Anis: **A dictionary of modern lebanese proverbs collated annotated and translated into English**, Beirut, librairie du Liban 1979.

التّوجيه النّحويّ واللّسانيّ للتّحويل بالحذف في الجامع الصّحيح للإمام التّرمذيّ

هدى عبدالله البريدي[1]

إشراف الدّكتور: بشير فرج

ملخّص البحث

تعدّدت وجوه خدمة اللّغة العربيّة وتكوّنت ضروبها، مما استدعى النّظر فيما استحدثه آخرون من علوم سميت باللّسانيّات، تلك الّتي سيطرت على واقع الفكر اللّغويّ العالميّ، الأمر الّذي استدعى الإقبال على هذه العلوم، وفتح آفاق الفكر لها لمعرفة منزلة العربيّة منها، بعدما بلغت اللّسانيّات أشدّ حالات إشراقها ورقيّها وصدارتها من منظور الفكر العالميّ، فظهرت نظريّات تناولت دراسة اللّغة من جوانب شتّى، وكان من بينها النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة لصاحبها تشومسكي الّذي تأثّر بالنّحو العربيّ والنّحويين البلاغيين أمثال سيبويه وعبد القاهر الجرجانيّ، غير أن كلا العلمين اصطبغ بصيغة العصر الذي وضع فيه.

وقام البحث على دراسة التّوجيه النّحويّ واللّسانيّ للتّحويل بالحذف في الأحاديث النّبويّة في الجامع الصّحيح للإمام التّرمذيّ، وأبرز ما توصّل إليه البحث من نتائج أنّ التّحويل بالحذف قد وقع بحذف الرّكن الأساسيّ في الجملة الفعليّة والاسميّة، والرّكن المتمّم، كما وقع بحذف المسند والمسند إليه معًا، وذلك له توجيهه الدّلاليّ، وأكثر ما وقع التّحويل كان بحذف الرّكن الأساسيّ في الجملة الاسميّة للإيجاز، وأنّ عمليّة التّحويل تقوم على افتراض أنّ لكل جملة بنيتين: بنية سطحيّة تتمثّل بالجمل المنطوقة أو المكتوبة، وبنية عميقة تتّصل بالمعنى أو التّأويل الدّلاليّ للجمل، والبنية السّطحيّة قد تتعرّض للحذف كما قد تتعرّض للزيّادة والاستبدال والتّرتيب.

الكلمات المفاتيح: التّحويل، التّوجيه، الدّلالة، البنية العميقة، البنية السّطحيّة.

[1] جامعة بيروت العربيّة – قسم اللّغة العربيّة Beirut Arab University – Department of Arabic Language

The syntactic and linguistic guidance for the transformation through omission in the authentic compilation of Imam Al Tirmidhi

Houda Abdullah Al- Braidy

Abstract:

Summary of the Research: The service of the Arabic language has various facets and forms, prompting an exploration into what others have introduced in the field of linguistics. This field has dominated the global linguistic thought, leading to an increased interest in these sciences and expanding the horizons of thought to understand the position of Arabic within them. Linguistics reached its peak and prominence globally, with theories addressing language study from various perspectives. One notable theory is the transformational generative theory introduced by Chomsky, who was influenced by Arabic grammar and rhetorical grammarians such as Sibawayh and Abdul Qahir al-Jurjani. However, both fields were shaped by the context of the era in which they emerged.

This research focused on studying the syntactic and linguistic direction of omission-based transformation in the Prophetic Hadiths in the authentic compilation of Imam Al-Tirmidhi. The key findings indicate that omission-based transformation occurred by deleting the essential components in both verbal and nominal sentences, including the subject, verb, and complement. Additionally, the transformation involved omitting both the possessor and the possessed simultaneously, guided by its semantic direction. The most prevalent form of transformation was the deletion of the essential component in nominal sentences for conciseness. The process of transformation assumes that each sentence has two structures: a surface structure represented by spoken or written sentences and a deep structure connected to the meaning or semantic interpretation of sentences. The surface structure is subject to deletion, addition, replacement, and rearrangement.

Keywords: transformation, guidance, syntactic, linguistic, significance, surface structure, deep structure.

المقدّمة

طرقت النّظريّات اللّغويّة الحديثة أسماع الدّارسين، فأخذوا يقبلون عليها لاستكناه خباياها، ويبحثون في جذورها لمعرفة أصولها، وتاريخ مولدها، وكان من بين هذه النّظريّات النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة لصاحبها نوام تشومسكي الّذي يملك من الفكر والحذق ما يكفي لبناء نظريّة عالميّة، شغلت الباحثين للوقوف عند قواعدها ومرتكزاتها، وإمكان تطبيقها على اللّغات الإنسانيّة ولا سيّما اللّغة العربيّة. وما إذا كان صاحب هذه النّظريّة قد تأثّر بالنّحو العربيّ، ويقول الدّكتور مازن الوعر في هذا المضمار، وهو من تلامذة تشومسكي: «لو التفت الغرب المعاصر إلى التّاريخ اللّغويّ التّراثيّ العربيّ، لكان علم اللّسانيّات الحديث في مرحلة متقدّمة عن الزّمن الذّي هو فيه، هذه الحقيقة شاركني فيها عالم اللّسانيّات الأميركيّ نوام تشومسكي خلال حوار كنت قد أجريته معه عام 1982» (الوعر ،1992، ص122).

كما ويرى المتعمّق في دراسة النّحو أنّ معظم القضايا الّتي اشتمل عليها النّحو العربيّ لها ما يقابلها في النّحو التّوليديّ، ولا سيّما قوانين التّحويل الأربعة التي نادى بها التّحويّون العرب وصاحب النّظريّة اللّسانيّة وهي: الحذف والزّيادة والتّرتيب والاستبدال، وهذه الأولى هي صلب دراستنا، وهذا النّوع من التّحويل يقوم على «إخفاء عنصر من عناصر الإسناد الاسميّ أو الفعليّ أو جملة من البنية الظّاهرة الفوقيّة للّغة، وهذه الظّاهرة تشترك فيها اللّغات الإنسانيّة.

من هذا المنطلق استطعت أن أحدّد عنوان دراستي وهو «التّوجيه النّحويّ واللّسانيّ للتّحويل بالحذف في الجامع الصّحيح للإمام التّرمذيّ».

أسباب الدّراسة: أمّا الأسباب الّتي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع فهي قلّة الدّراسات الّتي تناولت اللّسانيّات على الجملة العربيّة، ولا سيّما الأحاديث النّبويّة باعتبار أنّ السّنّة هي المصدر التّشريعيّ الثّاني بعد القرآن الكريم، ولأنّ الحذف ظاهرة بارزة في اللّغة العربيّة وتضمّنتها كتب اللّغة والبلاغة والنّحو، كما أنّ البحث في النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة في هذه اللّغة قليل لإظهار الأشكال التّركيبيّة المحوّلة بالحذف والكشف عن سرّ الدّلالات المتوارية خلف هذا التّحويل.

أهداف الدّراسة: تهدف هذه الدّراسة إلى تطبيق النّظريّة التّوليديّة والتّحويليّة على الجملة العربيّة الاسميّة والفعليّة والوحدات الإسناديّة، ومعاينة الشّكل التّحويلي لها بالوصف والشّرح والتّفسير في الصّور الواردة في الحديث الشّريف، وبيان التّوجيهات الدّلاليّة لهذه الأشكال المحوّلة بالحذف، ومدى تأثير هذا التّحويل في الجملة العربيّة، ومعناها ومدلولاتها؛ فهذه الدّراسة تكتسب أهمّيّتها من كونها تربط منهجًا لسانيًّا حديثًا وهو النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة بالتّراث النّحويّ العربيّ، وإظهار مدى طواعيّة هذه النّظريّة على النّحو العربيّ.

منهج الدّراسة: اقتضت طبيعة الدّراسة اعتماد المنهج التّحليليّ استقراءً وتتبّعًا وتحليلًا، كونها تقوم على دراسة التّراكيب الإسناديّة الأصليّة دراسة مشبعة باللّسانيّات الّتي تبرز ما في الأحاديث النّبويّة من ثراء، فالمنهج الوصفيّ التّحليليّ يهتمّ بدراسة الظّاهرة اللّغويّة ووصفها، ويتعدّى ذلك إلى الرّبط والتّفسير والتّحليل واستخلاص النّتائج، كما لا بدّ من الاستعانة بالمنهج التّوليديّ الّذي يقوم على المعرفة اللّغويّة أي تحليل قدرة المتكلّم على إنتاج جمل لم يسمعها من قبل، والقدرة على فهمها.

وجاء هذا البحث للإجابة عن الإشكاليّة الآتية: ما التّوجيهات النّحويّة واللّسانية للبنى التّركيبيّة المحوّلة بالحذف في الجامع الصّحيح للإمام التّرمذيّ؟ وهذه الإشكاليّة تفرّغت منها إشكاليّات عدّة، هي:

- إلى أي مدى يمكن الإفادة من آليّات المنهج التّوليديّ التّحويليّ في تحليل الجمل الّتي اعتراها التّحويل بالحذف في المدوّنة؟ وما سرّ الدّلالات المتوارية خلف هذا التّحويل؟

وليكون هذا البحث على صورة فضلى من العمل المجديّ يفرض اتّخاذ الفرضيّات المسبقة الّتي تشقّ طريقًا إلى الكشف عن سرّ الدّلالات المتوارية خلف التّحويل بالحذف من الأحاديث النّبويّة.

الفرضيّة الأولى: إذا كان التّحويل ظاهرة بارزة في النّحو العربيّ وفي المدرسة التّشومسكيّة، فمن المفترض أن تكون اللّغة العربيّة تقبل أي نظريّة لسانيّة غربيّة.

الفرضيّة الثانيّة: يؤثّر عنصر الحذف كعنصر تحويليّ في دور الحذف والإسقاط في

تحديد المعنى، وبالتّأكيد قد يكشف عن الدّلالات المتوارية خلف هذا التّحويل.

أوّلا: مرتكزات النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة

ارتبط الدّرس اللّغويّ في النّصف الثّاني من القرن العشرين بنوام تشومسكي الّذي شغل الدّراسين المعاصرين، ممّا جعله يتبوّأ مكانة مرموقة من تاريخ اللّسانيّات، منذ أن نشر كتابه البنى التّركيبيّة عام 1957، فتغيّر اتجاه اللّسانيّات من المنهج الوصفيّ المحض إلى منهج جديد يعرف بالنّحو التّحويليّ .

ولد تشومسكي في فيلادلفيا عام 1928م في ولاية بنسلفانيا، درس في المرحلة الجامعيّة علوم اللّغة والرّياضيّات الفلسفيّة، كما تعلّم شيئًا من مبادئ علم اللّغة التّاريخيّ من أبيه الّذي كان يعمل أستاذًا للعبريّة آنذاك، وأدّى تأثير والده فيه إلى دراسته للّسانيّات، أعدّ رسالة الماجستير في العبريّة الحديثة، وحصل على رسالة دكتوراه من جامعة بنسلفانيا، ثمّ درس في معهد ساتشوستس للتّكنولوجيّا، وظلّ يواظب في الدّراسات والأبحاث، ويحقّق النّجاحات حتّى صار أستاذًا جامعيًّا في علم اللّغة واللّغات الحديثة، وعضوًا في عدّة جمعيّات علميّة ولغويّة مثل الجمعيّة الأميركيّة للتّقدّم العلميّ، تأثّر بأستاذه هاريس، وقد وضع تشومسكي النّظريّة التّوليديّة والتّحويليّة الّتي أقامها على أسس علميّة.

اعتبرت هذه المدرسة أنّ القواعد أساس النّظريّة التّوليديّة والتّحويليّة، ذلك لأنّ القواعد الّتي تنظّم النّحو هي قواعد توليديّة وتحويليّة» (الوعر ،1988، ص114).

تميّزت هذه النّظريّة بانفرادها بتغيّر الأسس العقليّة الّتي ارتكزت عليها، فقد عدّت هذه المدرسة اللّغة تمثيلاً داخليًّا مجردًا ونظامًا عقليًّا بعد أن كانت سابقًا نوعًا من أنواع السّلوك الإنسانيّ، وقد انطلقت التّوليديّة ممّا بدأه البنيويّون، ورأت أنّ اللّغة تتميّز بالإنتاجيّة الّتي بمقتضاها يستطيع المتكلّم أن ينتج عددًا لا متناهيًا من الجمل، وإن لم يسمعها من قبل، «وهذه السّمة الّتي تميّز الإنسان عن الآلات والحيوانات» (علي ،2004، ص83).

وهذا يعني أنّ اللّغة عمليّة ذهنيّة ونفسيّة، وقد أعادت هذه النّظريّة صياغة المكوّنات صياغة رياضيّة، وتناولتها في شكلٍ هرميّ تشجيريّ رأسه الجملة، ونهايته أصغر الكلمات النّحويّة الدّالة على المعنى.

ويرتكز اهتمام التّوليديين على قدرة متكلّمي اللّغة السّليقيين على فهم عدد غير محدود من الجمل المختلفة استنادًا على قواعد وأسس نحويّة «قادرة على توليد جميع الجمل الممكنة من النّاحية النّظريّة في تلك اللّغة (تواتي، ص52)

عدّ تشومكسي أنّ المنهج الوصفيّ في التّحليل اللّسانيّ ليس سوى أسلوب آليّ ينحصر عمله في الوصف اللّغويّ فقط، وعلى عالم اللّسانيّات في تحليله اللّغة أن يقترب من المتكلّمين النّاطقين بلغتّهم، وذلك لسير الكفاءة أو القدرة اللّغويّة الفاعلة في الذّهن البشريّ، بحيث يبدأ بصياغة الفرضيّات المؤديّة إلى نظريّة لسانيّة، ثمّ برهنة النّتائج بدقّة، وتثبّت صحّة الفرضيّة إذا أمكن.

انطلقت نظريّة تشومسكي من مسألة علاقة اللّغة بالفكر، وترتكز هذه النّظريّة على النّحو الكليّ الّذي عرّفه تشومسكي بأنّه «فنّ أو تقنيّة تبرز كيف تحقّق لغة ما المبادئ العامّة للعقل الإنسانيّ، وبأنّه العلم الاستنباطيّ المهتّم بالمبادئ العامّة غير المتغيّرة للغة المحكيّة أو المكتوبة» (تشومسكي ،1990، ص15).

واهتمّ هذا النّحو بدراسة الكفاءة اللّغويّة الّتي تعني معرفة المتكلّم الضمنيّة بقواعد لغته القائمة في ذهن كلّ من يتكلّم هذه اللّغة، كما اهتمّ بالأداء وهو الاستعمال الوظيفيّ لهذه القواعد، والكفاية هي الّتي توجه الأداء الكلاميّ، و«إنّ نحو أيّ لغة يفترض أن يكون وصفًا للملكة الذّاتيّة الأصليّة للمتكلّم المثاليّ» (العلوي ،2004، ص44).

وارتكزت نظريّة تشومسكي على البنية العميقة والبنية السّطحيّة، فالبنية العميقة هي العمليّات العقليّة للتّفكير في الجمل قبل تحويلها إلى البنية السّطحيّة، وكان اهتمام تشومسكي بالغًا بالبنية العميقة لأنّ النّظريّة التّشومسكيّة تقوم على الجانب العقليّ للّغة.

والبنية السّطحيّة هي «ما يكون ملموسًا على السّطح من جمل منطوقة أو مكتوبة، بحيث تحوّل العمليّات العقليّة في البنية العميقة إلى بنية سطحيّة ملموسة» (الراجحي،1979، ص124).

والحدس أساس عند صاحب النّظريّة، فالتّفكير اللّغويّ عند أبناء الجماعة الواحدة يعمل على التّمييز بين الأنواع من الجمل بمقتضى ملكة موجودة لدى النّاطقين بلغتهم، وقد أسمى الاستعمال اللّغويّ المقبول بالجملة النّحويّة، وغير المقبول بالجملة غير النّحويّة،

وتكمن أهمّيّة الحدس في كونه «يتيح للباحث الألسنيّ ملاحظة القضايا المثيرة للاهتمام، كما يساهم في استنباط القوانين اللّغويّة» (زكريا ،1982، ص98).

فالتحويل هو «الخروج من الذّهن المجرّد إلى المنطوق، فما دامت في الذّهن فهي توليديّة، وإذا خرجت فإنّها تصبح تحويليّة» (فضل ،2005، ص86)

واللّغة إبداعيّة عند تشومسكي لأنّ المتكلّم قادر على إنتاج عدد لامتناه من الجمل، ويستطيع أن يفهم جملًا لم يسمعها من قبل، واللّغة إبداعيّة لأنّها قائمة على عنصر الابتكار لا المحاكاة والتّقليد، وترى التّوليديّة أنّ الفطرة هي المسؤولة عن اكتساب اللّغة عند الطّفل، وميّزت التّوليديّة بين قواعديّة الجملة ومقبوليّتها، فهناك جمل غير واضحة وغير مفهومة لكنّها يحكم عليها بالصّحّة والقواعديّة، وهي تعرف بالجمل الأصوليّة سواء أكان لها معنى أم لم يكن.

ثانيًا: مفهوم الحذف

الحذف ظاهرة من مظاهر التّحوّيل، وهي ظاهرة لغويّة عامّة تعتري كلّ اللّغات، والتّحويل بالحذف لا يتم عبثًا، إنّما وضع له النّحويّون والبلاغيّون ضوابط وشروطًا، وأهمّها: وجود قرينه دالّة على المحذوف سواء أكانت عقليّةً أم لفظيّةً أم حاليّةً، وأن لا يؤدّي الحذف إلى غموض، وأن يكون المحذوف طرفًا لا وسطًا، وأن لا يكون كالجزء، ولعلّ أهمّها أن يكون الحذف جاريًا على سنن العرب، وألّا يكون عاملًا ضعيفًا.

والتّحويل بالحذف انحراف عن المستوى التّعبيريّ العاديّ، وهو من القضايا المهمّة الّتي عالجتها البحوث النّحويّة والأسلوبيّة والبلاغيّة، وتكمن أهميّته بأنّه لا يورد المنتظر من الألفاظ، إنّما يتطلّب إعمال الفكر لفهم المقصود، وكثر التّحويل بالحذف في اللّغة الأدبيّة والعاديّة، وينبغي ألّا يتبعه خلل في المعنى أو فساد في التّركيب «إذ لا بدّ من أن يتأكّد المرسل من وضوح المحذوف في ذهن المتلقّي وإمكانيّة تخيّله» (حموده ،2004، ص 137).

وهذا ما ذهب إليه ابن جني حيث خصّص بابًا في زيادة الحروف وحذفها، جاء فيه: لا يمكن حذف بعض الحروف في بعض الأحيان، لأنّها دخلت الكلام بضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لوجدتها مختصرًا لها هي أيضًا، واختصار المختصر

إجحاف به،... وفي بعض الأحيان ينوب الحرف عن جملة أو عن كلمة، فإذا قلت: «ما قام زيدٌ» فقد أغنت (ما) عن النّفي، وهي جملة من فعل وفاعل»**Invalid source specified.**

أمّا أغراض الحذف فهي:

1. **التّخفيف:**

وهو غرض أساسيّ لأنّ العرب حذفت كلّ ما تستثقله، وذلك كما ورد عند سيبويه في باب الاستثناء، قال: «هذا باب يحذف المستثنى منه استخفافًا، وذلك قولك (ليس غير)، و(ليس إلا)» **Invalid source specified.**

وقوله تعالى ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف/ 29] فقد تم حذف حرف النداء استخفافًا.

2. **الإيجاز والاختصار:**

تميل العرب إلى الإيجاز والاختصار في كلامها إن لم يؤدّ إلى غموض ولا يؤثّر على وضوح المعنى، فيحذف ما يمكن للسّامع أن يفهمه بالقرائن الموجودة مهما كان نوعها، يقول الفرّاء: «إذا كان المعنى معلومًا خرج منه ما يرد الكلام إلى الإيجاز»**Invalid source specified.**

وقال تعالى:**(فإنْ لم تفعلوا ولن تفعلوا)** فقد تم حذف المفعول به اختصارًا لوضوح المعنى، فالبنية العميقة لهذا التركيب (لم تفعلوا ذلك ولن تفعلوه).

3. **الاتّساع:**

وهو نوع من الحذف للإيجاز والاختصار، كقوله تعالى: ﴿**واسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [يوسف/82] والبنية العميقة لها (وأسأل أهل القرية).

4. التّفخيم والتّعظيم:

وذلك إذا كان المقام لا يناسب ذكر الاسم فيحذف تعظيمًا للمسمّى كما في قوله تعالى ﴿**وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدت بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ**

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء /22 حتى 28] ففي هذه الآيات جمل محوّلة بحذف المبتدأ والمحذوف فيها لفظة الجلالة (الله)، لتكون البنية العميقة: الله ربّ السّموات والأرض/ قال: الله ربّكم وربّ أبائكم الأوّلين/ قال: الله ربّ المشرق والمغرب، وحذف موسى عليه السلام لفظة الجلالة تعظيمًا وتفخيمًا.

5. تحقير شأن المحذوف:

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ [البقرة/ 18] والبنية العميقة لها المنافقون صمٌّ بكمٌ عميٌ، ويختص الحذف بالبنية السّطحيّة بحيث يطرأ على البنية الشكلية للتركيب ليصبح أكثر إفادة.

6. التّهويل:

قد يفيد الحذف التّهويل كما في قوله تعالى:﴿ **لَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [الأنعام/30]، قال الزمخشري: «جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرًا شنيعًا» **Invalid source specified.**

7. الإبهام:

وهو أن تريد إبهام أمر على مخاطبتك فتحذفه، كأن تقول: كنت عند خالد قرأت وسمعت؟ «فيقال ذلك ما رأيت؟ وما سمعت، فتعرض عن ذكر ذلك قصدًا وإبهامًا».

8. التّعميم:

كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [يونس/25]. والمقصود بدار السلام الجنة، فالبنية العميقة لهذه الجملة يدعو جميع عباده» فتمّ حذف المفعول به وأطلق الفعل (يدعو) وقيّد الفعل (يهدي) لأنّ الدّعوة عامّة والهداية خاصة، وأفاد التّحويل بحذف المفعول به للدّلالة على العموم.

9. الفراغ بسرعة للوصول إلى المقصود:

وذلك في أسلوب التّحذير (النّارَ النّارَ)، لفظة النّار تؤدّي وظيفة المفعول به جملة فعليّة محوّلة بحذف الفعل والفاعل وبنيتها العميقة (احذر النّار)، وحذف الفعل والفاعل لأنّ الوقت يضيق عن ذكر غير المحذّر منه.

10. مراعاة الأسجاع والفواصل:

ويتمّ الحذف مراعاة للأسجاع والفواصل كما في قوله تعالى: ﴿**وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ﴾ [الضحى/1/2/3]، هذه الجملة (وما قلى) محوّلة بحذف المفعول به وبنيتها العميقة (وما قلاك)، «فحذف المفعول به لتتحقق المناسبة الصّوتيّة بين أواخر الآيات، لأنّ فواصل الآية في هذه السّورة تقف عند الألف» **.Invalid source specified**

ثالثًا: التّحويل بالحذف في الجملة الاسميّة وتوجيهه الدّلالي

يكثر هذا النوّع من التّحويل لأن القول لا بدّ له أن يكون من خلال جملة محكيّة، فيحذف جوازًا، ومن أمثلته في الحديث الشّريف ما جاء في كتاب القراءات، وقد روي عن ابن عبّاس قال: «قال رجل يا رسول الله: **أيّ العمل أحبّ إلى الله؟ قال: الحالّ المرتحل، قال: وما الحال المرتحل؟ قال الّذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره كلّما حلّ وارتحل»**.

الشّاهد في الحديث: «الحالّ المرتحل»، إنّ لفظة (الحال) تعرب خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره (أحبّ العمل) أو (هو)، والبنية العميقة لهذا الشّاهد هو (أحبّ العمل إلى الله الحالّ المرتحل)، وقد تمّ حذف المبتدأ من البنية السّطحيّة للحديث وهو حذف اختياري يهدف إلى التّركيز على موطن الفائدة عند الخبر، «وكلّ ما ورد بعد القول مرفوع ولا رافع له فهو خبر المبتدأ محذوف» (الشوا ، 2000، 82).

كذلك الأمر فقد ورد الحذف بغية الإيجاز في قوله «الّذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره، ولم يؤثّر حذف المبتدأ في الشّاهد على وضوح المعنى، وبنية الكلام العميقة (هو الّذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره)، وللإسناد قوانين تركيبية وبلاغيّة، وركنا الإسناد ضروريّان في التّركيب اللّغويّ، وليس كل اسم مرفوع يقع في أوّل الكلام هو المبتدأ، «فإن جيء بالاسم المرفوع في أوّل الكلام بغية الإسناد إليه كان هو المبتدأ، وكان الاسم

المرفوع بعده هو المسند وهو الخبر.

- **التّحويل بحذف المبتدأ مقدّر باسم الإشارة:**

ومن نماذج هذه الصّورة أي التّحويل بحذف المبتدأ المقدّر باسم الإشارة ما رواه أبو هريرة **أنّ رسول الله مرّ على صرّة من طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: يا صاحب الطّعام ما هذا؟ قال: أصابته السّماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطّعام حتّى يراه النّاس؟ ثمّ قال: من غشّ فليس منا».**

الشّاهد في جملة «أصابته السّماء» وهي جملة تحويليّة، حذف منها المبتدأ (هذا) وبنيتها العميقة (هذا الطّعام أصابته السّماء). وقد دلّ على هذا الحذف السّياق الإيجاز، فالمطر أصاب الطّعام، وجاء هذا الحديث معنى الزّجر والنّهي عن الغشّ وتحريمه، وجاء الجواب نتيجة استفسار رسول الله ﷺ عن الطعام المبلل الّذي فسد بسبب المطر عليه، وهذا التّحويل بالحذف للترّكيز على موطن الفائدة وهو الخبر، كما أنّ جملة (أصابته) السّماء جملة محوّلة بتقديم المفعول به على الفاعل لإبراز أهمّيّة المفعول به.

- **التّحويل بحذف المبتدأ في أسلوب المدح والذّم:**

كما ورد عن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال: «نِعم الإدامُ الخلُّ».

نعم: فعل ماض جامد لإنشاء المدح مبنيّ على الفتح.

الإدام: فاعل للفعل (نعم) مرفوع وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره. الخلّ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، وقد جرى التّحويل بحذف المبتدأ من البنية السّطحيّة، وبنيتها العميقة (نعم الإدام هو الخلّ)، وهذا التعبير يتضمّن رفع شأن الممدوح، وفيه فضيلة الحق، وإنّه يسمّى أدمًا، أي فاضل جيّد.

- التّحويل بحذف المبتدأ من جملة جواب الشّرط:

وبرزت هذه الصّورة من التّحويل في باب ما جاء في عذاب القبر من كتاب الجنائز، فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدُكم فإنّه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النّار فمن أهل النّار».

فقد جرى التّحويل بحذف المبتدأ من جملة جواب الشّرط، وتقديره (مقعده)، والبنية العميقة للتّركيب المحوّل بالحذف (فمقعده من أهل الجنّة) في الجملة الأولى/ و(مقعده من أهل النّار) في الجملة الشرطية الثانية، وكان للتّحويل بحذف المبتدأ في جملة جواب الشّرط توجيهه الدّلاليّ، فالشّرط هو ربط قضيّتين ببعضهما لا تتحقّق الثّانية إلّا بتنفيذ الأولى، فإذا مات العبد عرض عليه مقعده في الآخرة في الصّباح والمساء، فإن كان من أهل الجنّة عرض عليه مقعده ومكانه الّذي أعدّ له في الجنّة، وكذلك فإن كان من أهل النّار رأى مقعده الّذي ينتظره فيها. والملائكة تؤكّد هذه المعاني للميت.

- التّحويل بحذف خبر الحروف النّاسخة:

كان المشركون قد أرادوا شراء جسد رجل منهم اسمه نوفل بن عبدالله بن المغيرة، وكان قد قتل في غزوة الخندق، فقال النّبيّ ﷺ: «لا حاجة لنا بثمنه ولا جسده»،

(لا): نافية للجنس لأنّها تنفي جنس الاسم نفيًا قاطعًا، و(حاجة) اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف تقديره (كائنة أو مشروعة)، وكذلك وقد وقع التّحويل بحذف خبر (لا) النّافية للجنس لدلالة الجار والمجرور عليه، وله غرضه الدّلالي بنفي بيع جيفة المشرك وأخذ ثمنها لأنّها ميتة ولا يجوز تملّكها ولا أخذ عوض عنها.

- التّحويل بحذف الفعل الناقص واسمه:

روى عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «بلّغوا عنّي ولو بآية»، لفظة (آية) هي خبر كان المحذوفة مع اسمها، و(لو): أداة شرط وهي حرف امتناع لامتناع، ولفظة (آية) تؤدّي وظيفة الخبر في جملة اسمية منسوخة ومحوّلة بحذف الاسم مع الفعل النّاقص، والبنية العميقة هي (ولو كان التّبليغ آية. وقد يحذف فعل اسم الفعل النّاقص كما في قول قتيبة قال: «نهاني رسول الله ﷺ أن أبيع ما ليس عندي». والشاهد هنا في قوله (ليس عندي) فقد جرى تحويل بحذف اسم ليس، وبنيتها العميقة (ليس موجودًا عندي)، كما أنّ الجملة منسوخة ومحوّلة بحذف الخبر المقدّر، وتقديره كائن وهذا دليل على تحريم بيع ما ليس في ملك الإنسان ولا داخلًا تحت مقدرته.

- التّحويل بحذف خبر المبتدأ في الجملة الاستفهاميّة:

روى جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «هل لكم أنماطٌ؟ فالأنماط هي بسط لها حمل تجعل على الهودج ومفردها نمط، والشاهد هنا قوله ﷺ(هل لكم أنماط) أصلها التوليدي (أنماط موجودة لكم) مؤلفة من مبتدأ وخبر وجار ومجرور، لكن طرأ عليها تحويل بحذف الخبر وزيادة حرف الاستفهام، وهو استفهام إنكاري لأنّ السائل يذكر بسؤاله اتخاذ هذه الأنماط، كما جاء الحذف ليفيد الإيجاز، والبنية العميقة لهذه الجملة المحوّلة (هل أنماط موجودة لديكم؟).

- التّحويل بحذف خبر الأفعال النّاقصة:

ومن هذه الصّورة ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «العمرة إلى العمرة يكفّر ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» والشّاهد هنا (ليس له جزاء)، أصل الجملة التّوليديّة (جزاء حاصل له)، طرأ عليها تحويل بالزّيادة فدخلت ليس لغرض النّفي، كما طرأ عليها تحويل بحذف خبر ليس، والبنية العميقة لهذا التّركيب (جزاء حاصل له)، وقد دلّ على هذا الحذف ما تعلّق به من جار ومجرور، فجزاء المرء الجنّة لأنّ العمرة تكفّر عن سّيئاته حتّى يقوم بعمرة أخرى، والحج المبرور جزاء صاحبه الجنّة.

- التّحويل بحذف الخبر بعد لولا:

روي عن الطفيل بن أبيّ بن كعب أن ّرسول الله ﷺ قال: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» ولهذا الإسناد عن النّبيّ قال: «لو سلك الأنصار واديًا أو شعبًا لكنت مع الأنصار»، لولا: حرف امتناع لوجود، الهجرة: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة، ولقد جرى تحويل بحذف خبر المبتدأ بعد لولا وجوبًا تقديره حاصل أو موجود، وخبر لولا عامّ وليس خاصًا، ولهذا الحذف توجيهه الدّلاليّ هو لزوم حذف الخبر لعلّة قيام العلم به وطول الكلام بالجواب. وفي هذا الكلام ثناء للأنصار في دينهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها.

رابعًا: التحويل بالحذف في الجملة الفعليّة في الجامع الصّحيح للإمام التّرمذيّ وتوجيهه الدّلاليّ

- **التّحويل بحذف الفاعل في الجملة الفعلية:**

تمّ تحويل الفاعل بالاضمار والحذف، فكان ضميرًا مفردًا مذكرًا للمخاطب ومثال ذلك ما رواه أبو ذرّ قال: **قال رسول الله ﷺ: اتّق الله حيث ما كنت، وأتبع السّيّئة الحسنة تمحُها، وخالق النّاس بخلق حسن»**. في هذا الحديث ثلاثة شواهد، بحيث ورد فعل الأمر الّذي يعدّ فاعله محوّلًا إجباريًا، والأصل التّوليدي (اتّقى الرّجل الله، وأتبع الرّجل السّيئة الحسنة، وخالق الرّجلُ النّاسَ بخلق حسن)، هذه الجمل التّحويليّة محوّلة من الأفعال المضارعة (يتّقي، يتبع، يخالق) لأنّ فعل الأمر يصاغ من الفعل المضارع، كما تمّ حذف الفاعل وجوبًا، وجاء هذا الحذف لإفادة الوعظ والإرشاد والتّوجيه، وهذا الأمر يفيد الوجوب، «والواجب هو طلب فعل الشّيء على وجه الحتم، والالتزام»، (نجم ،2004، ص118).

وقد يخرج الأمر عن وظيفته الأساسيّة ليفيد وظائف أخرى تعرف من سياق الكلام، وهذا ما سمّاه البلاغيّون «خروج الأمر عن معناه إلى معنى آخر» (عباس ،1992، ص150).

وذلك كما جاء في الأمثلة الثلاثة التي ذكرناها في الحديث، فلا يقتصر الأمر على وجوب تنفيذ ما طلبه رسول الله ﷺ، إنّما تعدّى الوجوب إلى معنى الوعظ والتّوجيه، وإنّ الضّمير المستتر وجوبًا (أنت) في جملة الأمر الّذي يدلّ على الفاعل المحذوف وجوبًا يعطي توكيدًا لهذا الوعظ والإرشاد، فتقوى الله واجبة في السّرّ والعلانية، ومن تاب إلى الله توبة نصوحًا فإنّه يقطع بقبول توبته كما يقطع بقول إسلام الكافر، كما لا تتمّ التّقوى إلّا بالخلق الحسن في معاملة النّاس، فهذا الكلام يجمع بين حقّ الله وحقّ عباده.

وروى أبو هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: **أَدِّ الأمانة إلى منِ ائْتمنَك، ولا تَخُنْ مَن خانكَ»**.

خرج فعل الأمر «أدّ» عن معناه الأصليّ الذّي يفيد وجوب القيام بالفعل، وتعدّاه إلى الوعظ والإرشاد، والأصل هو (يؤدّي الرّجل الأمانة)، ولكنّ بتحويله إلى فعل الأمر تمّ

حذف حرف العلّة لأنّه فعل معتلّ ناقص، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا، تقديره أنت، والأمانة مفعول به للفعل (أدّ) منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

كما وجاء الفاعل مضمرًا مفردًا مذكّرًا للمتكلّم. وقد ورد عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قيل لسلمان: قد علّمكم نبيّكم ﷺ كلّ شيء، حتّى الجزاءة؟ فقال سلمان: أجل، نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين، أو أن يستنجي أحدنا بأقلّ من ثلاثة أحجار، وأن نستنجي بترجيع أو بعظم».

نلمح في هذا الحديث أنّ الفاعل للفعل (نستنجي) محوّل بالإضمار في البنيّة العميقة وتقديره (نحن) وهو يعود إلى سلمان وجماعته خاصّة، وإلى المسلمين عامّة، وهذا الفاعل دلّ عليه الفعل (نستنجي) لأنّه خاصّ بالنّاس، و»أغنى عن ذكره استحضاره في الذّهن لدلالة الفعل عليه، مجرّد أن ذكر هذا الفعل ينصرف الذّهن إلى فاعله، لأنّه لا يصلح إلّا له» (الشوا ، 2000، ص132).

- **التّحويل بحذف الفعل في الجملة الفعليّة في بنية العطف:**

وقد يحذف الفعل في بنية العطف، إذ روى أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللّهمّ لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة**». في هذا الحديث نجد أنّ الفعل مقدّر محوّل بالحذف معطوف بالأمر على الجملة السّابقة (أكرم الأنصار)، فتمّ حذف الفعل قبل الاسم المعطوف (المهاجرة) تجنّبًا للتّكرار، وتعدّ هذه الوظيفة وظيفة جماليّة وصوتيّة لها علاقة بموازنة الفاصلات في الشّاهد من جهة، ووظيفة دلاليّة، وحذف الفعل المحوّل بالحذف المعطوف (أكرم) بعدما ذكره صراحة، كأنّ طلب إكرام الأنصار يؤدّي حتمًا إلى طلب إكرام المهاجرة، وقد دلّ الحرف السّابك العاطف (الواو) إلى إخفاء الفعل المحوّل بالحذف في البنية العميقة، وفي هذا الشّاهد حذف الفاعل المضمر وجوبًا تقديره أنت، ويعد الفعل (أكرم) محوّلًا من الفعل المضارع (يكرم).

- **التّحويل بحذف المفعول به في الجملة الفعليّة:**

روى أنس بن مالك قال: «خرّ رسول الله ﷺ عن فرس فجحش، فصلّى بنا قاعدًا، فصلينا معه قعودًا، ثمّ انصرف فقال: إنّما جعل الإمام ليؤتمّ به، فإذا كبّر فكبّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربّنا ولك الحمد، وإذا

سجد فاسجدوا، وإذا صلّى قاعدًا فصلّوا قعودًا أجمعون».

الشّاهد في قوله ﷺ: «وإذا رفع فارفعوا» والبنية العميقة، إذا رفع رأسه فارفعوا رؤوسكم، ولقد جرى تحويل بحذف المفعول للفعلين (رفع، ارفعوا)، وجاء هذا الحذف للإيجاز لأنّ المقام الّذي قيلت فيه يضيق عن الذكر والإسهاب رغم أنّ المحذوف مفهوم من قرينة الحال، ويحمل هذا الحديث معنى إرشاد المأمومين إلى الحكمة من جعل الإمام يُقتدى به في الصّلاة، وفيه وجوب متابعة المأموم لإمامه في التّكبير والقيام والقعود والسّجود والرّكوع.

- **التّحويل بحذف الجار والمجرور في الجملة الفعليّة:**

روى أبو هريرة أنّ النّبيّ ﷺ قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنّة، ولولا أن أشقّ على أمّتي ما قعدتُ خلف سريّة، ولوددت أنّي أقتل في سبيل الله ثمّ أحيا، ثمّ أقتل ثمّ أحيا، ثمّ أقتل».

الشّاهد في قوله ﷺ «أن أرجعه بما نال: فقد طرأ تحويل بحذف الجار والمجرور (إلى بيته)، لذلك حذف الجار والمجرور في جملة (لولا أن أشقّ على أمّتي ما قعدت) وقد جاء هذا الحذف من قبيل الإيجاز، وهذا الإيجاز كان بمثابة النّسق الذي تسير عليه كونه خاصيّة فنيّة في الحديث الشّريف، وحذف الجار والمجرور لسهولة الإهتداء إليه من السّياق (فهمي ، 2003، ص62-61).

- **التّحويل بحذف المضاف إليه في الجملة الفعليّة:**

روت أمّ سلمة قالت: **كان النّبيّ** ﷺ **«يوتر بثلاث عشرة ركعة، فلما كبر وضعف أوتر بسبع».** فالشّاهد بقوله «أوتر بسبع»)، فقد طرأ تحويل بحذف المضاف إليه من الجملة الفعليّة، لكنّه عوّض عنه بالتّنوين، وحكم العدد المفرد (سبع) أن يذكّر مع المعدود المؤنّث، لذا تمّ تقدير المضاف إليه المحذوف (ركعات) لأنّ مفردها (ركعة) وهي لفظة مؤنّثة، والبنية العميقة (بسبع ركعات)، ويقول ابن يعيش في شرح المفصّل «حذف المضاف إليه قليل إذا ما قورن بالمضاف، وذلك لأنّ الغرض من المضاف إليه التّعريف والتّخصيص، وإذا كان الغرض منه ذلك وحذف كان نقضًا للغرض وتراجعًا عن

المقصود» (ابن يعيش ،2001، ص29).

وقد يكون التّحويل بحذف التّمييز ولا سيّما بعد العدد غير المفرد، إذ روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقدموا الشّهر بيوم ولا بيومين إلّا أن يوافق ذلك صومًا كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فعدّوا ثلاثين ثمّ أفطروا»

الشّاهد في قوله (عدّوا ثلاثين ثمّ أفطروا) والبنية العميقة ثلاثين يومًا، فقد طرأ تحويل بحذف التّمييز من البنية السّطحيّة بعد العقد (ثلاثين)، وقد دلّ عليه سياق الكلام، وربما كان الحذف يفيد التّنبيه من أنّ الصّيام فرض شهرًا كاملًا أي ثلاثين يومًا. وجاء في الارتشاف «يجوز حذف التّمييز إذا قصد إبقاء الإبهام، أو كان في الكلام ما يدلّ عليه» (ابن حيّان ،1988، ص136)

نتائج البحث

- لقد وقع التّحويل بحذف المسند إليه في الجملة الفعليّة والاسميّة في الجامع الصّحيح للإمام التّرمذيّ، وأكثر ما وقع كان بعد جملة مقول القول للتّركيز على موطن الفائدة وهو الخبر. كما وقع التّحويل بحذف العنصر المتمّم كالمفعول به والمضاف إليه والاسم المجرور.... لأغراض بلاغيّة.

- يقترب مفهوم التّحويل في النّحو التّحويليّ التّوليديّ من مفهومه في النّحو العربيّ، إلّا أنّ النّحو العربيّ قام على القياس والملاحظة، بينما يقوم عند التّحويليّين على القوانين التي يجب تطبيقها بصرامة ودقّة، كما أقاموا نظريتهم على الفطرة، وحدس المتكلم، وعمليّات الحوسبة في الدّمج.

- إنّ عمليّة التّحويل تقوم على افتراض أنّ لكلّ جملة بنيتين، بنية سطحيّة تتمثّل بالجمل المنطوقة والمكتوبة، وبنية عميقة تتّصل بالمعنى أو التّأويل الدّلاليّ للجمل، والبنية السّطحيّة قد تتعرّض للحذف كما قد تقع فيها الزّيادة والتّرتيب والاستبدال.

المراجع والمصادر

1. ابن حيّان. (1988). ارتشاف الضّرب من لسان العرب. القاهرة: مكتبة الخانجي.

2. ابن يعيش. (2001). شرح المفصل. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة.

3. ابن تواتي، تواتي. بلا تاريخ. المدارس اللسانيّة في العصر الحديث ومناهجها في البحث.

4. تشومسكي، نعّوم. (1992). اللغة ومشكلات المعرفة. ط1. ترجمة د.حمزة بن قبلان المزنبي. دار توبقال الدّار البيضاء.

5. حمّودة، طاهر سليمان. (2004). ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. مصر: الدّار الجامعيّة للطباعة والنشر.

6. الرّاجحي، عبده. (1979). النّحو العربيّ والدّرس الحديث بحث في المنهج. بيروت: دار النهضة.

7. زكريا، ميشال. (1982). الألسنيّة التوليديّة التّحويليّة وقواعد اللغة العربيّة. ط1. بيروت: المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر.

8. سيبويه. (1988). الكتاب. ترجمة عبدالسّلام هارون. مصر: مكتبة الخانجي.

9. الشّوا، أيمن عبدالرّزاق. (2000). الحذف في القرآن. مصر: رسالة ماجستير جامعة عين شمس.

10. العلوي، شفيقة. (2004). محاضرات في المدارس اللسانيّة المعاصرة. ط1. بيروت، لبنان: أبحاث للتّرجمة والنّشر والتّوزيع.

11. عبّاس، فضل. (1992). البلاغة فنونها وأفنانها. ط3. عمّان: دار الفرقان.

12. علي، محمد يونس. (2004). مدخل إلى اللسانيّات. ط1. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

13. فضل، عاطف. (2005). مقدمة في اللسانيات. ط1. عمّان: دار الرّازي للنّشر والتّوزيع.

14. فهمي، سوزان محمد فؤاد. (2003). شبه الجملة دراسة تركيبيّة. القاهرة: دار غريب.

15. نجم، علاء الدّين. (2004). معجم مصطلحات أصول الفقه. ط1. الرّياض: مكتبة الرّشد.

16. الوعر، مازن. (1988). قضايا أساسية في علم اللسانيات. ط1. دمشق: دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر.

17. الوعر، مازن. (1992). صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات. مجلّة التّراث العربي العدد 48. سوريا: اتحاد الكتّاب العرب.

ظاهرة الإمالة في المصوّتات عند أبي العباس المهدوي

مهاونياز مصطفى رشيد [1]

الدكتور أنطوان صياح مشرّفًا

مستخلص البحث

هناك ظواهر صوتيّة متعلق بالتّركيب وهناك ظواهر متعلّق بنطقها وبالمفردة اللّغويّة لذات هذا البحث لاستجلاء ظاهرة الإمالة نظرًا لصعوبة النّطق بها قد نالت عناية كبيرة لدي علماء العرب، ونظرًا لتبادل أحوالها بشكل كبير والإمالة نوع من أنواع التّاثّر بين الأصوات المتجاورة أو المتقاربة في السّياق اللّغويّ، وهي تتعلّق بالصّوائت الطّويلة كالألف والياء والقصيرة كالفتحة والكسرة، لذلك توجّه المحدثون منهم أبي عباس المهدوي الى دراسة هذا الظّاهرة في كتابه و بشكل مفصّل، فكان هذا البحث في دراسة هذا الظّاهرة.

كلمات مفتاحية:- الإمالة- الشّديدة - المتوسطة

مقدمة

يشكّل الصّوت الإنسانيّ مادة اللّغة الأولى في الدراسة اللّغويّة، إلا أنّ كلّ أمة وكل جماعة تعتمد منهجًا محددًا ومميزًا في صوغ كلماتها من الأصوات التي ينتجها الجهاز النّطقي بغية التّعبير عن حاجاتها الماديّة والمعنويّة، فعبر هذه الأصوات يتم تأليف الكلمات ومن ثم الجمل التي تكتنز دلالات التّعبير، والتّواصل، فالأصوات هي اللّبنة الأساسيّة في البناء اللّغويّ، والتّواصل الإنسانيّ وفي جميع العلوم التي تعتمد اللّغة وسيلة أساسية في أسسها، وبناء على هذه الأهمية فإنّ الدّراسة الصّوتيّة من أهم العلوم اللّغويّة عند العرب، لأنّها ارتبطت ارتباطًا مباشرًا بتلاوة القرآن الكريم، وفهم كلماته وأسلوبه ومعانيه وما يتضمّن من أحكام دينيّة ودنيويّة، فإذا ما رجعنا إلى الأبحاث الصّوتيّة عند العرب القدامى وجدنا عندهم مادة صوتيّة غزيرة.

1 تدريس في جامعة كركوك العراق/ طالبة دكتوراه جامعة الإسلاميّة لبنان.

أسئلة البحث

1- ما ظاهرة الإمالة؟

2- ما هي الإمالة عند ابي عباس المهدوي؟

سبب اختيار موضوع الدراسة

كان سبب اختيار هذا الموضوع هو الكشف عن شخصية أبو عباس ومدى تأثيرها في علم الأصوات من حيث المنهجيّة والتّقسيم وعرض المعلومات ووضع المصطلحات وتأصيل القواعد وملاحظة الخبرة المعرفية الطويلة التي اكتسبها، وإظهار تنويع أساليبه وأرائه المبتكرة في مجال دراسة الأصوات.

حدود البحث

يختصّ هذا الموضوع بالبحث في منهجيّة أبو عباس في علم الأصوات، والوقوف على علم الأصوات وتقسيماتها ومخارج الحروف وصفاتها ودراستها والاستناد إلى الدّراسات الصّوتيّة الحديثة.

أهداف الدراسة

1 – تعريف منهجيّة أبو عباس في الدرس الصّوتي.

2 – الكشف عن أبرز الفوائد العلميّة والقيم العلميّة من خلال البحث البحث حول منهجيّة أبو عباس في عرض المعلومات الصّوتيّة.

3 – محاولة استلهام هذه المنهجيّة في تعليم الأصوات اليوم .

الظّواهر الصّوتيّة في المصوتات

أولًا: مفهوم الإمالة

الإمالة في اللّغة من الميل وهو الاعوجاج والانحراف والعدول عن الشّيء أو الإقبال عليه[1]، أما في الاصطلاح فهو أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء[2]، ولها درجات:

---

1 جمهرة اللغة، 3/175.

2 أسرار العربية، ص202. ارتشاف الضرب، 2/518. النشر، 2/24.

1- الإمالة الشّديدة، وهي «أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص، ولا إشباع مبالغ فيه»[1]، ويطلق على الإمالة الشّديدة مجموعة من التّسميات كالإضجاع، البطح، الكسر، الإمالة المحضة، الإمالة الكبرى، الكثير[2]، كما في قراءة الكسائي[3]، في كلمة ضحاها من قوله تعالى: «(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)»[4].

2- الإمالة المتوسطة، وهي الإتيان بالحرف بين الفتح المتوسط والإمالة الشّديدة[5]، نحو قراءة ورش: «(**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**)»[6].

ويطلق أيضًا على هذه الإمالة عدة تسميات كالإمالة الصغرى، التقليل، القليل، التلطيف، الإمالة بين بين، الإمالة بين اللفظين، أي بين الفتح والإمالة المحضة[7].

وللإمالة عدة أسباب منها[8]: الكسرة والياء والألف المنقلبة عن الياء، والألف المشبهة بالألف المنقلبة عن الياء، وما آلت فيه الألف إلى الياء في بعض الأحوال، وكون الألف مرسومة بالياء، وكثرة الاستعمال، وإمالة الإمالة، وغير ذلك، مع الإشارة إلى أن كل تلك الأسباب ترجع إلى سببين رئيسيين هما الكسرة والياء[9].

وفائدة الإمالة هي «سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال»[10].

ففائدة الإمالة إذن هي في تحصيل السهولة والانسجام الصّوتي والتناسب بين الأصوات، لتكون على نسق واحد، مما يؤدي إلى الاقتصاد من المجهود العضلي، وهذا هو الغرض الأساسي من الإمالة[11].

---

1 إبراز المعاني، 2/77. النشر، 2/24. الاتقان في علوم القرآن، 1/91.
2 النشر، 2/24. الاتقان في علوم القرآن، 1/91. الامالة في القراءات واللهجات العربية، ص 19.
3 المحرر الوجيز، 16/313.
4 الشمس، الآية 1.
5 إبراز المعاني، 2/77. النشر، 2/24.
6 البقرة، 7. النشر، 2/42.
7 النشر، 2/24. الإتحاف، 1/247. الاتقان، 1/91.
8 النشر، 27-2/25. الاتقان، 1/92.
9 النشر، 27-2/25. الاتقان، 1/92. سراج القارئ المبتدئ، ص 103.
10 النشر، 2/82.
11 التصريح، 2/346. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 141.

ثانيًا: الإمالة عند أبي العباس المهدوي

عقد المهدوي بابًا للإمالة في شرح الداية ويعد الباب الذي عقده لها من أوسع الأبواب التي تناول فيها المباحث الصّوتيّة، فقد فصّل فيه تفصيلًا كبيرًا، وكان أول ما تناوله المهدوي في باب الإمالة هو مفهومها بشكل مختصر ثمّ ذكر عللها، فقال: «الإمالة تقريب كما أن الإدغام تقريب، والأصل الفتح، والإمالة داخلة عليه لعلل، والعلل الموجبة للإمالة في مذاهب العرب علتان تتفرع منهما ست علل، والعلتان الياء والكسرة، والعلل الست:

1- أن تكون الإمالة في ألف منقلبة عن ياء.

2- أو مشبهة بالألف المنقلبة عن ياء

3- أو تكون الألف قد ترجع إلى الياء في بعض الأحوال

4- أو يكون قبل الألف كسرة تمال الألف من أجلها

5- أو تكون الكسرة بعد الألف

6- أو إمالة لإمالة» [1].

ثمّ شرع بذكر الأمثلة عما توافر فيه كل سبب من أسباب الإمالة، ومن ذلك الإمالة في كلمة ضعافًا من قوله تعالى: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾[2]، فقد ذكر أبو العباس المهدوي أن سبب الإمالة هنا وجود كسرة قبل الألف[3]، إذ نجد هنا أن الكلمة على وزن فِعال، والعرب تستحسن الإمالة في هذا، والذي أمال هنا من القراء حمزة[4]، واستحسان العرب لهذه الإمالة لما في هذا المثال من الأسفل بالإمالة بعد التصعد بالحرف المستعلي، وهو الضاد، ولاسيما أنّ هو المكسور، مما أضعفه، فكرهوا لذلك التفّخيم بعده[5]، ولكي يجري لسانهم على وتيرة واحدة جنحوا إلى إمالة الألف نحو الياء، وذلك لكي «يجعل الصّوت على طريقة واحدة،

1 شرح الهداية، ص 93

2 النساء، الآية 9.

3 شرح الهداية، ص 93.

4السبعة، ص 227. التيسير، ص 48.

5 الحجة، 3/134. الموضح، 1/403. الكشف، 1/173.

فلا يتصعد بالتفخيم بعد التصوب بالكسر»[1]، والانحدار بالحرف بعد الإصعاد به، يجعل الصّوت خفيفًا على اللسان[2].

وهذه الإمالة لم يمنع حدوثها الحرف المستعلي، لأنّ الحرف نفسه مكسور، وقد ذكر ابن يعيش في مثل صعاب وضعاف: «وكانت الإمالة فيها حسنة لأن الكسرة أدنى إلى المستعلي من الألف، والكسرة توهي استعلاء المستعلي، والنصب جيد والإمالة أجود»[3].

وفي كلام ابن يعيش والمهدوي أيضًا ما يدل على أن الكسرة وحدها تكفي سببًا للإمالة عند القراء والنحاة على حد سواء بخلاف ما ذهب إليه بعض المحدثين[4]، لأن ورودها في القراءة مع وجود الحرف المستعلي دليل على اكتفاء القراء بالكسرة سببًا للإمالة، ويضاف إلى ذلك أن القراء يرجعون جميع أسباب الإمالة إلى السببين الرئيسيين اللذين ذكرهما أبو العباس المهدوي وغيره من القراء وهما الكسرة والياء[5]، فإذا كانت الكسرة سببًا رئيسيًا عند القراء فإنّ وجودها وحدها سبب كاف لحدوث الإمالة.

ويذكر المهدوي كثيرًا من حجج القراء التي دعتهم إلى الإمالة في كثير من الكلمات في القرآن الكريم، ومن ذلك ما ذكره مما نحن بصدده من إمالة الألف إذا كان قبلها حرف مكسور، فقد ذكر المهدوي إمالة ابن ذكوان لكلمة المحراب[6]، في قوله تعالى: ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[7]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾[8]، والعلة في هذه الإمالة مع أنه قد فصل بين الألف والكسرة بحرف ساكن، كما يقول المهدوي هو «أنّ الألف بعدها الباء مكسورة، وقوى الإمالة كسرة الميم، ولولا كسرة الميم، لم يمل لكسرة الباء وحدها، لأن الراء قبل الألف مفتوحة فهو مثل راشد»[9].

---

1 الحجة، 3/134.
2 الكتاب، 4/130. شرح المفصل، 9/60.
3 شرح المفصل، 9/06.
4 الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص 172–167.
5 النشر، 27–2/25. الاتقان، 1/92. سراج القارئ المبتدئ، ص 103.
6 الإقناع، 1/279. النشر، 2/64.
7 آل عمران، الآية 39.
8 مريم، الآية 11.
9 شرح الهداية، ص 119–118.

وفي كلمة المحراب الفتح والإمالة، وقد حدث الفتح لأن الراء في هذه الكلمة بمنزلة راء، فكما لم يمل الراء من هذا النحو لم يمل راء محراب سواء كان في الجر أو الرفع، وكما أن الراء في راشد لا تمال فكذلك الراء ها هنا، ولذلك لم يملها الجمهور [1].

أما من قرأ بالإمالة، فإن الإمالة قد حدثت هنا لوجود الكسرة المتقدمة على الألف، فلذلك كانت الإمالة فيها حسنة، لأن وجود الكسرة المتقدمة من الأسباب الجالبة للإمالة، ولم يكن وجود الحرف الساكن وهو الحاء بين الميم المكسورة والألف مانعًا من الإمالة لأنّ الحرف الساكن حاجز غير حصين[2].

ومما يقوي هذه الإمالة وجود المسرة المتأخرة عن الألف، وذكر بعضهم ما يخالف رأي المهدوي، فقد كنا ذكرنا أن المهدوي قال إنه لا تحدث الإمالة لكسرة الباء وحدها، ولم تحدث الإمالة لولا كسرة الميم، وقياسها على راشد[3]، أما غيره فقد قال إن كل واحدة من الكسرتين أي كسرة الميم وكسرة الباء جالبة للإمالة على حدة، فلما اجتمعتا في كلمة واحدة كانت الإمالة حسنة وقوية[4].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[5]، فقد ذكر المهدوي إمالة حمزة لزاغوا، وهذه الكلمة هي واحدة من الأفعال العشرة التي كان حمزة يميلها في القرآن الكريم وهي : شاء وجاء وزاد وخاب وران وهاف وزاغ وطاب وحاق[6]، وقد ذكر المهدوي أن في كل كلمة من هذه الكلمات العشرة علتان وكل علة منهما موجبة للإمالة[7]، فالعلة الأولى هي «أنك إذا أهبرت بهذه الأفعال عن نفسك كسرت أوائلها فقلت: شِئت وجِئت وخِفت وطِبت، فأراد أن يدل بالإمالة على كسرة الفاء، ليفرق بين ذلك وبين ما تضم الفاء فيه نحو: قُلت»[8].

1 الحجة، 3/04.
2 الكشف، 1/172. شرح الهداية، 1/118. إبراز المعاني، 2/140.
3 شرح الهداية، ص 119.
4 الكشف، 1/172.
5 الصف، 5.
6 النشر، 2/59-60.
7 شرح الهداية، ص 113.
8 شرح الهداية، ص 114.

أما العلة الثانية التي ذكرها المهدوي فترجع إلى أن أصل الألف من جميع هذه الأفعال العشرة هو الياء، ما عدا الفعل خاف كما في قوله تعالى: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾[1]، فإنّ الألف فيه منقلبة عن واو، وتاليًا، فأنّه لا يوجد في هذا الفعل إلا علة واحدة للإمالة بخلاف بقية الأفعال المذكورة فإنّ فيها علتين، والعلة الباقية هي الدلالة على كسرة الفاء، وهي التي راعاها حمزة في ذلك[2]، ويستدل المهدوي على ذلك بأن حمزة لم يمل أزاغ من قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[3]، والسبب في ذلك ذهاب إحدى العلل الموجبة للإمالة في هذه الكلمة وبقاء الأخرى، مما أضعف الإمالة، كما أنه لم يمل الفعل المضارع من شاء، كما في قوله تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[4]، فيذكر المهدوي أنّ هذا «يدل على أنه إنما راعى في شاء وجاء وسائر هذه الأفعال كسرة فاء الفعل في قولك شئت وجئت، وقوى ذلك عند انقلاب الألف عن الياء، على أن حمزة لم يتقص ما جاء في القرآن من هذا الباب، نحو باع وصار ونظائرهما، لأنّه اتبع في ذلك الأثر المروي، إذ القراءة سنة متبعة، كما أراد الجمع بين اللغتين من وافقه في إمالة ران وشاء وجاء، وكما جمع هو بين اللغتين فترك إمالة: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾[5]، و﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾[6]..»[7].

ومؤدى كلام المهدوي السّابق هو أنّ حمزة كان يميل هذه الأفعال العشرة، ويجوز فيها الفتح والإمالة، وقد وافقه بعض القراء في هذه الإمالة[8]، وكان حمزة يميل هذه الأفعال كيفما وقعت سواء اتّصلت بضمير الفاعل أو تاء التأنيث أم لم تتصل بهما، وقد استثنى من ذلك الموضعين اللذين ذكرناهما آنفًا، فقد قرأ حمزة الفعل زاغ في الموضعين بالفتح[9].

---

1 النساء، الآية 9.
2 شرح الهداية، 114.
3 الصف، 5.
4 البقرة، الآية 90.
5 الاحزاب، الآية 10.
6 ص، الآية 63.
7 شرح الهداية، ص 114.
8 التيسير، ص 48. الأقناع، 303-1/302.
9 سراج القارئ المبتدئ، ص 113. تقريب المعاني، ص 134.

ولم يكن حمزة يميل هذه الأفعال إلا بعد تحقق شرطين هما:

1- أن يكون الفعل ثلاثيًا فإن كان رباعيًا لم يمل، كالفعل أزاغ من قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[1].

2- أن يكون الفعل ماضيًا فإن كان مضارعًا أو فعل أمر لم يمل[2].

والعلة الصّوتيّة للفتح والإمالة في هذه الأفعال هي أن الفتح في هذه الأفال هو الأصل، إذا سمي فاعلوها، والإمالة داخلة عليها[3]، كما أنّ الفتح لغة لأكثر أهل الحجاز، والسّواد الأعظم من العرب[4].

وأمّا الإمالة في خاف وسأل فعلتها فهي الكسر المقدر في أوائل هذين الفعلين، لأنهّما إذا أسندا إلى ضمير الرّفع المتحرّك كسرت أوائلهما، حيث تقول: خِفت وسِلت، وهذه الكسرة المقدرة في أوائلهما هي التي أدت إلى إمالتهما، وذلك أن أصل خاف من الخوف[5].

وأما سال بالإمالة فهو إما أن يكون أصل ألفها مهموزًا فخففت الهمزة حتى أصبحت سال سوال، وذلك أن العرب كرهوا فيه ضغطة الهمزة فمالوا إلى التخفيف[6].

وإمّا أن يكون أصل ألفها هو الواو، فيكون من سلته أساله، فهو مسول، مثل خفته أخافه فهو مخوف[7]، فإن أصل ألف سال على هذه اللّغة واو، ولذلك يقولون هما يتساولان[8]، ويؤكده قول سيبويه: بلغنا أن سلت تسال لغة[9]، وعلى هذه اللّغة تحمل إمالة من قرأ سالها بالكسر، فتكون مثل إمالة خاف، وتشترك معها في أن علتهما هي الكسر المقدر [10].

---

1 الصف، 5.
2 سراج القارئ المبتدئ، ص 113. تقريب المعاني، ص 134.
3 الحجة لابن خالويه، ص 68. الكشف، 1/377. الموضح، 1/246. البحر المحيط، 1/59.
4 الكتاب، 4/120. في اللهجات العربية، ص 60. اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتاً وبنية، ص 78.
5 الكتاب، 4/120. الكشف، 1/377. شرح المفصل، 9/58. ارتشاف الضرب، 2/531.
6 الكتاب، 555-3/554. المحتسب، 1/90. لسان العرب، نادة سأل، سول. المحرر الوجيز، 16/106.
7 المحتسب، 1/220.
8 المحتسب، 1/220.
9 الكتاب، 3/555.
10 الكتاب، 4/120. الكشف، 1/377. شرح المفصل، ٩/٥٨. اراشاف الضرب، 2/531.

وأما إمالة زاد زاغ فلعلتين كل واحدة منهما تجلب الإمالة كما ذكر المهدوي، وهاتان العلتان هما:

أ- الكسرة المقدرة في ماضيهما إذا أسندا إلى ضمائر الرفع المتحركة، نحو: زدت، زغت، زدن، زغن، زدتم، زغتم.

ب- أن عين هذين الفعلين يائية الأصل، فالإمالة تدل على أن الألف أصلها الياء[1]، وذلك للتجانس الصّوتي بين الفرع وأصله[2].

ويرى أبو علي أنه «مما يقوي الإمالة في زاد ونحوه أنه اجتمع فيه أمران، كل واحد منهما يوجب الإمالة، وهو لحاق الكسرة أو فعلت، والآخر أن تمال الألف ليعلم أنها من الياء، فإذا كان كل واحدة من هاتين الخلتين على الانفراد توجب الإمالة في هذا النّحو، فإذا اجتمعتا كان أجدر أن توجباها، وتجلباها»[3].

وأما قوله توجب الإمالة، فإنّما المراد أنّها تجلب الإمالة، وأنها سبب من الأسباب التي تحيز الإمالة لأن الإمالة في حد ذاتها جائزة وليست واجبة مع وجود سببها[4].

وذكر المهدوي بعض الكلمات التي كان فيها أقوال من حيث الأصل، نذكر منها موسى وعيسى وبلى، فقد ذكر المهدوي أنه في عيسى وموسى قولان بحسب أصل الكلمة، فقال: «أحدهما أن وزن موسى فعلى، ووزن عيسى فِعلى فألفهما للتأنيث، والآخر أنهما اسمان اعجميان وعلى القولين جميعًا تحسن إمالتهما لأن الالف إن كانت للتأنيث فإمالتها حسنة... وأن كان الاسمان اعجميين فإمالتهما حسنة أيضًا، لأنك أذا ثنيت انقلبت الألف ياء، فقلت موسيَان وعيسيَان»[5].

وأما بلى فقد وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وأول موضع منها هو قوله جل وعلا: ﴿**بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[6]، وقد ذكر المهدوي أنّ في إمالتها أيضًا قولان، «أحدهما أنها لما كانت على ثلاثة أحرف وكانت تقع في الجواب مجردة كما يقع الاسم، وذلك نحو قولك ليس في

1 الحجة لابن خالويه، ص 68. الكشف. 1/175. شرح المفصل، 9/56. شرح ابن عقيل، 4/642. النشر، 27-2/26.
2 الموضح، 1/209.
3 الحجة، 1/328.
4 الموضح، 1/210. شرح المفصل، 9/55.
5 شرح الهداية، ص 110.
6 البقرة، الآية 81.

الدار زيد، فيقول القائل بلى، كما تقول من في الدار؟ فيقول عمرو، فلما وقعت في الجواب مجردة كما يقع الاسم وكانت على ثلاثة أحرف، أشبهت الاسم فأميلت. وقال الكوفيون أصل بلى بل فزيدت الألف عليها للتأنيث، وجاز دخول التأنيث على حروف المعاني كما أدخلوا علامة التأنيث في نحو: ربت وثمت وهما حرفان من حروف المعاني»[1].

وآخر ما نذكره في هذا الصدد ما قيل عن الإمالة للإمالة، ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾[2]، فقد قرأ ابن كثير وعاصم رأى بفتح الراء والهمزة[3]، وقرأ نافع بين الكسر والفتح[4]، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، بكسرهما[5]، وقرأ ابو عمرو بن العلاء بفتح الراء وكسر الهمزة[6].

وقد ذكر المهدوي أن قراءة أبي عمرو هي بسبب أنه «حمل الماضي على المستقبل فأماله كما يميل المستقبل....كما تفعل الغرب في اتباع الشيء ما يشبهه لو شاركه في بعض الأحوال... وأما فتحه الراء فأنه أبقاها على الأصل الذي يجب لها، إذ الإمالة إنما هي في الألف التي بعد الهمزة ثمّ يتبع الألف ما قبلها، فلا ضرورة تضطره إلى إمالة الراء، ومن أمال الراء فإنه أتبع الممال الممال حسب ما دللنا عليه من إتباع الكسرة الكسرة وما أشبهه، وهذا الضرب هو الذي قلنا إنه إمالة لإمالة... ومن فتح فلزوال الألف الممالة، ومن أمال أبقى إمالة الراء دلالة على الألف المحذوفة»[7].

فقد أشار المهدوي إلى الفتح والإمالة في هذا المثال وما يشبهه، وما ينبغي الإشارة إليه أن الفتح هو الأصل وهو لغة شائعة في العرب، ولذلك مال إليه بعضهم[8]، والإمالة في رأى مسوغ حدوثها من الناحية الصّوتيّة، ذلك أن أصل رأى ومشتقاتها هو الياء، وما كان أصله الياء فأن الإمالة تستحسن فيه لأن الياء والكسرة في باب الإمالة هما الأصلان

1 شرح الهداية، ص 111.
2 الأنعام، الآية 76.
3 السبعة، ص 260.
4 السبعة، ص 260. النشر، 2/34.
5 السبعة، ص 260.
6 السبعة، ص 260.
7 شرح الهداية، ص 105.
8 الحجة لأبي علي، 1/385. شرح الهداية، 1/105.

اللذان يرجع إليهما جميع اسباب الإمالة كما ذكرنا سابقًا[1].

وبيان كلام المهدوي السابق أنه قد حدث في رأى سلسلة من الإمالات، حيث أميلت الألف الأخيرة في رأى أن أصلها ياء، ثمّ أميلت الهمزة تبعًا للألف، لأنه لا يكون ما قبل الألف إلا تابعًا لها، ثمّ أميلت الراء من الرأي، تبعًا لإمالة الهمزة، وهذا مما يطلق عليه إمالة لإمالة[2]، وبالتالي فأنه قد أميلت الألف في رأى، ثمّ تبعتها الهمزة في الإمالة ثمّ اميلت الراء تبعًا لإمالة الهمزة ليجري اللسان على وتيرة واحدة في الأحرف الثلاثة: رأى[3].

بقي أن نشير إلى أن أبا العباس المهدوي قد فصل كثيرًا في أحوال الإمالة في الباب الذي عقده لها في كتابه وحسبنا ما ذكرناه لنوضح طريقة معالجته لهذا الموضوع ومنهجه في بيان القراءات والمجيء بالأدلة والعلل التي تنم في مجملها عن معرفة لغوية واسعة وذائقة صوتيّة عالية. ..

الخاتمة

كان هذا البحث لدراسة ظاهرة الصّوتيّة عند أبي عباس المهدوي في كتابه شرح الهداية فتناول ظاهرة الإمالة وتوصّلت لأبرز النتائج منها:

1 – نالت الإمالة حظًا وافرًا في عناية المهدوي ووجدنا من خلال متابعة أقوال أبي العباس فيها أنّها تعود بجميع أنواعها الي سببين رئيسين: هما الكسرة والياء كما تبين أنّ خطّ المصحف كان له أثر كبير في باب الأمالى حيث وجدنا بعض القراء كما أشار مهدوي يميلون الى الإمالة اتباعا لرسم المصحف الشريف.

2 – تعد ظاهرة الإمالة ظاهرة صوتيّة أصليّة في اللّغة العربيّة، يؤكد ذلك نزول القران بها، وشيوعها في كثير من القراءات القرآنيّة.

3 – أثر البيئة والموقع الجغرافيّ في تشكيل اللّغة، حيث تبين أنّ القبائل البدويّة تميل الي تحقيق الإمالة.

---

1 النشر، 1/25. سراج القارئ المبتدئ، ص 103.
2 الحجة لأبي علي، 1/385. الكشف، 1/181.
3 الكشف، 1/181، ارتشاف الضرب، 2/539.

المصادر والمراجع

- ابن عبد الغفار النحوي، أبو علي الفارسي الحسن (ت 377هـ)، الحُجَّة للقراء السبعة أئمة الأمصار، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1404هـ / 1984م.
- ابن محمد المالقي، عبد الواحد، **الدر النثير والعذب الأمير في شرح كتاب 25_التيسير**، تحقيق أحمد أحمد، دار الفنون، جدة، 1999.
- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2000م
- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت 745 هـ): **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق: رجب عثمان محمد، ومراجعة: رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة، 1، 1418هـ –1998م.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد محمد البنا، تح: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، 1978.
- الأزدي البصري، أبو بكر محمد بن الحسن، **جمهرة اللّغة**، دار صادر، بيروت، ج1، عام 1997.
- الإمالة في القراءات واللّهجات العربيّة، عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1971.
- الإملاء، العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979.
- التحصيل، ابن الطحان، تح: محمد يعقوب تركستاني، ، 1991.
- التصريح بمضمون التوضيح، خالد الأزهري، تح: عبد الفتاح بحيري، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1954م.
- تقريب المعاني، سيد لاشين وخالد الحافظ، دار الزمان، المدينة المنورة، 1413.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمر الداني، عناية: أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
- الجذري، محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق د سالم الجنكي، مطبوعات مجمع الملك فهد، المدينة، السعودية النشر،1417هـ.
- الحجة لابن خالويه، ابن خالويه، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، 1979.
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1993.
- سراج القارئ المبتدئ، علي بن عثمان، دار الفكر، دت.
- سيبويه، عمر بن عثمان بن قبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخارجي، القاهرة،

مصر، 1995م.

- السيوطي، جلال الدين (ت911هـ) الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394 -1974م.
- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، دار الفكر، بيروت، 1991.
- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، دت.
- الشيرازي، نصر بن علي، الموضح في وجوه القراءات وما عليها، الجماعة الخيرية، جدة، السعودية، د.ط، عام، 1996م.
- **تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع،** أبو الفرح خالد بن محمد الحافظ، مكتبة دار الزمان المدنية المنورة المملكة العربيّة السعودية، ط5، 2003م..
- الكشاف، الزمخشري، عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998.
- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: نحيي الدين رمضان، مطبوعات ممع العلمي بدمشق، 1974.
- اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.
- اللّهجات في الكتاب لسيبويه أصواتًا وبنية، صالحة راشد غنيم، دار المدني، جدة، 1985.
- المحتسب، ابن جني، تح: علي النجدي ناصف، دار سزكين، 1986.
- المحرر الوجيز، ابن عطية، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، منشورات وزارة الأوقاف، قطر، 1985.
- المنصف، ابن جني، تح: إبراهيم مصطفى، البابي الحلبي، مصر، 1954.
- المهدوي، ابو العباس، **شرح الهداية،** تحقيق حازم سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 2005م.

نشاطات ثقافيّة

ندوة حول كتاب

«بين الشّعر والجرح قرابة»

بتاريخ 3 – 3 – 2024 الأحد الساعة العاشرة والنصف صباحًا أقيمت ندوة ثقافية نقدية عالية الحضور والأداء في حسينية حوش الرافقة، وقام بالندوة وتنظيمها الملتقى الثقافي الجامعي بشخصية رئيسه الدكتور البروفسور علي مهدي زيتون، وقد قدّمت الأستاذة ماجدة ريا الندوة بمتكلِّميها: الدكتور البروفسور محمد توفيق أبو علي الأمين العام لاتّحاد الكتّاب اللبناني سابقًا، والعميد السابق لكليّة الآداب في الجامعة اللبنانية، والدكتور الشّاعر كميل حمادة، والدكتورة ريما أمهز، والشّاعر عمر شبلي، والدكتور البروفسورعلي مهدي زيتون مؤلف كتاب «**بين الشّعر والجرح قرابة**»، وهو الكتاب الذي أقيمت الندوة حوله وتناول فيه الدّكتور علي مهدي زيتون دراسةَ شعريّة عمر شبلي.

وقالت الأستاذة ماجدة ريّا في تقديمها:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصّلاة والسلام على أشرف خلق الله وسيد المرسلين نبي الرحمة محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عندما تقف لتتحدّث عن شخصيتين عملاقتين في الأدب والشّعر، تشعر بعجز الكلمات عن تأدية واجبها في حقّهما، ولكل منهما باع طويل في الثقافة والشّعر ونقد الشّعر.

يتعانق موج الإبداع بين ناقد فذ وشاعر متمرّس فينتج لنا كتاب «**بين الشّعر والجرح قرابة**» فيحملنا العنوان مباشرة على أجنحة الخيال المفعم بالألم، ويشدّنا لنتعرّف على بلاغة الكلِم المرتبط بهموم الشّاعر الذي عرف عنه أنّه مناضل منذ فتوّة شبابه.

شبابٌ ترافقا فيه معًا، وتجذّرت علاقتهما لتمتد في عمق السنين، ومنذ البدايات أعجب الدكتور علي زيتون بشعره ووصفه بالغنى والفرادة، وقال فيه «إنّ الجمالية الشعريّة العمرية حاضرة في كل كلمة من نتاجه الكبير».

وسنترك الغوص في عمق الكتاب لأصحاب الاختصاص لسبر أعماقه والإضاءة على مضامينه.

البداية مع قامة علمية وأدبية شامخة من البقاع الغربي، شغل منصب عميد الجامعة اللبنانية سابقًا، حائز على دكتوراه من جامعة القديس يوسف، ودكتوراه دولة من الجامعة اللبنانية، لحروفه ضوع كضوع الياسمين الذي عنون به ديوانه الشّعري، وله العديد من المؤلّفات في الأمثال العربية والأدب الجماهيري وعلم العروض ومواضيع مختلفة، كما له العديد من البحوث والمراجعات العلمية والمقالات.

كلمة الدكتور محمد توفيق أبو علي 3/3/2024/

من سيميائيّة العنوان أبدأ، لأرى اختصارًا لمحمول الكتاب، على نحو ما؛ فالعنوان يفضي إلى أنّ شعريّة عمر شبلي، منطلقة من معاناة موغلة في الألم، حتّى أصبحت جرحًا؛ والشّعر لا تكتمل بنيته، ما لم يكن بارًّا بصلة قرابته بذلك الجرح؛ والشّقّ الثّاني من العنوان، يعترف لنصّ «عمر» بأنّه شعر، وفق المعيار الجماليّ الذي يحتكم إليه د. زيتون، والمبنيّ_ كما فصّله في هذا الكتاب، وفي كثير من أبحاثه_ على عدّة عناصر، منها البعد الثّقافيّ، وما يسميه رولان بارت «لذّة النّصّ» ومنها ما يتعلّق بالكثافة الدّلاليّة للكلام...إلخ؛ ولولا ذاك لما صحّ الكلام على شعريّته.

ومن العنوان، إلى التّقديم؛ فإذا بنا أمام سرد رقراق، يمتزج فيه الوجد بالعقل النّقديّ، في سياق يفيض بالوفاء، من طرفيه: عمر وعليّ... واشتمل التّقديم على عرض مكثّف ودالّ، لسيرورة شعر عمر وصيرورته.

ومن التّقديم إلى عنوان: «**شعريّة عمر في مهرجان تكريمه...**» لنقف على معايير تحدّد صفة الشّاعر عند د. زيتون، وهي: الموهبة، وامتلاكٌ فاعلٌ لثقافة العصر، وإقامة حوار زلزاليّ مع تلك الثّقافة يستطيع الكشف عن المآزق الخبيئة داخلها.

ويبيّن د. زيتون أنّ المدخل النّقدي للوصول إلى شعريّة عمر شبلي، هو محور الصّورة والرّمز. ومن خلال هذا التّحليل، نرى أنّ عقل النّاقد ورهافة الشّاعر قد اجتمعا عند د. زيتون، فاختار من الشّواهد ما يناسب مقام الاستدلال، وكشف عن المخبوء المستتر في ثنايا النّصّ كشْف عالم أثريّات، يعرف كيف يعبر إلى عمق التّاريخ، من دون أن يكسر خزفًا يحتضن بعض أسراره.

وبرشاقة لا يتقنها سوى قلّة من أهل الصّنعة، استطاع د. علي إحكام الرّبط بين دوري الصّورة والرّمز؛ فالأولى تبيّن ما نفذت إليه رؤية الشّاعر، ومهمّة الثّاني تعميق تلك الرؤية ، وتسميرها على صفحة الحرف، لا للحاضر، فحسب، بل للزمن الآتي أيضًا.

والجميل في هذا التّحليل، اتّخاذ الصّورة والرّمز في شعر عمر شبلي شاهديْن لا تدحض شهادتهما، على أنّ الشّاعر مثقّف، يمتلك ناصية الإبداع.

ومن الكلام على الشعريّة، يطوف بنا د. زيتون في عوالم عمر شبلي، لنرسو عند علاقته بالمتنبّي، فيبيّن لنا صلة الرّحم بين هاتين الموهبتين النّادرتين، مظهرًا القلق الوجوديّ الذي يعصف بهما، فيحيلانِهِ استشرافًا لآفاق، لا يبلغها إلّا من أوتي حظًّا عظيمًا من الحدس والإشراق، وسارت في ركابهما لغةٌ تستجيب للّواعج الصّاخبة التي لا يهدأ أوارها، إلّا حين تنسكب شعرًا تسكن فيه روح أمّة لا تعرف القنوط.

ونمضي قدمًا إلى مبحث بعنوان:» إلى الحسين بن علي شاهدًا وشهيدًا» وما يلفت في هذا المبحث الوقوف عند خصوصيّة الرّمز الحسينيّ، مانحِ الشعريّة ألقها، وليس المستعيرَ منها ذلك الألق.

والشّعر الشّعر، بوصفه عمقًا ثقافيًا، وحدَهُ القادر على إيفاء هذه الرّمزيّة حقّها، من خلال حسْن التّلقّي عنها والنّهل منها.

وفي هذا المبحث تفصيلات تحليليّة ونقديّة كثيرة، لا يتّسع المقام لها، في هذه العجالة.

ومن هذا المبحث، ينقلنا د.زيتون بشغف واشتياق إلى قراءته، في مجموعة الشّاعر: «**أيّ خبز فيك، يا هذا المطر**» فيبيّن الوجع الذي تختزنه هذه المجموعة في ثناياها؛ وكدأبه يختار د. زيتون الشّواهد التي تزيد المشهديّة وضوحًا، وتشدّنا إليها شدَّ تذوّقٍ وتعاضد ومواساة.

وعلى المنوال نفسه، يمضي بنا د.زيتون، في رحلة كشفٍ، يحدو لها الوفاء، ويضيء معارجها عقلٌ متوهّج، وقلبٌ متّقد، وبصيرة لا تخون.

*****

ثم قدّمت الأستاذة ماجدة ريّا الدكتور كميل حمادة بما يلي:

شاعر قدّير، وناقد بعين ثاقبة، تنساب كلماته كما انسيابُ مياه العاصي رقراقة، عذبة، قوية... حائز على دكتوراه من الجامعة اللبنانية، له كتابان في النّقد وأكثر من ديوان شعري.

شارك في العديد من المؤتمرات والأمسيات الشعريّة في لبنان وخارجه.

حائز على درع الجواهري، وعلى المرتبة الثالثة من جائزة سليماني العالمية لعام 2021/

الشّاعر الدكتور كميل حمادة تفضل.

كلمة الشّاعر الدكتور كميل حمادة بعنوان «النّقد أيضا رؤية خاصة إلى العالم»

ليس من السهل عليّ أن اقف هذا الموقف الذي لا أُحسد عليه بالمقدار نفسه الذي أحسد عليه ، ذلك أن الوقوف في محضر أستاذ كبير كالبروفيسور علي زيتون، وهو أستاذكَ أصلًا، والوقوف في حضرة ناقد كبير يؤسس لمنهج نقدي عربي حقيقي، في عصر استجلاب النّقد العربي للتجارب النّقدية الغربية و إسقاطها على شعرنا العربي ولَيِّ عنقها لتتناسب مع أدبنا وثقافتنا، والوقوف أمام انسان كبير تعلمتَ منه الإنسانية والدماثة والقيم العالية، فضلًا عن الثقافيّ والأكاديميّ، ودرجتَ على يديه طالبًا جامعيا وشاعرًا يتلمّس طريقه في وعورة الشّعر وأسئلته الخطيرة، هذا وقوف في مقام خطر..لذا أعتذر منك أستاذي أن وقفتُ لأقول شيئا فيك، واعذرني إن أخفقتُ في أن أُحيّد الطالب والشّاعر والابن والمريد في حديثي عنك. ومما يزيد خطورة الموقف هذا أنني أقف بين كبيرين: علي زيتون متحدثًا عن عمر شبلي. ناقدٌ وشاعر جمعتهما الثقافة وهمومها، والصداقة وأحلامها وآمالها، والأمة وأحوالها ومآلاتها، فماذا أنا فاعل إلا كمن يريد نقل البحر بكوب صغير، أو من يريد

حصر الكون في زجاجة ..لكنها المحاولة في مقاربة هذا الكتاب» **بين الشّعر والجرح قرابة –دراسة في شعر عمر شبلي–»** وهو كتاب يتيح لك بعد قراءته أن تصرخ وتقول: **«كذلك إن بين النّقد والجرح قرابة، وإن النّقد أيضا–كما الشّعر–هو رؤية خاصة إلى العالم».**

يختصر عنوان الكتاب تعريفًا متشعبًا وثقافيًا للشعر بعد محاولات كثيرة ومتتالية لتعريفه منذ التعريف البدائي إن» **الشّعر كلام موزون مقفى ذو معنى»** وصولًا إلى تعريف محمد علي شمس الدين للشعر بأنه « **جرح الغيب»** مرورا بتعريف أدونيس له على أنه **«سؤال مستمر يستتبع سؤالًا»**. لكن تعريف د. علي زيتون يذهب أبعد من ذلك في عنوان كتابه هذا :» **بين الشّعر والجرح قرابة»** ، الشّعر قريب الجرح وليس الجرح نفسه، لأن الجرح لا يحمل قابلية شفائه بنفسه، الشّعر ينشأ عن جرح، عن همٍّ ثقافي وهمٍّ معرفيٍّ وهمّ يكتنف حال الأمة، لكنه لا يقف عند كونه جرحا، بل يتصاعد أعلى ليكون محاولةً لكشف العلاج المناسب لالتئامه. لا يكفي أن يكون الشّعر جرحًا بل ينبغي أن يكون الشّاعر جرّاحًا ويقدّم الدواء لجرح أمته، لأن الشّعر وفق د. علي زيتون يحمل همّ ختم الجرح النازف في خاصرة الأمة، ولأن الشّاعر –وهو عمر شبلي الذي يمثل الشّاعر خير تمثيل– الشّاعر معنيٌّ بإيجاد الحلول لأدواء الأمة لا أن ينكأ جرحها فحسب. وليس الشّعر طرح الأسئلة فحسب كما يرى أدونيس ، الشّاعر عند د. علي زيتون يقترح الأجوبة ولا يكتفي باستنفار الأسئلة «وإطفاء نار الأجوبة» كما يقول أدونيس، فإذا ما انطفأت نار الأجوبة فكيف تهتدي الأمة إلى طريقها؟ الشّاعر وفق د. علي زيتون مدعوٌّ لِنكْءِ جراح الأمة وإن صرختْ وإلى خضّها بالأسئلة المزلزلة، لكنه معنيٌّ أيضًا بإيجاد العقاقير واستيلاد الإجابات على تلك الأسئلة المحرجة لثقافة أمته وعصره.

وإن أردت أن تكون شاعرًا فهذه الوصفة الزيتونية لك:

«يحتاج الشّاعر ليكون شاعرا إلى ثلاثة أمور وهي موهبة،[وتلك منحة إلهية فطرية] وامتلاك فاعل لثقافة العصر [وانوّه إلى التركيز على كلمة «فاعل» في وصف امتلاك الثقافة]، وإقامة حوار زلزاليّ مع تلك الثقافة يستطيع من خلالها الشّاعر الكشف عن مآزق الخبيئة داخل الأمة» وتلفت جدًا لفظة(زلزالي) في وصف الأسئلة، ينبغي أن تكون لدى الشّاعر الجرأةُ في طرح الأسئلة المحرجة والخطيرة على ثقافة أمته وقناعاتها.

وانطلاقًا من هذا الفهم للشعر والشّاعر، ومن هذه الرؤية الزيتونية الخاصة والفريدة إلى الشّعر، يختار د. علي زيتون شاعرًا كبيرًا هو عمر شبلي ليكون موضوع دراسته في هذا الكتاب لأن عمر شبلي يشكل نموذجًا عمليًا لهذه الرؤية. هنا يصبح النّقد أيضا رؤية خاصة إلى العالم، وإلى الشّعر جزئيةً من جزئيات هذا العالم.

ثم تتوالى عليك الأسئلة عند قراءة الكتاب: لماذا اختار د. علي زيتون عمرَ شبلي في قراءته للمتنبي بما يمثله المتنبي من عنصر فرادة خضّ الثقافة العربية وسافر في الزمن؟

ولماذا اختار عمرَ شبلي في ديوانه « الحسين بن علي شاهدًا وشهيدًا»؟ ولماذا اختار عمرَ شبلي في ديوانه « أيُّ خبز فيك يا هذا المطر» وفي « وعورة الماء» فوصفه بالملّاح والسيرة الفاعلة في الزمن المرّ؟ ثم لماذا اختاره في «الشّعر ناقدًا الشّعر في حوار ثقافي نقدي بين عمر شبلي وهو يمارس العملية النّقدية على شاعر آخر هو محمد علي شمس الدين»؟ أي علاقة بين عمر شبلي من جهة وبين المتنبي والحسين الشهيد والسجين والرائي حال الأمة في الزمن المر والشّاعر الناقد من جهة أخرى؟

أسئلة كبرى تحتاج إلى الكثير من التوسع للإجابة عنها مما ليس هذا مقامه، لكن يمكن تكثيف الإجابة واختصارها في رؤية البروفيسور علي زيتون إلى دور الشّعر والشّاعر .الشّاعر عند علي زيتون (متنبي) يسافر مع الزمن ويفتح بوابات الآتي في حاضره ويبصر ما لا يبصره الآخرون، والشّاعر حسينٌ شهيدٌ مضحٍّ يُسفك دمه لاستنهاض أمته، الشّعر فعل فداء كبير ، الشّعر فعل قولي أو قول فعلي، هو قول يفعل في حركة التاريخ والحاضر والمستقبل، قولٌ يفعل، كأنّه هذه ال «كُنْ» التي يقولها الله فلا تكون مجرد لفظة، بل تكون كل فعل الخلق والوجود. هكذا هو الشّاعر، وهو كذلك ناقدٌ يغربل التاريخ، وهو حرية واعية تفتح كل ابواب السجون الداخلية، كأن علي زيتون يقول لعمر شبلي وهو في سجنه: « لست سجينا ما دمت شاعرًا، ففي يدك كل المفاتيح وعلى كتفيك كل أجنحة الحرية، الشّاعر حرٌّ ولو كان سجينًا في البروج المشيّدة . شكرا لك د. علي على هذا الكتاب الدستور في النّقد والشّعر والحياة والصداقة والثورة والمقاومة وما أضأت فيه على شاعر كبير كعمر شبلي.

*****

ثم قدّمت الأستاذة ماجدة ريّا الدكتورة ريما أمهز، وقالت فيها:

مبدعة هي، صاحبة الكلمات الراقية والإلقاء المتميّز، والحضور القوي.

كاتبة وباحثة، ومدرّبة تربوية في المركز التربوي للبحوث والإنماء_في دور المعلمين والمعلمات في لبنان. ومرشدة تربوية في مركز الإرشاد والتوجيه.

لها دور فعّال في أكثر من تجمّع أدبي.

مشاركة في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية، لها العديد من المقالات والأبحاث منشورة في مجلات محلية ودولية محكمة. حائزة على الوسام العلمي أربع مرّات.

قراءة في كتاب د. علي زيتون «ما بين الشّعر والجرح قرابة».

كلمة د. ريما أمهز

بأيّ مؤونة، وبأيّ رصيد سألج هذا السّفر الجليل للدّكتور علي مهدي زيتون الّذي لا يكاد الواحد منّا يقترب من بحره حتّى يشعر بالرّهبة والهيبة، وكأنّه أمام محيط زاخر، لا يعرف أنّى يخوض، ولا كيف يخرج.

بمثل هذا الشّعور سأحاول قراءة هذا الكتاب قراءة عاشقة لا ناقدة، سأقرأه قراءة المتلهّف لفكر الدّكتور علي زيتون المحمّل بجماليّات ثقافيّة عميقة زاخرة، وتجلّيات معرفيّة نقديّة مجلببة بعلميّة واضحة في مجال الدّرس النّقدي.

وأنت تخطو الخطوة الأولى في كتابه المفتوح إلى عمر شبلي، تجد نفسك أمام عنوانٍ عتيد «**ما بين الشّعر والجرح قرابة**»، فلا تستطيع، مسكونًا برؤيتك أن تمرّ مرور الكرام على هذا العنوان الّذي يستوقفك ليقدّم إليك العمق الّذي تحاول رؤية الشّاعر الكشف عنه.

فإذا كانت كلمة الشّعر وحدها كافية للإشارة إلى ما يوحي به الشّعر من فاعليّة، فإنّها مع الجرح تتسنّم بعدًا وظيفيًّا أكثر طاقةً وفاعليّة، فأن يكون بين الشّعر والجرح قرابة، إنّما يمثّل إشارة قويّة تومئ إلى مدرسة شعريّة عمريّة تأسّست على كثير من الجراحات والآلام، مدرسة تأخذك إلى مواعيد الدّهشة، يمضي فيها الشّاعر حاملًا أوجاعه وأشجانه المعتّقة، يلوذ بالكلمات معانقًا نداءات قلبه، ويسكب في ذاته المتداعية ما سال من

أحزان الرّوح...

ينعقد هذا الكتاب على مجموعة من الأبحاث النّقديّة الّتي حلّق بها الدّكتور علي زيتون بصديقه ورفيق دربه الشّاعر عمر شبلي إلى مصافّ الخالدين، فجسّد من خلالها مسيرة عمر الشعريّة، الّتي اتّسعت لعذابه الطويل، وكدْحه المضني، وشعره الطالع كبخار البركان، فلم يدع ديوانًا له أو عنه، إلّا وقطف خميرته، وأودعه بحثًا أو خزانة، ليكشف الغطاءَ حتّى عن الأَنفاس الخفيّة

والذّبذبات الدّاخلية لأَحاسيس عمر وأَفكاره، وليجعلك تعشق أحزانه المتكرّرة وترفعها إلى مستوى القداسة، قداسة النّصر المبين.

في هذا الكتاب كثير من الوفاء والحبّ والإباء، في هذا الكتاب ترجمة حقيقيّة لجراح عمر شبلي، المعبّأة بهمّ فلسطين، والّتي تمثّل فاعلًا قويًّا في تحديد مواقفه وآرائه. فهو الّذي حمل همّ القضيّة الفلسطينيّة جمرًا بين ضلوعه، ففلسطين لغته ورئته، وأنفاسه وأصداؤه، من هنا جاء شعره مقاومة مخضّبة بالحبر، جنودها حروف، وميادينها سطور.. فهو واحد من أولئك الّذين آمنوا بالحرف مفتاحا للعائدين، وبالحبر دليلا ملوّنا إلى حبق الدّار هناك في فلسطين.

دخل الدّكتور علي زيتون عالم عمر شبلي الشّعري الّذي يتّصف بالغنى والفرادة، فوجد الجماليّة الشعريّة العمريّة حاضرة في كلّ كلمة من كلمات نتاجه الكبير، تثير في نفسك رعشة لذيذة عذبة لا تجدها إلّا في شعر الشّعراء الكبار الّذين امتلكوا ثقافة عصرهم، واستطاعوا أن يطرحوا عليها أسئلتهم المحرجة.

تتبّع رؤيته إلى العالم، فوجدها رؤية مثقّف كبير، لم يتملّك ثقافة عصره، تملّك المستريح إلى أريكته الوثيرة. تملّكها وهو مثقل بعبء انعدام المسافة بين قناعاته وسلوكه. كان يعتصر الثّقافة بقدر ما تعتصره الثّقافة. فعمر الّذي أمضى نيّفًا وعشرين عامًا في السّجون، لم تفته ثقافة العصر حتّى لكأنّ السّجن الّذي أمضى فيه زهرة شبابه، لم يغيّبه عن الثّورة المعرفيّة الخاصّة باللّغة والأدب والنّقد الّتي شهدها العالم الحديث خارج سجنه.

بمثل هذه الثّقافة قرأ عمر المتنبّي، والإمام الحسين (ع)، وحافظ الشّيرازي، ومحمّد علي شمس الدّين، كما قرأ القضيّة الفلسطينيّة، فنفذ إلى عمق ما كان لأيّة ثقافة أخرى

أن تصل إليه. لقد تحمّل بأمانة متناهية مسؤوليّة الشعريّة في هذا الزّمان، ومسؤوليّة أن تكون تلك الشعريّة ملتزمة بقضايا الإنسان الكبرى على الأرض.

لقد كانت الخصوصيّة والفرادة قوام الشعريّة عند عمر، تلك الفرادة الّتي اصطنع الباحث، من أجل الكشف عن سرّ خلودها، ثلاثة مقاييس لا يمكن نكرانها: ملامسة النّفس الإنسانيّة في محاولات صعودها إلى الأعلى، واحتضان الوجدان الشّعبيّ الجماهيري لهذا النّتاج، واستمرار هذا الاحتضان لعصور طويلة.

ويبقى أنّ شعريّة عمر شبلي كما يقول الدّكتور علي زيتون في كتابه منتمية إلى ثالوثه: رؤيته إلى العالم، وما نفذت إليه من العالم المرجعي، ولغته الّتي عبّر عمّا وصلت إليه تلك الرّؤية، كانت شعريّة لافتة إلى شاعر كبير؛ لأنّه كان مثقّفًا كبيرًا. فالجدّة الفريدة الّتي نواجهها في القصيدة العمريّة من خلال الصّور والرّموز تومئ إلى جماليّة تثير انفعالنا وتمدّنا برعشة لذيذة لا نلقاها إلّا مع فرادة موازية لفرادة الشعريّة العمريّة.

في الحقيقة، إنّ عجالة كهذه لن تفي كتاب الدّكتور علي زيتون حقّه، لذلك سأختصر وأقول: دكتور علي، أستاذي، ومعلّمي، ووالدي الرّوحيّ.. أبارك لكم هذا الإصدار الجديد الّذي سيكون مدهشًا للدّارسين على اختلاف عقائدهم ومشاربهم... لأنّه من كلام مبدع استثنائيّ، ملأ الدّنيا أدبًا متحرّرا من كلّ شائبة، وشعرًا مدركًا لماهيّة القصيدة، ونقدًا قائمًا على الجرأة والاقتحام لفكّ مغاليق النّصّ الأدبيّ وسبر العميق من أغواره.

*****

ثم قدّمت الأستاذة ماجدة ريّا الشّاعر عمر شبلي

قيل عنه الكثير لغزارة إنتاجه الشّعري وفصاحته وبلاغته وقوة تعبيره، وما يحمله من نضال ثوري، تؤرّقه قضايا الأمة، فينساب حبره متفجّرًا لعلّه يرسم مداميكَ لطريق الحلم، أو يؤثّر فيما نعيشه من واقع.

ذو ثقافة عالية واطّلاع على التاريخ فكتب في شتى الميادين في التاريخ والدين والتصوّف، والرمز والأسطورة والخرافات، والذكريات والعادات والتقاليد وغيرها.

ترجم شعر حافظ الشيرازي من الفارسية إلى العربية الفصحى شعرًا في أربعة مجلّدات، بعنوان «**حافظ الشيرازي بالعربية شعرًا**» وكتب كتابًا في شعر حافظ الشيرازي وسمّاه

«حافظ الشيرازي بين الناسوت واللّاهوت».

كلمة الشّاعر الأستاذ عمر شبلي وقصيدته:

السلام عليكم ورحمة الله.

أنا ليس لديّ مزيدٌ من الكلام، على ما قدّمه المتكلِّمون قبلي، فقد استطاعوا بقراءاتهم العالية والمشحونة بالوفاء والصدق والعمق المعرفي والتذوّق الفني للشعر والنثر أن يكشفوا عني ما قاله المتنبي في ابن جِنّي»ابن جِنّي أعلمُ بشعري منّي». لقد أعطوني أكثر ممّا أستحقُّ وأسبغوا عليّ أكثر من قدرتي على الوفاء لأقلامهم المؤمنة بما يسيل حبرها.

ما أريد أن أقوله: إنّ للدكتور علي زيتون عليَّ فضلًا لا أنساه ما حييت، لقد أضاءني بعد عتمة «**مقبرة مهددة بالحياة**». لقد رآني حيًا في هذه المقبرة فمدَّ إليَّ يده وانتشلني، كانت يده نظيفةً حانية، كنتُ أرى قلبه على لسانه الصادق وهو يقدمني للآخرين، كان يبحر في عمقي ويعرفني ربما بمستوى معرفتي ذاتي. علي زيتون ينتمي إلى الإنسان الذي تبحث أمتنا عن أخلاقيةٍ كأخلاقيته، أحببته لصدقه وعمقه ووفائه وإنسانيته. اكتشف في شعري أبعادًا لم أكن أدركها إلا إحساسًا، أما هو فقد اكتشفني إحساسًا وعمقًا ورؤيا، وكنت بحاجة إليه، وكنا نتعاتب ونختلف على أمور، ولكن على ما لم يكن مؤثرًا على الأضواء العميقة في كلينا، وكنت أقول له ويقول لي ما قاله المتنبي لغلام أبي العشائر، وكان أبو العشائر من أقرب الناس للمتنبي، ولكنه غضب على المتنبي بعد إلقاء قصيدته الحمراء، «**واحرّ قلباه ممن قلبه شبم**», وقتها أمر أبو العشائر غلامه أن يضرب المتنبي بنباله، وقال لغلامه قل للمتنبي: خذها وأنا غلام أبي العشائر، وحين سمع المتنبي اسم صديقه أبي العشائر استعاد الروح العميقة بينهما، وقال وقتها المتنبي العظيم:

ومنتسبٍ عندي إلى من أحبُّهُ   وللنَبْلِ حولي من يديه حفيفُ

فهيّجَ أشواقي وما من مذلّةٍ   حننْتُ ولكنّ الكريمَ أَلوفُ

وكلُّ ودادٍ لا يدومُ مع الأذى   دوامَ ودادي للحسين ضعيفُ

فإنْ يكنِ الفعلُ الذي ساء واحدًا   فأفعالُهُ اللّائي سَرَرْنَ أُلوفُ

*****

القصيدة التي ألقاها عمر شبلي في هذه الندوة:

أنا أخجل أن أرثيكَ لأنكَ أكبرُ من أيِّ كلام

آرون[1] بوشنلْ، إليك حيًّا في كل قلوب الأطفال بغزة

حتى زمن الطوفان.

عمر شبلي 27 - 2 - 2024

آرونْ، طيّارًا كان يطيرُ بأجنحةٍ من نارْ

قد أبصرَ غزّةَ من واشنطنْ،

ورأى ما لسْنا نحن نرى

صارتْ في عينيْهِ الأرضُ سماءْ

نادتْهُ الأسماءُ الحسنى المقتولةُ في غزّةْ

وأجابَ نداءْ

يا «آرون»

أبصرتُكَ مُشتعِلًا،

قلتُ: الدنيا تحتاجُ ضياءْ

والنارُ لها ضوءٌ آخرْ

لا يُبصرُه إلّا من كان لها حَطَبا

نارٌ حمراءُ مُقدَّسةٌ

قرّر أن يعبدَها، لكنْ لم يُبصِرْ

وهو يطوف بها عَرَبا

يا نارْ،

كوني بردًا وسلامًا

1 آرون طيّار أمريكي أحرق نفسه أمام سفارة «إسرائيل» بواشنطن أحتجاجا وانتصاراً لغزة وعدالة قضيتها.

يا نارُ على الجسد الملفوفِ

بكلِّ أسى الأطفالِ بغزّةْ

كوني برْدًا وسلامًا،

يا نارُ، على «آرون»

فتَّشَ عن قِبْلتِها، فَتَّشَ عن كعْبتِها

قد كانت غزّةُ كعبتَه،

لكن لم يُبصِرْ، وهو يطوف بها، عربا.

فسعى للنارِ، وطاف بها سبعة أشواطٍ حمراء

كانت تمتدُّ به من غزّةَ حتى واشنطنْ،

حتّى البيتِ الأبيضْ،

وسِفارةِ إسرائيلْ

ما أقصرَها!!

يا هذا الجنديُّ الطيّارُ، هناكَ بواشنطنْ

ما كنتَ بغزّةَ، حين دفعْتَ لنصرتِها عمرَكْ،

ما كنتَ بها عربيًّا من قحطانَ ولا عدنانْ.

إنسانًا كنتْ

جنسيَّتُهُ دمُهُ، قوميّتُهُ دمُهُ.

دمُهُ فارَ كبركانٍ من نارْ،

فتوضّأَ بالنيرانِ وبالأحقادِ، وصلّى.

بعضُ النبرانِ لها صِفةُ الماءْ

بعضُ الأحقادِ إباءْ

وتلا آياتٍ يحفظُها فمُهُ المقهورْ

لم تُسعفْهُ اللغةُ العربيّةُ حتى يفهمَها أكثرْ،

والأجملُ ألّا يفهمَها لرداءةِ من نطقوها اليومْ

في مؤتمرٍ عربيٍّ إسلامي،

أشهدُ: أنْ لا إسلامَ ولا عربٌ فيهِ

لكنْ من يملكْ قلبًا حُرًّا مثلَكَ يفهمْ كلّ لغاتِ الأرضْ

والقهرُ له لغةٌ قُصوى، فاستلَّ النارَ

وأشعلَ جثَّتَهُ فأضاء

والنارُ كلامٌ أفصحُ في زمن الطوفانْ

*****

آرون، قد أبصرَ غزّة من واشنطنْ

ورأى ما لسْنا نحن نرى.

هو أبصرَ طفلًا كان يلوكُ الخبزَ

بلا خبزٍ موجودٍ في فمِهِ.

ما أقتلَ أن يشبعَ طفلٌ جَوعانْ

برصاصةِ قاتلِهِ الشبعانْ

*****

من قبلكَ، يا آرون، «جورج فلويد» قَضى

إذْ كان «البيتُ الأبيضُ» منطفئًا يحتاجُ ضياءْ.

لكنْ، من أين يُضيءُ «البيتُ الأبيضُ»،

يا «آرونُ»، وفيه عَماءْ

نارُ «البيتِ الأبيضِ»، يا آرونْ،

ليستْ تشبعُ مهما قدّمتَ لها حطبا

ولقتلِ الناسِ بلا سببٍ تجدُ السَبَبا

*****

يا هذا الجنديُّ الطيّارُ بأجنحةٍ من نارْ

أنا أخجلُ إذْ أرثيك،

لغتي قدَّامَ رمادِكَ منطفئةْ

لغةُ العربِ «الأقحاحِ» بغزّةَ صار بها لُكْنةْ

صارتْ تكذبُ كالإنسانْ العربي المُلْغى

من كثرةِ ما قلَعَ الحُكّامُ لناطقِها أسنانْ

نَعلاكَ على شاشات العالم أعلى قدرًا

من حُكّامِ العربِ الخِصيانْ

بهما شرفٌ أكثر من حكّامٍ باعوا الأرضَ

وباعوا اللهْ.

يا آرون، علِّمنا كيف سنشعل هذي النارَ بأنظمةٍ

صُنِعتْ من جوعِ الناسِ، ومن دمِهمْ،

صُنِعتْ في غُرَفٍ ضيِّقةٍ وسقوفٍ منخفضةْ،

وسيبقى الأمرُ كذلك حتى يظهرَ فينا إنسانٌ من دمْ،

يتوضَّأُ من دمه لصلاة الصبحْ،

ويَؤُمُّ قرامِطةً، ويُحَدِّدُ قِبلتَهم بسيوفٍ ظامئةٍ

أرثيكَ الآنَ وأعلمُ أن فمي من قهري ملآنْ.

وأنا لعروبةِ هذي الأرضْ

مثلُكِ يا غزّةُ جَوعان.

*****

وفي الختام:

قامة علمية وفكرية كبيرة، حياتها مليئة بالعطاء، وما زالت تبدع على مر السنين.

أستاذ جامعي ناقد وباحث

حائز على دكتوراه من جامعة القديس يوسف في لبنان

رئيس الملتقى الثقافي الجامعي، و رئيس مجلس الأمناء في جامعة المعارف في بيروت.

لديه أكثر من 30 سنة خبرة في المجال الأكاديمي، وقد شارك في أكثر من 30 مؤتمرًا محليًا وإقليميًّا ودوليًّا. وله أكثر من 100 مؤلف من بينها كتب وأوراق بحثية في الأدب والشّعر والسياسة والدين والتربية.

مسك الختام مع البروفيسور علي زيتون مؤلف الكتاب

فقال الدكتور علي زيتون:

باسم الملتقى الثقافي الجامعي نشكر حضوركم الكريم ودمتم بخير.

*****

Théories de la motivation, conceptions et propositions d’enseignants libanais

Dr. Firass Radoin Al-Itaoui

Introduction:

Dans la perspective des nouveaux programmes au Liban (Ministère de l’Education Nationale, 1997), l’apprenant occupe une position centrale dans l’enseignement, où il participe activement à la construction de son savoir.

Il en découle la nécessité de connaître la motivation de l’apprenant et de la prendre en compte. Celle-ci est selon (Giordan, 1998) comme “un moteur de l’apprendre”.

D’autre part, la motivation, dans la situation éducative, n’est qu’un des aspects d’un domaine beaucoup plus vaste, à la dimension de la société, dans lequel s’inscrit le projet d’apprendre (Giordan, 1998).

Les parents, les copains interviennent, comme l’’enseignant, par des attentes sur le travail, sur l’école, des encouragements, des récompenses (l’argent de poche par exemple), des contraintes ou des accompagnements. Tous ces éléments sont favorisants ou inhibant suivant les circonstances.

Notre recherche répond à un triple but: étudier les différents courants qui regroupent les conceptions de la motivation, identifier les conceptions des enseignants à propos de la motivation, et les comparer pour identifier le (s) type (s) de motivation utilisé au

Liban. Notre recherche comprendera deux parties : une partie théorique et une partie de travail sur le terrain. la première partie comprend le cadre théorique relatif à l'aspect pédagogique c'est – à – dire les différents courants et origines de la motivation.

Le travail de terrain comporte la méthode de travail: l'échantillon, le questionnaire, , les résultats ainsi que leur interprétation

Première partie.

Les courants qui regroupent les conceptions de la motivation.

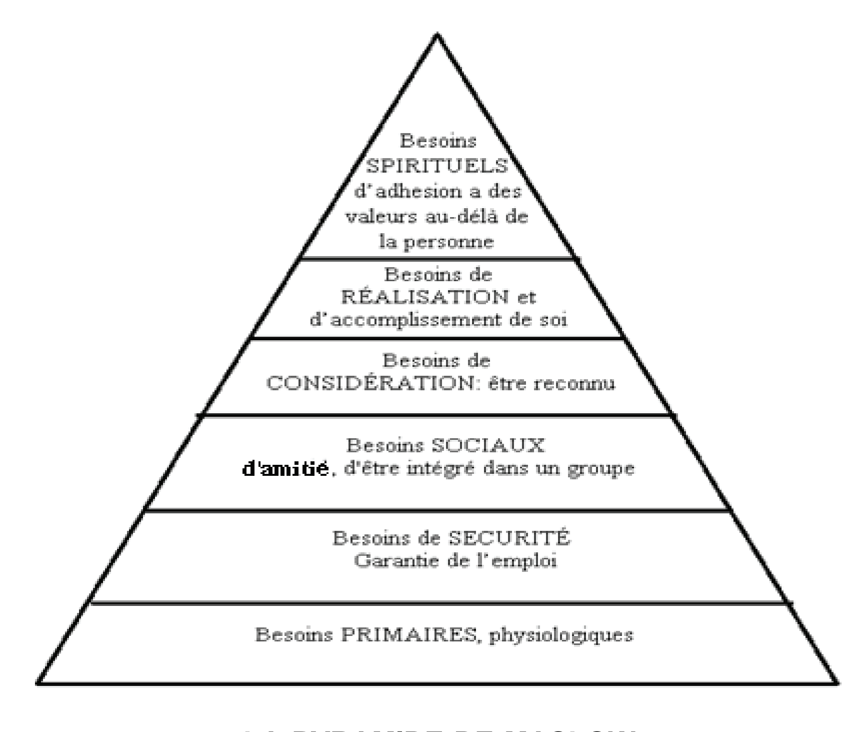
I-Les conceptions innéistes des motivations:

L'accent est mis sur les facteurs internes, inscrits dès la naissance dans l'individu c'est – à – dire "qu'il existe chez l'individu des caractéristiques fondamentales, constitutives de 'la nature humaine' qui déterminent le comportement" (Mucchielli, 1982). Ce courant est la continuation moderne du courant philosophique dit "innéiste" ou "constitutionnaliste" qui de Platon à Descartes défendait l'innéité des idées.

Decartes propose cinq passions : l'admiration, l'amour, la haine, la joie et la tristesse; Freud (1920) propose deux grandes pulsions : la pulsion de vie et la pulsion de mort ; pour Piéron (1935) il distingue deux niveaux dans les besoins fondamentaux de l'homme : les besoins viscérogéniques (besoin d'air, d'eau, …) et les besoins psychologiques (l'alerte sexuelle…).

D'autre part, Muray (1938), parle d'un développement des besoins fondamentaux (besoin de domination, de soumission,

d'autonomie…), latents chez l'homme, selon les expériences personnelles de chaque individu. En 1954, Maslow propose la théorie des niveaux hiérarchiques des besoins ; pour lui les besoins humains sont organisés en niveaux. Au niveau le plus bas, on trouve les besoins physiologiques (faim, soif, sexuel), il faut que ces besoins soient satisfaits pour que l'homme puisse se consacrer à la satisfaction des besoins de niveau supérieur et ainsi de suite. Il est à noter que pour Maslow, contrairement aux besoins des niveaux inférieurs, les besoins des deux derniers niveaux sont rarement satisfaits et l'homme cherche indéfiniment à les combler.



LA PYRAMIDE DE MASLOW

(D'après Chiffre et Teboul, 1990) Mc Gregor, 1963 en déduit logiquement en effet, que désormais, pour motiver les travailleurs, il faut leur permettre de prendre des responsabilités (besoin d'autonomie) et de faire un travail où ils puissent se réaliser (besoin de réalisation de soi).

II- La Conception situationniste des motivations.

Dans cette optique, la source des comportements est extérieure à l'individu. L'homme est déterminé à agir d'une certaine façon par l'ensemble des contraintes environnementales (matérielles, sociales normatives) qui s'exercent sur lui. Dans sa forme pure cette conception s'appelle le sociologisme où l'acteur social est un sujet passif dont le comportement est l'effet de causes sociales extérieures.

D'autre part, pour Durkheim, c'est d'une part l'angoisse et d'autre part le sentiment de frustration qui interviennent comme ressort de l'action. Chez Marx, ce sont aussi des sentiments qui interviennent en dernier ressort : la conscience de classe et le sentiment d'aliénation.

L'idée commune à toutes ces conceptions situationnistes est que l'environnement est structuré et qu'ainsi il impose des voies obligées de passage aux comportements. " L'individu est prisonnier des contraintes extérieures, il ne peut ni leur échapper ni les influencer" (Mucchielli, 1982).

III- Les Conceptions empiristes des motivations.

Cette conception s'oppose directement à la conception innéiste.

L'homme ne naît pas avec des instincts et des pulsions inscrits en lui. Au contraire, tous ses besoins et tendances sont façonnés par le milieu. A sa naissance l'homme n'est qu'une tabula rasa. Ce sont les expériences de la vie qui vont écrire sur cette page vierge et façonner l'individu qui sera ensuite le résultat conditionné de son passé. Cette conception est profondément psychologique, basée sur des principes de référence. On peut les formuler ainsi :

1-Tout individu recontre des situations qui vont le marquer. (Postulat de l'existence de situations d'empreinte).

2-Ces situations laissent des traces affectives indélébiles (postulat de l'empreinte affective).

3-Les traces affectives laissées orientent sa perception du monde, ses attitudes et ses réactions ultérieures (postulat de la projection affective).

4-Les traces affectives laissées par les situations vécues sont plus ou moins communes aux individus. Elles déterminent les niveaux. des motivations humaines, culturelles et individuelles (postulat des niveaux des motivations).

5-Ces traces affectives peuvent se formuler sous forme de règle de vie ou de croyance , elles sous – tendent alors toutes les conduites (postulat de la formulation axiomatique des motivations).

6- Ces règles de vie sont les conclusions psychologiques tirées par l'individu des situations vécues (postulat de la formation par induction généralisante affective des motivations).

IV- Les conceptions interactionnistes des motivations.

Nuttin, 1980 en se basant sur une conception “relationnelle” du comportement, place le point de départ de la motivation ni dans un stimulus intra - organique, ni dans le milieu, mais dans le caractère dynamique de la relation même qui unit l’individu à son environnement. K. Lewin démontre que les individus mis dans les contraintes d’un travail « autocratique » en groupe ou « démocratique » ne « réagissent » pas de la même manière.

Dans le premier cas , les individus sont dépendants à l’égard du chef, peu coopérants, peu affectueux entre eux et peu créatifs ; dans le second cas, les individus sont plus dynamiques et enjoués, plus coopératifs, créatifs et moins agressifs bien que le travail se fasse moins vite et peut être avec moins de précision. La conclusion de Lewin les contraintes psychologiques induisent, est que indépendamment des personnalités, des comportements précis.

Les différentes origines de la motivation :

En psychologie, “on peut distinguer entre le mécanisme du comportement et les facteurs qui commandent sa mise en marche” (Ancona et al, 1959). Le premier problème est celui du comment du processus comportemental, le second demande pourquoi l’homme ou l’animal agit et fait telle ou telle chose. L’étude de la motivation se rapporte à cette question du pourquoi ou des “ causes “ immédiates du comportement. Elle est considérée selon Chiffre et Teboul comme une relation qui s’établit entre un système (désirs, besoins, buts) et un environnement (nature du travail,

relation hiérarchique ...) , alors que chez Diel, “la psychologie de la motivation s’occupe des objets du monde intérieur, des désirs qui se muent en motifs et de leurs relation légales” (Diel, 1991).

L’origine de la “motivation” n’est ni uniquement externe, ni uniquement interne. La motivation naît de la rencontre du sujet et de l’objet qui tous deux ont des caractéristiques interagissant les uns sur les autres.

1- La motivation comme stimulus et énergie :

Des psychologues assimilaient le comportement à l’activité générale d’un organisme et allaient jusqu’’à identifier la motivation à “l’énergie d’origine chimique que la nourriture fournit à l’être vivant” (Nuttin, 1980).

Plus psychologique , Freud puise l’énergie pour la mise en marche de l’appareil psychique dans le stimulus qui agit sur l’organisme.

2- La motivation comme association et connexion apprises.

En effet, on y conçoit le comportement moins comme une décharge que comme une réaction associée à un stimulus.

Ce stimulus devient le point de départ d’une réaction qui, à son tour, aboutit à un autre stimulus (la nourriture, par exemple) qui lui, renforce – positivement ou négativement – l’association établie.

3- La motivation comme facteur physiologique.

La psychologie expérimentale de la motivation s’intéresse

surtout aux besoins et pulsions à base nettement physiologique, tels la faim, la soif, la sexualité ….

Ce type de recherches a pour objet l'étude de certaines conditions physiologiques de l'organisme dans leur influence sur le comportement. Pour cette raison la motivation apparaît à certains béhavioristes comme un terme global et peu scientifique pour désigner l'influence d'une variété d'états physiologiques sur le comportement.

4- Motivation et activité spontanée de l'organisme.

Beaucoup d'auteurs, nous l'avons vu, font appel à la notion de motivation pour expliquer pourquoi l'organisme passe de l'état de repos à l'état d'activité.

La motivation doit mobiliser l'énergie, elle est un facteur d'énergétisation. " C'est le point de vue physique qui explique le mouvement par une force" (Diel, 1991). Cependant, la biologie vient de mettre en doute la validité de ce point de vue physique pour expliquer le " mouvement" des organismes vivants :

On a démontré que la cellule nerveuse n'a pas besoin, pour être active, d'une excitation venant de l'extérieur; elle n'est pas physiologiquement inerte ; l'activité, et non le repos, est son état naturel ; "elle n'est pas seulement réactive, mais active de façon continue" (Hebb, 1949, cité par Nuttin ,1980) . Aussi, le changement dans les conditions externes ou internes n'est-il pas la cause d'un processus dans un organisme autrement inerte ; il faut le concevoir plutôt comme modifiant des processus dans un

système actif de façon autonome.

Au niveau psychologique, on aurait pu s'en douter depuis longtemps. En effet, de la naissance à la mort, l'être vivant se comporte ; "si la stimulation lui manque, il la cherche" (Bartoshuk). Toutefois, il reste intéressant de constater qu'au niveau biologique certaines formes d'activité continuent sans stimulation externe. Certaines cellules dans la rétine augmentent même leur degré d'activité dans l'obscurité complète et maintiennent ainsi le système nerveux en état d'éveil, activement "ouvert" aux interactions possibles avec le milieu. Ce qui nous intéresse ici en rapport avec la motivation est le fait que, en absence de besoins organiques et de stimulation externe adéquate, l'individu reste actif (Nuttin, 1980).

5- Motivation comme mécanisme d'adaptation et de stabilité interne (Homéostasie).

Selon le modèle Darwinien de l'adaptation biologique, aussi bien que celui de l'homéostasie, un des aspects essentiels de la motivation humaine, est la tendance à aller de l'avant, à rompre l'équilibre et à aller au – delà d'un état de choses atteint. Cet aspect resté caché pour la plupart des psychologues est une lacune que le modèle biologique partage avec la théorie freudienne de l'inertie et le modèle physique de la décharge d'énergie.

Deuxième partie.

La méthode de travail

L'échantillon

L'échantillon est constitué par 35 enseignants qui enseignet dans 20 écoles publiques en Beyrouth . 19 parmi eux enseignent les classes primaires et complémentaires (5 ♂ 14 ♀) et 16 enseignent les classes secondaires (8 ♂ et 8 ♀). d'autre part , on trouve parmi eux 15 qui enseignent des matières scientifiques (Math, Physique , Chimie et Biologie) et 20 qui enseignent des matières littéraires (Arabe , Français , Anglais et Histoire).

Niveau → / Matière ↓	Primaire et Complémentaire			Secondaire			Total général
	♀	♂	Total	♀	♂	Total	
Scientifiques	5	1	6	5	4	9	15
Littéraires	9	4	13	3	4	7	20
Total	14	5	19	8	8	16	35

Répartition des enseignants selon le sexe, le niveau scolaire d'enseignement et la matière enseignée

L'instrument de mesure :

Le questionnaire comporte 2 questions qui nous permettent d'étudier les conceptions des enseignants concernant les indicateurs de la motivation (question 1) et les types des motivations utilisés dans l'enseignement (question 2) . À noter que dans une prépassation , ce questionnaire a été proposé à un groupe de trois enseignants , et n'a pas subi de modification , ayant été compris par l'échantillon de la prépassation.

Les résultats

Question1: A quoi reconnaissez-vous qu'un élève est motivé ou non?

Réponses	Enseignants secondaires	Enseignants primaires et complémentaires
Attitude attentive	15 (94%)	18 (95%)
Faire des recherches personnelles	7 (44%)	__
Faire une discussion	5 (31%)	6 (32%)
Présence	1 (6%)	__
Faire le devoir	1 (6%)	6 (32%)
Oublier le temps	2 (13%)	__
Travailler en groupe	__	3 (16%)

Les résultats de la première question

Question 2: Quels moyens proposez – vous pour motiver les élèves?

Réponses	Enseignants secondaires	Enseignants primaires et complémentaires
Utiliser des matériels	8 (50%)	4 (21%)
Faire correspondre la leçon au vécu	5 (31%)	__
Faire une discussion d'un problème	8 (50%)	3(16%)
Demander aux élèves de faire le devoir	1(6%)	__
Augmenter ou diminuer la voix	1(6%)	1(5%)
Ecouter bien les questions de élèves	1(6%)	__
Ne repète pas la même idée	1(6%)	__
Demander aux élèves de faire un recherche	2(13%)	7(37%)
Valoriser leurs réponses par par des points "plus"	2(13%)	7(37%)
Reformulation les programmes	1(6%)	1(5%)
Classes vastes, confortables	__	9(47%)
Etude psychologique de l'élève	__	9(47%)

Interprétation des résultats

Question 1 :

"L'attitude attentive " qui comporte les pourcentages les plus élevés pour les deux groupes d'enseignants (94%) ne nous semble pas un indicateur pertinent de la motivation , par contre on trouve des indicateurs pertinents de la motivation (oublier le temps 13% ; faire des recherches personnelles 44%) catégories qui n'existent pas chez les enseignants du primaire et complémentaire. De même " faire une discussion " est présente avec le même pourcentage (31%) dans les deux groupes. Des catégories sont spécifiques des enseignants du primaire et complémentaire : " travailler en groupe ' (16%) et faire le devoir (32%).

Ces résultats montrent que le groupe des enseignants du secondaire est plus en conformité avec la perspective des nouveaux programmes bien que la catégorie de "l'attitude attentive" révèle chez eux un conflit entre deux types de pédagogie, tandis que les enseignants de primaire sont beaucoup plus ancrés dans l'enseignement magistral et ignorent les indicateurs de la motivation.

Question 2 :

L'analyse des réponses pour la question 2 révèle que les enseignants du secondaire se rencontrent essentiellement entre la conception situationniste (utiliser des matériels 50 %) et la conception interactionniste (faire correspondre la leçon au vécu 31 % , et faire une discussion d'un problème 50 %).

Quant aux enseignants du primaire et complémentaire , on constate un fort pourcentage pour la conception situationniste (“ classes vastes confortables “ 47 % ainsi que “ utiliser des matériels 21%) ; d’autre part on remarque un fort pourcentage pour la conception innéiste caractéristique de ce groupe (étude psychologique de l’élève 47 %).

La conception interactionniste apparait également chez ce groupe (“ demander aux élèves de faire des recherches “ 37 % et “ faire une discussion d’un problème “ 16 %). Il est à noter que la catégorie d’une motivation de type béhavioriste a été rencontrée chez les deux groupes mais de manière plus marquée pour les enseignants du primaire et complémentaire (valoriser leurs réponses par des points supplémentaires respectivement 13 % et 37 %)

Conclusion :

Les résultats de cette recherche ont montré l’ignorance des enseignants du primaire et complémentaire des indicateurs de la motivation , les réponses fournies par ceux – ci indiquant un type d’enseignement magistral éloigné de la perspective des nouveaux programmes, alors que les enseignants du secondaire ont fourni des indicateurs plus pertinents.

Concernant les propositions de moyens pour la motivation, les résultats ont permis de classer les enseignants dans des catégories différentes selon le niveau d’enseignement. Les enseignants du secondaire sont essentiellement interactionnistes et situationniste alors que les enseignants du primaire et du complémentaire

sont plus hétérogènes se distribuant entre l'interactionnisme le situationnisme , l'innéisme et le béhaviorisme.

Matière enscignée:

Niveaux d'enseignement :

Åges d'expériences:

Sexe :

La motivation a été définie comme "moteur de l'apprendre "(GIORDAN 98).

1- A quoi rcconnaissez- vous qu'un élève est motivé ou non?

2- Quels moyens proposez -- vous pour motiver les élèves?

Bibliographie

1- ANCONA, L., et al.,1959, La motivation , Paris, Presses universitaires de France.

2- BARTOSHUK , A . K., La motivation , Masson.

3- CHIFFRE J.D., et TEBOUL,J., La motivation et ses nouveaux outils, France, Lienhart .

4- DIEL , P.,1991, (1969), Psychologie de la motivation , Paris , Payot.

5- GIORDAN, A. 1998, Apprendre , Paris , Belin.

6- MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE , 1997, Les programmes de l'enseignement et leurs objectifs, Beyrouth, C.R.D.P.,

7- MUCCHIELLI , A.,1981, Les motivations , Paris , Presses universitaires de France.

8- NUTTIN,J.,1980, Théorie de la motivation humaine, Paris , Presses universitaires de France.

ESL Undergraduate Learners' View of Virtual Assessments During the Corona Virus Pandemic

Dr. Mohamed Hasan Al Kassem, English Language Education

Email: elkassim1972@yahoo.com , kassimmuhammad72@gmail.com

Abstract

The last quarter of 2019 marked the outbreak of the Corona Virus Pandemic, the disease that entirely transformed the face of the world. That transformation necessitated the shift from onsite or face-to-face learning to virtual learning. Because learning and assessment are profoundly interconnected and dependent, this mandated instructors to conduct assessments virtually too. As a case study, this research aimed to investigate ESL undergraduate learners' views of virtual assessment during the Corona Virus Pandemic. The research investigated thirty learners who were studying ESL education courses during their first undergraduate semester of the academic year 2021-2022 at a franchise private university in Tyre district, South Lebanon. The researcher used a Google Form questionnaire with virtual interviews as research tools. Data collected from the questionnaire and the interviews were organized and analyzed qualitatively. Findings showed that virtual assessments were partially effective due to their contribution in evaluating learners' achievements and distribute the ESL course materials properly, despite reporting the presence of some encounters as learners' demotivation, connectivity

scramble, cheating, and plagiarism. The research ended with some recommendations for further future investigations.

Keywords:

Virtual Learning: Cojocariu, V.-M., Lazar, I., Nedeff, V., Lazar, G. (2014) defined it as the type of learning “having in common the ability to use a computer connected to a network, that offers the possibility to learn from anywhere, anytime, in any rhythm, with any means”.

Virtual Assessment (hereafter referred to as VA): Dixon & Worrell (2016) defined it as any means of evaluating learners’ achievements, providing feedback, or improving learners’ proficiency level in “fully online credit courses”.

Article Type: Case Study

Introduction

Virtual learning has mandated virtual assessments and assessment tools. Recently, online exams, quizzes, presentations, writings, etc. have been turned digital. For this purpose, many educational institutions around the world have relied on them for conducting diagnostic, formative, and summative assessments. Various research studies have shown the significant role technological devices play in delivering learning instructions and conducting assessments. In studies like those conducted by Johnston (2004), Baleni (2015), and Ebrahimzadeh & Alavi (2017) there was concern about the impact of technology on facilitating assessments while others like Siviyanti (2014) and

Indrayana & Sadikin (2020) stressed on online methods to deliver instruction including assessments, primarily in higher education. Currently, VA is referred to as the type of evaluation utilized via any technological device or international network. Research studies have pointed to it as an alternative approach to the conventional method of a pen and a paper. In their discussion to support VA, Khairil & Mokshein (2018) claimed that it can provide "direct feedback and scoring, practices and effective time". They also recommend it as a method to consume less logistic expenses as photocopying and answer sheets. There was also a discussion about the variety of assessment tools that instructors can rely on as Google Forms, quizzes, essays, etc. which have left remarkable impacts on the educational process primarily because they enabled instructors to evaluate learners though they are not in the classroom. In this respect, most higher education institutions employed special platforms to deliver virtual learning and VA such as Moodle, Google Meet, Microsoft Teams, Blackboard, etc. with both synchronous and asynchronous features. Lebanese private universities had to deliver instructions and assessments to undergraduate learners during the Corona Virus pandemic. Both instructors and learners had to rely on them though with limited experience in practices, tools, delivery, monitoring, and implementations, which have encountered various challenges. In the university where this research was conducted, instructors utilized Moodle to conduct assessments in various modes such as multiple choice, fill in the blacks, matching, and open-ended questions. Throughout the assessment periods, ESL instructors

of the undergraduate program worked on the assessment of learners via the variety of these modes. Many reported these as a success for enabling them to recognize learners' improvement and ability or inability to achieve the delivered online learning objectives. Others complained about facing several impediments like connectivity, proctoring, and validity. As for learners, the whole issue of virtual learning was novel. All of them came from the same socio-economic background and almost from the same public and private schools that had limited experience in virtual learning and assessment as well. Thus, the issue of VA was novel too. Their experience was so limited. This case study was piloted in the same private university to investigate the views of ESL graduate learners of the implemented VA approach during the frequent lockdown periods caused by the Corona Virus Pandemic. The researcher hoped that the findings and results could assist explore the views of this sample towards VA, so that recommendations could be proposed to instructors, assessors, and programs designers.

Review of the Related Literature

This review is introduced to offer ESL instructors pedagogical assistance through exploring some literature and study's findings.

A. VA Overview

Dixon & Worrell (2016) defined VA as an online procedure to evaluate learners' accomplishment, provide them with feedback, and improvement in any assigned course. They clarified showing that these assessments could be totally online as online exams

or online submissions. Similarly, Robles & Braathen (2004) defined VA as a method to measure learners' progress online through preserving the assessment basics. For this purpose, they confirmed that assessors should work to familiarize assessment tasks to enable them offer learners' effective feedback, achieve accountability, and validate quality. In addition, they viewed VA as a method because it involves evaluating many constituents as well as measuring learners' academic accomplishment.

B. VA Types

As in conventional assessments, formative and summative assessments are the two fundamental types of VA. Colman (2021) argued that a formative assessment can be adopted for the purpose of deciding "how well a student is learning the material". Colman (2021) showed that a formative assessment is more effective if it is "ongoing, consistent, and provides critical feedback to learners". She spoke about performing summative assessments in online learning showing that such assessments are in the form of final exams conducted to evaluate learners' achievement at the end of a course. However, she illustrated various methods through which leaners can be evaluated online such as online quizzes, essay questions, drag-and-drop tasks, interviews, etc. In illustrating the best way to utilize these methods, she showed that this is primarily refers to the learning needs and objectives. To her, conducting an online quiz is a more suitable assessment tool for any instructor if the purpose is to provide a fast check of the learners' understanding. However, if the purpose of the

assessor is to evaluate learners' interviewing abilities, dialogue simulation will be more applicable. Whatever type assessors adopt, VA should have the same academic consistency as face-to-face assessment; it should "align with course and program learning outcomes, provide valuable learning opportunities for students, and have a level of excellence for students to work toward" (Vlachopoulos, 2016).

c. VA Tools

Prior to Covid-19 Pandemic, various assessment tools were provided by educationalists for formative and summative assessments. Hunt et al. (2007) spoke about using online devices as mobiles, tablets, and computers. One familiar tool is the Google Form which is a free online tool that permits assessors to generate forms, surveys, quizzes, etc. Its aim is to evaluate learners' prior knowledge, set goals, and collect data. According to Keeler (2015), it helps assessors get instant and simultaneous answers and offers diverse features such as multiple versions, question banks, setting of time limit, etc. Another tool is the Proprofs Quiz which is an online wide-ranging quiz that enables any user to generate, share, and score VA. Capterra (2019), conveyed that the Proprofs Quiz is an interactive quiz favored by "educators, trainers, educational institutions, and business". Socrative is also a free VA tool. It enables users to generate tests and download others from the web. Via Socrative, assessors can merge formative and summative assessments in snapshot polls and/or polls, in addition to grade learners' work automatically

consuming less time and effort. This tool also enables assessors to evaluate students' learning in real time via surveys, polls, quizzes, etc. Moodle is another VA tool which is an open-source Course Management System (CMS) also known as LMS or virtual learning environment (Teachtaught.com, 2015). It is one of VA approaches that affords ongoing feedback on learners' achievement. According to Padayachee et al. (2018), Moodle comprises the capability to manage teaching, students learning, and all sides of assessment.

D. VA Practices

The pandemic frequent lockdowns mandated VA. To most ESL assessors, it was introduced as a new trend in the educational domain. They practiced it differently based on various academic, social, and technical factors. Oncu & Cakir (2011) clarified that many VA practices were hard to be implemented due to the absence of face-to-face contact with learners. Literature introduced scores of these practices to virtual pedagogy. One of these tools is polls. As indicated by Ozcan-Deniz (2017), polls are online tools used to collect data on learners' perceptions of online content delivery whether at the beginning of the semester, at the middle, or at its end with the possibility to use the same questions for comparison purposes which permits assessors to identify the areas where learners have achievements and areas that demand improvement and attention. Another form of VA practice is discussion boards. Discussion boards are conversations' initiators with easy accessibility, control, and recording. Assessors can

easily score with a grading rubric and follow up learners who require ongoing attention and awareness of what and when to post. A third practice tool for VA is quizzes. Most assessors use quizzes for formative assessment purposes. As ongoing assessment tools, quizzes provide instructors with clear data on learners' progress. Online quizzes can be conducted and given in video lectures form. When recorded, instructors can use the PowerPoint record option and insert the quiz questions between the slides. Many educational institutions around the world utilize projects in both face-to-face and online classrooms. In online classroom assessment, assessors use projects to provide learners the opportunity to collaborate. In onsite classrooms, learners do not know each other well, so interaction and collaboration are not enhanced. Online projects allow learners to communicate, however, in a different way. They can use other tools while working on projects. For instance, some educators advised students to have their finalized work in Google Drive and share files with others. In addition, they can take part in conferences. Because projects typically use real case studies, research indicates that these can enhance learners' critical thinking as well as enabling learners' response to contribute to the virtual classroom teaching strategies. Assessors are advised to adopt specific rubrics to produce an effective evaluation of these projects.

E. VA Benefits

The implementation of VA incorporates various benefits on all sides. Gaytan & Mcewen (2007) believe in the multiple values that

VA has. Gaytan & Mcewen (2007) note that VA enables assessors to provide accurate test results where learners can instantly access into an electronic gradebook. They also claim that VA enhances learner-centered environment, decreases economic costs, and contributes to providing immediate feedback. As shown by Seifert & Feliks (2018), conducting assessments online is of economic worth. It saves papers, printing, photocopying, and energy consumption. Similarly, Khairil and Mokshein (2018) indicate that VA has both economic and ecological benefits. They argued that "paperless" tests are environmentally friendly and demand less costs. This is because the time and materials utilized are reduced to knowledge acquisition and analysis that is performed automatically which reduces administrative work. Seifert & Feliks (2018) explain that VA saves time and reduces the exclusiveness of the classroom as a setting for assessment implementations. VA is accessible anywhere, anytime, and most significantly via any device. Seifert & Feliks (2018) reveal that through VA assessors can provide valuable and immediate feedback as well as computerized grading and reporting systems. This allows assessors or assessment administrators to enhance results, feedback, process grades, recognize learners' improvement, select questions, etc. just by pressing a button. Similarly, Khairil and Mokshein (2018) introduce VA as a good approach that affords auto correction and grading. This is supported by the fact that assessors can generate any assessment using online platforms which could correct learners' answers automatically and provide scores instantly. All these opts have high accuracy, and

most importantly free of any charge. Also, Khairil and Mokshein (2018) argue that VA enables assessors to provide oral and written feedback. Assessors have the chance to provide quality and detailed feedback for learners who can take advantage of it instantly. They show that VA questioning, grading systems, measurement, and measurement tools are reliable and valid. There is no place or space for errors or unfair results among any test or quiz candidates. Khairil and Mokshein (2018) applaud VA for its practicality. They argue that it can be performed at any time, any place based on the assessors' choice and the surrounding circumstances, with a considerable flexibility in the learning pace. Part of the VA practicality goes for the capability of the utilized technological device to handle much more work than those available via any printed or hardware materials. Khairil and Mokshein (2018) believe that VA can generate distinctive situations that leave an impact on learners' enthusiasm and attitude. They agree that VA is "more unique, fun and absolutely meets the demands with what needed in 21st century where "successful students are influenced by individual differences in motivation and achievement".

F. VA Challenges

Like all types and forms of assessments, VAs encounter diverse challenges. Hricko & Howell (2006) stated several challenges that learners and assessors might have while being exposed to any VA. One challenge, according to Hricko & Howell (2006), is that relying on VA necessitates awareness of certain technological

skills, applications, programs, etc., such as typing and creating multiple screens. They add that some assessors and learners cannot endure reading passages on a computer or tablet screen, mainly long ones which may lead to fatigue. They also report that some learners are unable to see the entire passage, question, or exam through the screen "because some items require[s] scrolling horizontally and vertically to get an entire graphic on the page". Laitusis (2020) highlights the variety of educational environment as a VA challenge, and as instruction adapts to the new virtual context, assessment should do so too. Laitusis (2020) shows that parents and their views are excluded while considering VA where they should be "called upon to provide appropriate support and supervision for their children". Laitusis (2020) believes that parents require guidance and resources to offer settings "conductive to learning". Another challenge introduced by Laitusis (2020) is that VA is unfair for learners with certain disabilities. It is obvious that VA does not take into consideration learners with intellectual, learning challenges, or visual problems. These, in addition to test time extension, are excluded and those types of learners were not aided with any individualized support. Furthermore, Laitusis (2020) confirms that VAs were unfair since many learners did not have reliable internet or technology access. It has been revealed that around 30% of online learning children do not have adequate access to the internet.

I. VA Recent Research Review

During the last two decades, researchers conducted numerous

research to investigate the VA efficacy in education in general and in the ESL context in particular. Such research has covered countless issues related to VA as effectiveness, challenges, perspectives, advantages, principles, practices, etc. This research reviewed the most recent ones to attain a comprehensive perception of the fundamental inferences in the field of virtual assessment. To start with, Ozden et al. (2004) conducted a descriptive study to investigate learners' perceptions of utilizing computer-assisted assessments and to examine the possibility of relying on learners' reviews to validate assessments. For this purpose, the researchers generated a website for implementing assessments at Kocaeli University, Turkey. As a qualitative study, the researchers used surveys and interviews to collect data from the participants who were third –year students. Research results showed that "instant feedback, randomized question order, item analysis of questions, and obtaining scores immediately" were the most significant features of VA. Analysis also indicated that despite the presence of many challenges and the sore need for improvements, participants perceived VA as effective and accepted it, mainly computer friendly learners. In a different context, Birch & Volkov (2007) surveyed University of Southern Queensland learners' perceptions of utilizing online discussion boards as assessment tools. This qualitative study was conducted on 70 ESL and EFL students via an electronic survey. Respondents of the survey reported their perceptions regarding "a compulsory assessment item" including contributions to online assessment. Findings indicated that most participants

“enjoyed the assessment item” and consented that VA helped them achieve some social and cognitive learning outcomes. Other findings showed that participants viewed VA as beneficial where they were able to share experience with peers and “reduce the feelings of isolation”. In 2014, Johnson & Palmer in their study at an undergraduate state university examined whether linguistics is more suitable for face-to-face than online context. Where they surveyed assessment scores and participants' perceptions of the efficacy of introductory linguistics course. The researchers used a survey to investigate learners' perceptions. In the analysis of the survey's outputs, they concluded that linguistics and maybe other courses are appropriate for both online and face-to-face contexts. They also showed that participants viewed linguistic content and assessment effective. Later, Brown & Lally (2018) in a common international project between two higher education institutions in Finland and Ireland investigated issues regarding online assessments. The research relied on surveys and interviews as data collection tools, where participants from the two educational institutions were set in various discussion interviews. Research findings validated that many participants showed low confidence and low awareness of ongoing assessment. They encountered challenges when they conducted online assessments. Other results revealed that participants' “perceptions of efforts and reward” differed from those of their instructors. On the other hand, Hussain et al. (2020) piloted a mixed approach study to examine learners' perceptions of online assessment during the first wave of the Corona Virus Pandemic. The study participants

were 302 learners in UAE during their second semester. The research adopted both qualitative and qualitative tools to collect data. Through analysis it was evident that learners with High GPA were less contented with online assessment. The researchers noted a reversed correlation between the learners' GPAs and the satisfaction degree, and learners' preference to implement both online oral exams and on campus testing. In the same year, though in a different context, Adanir et al. (2020) conducted a mixed approach study where 370 undergraduate participants from Turkey and Kyrgyzstan were included. The participants were having online courses for the first year. The aim of the research was to study learners' perceptions of online assessment. The study utilized a survey to collect qualitative data on learners' perceptions. Simultaneously, quantitative tools were used for analysis. Findings revealed that learners' perceptions vary according to many factors like gender, major, and experience in online learning. Analysis also indicated that Turkish learners' perceptions differ from those of Kyrgyz. Turkish learners who viewed online assessments less stressful, more reliable, and fairer than the conventional assessments. Recently, Meccawi et al. (2021) piloted a cross-sectional descriptive mixed method study for the aim of investigating both learners and instructors' perception of online assessment. The participants were 547 undergraduate students and 213 instructors at King Abdul-Aziz University- KSA. To collect qualitative data, the researchers prepared two different questionnaires for learners and instructors. Major findings highlighted participants' complaint about various

problems such as cheating, plagiarism, in addition to learners' low awareness of exams' ethics. The last study in this review was conducted in 2021 by Yuliano & Mujtahin. who implemented a case study to explore instructors' perceptions and practices of online assessment during the Corona Virus Pandemic circumstances. The researchers utilized an open-ended questionnaire and online interviews with participants who were instructors in the ELT context. Unfortunately, this case study's finding reflected instructors' negative attitude towards online assessment because they believed in the availability of various impediments as connectivity, validity, and learners' lack of motivation. Yet, results showed that online assessment contributed to materials distribution and testing learners' accomplishments. To sum up, the conducted research studies in the last two decades have investigated the implementation of online assessment with special emphasis on the employed strategies and learners' attitude. Some of these disclosed promising results as presented in the studies of Ozden et al. (2004), Birch & Volkov (2007), Johnson & Palmer (2014), Adanir et al. (2020) who highlighted the effectiveness and usefulness of conducting online assessment as an approach which could replace the other conventional methods. However, others as those conducted by Brown & Lally (2018), Meccawi et al. (2021), Yuliano & Mujtahin (2021) reported negative attitudes and the presence of challenges with limited significance of online assessment, which necessitates the need for further investigation and research. This current qualitative case study research intends to provide further investigation to ascertain whether

online assessment is viewed positively or negatively by ESL undergraduate learners. The researcher hopefully anticipates that this research could fill in the gap primarily in the undergraduate language instruction investigation and provide ESL academics and assessors with beneficial recommendations.

II. Methodology

A. Research Method

This study adopted the case study methodology. The researcher found the qualitative case study approach appropriate for this research because it served its purposes well. As indicated by Bonney (2015), a case study is an approach founded on the description of "a real or hypothetical situation that requires a solution or action". On the other hand, Duff, P. (2015) argues that the case study methodology enables researchers to study a case profoundly, so that they can attain "understanding of individuals' experiences". Duff, P. (2014) also shows that this approach paves the way for a comprehensive understanding of the case's perception, improvement, or achievement within a certain "linguistic, social, or educational context". These motives contributed to the researcher's quest for adopting this methodology in this research.

B. Research Context

This case study was conducted at a franchise private university in Tyre district, South Lebanon where English is communicated as a first foreign language of instruction in most majors. This private

university adopts an international English language curriculum designed primarily for learners studying English as a second language based on a validated placement test that determines learners' proficiency levels. The study took place during the academic year 2021-2022 and lasted for a period of 15 weeks.

C. Research Instruments

As a qualitative case study, this research utilized two tools in its quest for collecting data. The first tool was a Google Form Questionnaire to investigate participants' insights of the implemented online assessments. On the other hand, and for the purpose of verifying participants' responses and dig out their insights, the interview approach was adopted where the interviewer followed a formalized list of questions. The researcher took advantage of the kinds and types of the English course assessments conducted throughout the semester to generate questions and conversation starters to enhance mutual communication. Each interview took place for around 15 minutes, where participants shared their experience and reflected their attitudes of virtual assessment.

D. Research Participants

The research participants were thirty students studying ESL as a foundation course during their second undergraduate semester at a franchise private university in Tyre district, South Lebanon. The participants ages ranged from 18 to 21. Nineteen participants were females and eleven were males. Yet, gender was not regarded as a variable in this case study. All participants studied English as a second language since the primary educational stage in public

and private schools. Participants were from the same socio-economic background.

E. Research Analysis and Discussion

During the investigation period, the researcher incorporated participants in an online Google Form questionnaire completion to collect data to explore their insights of the implementation of online assessment in the undergraduate foundation ESL classrooms. However, the interviews with participants were conducted to collect additional data and involve them in more discussions to reach more accurate responses on their perceptions.

i. Data Collected from the Questionnaire

In reference to the Google Form questionnaire that participants completed online, the responses were collected and grouped. See the attached table.

The statistics conveyed by the questionnaire clearly states participants' partial contentment of online assessment. It is evident that many participants found online assessment practical and beneficial on various levels. Regarding accessibility, around half of participants (46%) agreed that online assessments were easily accessible and 14.25% strongly agreed with this statement while only 24% disagreed and 15.25% strongly disagreed with it. Most participants reported that the implemented online assessments served the same purposes of the conventional ones as paper-based assessments. In this respect, 40.25% agreed with this assertion, 45% strongly disagreed while only 11.25% disagreed,

and 3.5% strongly disagreed. In addition, a considerable number of participants regarded online assessment as able of providing the same results as the conventional methods. So, 39% of them agreed and 47% strongly agreed with this point while 10.5% disagreed and 3.5% strongly disagreed. Furthermore, 21.5% agreed and 76.25% strongly agreed with the statement that online assessments provide free-error score while only 1.25% disagreed and 1% strongly disagreed with this assertion. There was almost a consent on the idea that online assessments always provide questions with clear and specific instructions. So, 66.25% strongly agreed and 26.25% agreed with this point while only 6.25% disagreed and 1.25% strongly disagreed. Moreover, most participants admitted that correction and results were fast. This was clear through the percentages above: 11% agreed and 87% strongly agreed with only 2% who disagreed. On the other hand, many participants criticized online assessments due to the various encounters that faced learners. For instance, many participants rejected the idea that this new form of assessment was fair to all learners (37.25% disagree and 27% strongly disagree while only 21% agreed and 14.25% strongly disagreed). Many participants accused online assessments for time consuming. Around 17.25% agreed and 4.25% strongly agreed with the statement that online assessments consumed less time than the conventional assessments. Yet, 63.5% disagreed and 15% strongly agreed. For the statement that online assessments required more preparation than the conventional assessments, only 7% agreed and 3.75% strongly agreed while 8.25% disagreed and 81% strongly

disagreed. In response to the statement that instructors' online feedback was clear and comprehensive, only 10% of respondents agreed and 18% strongly agreed while about 53.75% disagreed and 18.25% strongly disagreed. Also, only 30.5% agreed and 26.25% strongly disagreed with the idea that online assessment feedback was helpful whereas 39.5% disagreed and 4.25% strongly disagreed. As for improving learners' abilities, only 26% agreed and 9% strongly agreed with 52.5% who disagreed and 12.5% strongly disagreed. About 13.75% of learners agreed and 83.25% strongly agreed that online assessments paved the way to cheating and avoid proctors monitoring while only 2% disagreed and 1% strongly disagreed. Regarding network connectivity and power supplies, 23.25% agreed and 71.25% strongly agreed whereas 4.25% disagreed and 1.25% strongly disagreed that these were always a problem in online assessments. Through answering the question about motivation, only 13% agreed and 4% strongly agreed while as 61.5% disagreed and 21.25% strongly disagreed that online assessments increased their motivation to learn. The most important part in the questionnaire was related to having the same experience with online assessment. Only 9.1% agreed and 15% strongly agreed 32% with 43.5% disagreed and 0.4% strongly disagreed with the idea that they felt interested about being assessed online next semester.

ii. Data Collected from the interviews.

Data extracted from the interviews showed various attitudes towards the implementation of online assessment. These can be

categorized into four points.

1. Participants' Insights

All participants applauded the idea that online assessments enabled instructors to evaluate them and graded the conducted formal and summative assessments. They also considered them as "a new trend" that involved learners in "new learning experiences". In addition, participants revealed that the online assessments helped them do their exams even under the Corona Virus Pandemic strict lockdown periods, which was better than postponing exams for months or to the next semester or year. They reflected a positive attitude towards the idea that conducting assessments online contributed to keeping social distancing and avoiding the risk of infection. However, various responses reflected many negative attitudes and complaints. It was so clear that both assessors and learners encountered electricity failure while making the assessments. The Corona Virus Pandemic lockdowns concurred with an economic crisis in Lebanon where Lebanese faced long periods of electricity failure. Many of the interviewed assured having "no electricity at the time of the exam". This problem coincided with connection disruption and instability. Most learners reported the inability to access the online assessments on time, or even being disconnected while the assessment was in progress. These "put us down" as one interviewer replied. Another interviewee replied with an angry tone "I prefer exposing myself to Corona Virus than making an exam online". Another showed that throughout the whole semester she did not complete one exam

without electricity or connectivity problems. The participants' negative attitude had also roots related to experience. Almost all the interviewees confirmed that it was their first experience with online assessment. A participant showed "everything was new to me even typing my answers using the keyboard was new". Participants showed a negative attitude towards online assessments for being deprived of the chance to have the appropriate training on using the platforms, such as Moodle. They reported their illiteracy in these platforms' skills. Many argued that they are against being tested via the platforms, and the majority assured that they only had brief information one day before the exam about the required skills such as logging in and out, inserting answers, moving from one page to another, making modifications, etc. Some others clarified their negative insights through the stressful situations and worry online assessments put them in. There was worry about "losing all answers", "fail to submit answers", or "the instructor will not find my answers". These kept learners "anxious all the time", as many assured. These were not the only issues behind the participants' negative attitude. Many reported the instructors' lack of experience in setting online tests or quizzes regarding timing, types of questions, and number of question sets. The majority of participants indicated that their instructors should have regarded the time issue while preparing the exams, and they should have even made a balance between the multiple-choice questions, fill in the blanks, and the open-ended questions. Each type of these had its conditions, grades, and allotted time. Many instructors discarded these facts, students reported. As a result,

participants encountered many issues that affected their attitude towards the acceptance of online assessments though there was a confirmation of their worth primarily in evaluating learners' achievements and grading their work.

2. Learners' Motivation

During the pandemic, online assessment was proposed as the only available solution to evaluate learners' achievements and work. Many academics proposed varying instructional and assessment methods and tools to enhance learners' motivation. As a new trend in the private university where this study was conducted, online assessment failed to serve this purpose. The many problems that learners encountered such as electricity failure, connectivity, lack of experience, etc. made them less enthusiastic. For instance, being unable to access the assigned test or quiz on time demotivated many learners. One of the interviewed participants reported that her peers were "stressful all the time" and "got panicked the moment they heard about any upcoming evaluation". They referred to this state to anticipating an "endless list of technical problems". Many reported their worry about submitting assignments and tasks on the due time because some of them had "only one laptop at home where there were many children waiting to have their work done online". This issue, as many participants confirmed, was also "applicable on online learning not only on online assessment". To enhance learners' motivation, some instructors were flexible regarding the timing issue. For instance, many participants admitted that instructors

extended tasks or tests submission time to overcome the stressful states and worry students encountered, so that they became more enthusiastic. Yet, many of the interviewees showed that even with the extension of the assessments time limit, learners were overwhelmed and burdened with the same worries. As a measure taken by most educational institutions around the world, the status of pass/fail was applied instead of the grading system for each course, as normally adopted before the pandemic. Even with this measure learner were not motivated. A considerable number of the interviewees showed a lack of enthusiasm. Many said that they were still “afraid of the same result” showing that “even with the pass or fail result, we fear of not passing the course in the end”. Moreover, after contacting some of the participants’ instructors, they confirmed adopting some strategies to motivate learners as involving them in preparing certain tasks or projects to be presented as parts of ongoing assessment. To a certain limited extent, this worked with some learners who practiced well before performing online. Some others, as instructors reported, recorded their presentations, and sent them as unsynchronized material. The rest of learners remained with the same state of “enthusiasm deficiency”, as one interviewed participant called it. In reference to the above results which reflect the participants’ motivation, it could be obviously stated that learners were less motivated about having their assessments online due to the ongoing states of worry they encountered, despite the various measures taken in this respect by the university administration and instructors.

3. Online Assessment Efficacy

Assessment is the procedure through which instructors or assessors consider the information, understanding and skills of learners. Assessment also has a significant part in the learning process, and therefore in the learning opportunities. As discoursed by Davis (2010), an assessment should meet certain values or outcomes to attain its efficacy. Davis (2010) stressed that an assessment should provide learners with high quality feedback information that contributes to self-correction. Many of the interviewed participants assured that the feedback they got from instructors was limited. Some reported that many of their answers, mainly those related to open-ended questions, were only graded. Instructors left no direct or indirect feedback. Hence, participants lost the opportunity to reach the stage of practicing auto-correction. In addition, some of the participants noted that the conducted assessments, formative and summative, affected their learning proficiency positively. They showed that these online assessments were supportive to their skills and understanding. However, many disagreed with this view showing that the exams and assignments they had for evaluation were merely recitations of the information delivered during classroom instruction. Participant NF showed that she "got so little from the assessments" and the only thing she gained was "only the grade". Interviews also showed that the online assessments failed to encourage all learners to interact and involve in dialogue around learning. They lost the opportunity of feedback dialogue in

the form of peer feedback or instructor feedback. Many claimed that the assessments were not proactive. They lacked the needed interaction among learners. Many interviewees admitted that they "got instructions, studied the learnt materials, sat for an exam, and got the results. Nothing else was done for us". This shows that assessment went off its course. It should have involved learners in interaction and dialogue. Ten of the interviewees stated that online assessments involved them in decision making about the assessment strategies and practices. They showed that in some of the quizzes, instructors asked them about their preference of multiple-choice questions, filling in the blanks, or essay answers. However, more than twenty participants had no role in the instructors' choice of the assessment strategy and four ones had no idea about the intended instructor's plan. They showed that being informed about the assessment policy would have contributed to getting better results. Many spoke about this point with confirmation that they had lost the opportunity whereas "during the conventional paper-based assessments everything was so clear". As indicated by Davis (2010), it is expected that an assessment should encourage positive motivational beliefs and self-esteem. According to data collected from the interviews, no participant had a positive response when inquired about this point. All participants complained about their inability to feel enthusiastic about the performed assessments showing that the impact of these assessments was so limited, and it failed to enhance their motivation to learn. Furthermore, there were many responses from participants which reported that the online

assessments and assignments did not provide the appropriate information for instructors and assessors which could be utilized in contributing to their teaching strategies and practices. On this point, one participant commented saying that “nothing used to be changed after each assessment, just some oral feedback and comments on our mistakes. In the next session, everything is done in the same way”. There was even a negative response on the question about the impact of online assessment to support the development of learning groups and learning communities with the inability to clarify what good performance was in relation to objectives, criteria, and standards, as shown in Davis (2010). Based on all the above, it was obvious that the efficacy of the conducted online assessments was so limited.

4. Online assessment Evaluation

The worthiness of online assessments during the Corona Virus pandemic was unquestionable. There were many positive attitudes in the interviews that applauded them. Many of the interviewees stated that the assessments they had had an impact on the learning process in general. The conducted assessments, as many participants reported, enabled instructors to follow up learners’ progress especially through the formative assessments represented by the short quizzes and assignments that were done during the learning sessions. They contributed to the instructors’ ability to evaluate at any time and place, and instructors can track learners’ performance at another time (Seifert, 2018). Participants also confirmed that the assessments contributed

to providing an actual but not an accurate image about their achievement of the course predetermined objectives. Still, there was a confirmation about keeping learners aware regarding the seriousness of assessments and evaluations with frequent announcements that students will get a pass or fail result when the semester terminates. However, the interviews revealed learners' dissatisfaction about assessments' efficacy. Many participants disclosed the ineffectiveness of the measurement instructors did. Learners complained about the instructors' inability to monitor all students during assessments which led to inaccurate results and evaluations. Also, most participants complained about their inability to submit their finalized work on time due to the frequent internet connectivity problems. They even complained about their frequent failure to edit or revise their answers after submission due to the lack of experience and practice. During the interviews, most respondents reported problems in restoring their answers whenever they moved from one place to another in the assessment. Participant LM confirmed that he lost all his answers in the first two assessments he had, and in both times the instructor interfered to aid tackle the problem. At least fifteen participants, including LM, encountered similar problems in various assessments "primarily in the first part of the semester" and "due to the instructor's cooperation and understanding that we passed them".

Conclusions

To wrap up, this case study survey was piloted for the aim

of exploring undergraduate ESL learners' view of online assessment during the Corona Virus pandemic. After thorough investigation of the participants' views, it was clearly revealed that learners viewed online assessments as partially effective where they disclosed that such assessments provided solutions as alternatives to the conventional paper-based assessments. However, most respondents focused on the challenges they encountered throughout the entire semester which contributed to holding negative attitudes towards online assessments in general. Specifically, findings revealed that instructors succeeded in utilizing various assessment approaches to evaluate and measure learners' achievements and progress as quizzes, essay questions, and forum posts as discussed by Colman (2021). Other tools were also used as Google Form (Keeler,2015), Proprofs Quiz (Capterra ,2019), Socrative, and Moodle with several practices such as polls, discussion boards, quizzes, projects, and conferences. To a certain extent, the frequent implementation of these enabled both assessors and instructors to achieve learning objectives. Findings of this research reflected this through the participants' confirmation that the instructors evaluated their work through various ways and provided scores with feedback to improve future work. There was confirmation from learners on the value of VA such as doing assessments from home at any time or place without being stuck to the work schedule and settings. There were also many voices that applauded online assessments for enabling assessors to provide automatic scoring and feedback with reliable and valid measurements. These

findings agreed with Ozden et al. (2004), Birch & Volkov (2007), Johnson & Palmer (2014) whose research findings reflected positive perceptions from instructors and learners towards VA. Yet, the same findings revealed many opponents of the idea of online efficacy due to the frequent challenges they encountered. For many participants, online assessments were unfair to all learners due to the numerous logistic and technical problems they frequently had. They also complained about consuming more time than the conventional assessments because most learners, instructors, and assessors lacked the experience in utilizing “this new trend”, as some participants in the interviews liked to call it. Furthermore, a considerable percentage of participants believed that doing assessments online required more preparation, where many showed that the feedback provided by instructors was unclear, incomprehensible, and not helpful. They also showed that the assessments went off their course and did not serve their purpose since they did not improve the learners' proficiency levels, as most participants revealed in the questionnaire. The most shocking finding was that most participants did not favor that experience with online assessment; they did not get motivated and rejected to be involved again in a similar experience. These findings agree with Adanir et al. (2020), Meccawi et al. (2021) and Yuliano & Mujtahin (2021) who showed the limited efficiency of online assessments and the negative attitudes both instructors and learners held. As a result, this study showed that conducting online assessments during the Corona Virus Pandemic was not completely efficient for both learners and instructors who

encountered numerous challenges that should be considered by academics and assessors in conducting any future online assessments. Therefore, it is worth confessing that these survey results could have been different if the sample had been more representative. The research was conducted in a limited area and encompassed only 35 ESL undergraduate learners from one private university in Tyre district- South Lebanon. Thus, the research findings were primarily based merely on the perceptions of this limited group. For further research, therefore, the researcher recommends increasing the number of participants, involving instructors, and covering more universities to make the sample more representative. It is also recommended to utilize other research instruments as observations to achieve more validated results.

References

Adanir G.A. et al. (2020). Learners' Perceptions of Online Exams: A Comparative Study in Turkey and Kyrgyzstan. International Review of Research in Open and Distributed Learning. Volume 21, Number 3

. http://www.irrodl.org/index.php/irrodl/article/view/4679/5331.

Bahar, M., & Asil, M. (2018). Attitude towards e-assessment: influence of gender, computer usage and level of education. Open Learning: The Journal of Open, Distance and e-Learning, 00(00), 1-17. Retrieved from https://doi.org/10.1080/02680513.2018.150352.

Baleni, Z. G. (2015). Online formative assessment in higher education: Its pros and cons. Electronic Journal of e-Learning, 13, 228-236.

Birch, Dawn & Volkov, Michael (2007) Assessment of online reflections: Engaging English second language (ESL) students. Australasian Journal of Educational Technology 2007, 23(3), 291-306

Bonney, K. M. 2015. Case study teaching method improves student performance and perceptions of learning gains. Journal of Microbiology & Biology Education 16 (1): 21–28.

https://www.ncbi.nlm.nih. gov/pmc/articles/PMC4416499/

Brown K, Lally V. (2018). Rhetorical relationships with students: A higher education case study of perceptions of online assessment in mathematics. Research in Comparative and International Education. 2018;13(1):7-26. doi:10.1177/1745499918761938

Cojocariu, V.-M., Lazar, I., Nedeff, V., Lazar, G. (2014). SWOT analysis of e-learning educational services from the perspective of their beneficiaries. Procedia-Social and Behavioral Sciences, 116, 1999–2003.

Colman, H. (2021) 9 Assessment Methods for Using Online Learning (ispringsolutions.com).https://www.ispringsolutions.com/blog/8-ways-to-assess-online-student-learning

Davis, S. (2010). Effective Assessment in a Digital Age A guide to technology-enhanced assessment and feedback. http://survey.jisc.ac.uk/digiassess

Duff, P. (2014). Case Study Research on Language Learning and Use. Annual Review of Applied Linguistics, 34, 233-255. doi:10.1017/S0267190514000051

Dixon, D.D., & Worrell, F.C. (2016). Formative and summative assessment in the classroom. Theory Into Practice, 55(2). doi-org.ezproxy.lib.ucalgary.ca/10.1080/00405841.2016.1148989

Duncan & Cohen (2011) Exploring Learner-Centered Assessment: A Cross-Disciplinary Approach. International Journal of Teaching and Learning in Higher Education. Vol. 23 No. 2, 2011, 247.

Ebrahimzadeh, M., & Alavi, S. (2017). The effect of digital video games on EFL students' language learning motivation. Teaching English with Technology, 17(2), 87-112.

Gaytan, J., & McEwen, B. C. (2007). Effective Online Instructional and Assessment Strategies. American Journal of Distance Education, 21(3), 117–132. https://doi.org/10.1080/08923640701341653

Hunt, M, et al. (2007). The use of ICT in the assessment of modern languages: the English context and European viewpoints. November 2014), 37–41.

E. T. Hussain, et al. (2020). Students' Perception of Online Assessment During the COVID-19 Pandemic: The Case of Undergraduate Students in the UAE. 21st International Arab Conference on Information Technology (ACIT), 2020, pp. 1-6, doi: 10.1109/ACIT50332.2020.9300099.

Hricko, M., & Howell, S. L. (2006). Online Assessment and Measurement: United States of America. Information Science Publishing.

Indrayana, B., & Sadikin, A. (2020). Penerapan E-Learning Di Era Revolusi Industri 4. 0 Untuk Menekan Penyebaran Covid-19. 2(1), 46–55.

Inoue, M., & Pengnate, W. (2018). Belief in foreign language learning and satisfaction with using Google classroom to submit online homework of undergraduate students. 5th International Conference on Business and Industrial Research (ICBIR) (pp. 618-621). IEEE.

Johnson, David & Palmer, Chris C. (2014). Comparing Student Assessments and Perceptions of Online and Face-to-Face Versions of an Introductory Linguistics Course. https://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.892.8014&rep=rep1&type=pdf.

Johnston, T. C. (2004). Online homework assessments: Benefits and drawbacks to students. Academy of Educational Leadership Journal, 8(3), 29-40.

Khairil and Mokshein. (2018). 21st Century Assessment: Online Assessment. 8(1), 659–672. https://doi.org/10.6007/IJARBSS/v8-i1/3838

Koç, Selma et.al. (2015). Assessment in Online and Blended Learning Environments. USA: Information Age Publishing Inc

Kim, N., et al. (2008). Assessment in Online Distance Education: A Comparison of Three Online Programs at a University. 16.

Laitusis, Vytas (2020) Assessment Challenges in a Remote Learning Environment https://www.hmhco.com/people/vytas-laitusis

Meccawi, Z. et al. (2021) Assessment in 'survival mode': student and faculty perceptions of online assessment practices in HE during Covid-19 pandemic. International Journal for Educational Integrity (2021) 17:16

Oncu, S., & Cakir, H. (2011). Research in online learning environments: Priorities and methodologies. Computers & Education, 57(1), 1098–1108. https://doi.org/10.1016/j.compedu.2010.12.009

Ozcan-Deniz, Gulbin. (2017). Best practices in assessment: a story of online course design and evaluation.

Ozden, M., et al. (2004). Students' Perceptions of Online Assessment: A Case Study. 19.

Padayachee, P., et al. (2018). Online Assessment in Moodle: A Framework for Supporting Our Students. 32(5), 211–235.

Rena M. & Pratt K. (2009). Assessing the Online Learner, United States of America: Jossey-Bass.

Robles & Braathen (2004). Online Assessment Techniques. Vol. XLIV. No. 1., 39. 47 29

Seifert, T., & Feliks, O. (2018). Assessment & Evaluation in Higher Education Online self-assessment and peer-assessment. Assessment & Evaluation in Higher Education, 0(0), 1–17.

Silviyanti, T. M. (2014). Looking into EFL students' perceptions in listening by using English movie videos on YouTube. Studies in English Language and Education, 1(1), 42-58.

Vlachopoulos, D. (2016). Assuring quality in e-learning course design: The roadmap. International Review of Research in Open and Distributed Learning, 17(6). doi.org/10.19173/irrodl. v17i6.2784

Yulianto, D. & Mujtahin, N.M. (2021). Online Assessment during Covid-19 Pandemic: EFL Teachers' Perspectives and Their Practices. Journal of English teaching, 7(2), 229-242. DOI: https://doi.org/10.33541/jet. v7i2.2770

Reading Beyond Lines: A Semiotic Analysis of News Headlines

DR. Zeina Mohammad Rashid Al Zoabi

Abstract

The entire world of social realities is undoubtedly a reflection of respective mental representations. These cognitive operations are manifestations of sign systems that contribute to critically conveying meaning and transferring messages. In this context, this study adopts a semiotic perspective to approach the media discourse, particularly at the level of news headlines. The research procedure entailed selecting 10 headlines from diverse Arab media sources reporting the Israeli strikes on Lebanon amid the Gaza conflict. This semiotic approach involved adopting Barthes' Semiotic Theory which allows for exploring the functionality of signs, symbols, and images in the studied context. Accordingly, the reported findings revealed that diverse ideologies are encoded in the news discourse loaded with multiple invisible meanings and implicit messages. The interpretation of sign elements revealed the depth of meaning veiled between lines. Besides, the use of symbols and visuals exhibited a vital interplay with other sign elements that contributed to relaying the intended meaning by shaping the semiotic tapestry of news headlines.

Keywords: Semiotics, news headlines, signs, symbols, visuals

Introduction

As the exhibition of human interaction mirrors a cognitive endeavor, the communicative process is undoubtedly a combination of sign systems. These sign elements encompass intricate mental operations that structure the communicative process by enabling the transfer of the intended meaning. At this level, the power of language is manifested in the capability of signs and symbols to serve linguistic functions displayed in illuminating shades of meaning that resonate in the communicative process. This accentuates the nexus between semiotics, semantics, and pragmatics as three major linguistic disciplines that reflect diverse cognitive operations underlying meaning-making. In the realm of semiotics, the functionality of signs, symbols, and images provides deep insights into the multiple invisible cognitive strategies that allow for implicitly transferring ideologies and beliefs to the audience through language.

Unleashing the power of semiotics within the media discourse, reported news appears to be a myriad of ideologies and beliefs encoded within a news discourse. These invisible messages are only accessible through decoding the signs and symbols employed in structuring the discourse. This is reflected at the level of news headlines in which multiple language components and semiotic aspects are critically mingled in a way that influentially relays meaning. The acquisition of meaning at this level extensively relies on the audience's critical thinking and analytical skills that allow for unveiling the messages hidden behind explicit signs and symbols. This crystalizes the vital interactive function of headlines

that displays the power of semiotic elements in instigating mental operations in the audience's cognition contributing to enhancing the meaning-making processes.

In light of the aforementioned, meaning acquisition in the media context emanates as a complex process emphasizing the criticality of reading beyond lines in the news discourse. Accordingly, the conducted research approached this specific matter of meaning display in the news discourse highlighting the functionality of signs and symbols in news headlines. This semiotic perspective promotes the perception of meaning-making in the news discourse accentuating the interplay between cognitive operations and communication in the external world of socio-political realities. Therefore, this study allows for unveiling the semiotic tapestry of news headlines through the lens of Barthes' Semiotic Theory.

Statement of the Problem

In the realm of communication and interaction, meaning is an intricate and complex process. As discourses embody layers of meaning, perceiving the intended meaning is very critical. Accordingly, the criticality of this issue lies in leading the audience to diverse misconceptions and misunderstandings that can hinder the communicative process. At this level, perceiving the intended meaning mainly within the media context necessitates the consideration of diverse linguistic levels and disciplines that interact with each other in a way that portrays the intended message. Among these disciplines, semiotics is a considerable field that effectively contributes to shaping the process of meaning-making

through managing signs and symbols. In this context, signs are mental representations of external occurrences that appeal to the audience's cognitive operations influencing the comprehension and interpretation of meaning. Therefore, any misunderstanding of the intended meaning veiled behind signs and symbols can critically hinder the communicative process.

In the context of media discourse, the communication of news is influenced by the ideologies and beliefs underlying the external surface of meaning display. These ideologies serve as invisible messages communicated to the audience through signs, symbols, and visuals that should be critically decoded to obtain the intended meaning that they carry. As these systems of signs undergo a mental process in associating external realities with mental conceptions, it is essential to explore the functionality of these elements in the news discourse. Without this consideration, the transmission of the intended meaning in the news discourse might be hindered contributing to impeding the efficacy of the news discourse.

Purpose of the Study

Attempting to address the aforementioned research problem, this study aims to approach the news discourse through the lens of semiotic analysis. This allows for exploring the semiotic tapestry delineating this discourse mainly at the level of news headlines. Accordingly, this study explores the linguistic and semiotic content of 10 Arab news headlines reporting the Israeli strikes in South Lebanon. Throughout this exploration, the researcher highlights

the significance of sign systems in relaying the intended meaning through denotation, symbolism, and connotation. Besides, the conducted research intends to accentuate the power of the visual context in promoting the display of meaning coupled with the effective transmission of hidden ideologies and beliefs. Through this semiotic approach, this study highlights the interplay between meaning in discourses and the mental representations of sign systems in human cognition. This unveils the diverse strategies employed in the media context in an attempt to shape the audience's behavior by instigating defined mental representations that align with particular ideologies and purposes.

Research Questions

In light of the stated purpose, and as a means of addressing the aforementioned problem, the researcher posed the following research questions:

1. How does contemporary media incorporate sign systems in the news discourse at the level of headlines?
2. How is meaning semiotically encoded in the visual context of signs and symbols in news headlines?

Literature Review

Semiotics: Definition and Background

Through the vantage point of semiotics, human communication is perceived as an array of signs and symbols incorporated within the meaning-making process. In identifying the nature of semiotics, Nilan (2007) defines this field as "the study of signs

and signifying practices… It is argued that there is no inherent or necessary relationship between that which carries the meaning (the signifier) and the actual meaning which is carried (the signified)" (p. 60). This definition provides deep insights into the communicative process revealing how the entire human interaction can be framed in the context of encoding, decoding, and exchanging signs (Arafah et al., 2023). This justifies Ratna's (2009) perception of semiotics as a field that is sensitive to the existence, transmission, and diversification of signs. At this level, signs "take the form of words, images, sounds, gestures, and objects" that sensitively mediate the interplay between a particular context in the external world and its associative perception in the human mind (Arafah et al., 2023, p. 490). This is asserted by Mehawesh (2014) who maintains that semiotics is a form of social practice that is inseparable from the environment and context of its occurrence.

In retrospect, the history of semiotics had roots in philosophical studies and it dates back to the time of Aristotle when philosophers were concerned with classifying different types of signs (Foster, 2017). However, this gained its popularity mainly during the late 18th and early 19th centuries when scholars including Ferdinand de Saussure, Charles Pierce, and William Morris delved deep into this scope of investigation bringing diverse semiotic theories into light (Foster, 2017). This influential contribution resulted in the evolution of new dimensions of semiotics while preserving the philosophical nature of this field (Foster, 2017). Nowadays,

semiotics is being perceived as “one of the newest social science modes of analysis”, and it is defined as the study of signs and symbols constructing the system of signs (Nilan, 2007, p. 60). In this context, Yakin and Totu (2014) trace the path of this field coupled with its major concern arguing that the term semiotics “derives from the Greek ‘semesion’, meaning sign, ‘semainon’ which means signifier and ‘semainomenon’ meaning signified or indication. Generally, semiotic is the study of signs or an epistemology about the existence or the actuality of sign in societal life” (p. 4). Therefore, its interest in meaning and language interprets how semiotics emanates as an amalgam of philosophy and linguistics coupled with bits and pieces from diverse other sciences and disciplines (Yakin & Totu, 2014).

Media Discourse: Functions of Headlines

According to Ahmadova (2021), the interdisciplinary nature of discourses allows them to involve a wide diversity of types and forms. In the media context, the news discourse is a significant scope that embodies a vernacular relationship between social occurrences, predefined ideologies, and knowledge construction within the frame of communication and meaning display (Rubing & Sandaran, 2023). This interplay is manifested at the level of reporting socio-political and economic activities to the audience burdened with predefined systems of beliefs and reproduced ideologies. In this regard, Fowler (1991) defines news maintaining that it “is not a natural phenomenon emerging straight from `reality’, but a product. It is produced by an industry, shaped

by the relations between the media and other industries, by the bureaucratic and economic structure of that industry, and most importantly by relations with government and with other political organizations" (p.223). This reflects the nature of the news discourse that allows for employing diverse signs and symbols in relaying some ideologies veiled behind the external structure of language.

In the scope of news discourse, news headlines are considered influential components conveying the intended meaning and invisibly instigating some sort of action in the audience. According to Conboy (2007), headlines serve multiple crucial functions that justify the power of these elements and their ability to stand alone yet captivate the audience's attention. In accentuating some of the functions that headlines serve, Gattani (2005, as cited in Ahmadova, 2021) summarizes these functions with three labels that specify the roles of headlines. According to Gattani (2005), headlines are informative, indicative, and eye-catcher elements. Besides, Iarovici and Amel (1989) argue that headlines possess a double function manifested in their semantic and pragmatic roles. While the semantic level highlights the functionality of headlines in displaying meaning, the pragmatic function surpasses this level emphasizing the role of news headlines in relaying diverse invisible ideologies that instigate some behavior in the audience (Iarovici & Amel, 1989).

Methodology

Corpus

In describing the studied corpus selected from the targeted news discourse, the researcher approaches the discourse of news headlines reported by Arab media sources. The selected headlines were representative and balanced mainly in the sense that they all report news events centered around the Israeli strikes on South Lebanon accompanying the Israeli war on the Gaza Strip. The researcher selected 10 headlines and approached them through the lens of semiotic analysis in which the significance of signs and symbols can be unveiled. At this level, Table 1 displays the selected headlines accompanied by their respective media sources. However, since the semiotic landscape is effectively concerned with the visual context, the photos employed in these headlines are listed and shown in Appendix A. This allowed for a textual and visual analysis of the targeted news discourse.

Table 1

News headlines and their respective Arab media sources

Headlines	Source
1. Israeli military strikes south Lebanon stoking fears of widening conflict	Al Jazeera
2. Hamas assassination shows Israel 'didn't achieve any goals': Iran	
3. 'Brink of war': Hezbollah–Israel trade further strikes across border	
4. Strike on Hamas leader in Lebanon sends tension spiking across Middle East	
5. Israeli leaflets 'intimidating civilians,' Lebanese municipality says	Arab News
6. Lebanon's Hezbollah denies Israel's claim for killing senior Hezbollah commander	
7. Hezbollah hits Israeli base to avenge death of four members killed by drones	
8. Lebanon mourns 3 sisters, grandmother killed in brutal Israeli strike	Al Mayadeen
9. Hezbollah says targeted Israel base in Safad to avenge killings in Lebanon	Al Arabiya News
10. Israeli strikes on south Lebanon kill two journalists, several civilians	

Research Design

Approaching the studied corpora through an analytical semiotic lens, the conducted study adopted a qualitative descriptive research design. The qualitative nature of this study was manifested in the interpretative approach to the news discourse employing a diversification of analytical tools unleashing the multiple features and components of the tackled headlines. In specifying the nature of qualitative research, Obeyd (2021) maintains that "qualitative

researchers focus on a detailed understanding of the 'meaning in the particular'" which reflects the sensitivity of this design to meaning and context (p. 56). In this regard, Creswell (2014) asserts that the qualitative approach is highly concerned with the collection and interpretation of open-ended data that fosters subjective analyses of a particular context.

In the scope of this study, the interpretative nature is displayed in the process of decoding the invisible meaning through reading between and beyond lines. This analysis emphasizes the nature of qualitative research as it provides a "context-sensitive micro-perspective" of the explored discourse (Dornyei, 2007, p. 27). The criticality of context sensitivity is crystalized in the diverse interpretations of signs and symbols encoded in the news discourse. This emphasizes the need to develop a holistic comprehensive understanding of the diverse ideologies underlying the invisible messages portrayed in news headlines. Unveiling these hidden components requires critically examining the connotations of the signs and symbols employed within the explored discourse.

Adopted Framework

Barthes' Semiotic Theory

Previewing the news discourse from a cognitive perspective, meaning is perceived as a combination of sign elements involving diverse entities that reflect the external world. This is a crucial semiotic concept emphasized in diverse semiotic theories including Ronald Barthes' Semiotic Theory. In this regard, Barthes is a French philosopher, semiotician, and linguist who is considered an

influential figure in the field of semiotics (Foster, 2017). Barthes' contribution to this field involved fostering de Saussure's notion of sign and elaborating this notion within two primary semiotic aspects, mainly known as the two orders of signification, namely denotation and connotation (Bouzida, 2014). This identification derived from Barthes' understanding of the sign as he "identified the semiotic sign with the system of language, and it is related to language in order to create meaning like the sign of fashion which is associated deeply to the verbal language system" (Bouzida, 2014, p. 1002). This highlights Barthes' emphasis on de Saussure's dyadic notion of the sign.

In describing Barthes' orders of signification, there is a vital interrelationship between denotation and connotation. At this level, the denotative sign is composed of the signifier and the signified. Besides, this denotative sign is also considered a part of the connotative sign which can be recognized in the form of the connotative signifier. However, it is only when the connotative signified is combined with the connotative signifier, the connotative sign can be obtained (Bouzida, 2014). In illustrating the semiotic function and nature of these orders, the denotative level is only concerned with the visible meaning that focuses on literally reading lines rather than transcending beyond them (Moldez & Gomez, 2022). Hence, a clear definition of this order is that "denotation refers to an interpretation of a message to its literal meaning of signs and symbols, often by something obvious, observable, and visible to the eyes" (Moldez & Gomez, 2022, p. 6). Nevertheless,

connotation entails identifying the meaning behind words involving a subjective interpretative approach to the context. This level is effectively influenced by diverse factors involving the context, society, and ideologies that contribute to unveiling the intended meaning symbolically hidden behind words. In this respect, Barthes (1968) claims that "connotation being itself a system comprises signifiers, signifieds, and the process which unites the former to the latter (signification)" (Barthes, 1968, as cited in Bouzida, 2014, p. 1005).

In the realm of connotation, the variation in meaning accentuates the multiplicity of connotations as opposed to the oneness of denotation (Moldez & Gomez, 2022). This asserts the criticality of identifying symbols as crucial connotative elements that cannot be interpreted within one frame of meaning. However, despite the critical identification of these orders of signification, Chandler (2017) argues that there is no actual separation between denotation and connotation. Therefore, signs can never be purely denotative or connotative as both orders interact in a critical manner that allows for constructing meaning within a context (Moldez & Gomez). This interaction is perceived at diverse levels involving the textual as well as the visual level. In identifying the significance of the visual context within the semiotic theory, Arifin (2019) states that visuals and images in the media context are one example of how diverse messages can be encoded behind these components. In decoding these visual elements, the audience can acquire the denotative as well as the connotative messages evoked by these

images revealing the sensitivity of human cognition to diverse symbols and sign elements within the sign system (Arifin, 2019, as cited in Moldez & Gomez, 2022).

Discussion and Analysis

Approaching the media discourse through a semiotic perspective, the news context emanates as a critical area of investigation encompassing a diversification of sign components. In this regard, the sign system manifests itself at the level of the linguistic and visual components employed in a given discourse. While the signified stands as a mental representation of a tangible signifier, sign systems surpass this abstract-concrete complexity accentuating the functionality of symbols and visuals in portraying the intended meaning hidden beyond lines. This semiotic approach blending cognitive linguistics elements with visual contexts and symbolism can be crystalized through the vantage point of Barthes' Semiotic Theory.

The employment of sign systems in news headlines

As the news discourse is a critical space for encoding socio-political messages, the use of sign components in reproducing ideologies and conveying meaning is crystalized at the level of news headlines. In investigating this context, a diversification of sign components is displayed in the selected discourse of news headlines carrying both denotative and connotative meanings. At the level of denotation, this is manifested in the literal meaning conveyed by the explored headlines. In this regard, **Headline 1** (Table 1) displays the concerns about the upcoming expansion

of the war amid the increasing Israeli strikes on south Lebanon. This meaning is reflected by the sign elements which stand in the form of words like “military, strikes, fears, widening, etc.” that serve as signifiers denoting diverse mental representations. Besides, **Headline 2** (Table 1) aligns with **Headline 1** in the context of displaying denotative meaning. This is evident in the choice of signifiers such as “assassination, achieve, goals, etc.” that reflect the real scenario happening in the Lebanese context. The employed signifiers denote wider and deeper yet denotative signifieds represented in the scenes of death, cruelty, and war.

In a similar vein, **Headlines 3** and **4** also embody different denotative messages manifested in the choice of words that portray the miserable reality in Lebanon and reflect the shades of war awaiting this country. This is crystalized in the use of sign components, mainly signifiers, such as “strikes, border, tension, etc.” that reflect multiple mental representations that align with the reported socio-political realities. Proceeding in the denotative context, **Headlines 5** and **6** also involve diverse sign elements that serve as reflections of mental representations visibly and literally encoded by newsmakers. Some of these denotative elements involve terms that reflect the sense of war and display the image of fear accompanying the Israeli strikes on Lebanon. These components are mainly signifiers that involve terms like “intimidating, killing, civilians, etc.” which denote the representations of war, strikes, and fear.

In addition, **Headlines 7** and **8** align in their linguistic and semiotic tapestry with other headlines mainly showing how sign elements can serve denotative purposes manifested in displaying the literal meaning. At this level, the terms "avenge, death, killed, mourns, brutal, etc." are typical illustrations of how semiotic signifiers serve as concrete reflections of mental representations. The listed terms denote cognitive signifieds that mainly exist in the semantic field of war, death, and cruelty. The utilized terms denoted the reported incidents carrying the visible meaning of what happened at a particular point. Similarly, **Headlines 9** and **10** embody multiple denotative meanings brought into light through the choice of signifiers such as "targeted, killings, strikes, kill, journalists, civilians, etc." that reveal the reality and report the occurring events. In light of the aforementioned headlines and their respective denotations revealed by the sign components, it is accentuated that meaning is conveyed through the tangible reflection of mental representations that align with particular occurrences and political events within the news context.

After explicating the denotative meaning conveyed by the studied headlines, the connotative level revealed by signifiers and signifieds is of significant importance. The news discourse is known for its critical style and sensitive manner of reporting events burdened with invisible ideologies and hidden meanings. These veiled elements empower the discourse by appealing to the readers' minds and evoking certain reactions. In highlighting some of the connotative instances observed in the analyzed

discourse, the history of the Lebanese resistance rebelling against Israel's inhumanity is invisibly displayed in the background of all the analyzed headlines. At the level of **Headlines 1** and **2** (Table 1), the employed terms connote invisible meanings burdened with the long history of Israel's inhumanity in the Middle East and its rape of others' homelands. This is reflected in the critical choice of signifiers such as "military strikes, stoking fears, assassination, etc." which reveal the shades of war approaching the Lebanese context from its southern border. These sign elements do not only announce the expectations of war expansion but they also reveal diverse political agendas underlying the Israeli strikes on Lebanon. This is manifested in portraying the cruel image of Israel as the source of fear, injustice, and inhumanity in all contexts. Although **Headline 1** does not literally state this idea, the intended meaning is acquired by saying "stoking fears" which signifies the history as well as the future of Israel's cold-blooded attacks. Besides, **Headline 2** connotes the Middle East's forces' realization and knowledge of the poor weak background of this enemy that is driving all its efforts into vain. This is displayed in saying "didn't achieve any goals". This statement reveals the Middle East's carelessness about Israel's attempts through associating this enemy's trials with meagerness.

In a similar vein, **Headlines 3** and **4** connote the increase in tensions leading to warfare. The utilized signifiers reflect critical cognitive representations that display the most influential parties in this conflict. Besides, mentioning the "Middle East" does not

only reflect a geographical representation; instead, it connotes the fears of war expansion that hinder countries other than Lebanon. This scene is motivated by the use of symbols as a crucial component of the sign system which transcends meaning display to a higher level of connotation. These diverse layers of meaning are also presented in **Headlines 5** and **6** in which the light was spotted on some parties, highlighting their roles and fostering their bravery in contrast to the enemy's meagerness and cruelty. This is reflected at the level of **Headline 5** mainly as Israel spreads leaflets threatening innocent citizens. This sheds light on the inhuman attack of Israel on innocent civilians. However, **Headline 6** reveals the bravery and aptitude of the Lebanese resistance, manifested in Lebanon's Hezbollah, in recognizing the traps of the enemy. Through this representation, news headlines encode multiple political agendas in the news discourse that are only accessible and perceptible in the sense of invisible messages.

Similarly, **Headlines 7** and **8** are loaded with diverse connotative meanings encoded through sign elements. The employed terms accentuate the harshness of Israel as opposed to the Lebanese resistance right to defend the country against this monster. This is evident in **Headline 7** mainly in saying "avenge'. This term connotes the background underlying the military act of Hezbollah that might, from the outside, appear as an aggressive attack. Highlighting the term "avenge" automatically suggests that Hezbollah is reacting to Israel's attacks rather than initiating an attack. This justifies Hezbollah's behavior and allows for ignoring

the harsh nature of this attack simply as it stands as a reaction to prior attacks which justifies the right of the Lebanese resistance to reply to what Lebanon was subjected to. Besides, **Headline 8** emphasizes the harshness of this enemy mainly by portraying the scene of killing innocent civilians, particularly children and women.

Eventually, **Headlines 9 and 10** align with previous headlines at the level of employing particular sign elements in displaying connotative meaning and symbolizing events. **Headline 9** resembles **Headline 7** in the use of the term "avenge" to justify Hezbollah's strikes on Israel. Nonetheless, **Headline 10** highlights Israel's cold-blooded attacks accentuating the fact that this enemy kills civilians and rapes the voice of freedom and truth, journalism, to hide its heinous crimes. Therefore, this semiotic approach to news headlines through Barthes' Semiotic Theory revealed the power of language in displaying denotative meanings and connotative representations that surpass the level of words on paper. This highlights the power of semiotics in fostering the interplay between cognitive operations and linguistic elements carrying the intended meaning.

The semiotic display of meaning through symbols and visuals in news headlines

In approaching the visual context of news headlines, it is made clear how images hold symbols of meaning that align with the linguistic content of headlines. This is a crucial part of the semiotic sense employed in the news discourse. At the level

of **Figure 1** (Appendix A), the image of homeless women and children walking on the wrecks of their homes which were severely damaged by the enemy. This visual context reflects the linguistic content of the headlines. Besides, **Figure 2** displays the image of a Hamas influential figure who was assassinated in Lebanon. Similarly, this visual context reflects the linguistic content fostered in the headline. At the level of **Figure 3**, the gloomy image holds much sorrow, pain, and misery that reflects the critical situation in South Lebanon. This visual aligns with the linguistic content that says “Brink of war”. Thus, the employed image visualizes the feelings and scenes that can be hardly described through words instigating a sense of fear in the reader who can realize the miserable situation in the described areas. Similar to **Figure 2**, **Figure 4** displays the image of a Hamas figure, namely Saleh Al-Arouri, who was assassinated in Dahie, Lebanon. This also aligns with the linguistic context of this headline emphasizing that the blood of this brave man will not go in vain and his death will be avenged. As for **Figure 5**, the displayed image highlights the situation in some Lebanese areas where Israel spread leaflets threatening civilians. The image shows the severe destruction resulting from the Israeli strike on Lebanon. This visualizes the feelings of fear and threat experienced by civilians.

Besides, **Figure 6** visualizes the sound of rebellion and denial. As **Headline 6** highlights Hezbollah’s denial of Israel’s claim of killing Hezbollah’s senior commander, the respective image in **Figure 6** portrays the soldiers’ rebellion, resistance, and readiness

to fight against this monster. At the level of **Figure 7**, the bombed car's image attempts to highlight some of Hezbollah's achieved goals in Israel emphasizing the power of this military force that is avenging the death of its members and civilians. As for **Figure 8**, the image says what words failed to say. Despite the harshness of the displayed image, the four coffins of 4 innocent souls can stand alone in revealing the cruelty of Israel. At the level of **Figure 9**, the image of strikes and bombings filling the sky with smoke reflects the achievements of Hezbollah in avenging its martyrs. The emerging smoke in this context portrays the celebration of victory. Eventually, **Figure 10** displays the photo of the two journalists who were killed in Israeli attacks. This aligns with the context of **Headline 10** which reports Israel's assassination of journalists and its attacks on innocent civilians. Through this illustration, it is made evident how semiotics dynamically functions within the discourse mingling diverse sign elements in one context that blends linguistic and visual components. This interplay between sign elements reveals the power of language in invisibly displaying meaning and reproducing ideologies that appeal to the reader's minds through mental representations.

Conclusion

Throughout this semiotic approach to the news discourse, the power of headlines in displaying meaning and conveying invisible messages is well-displayed. Looking through Barthes' semiotic lens, the interplay between signs, symbols, and visuals is accentuated. This contributed to unveiling the power of semiotics

in fostering the relationship between words and mental operations. This is reflected in the layers of meaning characterizing the news discourse burdened with invisible messages and hidden ideologies. In this context, news headlines appeared to carry both denotative as well as connotative meanings brought into light through sign components. These sign elements also involved the use of visuals that align with the linguistic content of headlines creating double contextualization within the same context. Therefore, the analytical approach unleashed the semiotic tapestry of news headlines fostering the criticality of this discourse mainly as it embodies shades of meaning that are only perceived through critical thinking and sensitivity to the intended meaning loaded with ideologies and hidden agendas.

References

Ahmadova, S. (2021). **Linguistic devices used in newspaper headlines** [Master's thesis, Khazar University]. http://dspace.khazar.org/bitstream/20.500.12323/5459/1/Linguistic%20Devices%20used %20 in%20Newspaper%20Headlines.pdf

Arafah, F., Fitrisa, D., Fitriani, S., & Shaheema, F. (2023). The Analysis of semiotic signs appearing on the names of Acehnese online newspapers. **Studies in English Language and Education**, **10**(1), 487-500.

Bouzida, F. (2014). **The Semiology analysis in media studies-Ronald Barthes Approach** [Paper presentation]. Proceedings of SOCIOINT14-International Conference on Social Sciences and Humanities, Istanbul, Turkey.

Chandler, D. (2017). **Semiotics: The Basics** (4th ed.). London: Routledge.

Conboy, M. (2007). Permeation and profusion: Popular journalism in the new millennium. **Journalizm Studies**, **8**(1), 1-12. https://doi.org/10.1080/14616700601056775

Creswell, J. W. (2014). **Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches** (4th ed.). Sage Publications.

Dörnyei, Z. (2007). **Research methods in applied linguistics. Quantitative, qualitative and mixed methodologies**. Oxford: Oxford University Press.

Foster, S. (2017). **Encounters between Theory and Practice: Semiotic and Pragmatic Principles in Advertising** [Doctoral dissertation, Sheffield Hallam University]. http://shura.shu.ac.uk/18155/

Fowler, R. (1991). **Language in the news: Discourse and ideology in the press**. London/New York: Routledge.

Iarovici, E., & Amel, R. (1989). **The strategy of the headline. Semiotica,** **77**(4), 441-459.

Mehawesh, M.I. (2014). The Socio-Semiotic Theory of Language and Translation: An overview. **International Journal of languages and Literatures**, **2**(2), 251-269.

Moldez, C., & Gomez, D. (2022). Looking at the bigger picture: A Semiotic analysis on online news photographs. **International Journal of Research Studies in Education**, **11**(3), 1-58. DOI: 10.5861/ijrse.2022.115

Nilan, P. (2007). Applying semiotic analysis to social data in media studies. **Jurnal Komunikasi Massa**, **1**(1), 60-74.

Obeyd, S. (2021). Research methods in linguistics: An Overview. **Studies in Linguistics, Culture, and FLT**, **9**(1), 54-82. 10.46687/SILC.2021.v09i01.004

Ratna, N. K. (2009). **Stilistika: Kajian puitika bahasa, sastra, dan budaya. Pustaka Belajar.**

Rubing, G., & Sandaran, S. (2023). A Critical Discourse Analysis of News Discourse on in The Times. **International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences**, **13**(1), 968 – 984.

Yakin, H., & Totu, A. (2014). The Semiotic perspectives of Peirce and Saussure: A Brief 78 comparative study. **Procedia - Social and Behavioral Sciences**, **155**, 4-8. http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/3.0/

Appendix A

Figure 1

Respective image of Headline 1



Figure 2

Respective image of Headline 2

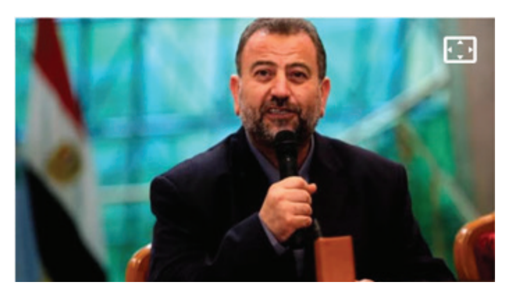


Figure 3

Respective image of Headline 3

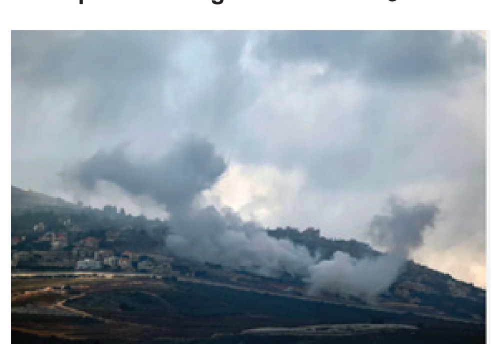


Figure 4

Respective image of Headline 4



Figure 5

Respective image of Headline 5



Figure 6

Respective image of Headline 6



Figure 7

Respective image of Headline 7





Figure 8

espective image of Headline 8



Figure 9

Respective image of Headline 9



Figure 10

Respective image of Headline 10



"Satire in War Drama, Bengal Tiger in the Baghdad Zoo"

«التّهكم في مسرحية الحرب، نمر بنغاليّ في حديقة الحيوان في بغداد

Prepared by Malak M. Assayli

Malaknour01@yahoo.com

Abstract

Rajiv Joseph's play Bengal Tiger in the Baghdad Zoo is an allegorical tale that is considered to be a combination of satire, surrealism, theater of absurd, dark comedy and expressionism. This play, which premiered in 2009, was nominated for a Pulitzer Prize. The main characters are dead, yet their ghosts remain onstage, unable to rest in peace as they keep asking questions about God, their existence, wars and bloodshed, but they find no answers. All of these characters have committed crimes when they were alive, so they got haunted by their victims. With his theatrical imagination, Joseph turns the ugly truth of the Iraq War into entertainment, and triggers the audiences' minds to ask some existential questions, such as "Where is God?" In fact, God is present in most of the scenes of the play, yet Tiger, the main character, seems to be an atheist whose soul is unable to ascend to the upper world after he had killed innocent people, but this violent nature is created by God Himself, and here lies the paradox. The play satirizes wars which were legalized by the American administrations, yet these wars proved to be fulfilling some personal interests. Those who benefitted from the hostile war were some Americans and some Iraqi traitors who

served the Americans. This paper discusses how Rajiv Joseph uses satire in order to reveal the ugliness and savagery of the American war in Iraq.

Keywords: satire, war, existentialism, ghosts

الملخّص

تعدّ مسرحية راجيف جوزيف «نمر بنغالي في حديقة الحيوان في بغداد» مسرحية رمزية وهي مزيج من السّخريّة والسّرياليّة ومسرح العبث والتّعبيريّة والكوميديا السّوداء. وقد رُشّحت لجائزة «بولتزير» بعد عرضها للمرة الأولى في العام 2009. معظم الشّخصيّات الرّئيسة في المسرحيّة هم أموات، ولكنّ أشباحهم لا تزال على المسرح غير قادرة على الموت بسلام ولا تنفكّ تسأل العديد من الأسئلة، لكنّها لا تجد إجابات لها. كل هذه الشّخصيّات كانت قد ارتكبت جرائم عندما كانت على قيد الحياة، لذلك تحوّلوا جميعهم إلى أشباح مسكونة بأرواح ضحاياها. وبالنّظر إلى الخيال المسرحيّ، يحاول جوزيف إظهار حقيقة الحرب على العراق بأبشع صورها، وإيقاظ عقول الجماهير كي يسألوا بعض الأسئلة الوجوديّة، مثلاً «أين الله؟» في الواقع، مع أنّ الله موجود تقريبًا في معظم مشاهد المسرحية، يظهر النّمر – وهو الشّخصيّة الرئيسة – كشخص ملحد، روحه معلّقة غير قادرة على الرّاحة الأبدية بعد قتله أناسًا أبرياء. ولكنّ التّناقض الذي يتساءل النّمر عنه هو أنّ الله خلقه بهذه الطّبيعة، فلماذا يعاقبه على قتله البشر؟ في قالب من السّخريّة، تنتقد هذه المسرحية الحروب التي شرّعتها الإدارات الأميركيّة ولكنّها أثبتت أنّها تخدم المصالح الشّخصيّة لبعض الأميركيين وبعض العراقيين الخونة الذين خدموا الأميركيين في حربهم. لذلك، يناقش هذا البحث كيف استعمل راجيف جوزيف السّخريّة والتهكّم لتوضيح الصّورة الحقيقية لحرب أميركا على العراق.

الكلمات المفتاحية: التّهكّم، الحرب، الوجودية، الأشباح

“The ode lives upon the ideal, the epic upon the grandiose, the drama upon the real.” Victor Hugo

I- Introduction

Man has always been fascinated by politics. Throughout centuries, people have tried to express this fascination through different ways; the theater, which is sensuous by its nature, was one of the most appealing. Its attraction lies in its power to transcend the written word. Back into the deep history, the Greek satirist, Aristophanes (450– 385 B.C) satirized politics and politicians. In 411 B.C., he wrote his famous anti-war comedy Lysistrata which talks about a woman’s extraordinary mission to end the Peloponnesian War. This drama has been revived many times in the modern ages.

Subsequently, playwrights in other periods and other countries utilized the theatre to support or to criticize the governments and party leaders of their own day. In the United States, plays appeared sporadically from colonial times on, but political dramas did not reach the Broadway stage in significant numbers until the last decade of the nineteenth century. Still another forty years were to elapse before this genre was produced in quantity (Nannes, ix).

The Americans “have cultivated, historically and emotionally, an intensely ambivalent attitude toward the theater” (Roudané, xi), and the American dramatists as Eugene O’Neill, Susan Glaspell, and Tennessee Williams believed that the theater increases public consciousness. Hendin writes that “the postwar era in American

culture, from 1945 to the end of the twentieth century, was especially marked by a self-conscious sense of place in the world" (40). The Americans had the idea that the twentieth century was called the "American century" because America, as all believed, was responsible for winning World War II. This conception of being victorious supported the mentality of the citizens who gained more self-confidence. However, America, the land of liberty, democracy and equality, started a malicious war against Vietnam, and massacres shocked the Americans. Later, America took the decision to start a global war against terror; Afghanistan, Iraq, and Syria were the next targets. Consequently, post-war drama portrays these contradictions which had existed in the American mentality. "The American dramatic imagination seemed as varied and contradictory as the country itself. American drama since 1960 emerges as a dizzying amalgam of many voices, many peoples, and few resolutions" (Roudane, 6).

David Rabe's The Basic Training of Pavlo Hummel (1971) and Sticks and Bones (1972) satirized America's militaristic nationalism and cultural shallowness… A committed political writer, Kushner often focused on public themes. His later plays included Slavs! (1996) and the timely Homebody/Kabul (2001), a brilliant monologue followed by a drama set in Taliban – controlled Afghanistan (Britannica).

II- Satire in Bengal Tiger at the Baghdad Zoo

"War is God's way of teaching Americans geography," Ambrose Bierce joked.

Satire is a genre of literature that uses witty images for the purpose of social or political or moral criticism. In the **Oxford Dictionary of Phrase and Fable**, satire can be defined as "the use of humor, irony, exaggeration, or ridicule to expose and criticize people's stupidity or vices." (https://www.osfordreference.com/display/10.1093/oi/authority.20110803100442626). There are two important things about satire: It makes fun of a person, idea, or institution, and its purpose is not just to entertain, but also to inform or make people think about their own follies.

Satire is an ancient literary device, which existed along with the social injustices and problems; however, people thought that they can never talk about these problems in a direct way, so comedy was the first step to satire. By laughing at our follies, we can realize their reality. So, satire grabs people's attention to social issues when they might otherwise ignore them. Satirists play a role of portraying the flaws of their society, trying to help people ponder things they might otherwise had just taken for granted. Therefore, satire blends a critical attitude with humor, and the satirist is conscious of the frailty of institutions and attempts through laughter to inspire a remodeling.

English Literature is loaded with examples of satire. In Animal Farm (1945), George Orwell focuses his satire on the events of the Russian Revolution. He replaces the Russian people with animals in a farm, with the leading figures of Communism represented by pigs. As the novel goes through, the pigs change to be like the humans who used to rule in the first place. The same

theme is found in **1984**, when Orwell talks about the totalitarian system and how its leaders treat the rebels.

Similarly, in **Gulliver's Travels** (1726), the great satirist, Jonathan Swift criticizes the nature of humans. The Lilliputians, a six-inch tall people, are nasty, vicious, morally-corrupt, hypocritical, deceitful, jealous, greedy, and ingrate. These tiny men represent the English politicians, and the continuous struggle between the Whigs and Tories.

Alexander Pope's The Rape of the Lock (1712) is another example of poetic satire in which he focuses satire on the English upper middle class during the eighteenth century. It shows the egotism of young ladies and gentlemen and their trivial way of thinking and immature actions. For example, Pope says about Belinda after losing her lock of hair:

Whether the nymph shall break Diana's law, Or some frail china jar receive a flaw, Or stain her honor, or her new brocade

These lines mock the values of the fashionable class during the eighteenth century. The silly things were considered equivalent to important things. For Belinda, the loss of her virtue becomes equal to a China jar being cracked.

Mark Twain's The Adventures of Huckleberry Finn (1884) was written shortly after the Civil War, when slavery was dominant. In this novel, Twain directs his satire into the way how people treated slaves. Miss Watson, a good Christian woman, is a slave owner who mistreats her slave, Jim.

Rajiv Joseph's Bengal Tiger at the Baghdad Zoo (2009) is a contemporary play which is also considered a form of satire. It is a mixture of political, moral and social satire. The tiger himself proclaims that "all the great mysteries of creation could be revealed at the zoo". In fact, the zoo does not mean that typical zoo where people keep animals, yet it is the bigger zoo where ordinary humans are transformed into killers because of their greed and savagery during war.

Twair writes that "playwright Joseph said he was inspired to write the first scene after reading a news shortly after the U.S. invasion of Iraq about an American soldier shooting the Baghdad Zoo's most prized possession, a rare Bengal Tiger". Joseph's play, which was performed on Broadway in 2011, starred by Robin Williams (Tiger), raises diverse issues, without providing ribbon-tied answers. It is about the obscurity of life and death, the greed of the American soldiers as well as the rulers in Iraq, the moral corruption, savagery of war, suicide, cultural differences, post-traumatic stress disorder (PTSD), religion and existence. Like Belinda's lock of hair which caused a war, the golden toilet seat and the gold-plated pistol looted from Uday Hussein's palace are the major causes of death and loss in this play.

Satire in this play is directed towards war and killing among people as well as beasts. The main difference is that the tiger kills innocent children because he is hungry; he declares that, "Basic primordial instinct isn't cruel; it's lunch. I'm guilty. That's why I'm stuck here. And I caused untold misery to the parents

of those children. But what can I do? I'm a tiger," (p. 33). Tiger then wonders "what if my very nature is in direct conflict with the moral code of the universe? That would make me a fairly damned individual" (p.34). On the other hand, Uday Hussein, supposedly a human being, and Cosey, who is only a head in a bag, are good examples of predators; they are sadistic men who considered torturing others an entertaining pastime when they were alive, and even as a ghost, Uday finds pleasure in torturing Musa and reminding him of what he (Uday) had done to Musa's sister before killing her.

Both of the tiger and Uday are ghosts who are stuck in limbo; they are roaming in the streets of war-torn Baghdad, which can also be Hell. Both of them are not allowed to rest in peace because they had committed bad crimes when they were alive. The satirical twist in this comparison is that the tiger, the animal, becomes a wise ghost who wants answers for his questions, while Uday's ghost never questions why he is there; he just enjoys his sadistic narcissism, and declares, "I am Iraq", by which he means that terror is found everywhere, as he himself is found everywhere.

Eric Marchese (2015) writes that "the play's Iraqis offer portraits of confusion, dismay and volcanic anger toward the American occupiers." Musa is first fascinated by the new-immoral- words that he hears the American soldiers saying. He wants to know exactly why they use the word "bitch" which is a female dog when they talk to each other. However, later on, Musa is haunted by Uday's ghost who scolds him for helping the American conquerors.

Musa gets lost and he thinks to shoot himself (using the golden gun), he is not able to decide anymore; Uday, and the Husein family, were savage, and the American soldiers are also criminals and greedy. Musa decides in the end to shoot Tom as he was in the middle of the desert embracing his precious golden toilet seat. Musa is a symbol of all the Iraqis who were not able to face the old as well as the new tyranny. Musa says one of the most powerful lines in the play, “You Americans, you think when something dies, it goes away” (p.37). Musa tries to evoke the patriotic feelings in the Iraqis in order to defend their homeland. Death must not stop them.

“A hungry animal, two bored men: The trappings are all there. All the story needs is for someone to do something stupid” (Mak, 2013, par.2). Despite the fact that the Tiger says that “when [he] gets hungry, [he] gets stupid”, but it is Tom who starts the stupid action and teases the tiger. The story takes place in Bagdad shortly after the American invasion of Iraq in 2003. In a post-Saddam Bagdad, violence and chaos are daily routines, and the one who dies is not actually gone. Two young American Marines, Tom and Kev are protecting the zoo. When Tom teases the Bengali Tiger, the tiger eats his hand, and accordingly, it is shot by Kev who uses a golden plated gun looped from Uday Husein’s palace. The tiger haunts Kev and leads him to suicide, while Tom, who returns from USA with a prosthetic arm, wants to restore “his” gun and the golden toilet seat, but he is shot by Musa, the Interpreter, who uses the same golden gun.

Bengal Tiger at the Bagdad Zoo is a play haunted by ghosts. There is a tiger that talks to the audience and whose ghost haunts his murderer, there is a ghost of Uday, the son of Saddam Hussein, there is the ghost of Hadia, a young girl raped and murdered by Uday, and there are two American soldiers, one of them dies in the middle of the play and becomes a ghost. Thus, it is part ghost story, part war play, part satire, and part theater of the absurd where questions about God and existence rise but no answers are given.

The director of the play, Moises Kaufman, does not bother himself to dress his main character, the tiger, an animal costume with a tail. He is just wearing shaggy clothes with a long beard. Through Tiger, the audience is able to know the main purpose of the play. First, the hidden purpose of the war, and who the victims are, "After all, lunch usually consists of the weak, the small, the stupid, the young, the crippled. Because they are easier to kill". He embarks on a spiritual journey, restlessly wandering the streets of Baghdad, which are still burning with the American bombs, and haunting the young soldier who has killed him. He finds a ruined topiary garden, which was done by Musa, who used to work at Uday's garden, but now he is the interpreter. Tiger looks at the beauty of the garden and thinks he might be in heaven, and ponders, "All my life I've been plagued, as most tigers are, by this existential quandary: Why am I here? And now that I'm dead, I'm a ghost, it's why aren't I gone?" At this moment, the tiger's satire lies in his questions: if God had created him a predator, why is

He punishing him for eating innocent people? But Tiger finds no answer. However, in the last scene of the play, Tiger roams in Uday's garden and is fascinated by the beauty of the trees. He reaches a conclusion that he "will become a plant, then. I'll cut away all the pieces of me that offend the cosmos. I'll escape my cruel nature. But cruelty echoes all around me. Even in the ruined garden. And so I wonder if there is any escape" (p.52). This quote is a satire against the savage and merciless human nature. There is no escape from human-beasts who are scattered everywhere.

It is not just the Tiger who feels trapped. Whether in life or the afterlife, all the characters, American soldiers or Iraqi rulers or citizens, find themselves caged in tough circumstances. They cannot find answers for their situations. They are fighting to get rid of their burdens, yet they are stuck, some of them are alive while others are in Limbo.

Satire in this play is multifaceted. Every single detail can be ironic. Tom, an experienced and compassionate Marine loses his arm, as he was giving chicken kebab to the tiger; he replaces it with a prosthetic one, yet he worries about the masturbatory conundrum that he faces. He needs Musa, the interpreter, to translate his desires to the Iraqi prostitute who asks for $20 in return. When he returns from US, he forgets about his friendship with Kev who is haunted by the ghost of the tiger. Tom only cares about the golden toilet seat which will be the base of his fortune. His greed is overwhelming until the moment he is shot by Musa. The comic moment is that he dies hugging the toilet seat in the

middle of the desert.

Kev, who is originally a naïve, antsy, gung-ho, racist, insensitive and goofy Marine, kills the Tiger as a revenge for Tom's hand, and is accordingly haunted by the tiger's ghost. The paradox is that the tiger's ghost is more aware of the facts than Kev himself. Kev came to Iraq, like most of the American soldiers, not to accomplish the worldwide peace, but in order to steal the golden treasures found in the rulers' palaces. However, Kev does not gain perception except when he himself turns to be a ghost. As Kev's spirit was rising from his body, his wisdom directly pops onto the stage; he is holding his hand, as he was trying to cut it and give it to tiger in order to get rid of him. Kev addresses the audience,

I never knew about this stuff before. But now I do. I am understanding how things relate. I'm just saying, think about the physiology of the wrist! We are put together so well! And that tiger tore off Tommy's hand in about two seconds! With just his mouth… how quickly you can lose a part of yourself. We have a psycho problem now, Me and Tiger. And I'm gonna figure it out.

Kev now knows Arabic, and he knows that there is

some sort of relational algebraic equation that three of us [Kev, God, and the tiger] can factor into and solve our problem. Algebra was even invented here, you know? In Baghdad, by this dude, Abu Ja'far Muhammad ibn Musa al-Khawarizmi. How do you know this? I know, right? I'm like a straight-up brainiac in the afterlife.

Kev also recognizes that the golden toilet seat and the golden pistol– which never glitter on stage– maybe considered as a sign of the illusory goals that had made the American soldiers carry on the war. Kev, also like most American soldiers, suffers from a post war trauma; when the tiger was talking to him, he became hysterical as he yelled, “You know what man? I wrote to my brother about you. He said you’re just a figment of my imagination and shit. He said you were just one of those f…d–up things about being in war. So what’s up now? You don’t even exist, bitch! Except for me! Except for me”. This trauma vanishes soon when Kev dies and recognizes things from a wider perspective than when he was alive.

Therefore, satire in Bengal Tiger at the Baghdad Zoo overwhelms all the actions, all the characters and all the perceptions. Willing to reform, Rajiv Joseph shows the ugliness of war, loathsomeness of greed, and the futility of the declared goals; world peace. It is a play which aims to provoke reflection on the nature of war, and its aftermath. Wars break out to fulfill some individuals’ interests, but end up with overall chaos, and soldiers who grapple with remorse and trauma.

Works Cited

Anonymous. Oxford Dictionary of Phrase and Fable. (https://www.osfor-dreference.com/display/10.1093/oi/authority.20110803100442626).

Bigsby, C. (2004). Modern American Drama 1945-2000. Cambridge: Cambridge U P.

Blair, W. (2016, 12 8). American Drama. Retrieved 12 8, 2016, from en-cyclopedia Britannica: https// www.britanica.com/art/American- Literature/Drama

Hendin, e. J. (2004). A Concise Companion to Postwar American Literature and Culture. New York: Blackwell P.

Joseph, R. (2011). Bengal Tiger at the Baghdad Zoo. New York: Dramatists Play Service Inc.

Mak, L. (2013). War, Death and Gold-plated Guns at the Baghdad Zoo. The Collegian, 25.

Marchese, E. (2015). Bengal Tiger at the Baghdad Zoo pounces on war and other weighty issues. Ibplayhouse.org, 31.

Nannes, C. H. (1960). Politics in the American Drama. Washington 17 DC: The Catholic University of America P.

Roudane, M. C. (1996). American Drama since 1960: A Critical History. New York: Twayne Publishers.

Twair, P. M. (2009). bengal Tiger at the Baghdad Zoo. New Yorker, 16.

From Empire to Independence: Contrasting Perspectives in Rihani's The Book of Khalid and Naipaul's A Bend in The River

Mirna Raymond Shoueiry

Post-colonialism is one of the major schools which was launched to respond to colonialism. In fact, occupying other nations is not exclusive to the nineteenth century, because history reveals many examples of strife among nations. The only new aspects of colonization are the ideologies that accompanied the colonizers, which are noted by Edward Said as Orientalism and Imperialism. Said explains the illusory nature of this ideology as follows: "Orientalism is nothing more than a structure of lies or of myths which, were the truth about them to be told, would simply blow away" (1994, p. 17). These ideological misconceptions serve to form a new identity for the colonized, hence facilitating the hegemony of the colonizers, thus helping them to maintain their power over the colonized. Colonization has led to a new crime against humanity: distorting the identity of the colonized and imposing a pseudo image on all aspects of their culture, forming new common traits among colonized people. This distorted image was in direct contrast to the colonizers' image, and this dichotomy of images was imposed on all fields of knowledge. Said argues that,

> Thus a very large mass of writers, among whom are poets, novelists, philosophers, political theorists, economists and

> imperial administrators have accepted the basic distinction between East and West as the starting point for elaborate theories, epics, novels, social descriptions, and political accounts of the Orient." (1994, p. 151)

Moreover, colonizers have planned to fix this dichotomy in the structure of colonized culture by transfixing their focus on this segregation between themselves and the colonized via the repetition of differences between both. According to Homi Bhabha,

> Mimicry does not merely destroy narcissistic authority through the repetitious slippage of difference and desire. It is the process of the fixation of the colonial as a form of cross-classificatory, discriminatory knowledge within an interdictory discourse, and therefore necessarily raises the question of the authorization of colonial representations. (1994 p.-131)

Similarly, Achebe claims that the aim of colonial novels is to fix the boundaries between the colonizer and the colonized:

> As everybody knows, Conrad is a romantic on the side. He might not exactly admire savages clapping their hands and stamping their feet, but they have at least the merit of being in their place, unlike this dog in a parody of breeches. For Conrad, things being in their place is of the utmost importance. (2001, p. 6)

Achebe considers this construction of boundaries by the

colonizers as the most important tool used by the colonizers to maintain their power in the colonies.

Colonial literature was resisted by post-colonialists who formed a literary resistance, but post-colonial theorists resisted colonial literature in different ways. Some writers such as Homi Bhabha criticized the mimicry used by the colonizers (1994, p. 131), whereas, Aimé Césaire critiqued the mission of colonialism which works to brutalize not only the colonized but also the colonizers, who not only kill and control locals' lives, but ruin their culture. For example, Anita Desai delves into the Indian history searching for the complexion of Indian novels before colonialism. Ameen Rihani resisted colonialism by criticizing both East and West. On the other hand, some nonwestern writers attacked the native people who fell through the cracks of the colonial authority and caved in to the colonialists' system. For example, in A Bend in the River, which was first published in 1979, V.S. Naipaul critiques post-colonial Africa. The aim of this essay is to show that although colonialism oppressed nonwestern countries, and that some works like Rihani's The Book of Khalid counter colonialism, but some literary works such as Naipaul's A Bend in the River are colonialists and counter postcolonialism.

Although Naipaul witnesses the injustice of colonialism against his own people, he does condemn the colonial power that has taken over his country. Because of this, Naipaul is antagonized by many post colonialists. Edward Said argues that, "Naipaul

does not impartially 'tell the truth'; rather he flatters the prejudices of 'ignorant' Western audiences that have of late grown weary of the problems of the Third World and of the decolonization process itself" (1992, p. 60). In The Postcolonial Intellectual: A Discussion with Conor Cruise O'Brien, Edward Said & John Lukacs, Said also claims that, "Naipaul is a third- worlder denouncing his own people, not because they are victims of imperialism, but because they seem to have an innate flaw, which is that they are not whites" (1986, p. 79). In addition, Theodor W. Adorno (1973) claims that, "Modernist art works, among which we may include Naipaul's A Bend in the River, may be historically meaningful as damaged vehicles of historical truth" (p. 274). William Pritchard, on the other hand, claims that Naipaul's political writings lack literary style: "What I find disturbing in Naipaul's political novels from the 1970s is a tonelessness at their centre; an absence of narrative performance – of 'style' if you will – that novels have not often tried to do without" (1998, p. 223). Christopher Wise adds that,

Not only does Salim [Naipaul's protagonist] reject magical African art, he also recoils from the sublime or ecstatic aspects of African art and nature. Naipaul, in fact, relies heavily on Conrad's description of the African bush as elementally dark and horrific (1996. p. 65).

Unlike Naipaul, Khalid, the remnant of Rihani himself, counters colonialism emphasizing the injustice of colonial power. When he openly critiques present-day religious and political matters

within the Great Mosque of Damascus, the Ottoman authorities take action to apprehend him. He views the cultural and political complexities of the Arab world, he does so with both Eastern and Western perspectives.

Khalid is a postcolonialist who is not only against colonial power in the East, but he also tries to unmask the fake democracy of the American democracy. When Khalid first reaches the new land, he is hypnotized by the American dream. Later, he works in politics and becomes an officer at a lawyer's bureau, but when he discovers the ugliness of politics in America, he abandons his work there, and returns back to the East. In doing so, he encounters the imperial ideology which claims that the East is the root of evil, but for Khalid, the old world represents spirituality.

Khalid delivers many speeches in the new land revealing that the American government is engaged in unlawful activities:

> We are content in paying tribute to a criminal Government for pressing upon our necks the yoke and fettering hopelessly our minds and souls– and my brave Phoenicians ah, how bravely they thought and fought. What daring deeds they accomplished! What mysteries of art. (Khalid, p. 272)

Similarly, Rihani asserts in his Ar-Rihaniyyaat essays,:

> Political leaders are never the solution as they are all the same, and if we remove a tyrant another will sim-

> ply replace him. The true change that Lebanon needs is a personal change within the mind and heart of every Lebanese. Educating the people and teaching them to refuse being blind followers, to resist oppression, to discern political opinion, to critically scrutinize leaders, to be knowledgeable of their rights and respectful of their duties is the true politics and is a significant part of the real country building, in which no tyranny will be able to survive. (1910/2010, p. 212)

Rihani's Khalid is aware that imperial power tries to distort nonwestern cultures. Because of this, he sheds the light on the history of his homeland. Conversely, Naipaul does not appear to believe in the importance of the past of his nation, and he criticizes the cultures of the colonized. In A Bend in the River, Salim states that, "All I know of our history and the history of the Indian Ocean, I have got from books written by Europeans"[1] (Naipaul, p. 11). Furthermore, Naipaul hints to his readers that his nation is not developed: "It was from this habit of looking that the idea came to me that as a community we had fallen behind. And that was the beginning of my insecurity" (Naipaul, pp. 15-16).

In many occasions, Khalid emphasizes that the Phoenicians are the ancestors of the Americans hinting to the fact that the red Indianans are the real owners of America. Khalid is aware that the imperial notion that the history ends with capitalism is a lie. For this reason, he sheds the light on the Phoenicians who were

(1) All references from V.S Naipaul's A Bend in the River are extracted from Naipaul, V.S. (1989). A bend in the river. New York: Vintage International.

traders and opened to other cultures, so the roots of liberty in politics is from the East and not the West.

Furthermore, Naipaul does not exhibit characters who defy colonial literature. In

A Bend in the River, Naipaul displays a black protagonist, Salim, who represents the bourgeois, and he does not show that his culture is more civilized than that of the colonizers; Salim, in A Bend in the River, represents the conventional attitudes of the bourgeois, given the fact that he is a shop owner. He emerges from a group, Asians in Africa, who have allied themselves with the Europeans. Although he has never lived among Europeans, he acquires access to European civilization through books, and he identifies himself with them. For instance, when he examines the ruins of his town, he thinks like a colonial European perceiving African civilization as dead:

> You felt like a ghost, not from the past, but from the future. You felt that your life and ambition had already been lived out for you and you were looking at the relics of that life. You were in a place where the future had come and gone (Naipaul, p. 30).

Salim tries to have the privileges of the white colonizers by rejecting his people for not being white: “Our way of life was antiquated and almost at an end” (p. 59). He perceives his people through the colonizers’ eyes, so he is discontent with his culture, and affiliates himself with the white colonizers. He even claims that as a nation, they (Africans) are not advanced: “It

was from this habit of looking that the idea came to me that as a community we had fallen behind. And that was the beginning of my insecurity" (Naipaul, pp. 15-16).

Salim, like any white colonizer, endeavors to protect his power by using the same means that colonizers used in the provinces. He tries to distort the blacks' cultural identity because as Sartre claims, colonizers attempted to wipe out the culture of the colonized without contributing to them their culture (1963, p. 13). By using this method, Salim destroys the blacks' national identity and existence, because a nation can be ruined by demolishing its culture, and this will intensify the "inferiority complex" of the blacks. Throughout A Bend in the River, Salim consistently denigrates African art because of its "religious", "primitive" and "magical" ties, and he makes fun of this art which he ironically describes as "junk". He tells us that looking at Father Huismans' museum is "like being on the river at night". For him, Father Huismans makes the fatal error of finding "human richness" in African artifacts where everyone else "sees only bush" (Naipaul, p. 72). On the other hand, Salim praises European art throughout the novel, and he is astonished how an ordinary British postage stamp enables him to detach himself from his local surroundings. In other words, here he is associating himself with whiteness: "Small things can start us off in new ways of thinking, and I was started off by the postage stamps of our area. The British administration gave us beautiful stamps" (Naipaul, p. 15). In light of this, it is hard to ignore

Salim's eagerness for "new ways of thinking." At this juncture, Salim associates the whites with progression and inadvertently shows his distaste for archaic ideas which he amalgamates with blackness.

Unlike Naipaul, Rihani's Khalid try to counter colonial power. His inclination toward Wahabism stems from the impact of colonialism has planted in the mind of the colonized that "before the advent of colonialism their history was dominated by barbarism" (1963, p. 15). Khalid is a spiritual leader who criticizes both East and West. He thinks that all people are equal, regardless of their differences: "In the Lakes of Light, Love, and Will, I would baptize all mankind. For in this alone is power, and glory, O my European Brothers; in this alone is faith and joy, O my Brothers of Asia" (Khalid, p. 247).

Unlike Naipaul's character, he does not have inferiority complex toward the West. On the contrary, Khalid criticizes the West, for its maternalism. He is aware that the essence of the American dream is the desire for glory. Unlike other immigrants, he advises the Americans to abandon materialism. He also contends that they should go back to nature.

Salim uses another means to maintain his position as white; he delves into Africa's past to connote the superiority of the whites and to lock blacks into the image of perpetual slaves. According to Paul Gilroy,

> People are discouraged from seeing identity as a relational field in which they encounter one another and live out social, historical relationships. England's black settlers are seen as forever locked in the bastard culture of their enslaved ancestors, becoming a problem precisely because of their difference and cultural distance from the standards of civilized behavior which are second nature to authentic [white] Britons (As cited in Reid, 1995, p. 133).

Like the colonizers, Salim tries to narrate the history of the colonized nation and tries to show that slavery is their right. Salim recounts vividly the history of slavery and mastery in Africa, and reports that many Arabs and Indians on the east coast practiced the slave trade. For instance, Salim's grandfather once shipped a boat of slaves, and he claims that there were two slave families who had lived with his family for at least three generations, first as slaves and later as domestic servants.

Unlike Salim, Khalid is against all kinds of slavery. In both worlds, he refuses to be enslaved by any kind of power. His message is spiritual who sheds the light on spiritual leaders from Eastern history like Rumi who claims that humans are able to unite with God: "God called out from a tree: 'I am God!' Everybody heeded and was pleased by this call. If a man says the same thing, do not say that this word cannot be uttered due to your spiritual blindness" (Qtd. Can, 2005, p. 138). Similarly, Khalid sees himself equal to God, so he eats Mujadara with him, and he finds

God in nature and the simple life of the hermits. Additionally, the most important message of Khalid is love and tolerance, and unlike the racist Salim, Khalid is a bridge-builder who endeavors to reduce the gap between both worlds. At the end of the novel, Khalid disappears indicating that this world is not ready to resolve the clash between both worlds.

In conclusion, literature is a very dangerous tool used by imperial governments to maintain their power in the world. For this reason, the aforementioned powers launched colonial literature, but another voice emerged to counter the lies of colonialist, and it is the school of postcolonialism. Unfortunately, not all colonialists hail from the Western world. The influence of Eastern colonialists like Naipaul, can be even more perilous than their Western counterparts. These writers legitimize imperial oppression for Western audiences. On the other hand, certain postcolonial voices, such as Rihani's, play a vital role in debunking colonial falsehoods for non-Western readers.

References

Achebe, C. (1977). An image of Africa: Racism in Conrad's 'Heart of Darkness'. Massachusetts Review, 18, 251-261.

_____. (1994). Things fall apart. New York: Anchor Books.

_____. (2001). Home and exile. New York: Anchor Books.

Barratt, H. (1988). In defense of Naipaul's guerrillas. World Literature Written in English, 28 (1), 97-103.

Bawer, B. (2002). Civilisation and V.S. Naipaul. The Hudson Review, 55 .(3), 371-384

Cudjoe, S. (1988). V.S. Naipaul: A materialist reading. Amherst: U of Massachusetts P.

Fanon, F. (1963). The wretched of the earth. London: Penguin.

Gurr, A. (1981). Writers in exile: The identity of home in modern literature. Sussex: Harvester.

Hemenway, R. (1982). Sex and politics in V. S. Naipaul. Studies in the Novel, 14 (2), 189-202.

McHugh, P. (2001). Cultural politics, postmodernism, and white guys: Affect in 'Gravity's Rainbow'. College Literature, 28, 58-72.

Naipaul, V.S. (1989). A bend in the river. New York: Vintage International.

Nixton, R. (1991). V. S. Naipaul, postcolonial Mandarin. Transition, 52, 100-113.

Raskin, J. (1971). The mythology of imperialism. New York: Random House.

Reid, C. (1995). Caught in flux. Transition, 65, 131-139.

Rice, L. J. (2006). *What was it like? Teaching history and culture through young adult literature*. New York: Teachers College Press.

Rihani, A. F. (1970). *A chant of mystics and other poems.* Beirut: The Rihani Printing and Publishing House (First published in 1921, this edition was

published in 1970).

_____. (2000). The book of Khalid. Beirut: Librairie du Liban Publishers (First published in 1911, this edition was published in 2000).

_____. (2010). The Rihani essays, Ar-Rihaniyyaat (R.Z. Baalbaki, trans.). Washington DC: Platform International. (First published in 1910, this edition was published in 2010).

Said, E. (1986). The postcolonial intellectual: A discussion with Conor Cruise O'Brien, Edward Said & John Lukacs. Salmagundi, no. 70-71, 65-81

_____. (1992). Culture and imperialism. New York: Vintage Books.

Sartre. J. P. (1963). Preface. In F. Fanon, Wretched of the earth (pp. 7-30). London: Penguin.

Stableford, B. (1993). Dystopias. In J. Clute & P. Nicholls (Eds.), The encyclopedia of science fiction [2nd ed.] (pp. 360–362). London: Orbit.

Thomas, F. (1988). Cityscape. London: Heinemann.

Watts, C. (1983). A bloody racist: About Achebe's view of Conrad. The Yearbook of English Studies, 13, 196-209.

Wise, C. (1996). The garden trampled: Or, the liquidation of African Culture in V.S. Naipaul's 'A Bend in the River'. College Literature, 23 (3), 58-72.